المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

ثرجيليوس

الإنيادة

الجزء الأول

ميراث الترجمة

ترجمة: نخبة

مراجعة وتقديم: عبد المعطى شعراوى

1743



لكى نفهم فرجيليوس ونتذوق أعماله لا يكفى أن نعرف تمام المعرفة أنه كان فنانا عظيما فقط،بل من الضرورى أيضا أن نكون على دراية حقيقية بالعلاقة التى قامت بينه وبين عصره، ذلك العصر الذى يمثل فى الحقيقة نقطة من نقط التحول المهمة فى تاريخ البشرية جمعاء، فلم يكن فرجيليوس رائدا لمجموعة من الأدباء البارزين الذين بلغت اللغة اللاتينية على أيديهم ذروة مراحل ازدهارها فحسب، بل كان أيضا يجمع فى أعماق ذاته بصورة فريدة وإلى حد منقطع النظير بين كل من العناصر الذاتية والعناصر الثقافية التى تكونت منها الحضارة اللاتينية؛ فقد كان فرجيليوس أعظم من قاموا بتوضيح أهداف عصره والتعبير عن مثله العليا فى سبيل تحقيق الرقى والسيادة للجنس البشرى كان يتأمل عالم الماضى وعالم المستقبل فى آن واحد وفى أثناء وقفته بين هذين العالمين، فإنه قد عبر تعبيرا صادقا عن ماضى أمته وأبناء جنسه.

الإنيــادة

(الجزء الأول)

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر سنة ٢٠٠٦ بإشراف: جابر عصفور

إشراف: فيصل يونس

سلسلة ميراث الترجمة
المشرف على السلسلة: مصطفى لبيب

- العدد: 1743
- الإنيادة (الجزء الأول)
- ڤرجيليوس
- كمال ممدوح حمدى، وعبد المعطى شعراوى، وفاروق فريد، ومحمد حمدى إبراهيم، عبد الله المسلمى، وأحمد عتمان
- عبد المعطى شعراوى
- 2011

هذه ترجمة كتاب:
Aeneis
Publius Virgilius Maro

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524- 27354526 Fax: 27354554

الإنيـــادة

(الجزء الأول)

تأليف : فرجيليوس

ترجمـــة

كمال ممدوح حمدى | عبد المعطى شعراوى
فاروق فريد | محمد حمدى إبراهيم
عبد الله المسلمى | أحمد عتمان

مراجعة وتقديم : عبد المعطى شعراوى



2011

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

فرجيل، يوليوس، فرجيليوس بارو، ٧٠-١٩ ق.م
الإنيادة (الجزء الأول) فرجيليوس/ ترجمة: كمال ممدوح حمدى، عبد المعطى الشعراوى، فاروق فريد، محمد حمدى إبراهيم، عبد الله المسلمى، أحمد عتمان، مراجعة وتقديم: عبد المعطى شعراوى
القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١١
٣٤٨ ص، ٢٤سم
١- الإنيادة ٢- القصص اللاتينية
(أ) شعراوى، عبد المعطى (مترجم ومراجع ومقدم)
(ب) حمدى، كمال ممدوح (مترجم)
(ج) فريد، فاروق (مترجم مشارك)
(د) إبراهيم، محمد حمدى (مترجم مشارك)
(هـ) المسلمى، عبد الله (مترجم مشارك)
(و) عتمان، أحمد (مترجم مشارك)
(ز) العنوان ٨٧٣

رقم الإيداع ٢٠١١/٤٨٨٣
الترقيم الدولى : 978-977-704-474-5
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

مقدمة الطبعة الثانية

فى شهر يوليو من عام ١٩٦٧ عاد كاتب هذه المقدمة من الخارج بعد أن قضى أكثر من ستة أعوام دارسا فى الجامعات اليونانية والبريطانية وحصل فى نهاية المطاف على درجة الدكتوراه فى الفلسفة فى مجال الدراسات اليونانية واللاتينية. حينئذ كان وطننا العزيز يعانى من نتائج أحداث الخامس من يونيو. لكن بعد مرور حوالى عامين بدأت الروح تعود إلى كيان الحياة الثقافية فى مصر. على الفور اجتمع مجموعة من الشبان المتخصصين حديثى التخرج وناقشوا فكرة إصدار سلسلة من الترجمات العربية لأمهات الأعمال الأدبية اليونانية واللاتينية. وتحت إشراف كاتب هذه المقدمة وبتشجيع منقطع النظير من أستاذة الجيل وكل جيل الأستاذة الدكتورة سهير القلماوى - التى كانت تشغل فى ذلك الوقت منصب رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب - صدر فى عام ١٩٧١ العدد الأول من سلسلة أكاديمية متخصصة تحمل عنوان " **دراسات يونانية ولاتينية** ". شمل العدد الأول على ترجمة الجزء الأول من ملحمة الإنيادة للشاعر الرومانى فرجيليوس. تنقسم هذه الملحمة إلى إثنى عشر كتابا. إشترك فى ترجمة الكتب الستة الأولى ست شبان متخصصين فى الدراسات اليونانية واللاتينية أحدهم كاتب هذه المقدمة والذى قام أيضا بمراجعة الترجمة كلها وإعدادها للنشر وكتابة دراسة وتقديم للملحمة ككل. لكن سرعان ما تفرّق أفراد المجموعة فى الخارج والداخل لمواصلة دراساتهم الأكاديمية، فتوقف إصدار السلسلة لمدة تزيد على خمسة أعوام. ثم صدر العدد الثانى من السلسلة فى عام ١٩٧٧ حيث اشترك ثلاثة مترجمين فقط أحدهم كاتب هذه المقدمة والذى قام أيضا بمراجعة الكتب الستة الباقية. ثم صدر العدد

الثالث من السلسلة فى عام ١٩٧٨ حيث شمل على ترجمة عربية لتراجيديا الفرْس للشاعر التراجيدى الإغريقى أيسخولوس. ثم توقف صدور السلسلة بعد ذلك.

وبقدر علم كاتب هذه المقدمة فإن هذه الترجمة هى الترجمة العربية الأولى، كما أنها ما زالت حتى كتابة هذه السطور - بقدر علم كاتب هذه المقدمة أيضا - الترجمة العربية الوحيدة للملحمة. واليوم وبعد مرور أكثر من ثلاثين عاما وبتشجيع أيضا من القائمين على المجلس القومى للترجمة تصدر اليوم الطبعة الثانية لترجمة الإنيادة، مع رجاء من الله عزّ وجلّ أن تلقى هذه الطبعة نفس الترحيب الذى لقيته الطبعة الأولى فور صدورها من قبل.

ومنذ صدور الطبعة الأولى فى عام ١٩٧١ (الجزء الأول) و١٩٧٧ (الجزء الثانى) أصدرت دور النشر الأجنبية ترجمات عديدة ودراسات متنوعة للملحمة. ولزيادة الفائدة المرجوة من الطبعة الثانية فقد رؤى من الضرورى عرض بعض ما جاء فى هذه الدراسات، والإشارة إلى بعض المراجع .

****

بعد حصار دام عشرة أعوام سقطت مدينة طروادة فى أيدى الإغريق. فرّ آينياس هاربا مع جماعة من زملائه الطرواديين. شقّت سفنهم القليلة عباب البحر الأبيض المتوسط متّجهة نحو شبه الجزيرة الإيطالية حيث شاءت الأقدار أن ينشئ آينياس لنفسه ولزملائه الفارّين وطنا جديدا فى إيطاليا. ما كادت السفن الطروادية تقترب من شواطئ إيطاليا حتى هبّت عاصفة هوجاء أطاحت بالسفن وقذفت بها على الساحل الشمالى لقارة أفريقيا حيث توجد مملكة قرطاجة. رحّبت ديدو ملكة طروادة ومؤسستها بآينياس. يروى آينياس للملكة ديدو ما عاناه من متاعب وصعوبات أثناء رحلته الطويلة الشاقة. ظل الإغريق يحاصرون طروادة لمدة عشرة أعوام، وأخيرا سقطت المدينة بالخديعة لا بالقتال. خدع الفتى الإغريقى

سينون الطرواديين، إدّعى أن الإغريق تركوه وحيدا وفرّوا هاربين إلى بلادهم. أخبرهم كذبا أنهم نذروا هيكلا خشبيا ضخما فى هيئة حصان إلى الربة مينيرفا كى تساعدهم أثناء عودتهم إلى أوطانهم وتضمن لهم سلامة الوصول. صدّق الطرواديون رواية الفتى الكاذب، عملوا بنصيحته. سحبوا الحصان الخشبى إلى داخل أسوار المدينة، أقاموا احتفالا رائعا، استمروا يشربون نخب انتصارهم ويرقصون حول الحصان الخشبى. أدركهم التعب راحوا فى سبات عميق. خرج رجال مسلّحون من داخل بطن الحصان الخشبى، فتحوا بوابات المدينة. على الفور عاد الإغريق المختبئون فى الغابات المجاورة. اقتحموا البوابات. سقطت طروادة. أحرق الإغريق المدينة. فرّ أينياس هاربا ومعه والده أنخيسيس وولده أسكانيوس وتماثيل آلهة الأجداد. حاول آينياس مرتين أن يؤسس وطنا جديدا لكنه فشل فى المرتين. قابلته صعوبات جمّة وأهوال عديدة. فقد والده. وأخيرا وصل إلى مملكة قرطاجة.

استمعت الملكة ديدو إلى رواية آينياس. أشفقت عليه. رحّبت به فى مملكتها. أعادت روايته إلى ذاكرتها ذكريات ماضيها الحزين حيث قتل أخوها زوجها الملك واستولى على عرشه، وفرّت الأرملة ديدو هاربة وأسست لنفسها فيما بعد وطنا جديدا. تحوّلت شفقة ديدو نحو آينياس إلى حب جارف. قضى معها فترة من الزمن. لكن فجأة ذكّرته الآلهة بقدره المحتوم الذى من أجله فرّ من طروادة. قرر الرحيل. حزنت ديدو لفراقه حزنا شديدا. انتحرت بسيف أينياس الذى تركه قبل الرحيل. أطاحت العواصف بالسفن الطروادية إلى جزيرة صقلية، هناك أقام الطرواديون مهرجانا رياضيا تكريما لروح والد آينياس. ثم يستولى اليأس لفترة ما على رفاق آينياس. لكن يظهر أنخيسيس لولده أثناء نومه، ينصحه بمواصلة السير نحو إيطاليا. ثم يهبط آينياس إلى العالم السفلى تحت قيادة حورية كوماى. هناك

يشاهد عرضا - لأبطال روما في الماضى وما سوف يحدث فى المستقبل من أحداث مشرقة - يدفعه إلى مواصلة السير نحو إقليم لاتيوم.

فى لاتيوم يرحب ملكها لاتينوس بأينياس. يرى فيه زوجا مناسبا لابنته لافينيا. لكن زوجته أماتا كانت ترغب فى تزويج ابنتهما إلى أحد الجيران الإيطاليين وهو تورنوس ملك الروتوليين. لذلك تشعل أماتا وتورنوس نار الفتنة والعداوة بين أهل لاتيوم والطرواديين. عندئذ تقوم حرب شعواء بين تورنوس وآينياس. لذلك يتجه أينياس نحو شمال نهر التيبر ليبحث عن معونات عسكرية من القبائل المجاورة. أثناء رحلته تمدّه والدته الربة فينوس بحلّة عسكرية جديدة. يعود آينياس فيجد زملاءه الطرواديين عرضة لهجوم عسكرى شنّه الملك تورنوس. تشتدّ وطأة الصراع العسكرى بين تورنوس وآينياس. وأخيرا يتوصل الجانبان المتقاتلان إلى عقد هدنة مؤقتة لإتاحة الفرصة للجانبين للقيام بدفن قتلى المعركة. ثم يتفق الطرفان على أن يتقابل تورنوس وآينياس فى نزال فردى. لكن ما أن يبدأ النزال بينهما حتى يهبّ رفاق كل منهما فى مواصلة القتال. وتقوم معركة فاصلة بين الفريقين يكاد آينياس أثناءها أن يلقى حتفه لولا دفاع والدته فينوس عنه. يشتدّ فى النهاية عزم آينياس ويصرع تورنوس. وينجح آينياس فى إتمام المهمة التى فرضت الآلهة عليه أن يقوم بها.

****

كان ذلك عرضا موجزا لأهم أحداث ملحمة الإنيادة. أما الفكرة الرئيسية فى الملحمة فهى الصراع. يظهر الصراع الرئيسى فى شخصية آينياس الذى يتحرك طبقا لمشيئة كبير الآلهة جوبيتر وولده الإله أبوللون وابنته الربة فينوس. فى هذا الصراع يرمز آينياس إلى التقوى pietas فى مقابل تورنوس الذى يسلك طبقا لمشيئة الربة جونو والذى يرمز إلى الجنون المطلق furor. كما ترمز أيضا الملكة ديدو إلى الجنون المطلق، وذلك بالرغم من أن جنونها يقف فى صراع مع

تقوى أينياس. في الملحمة صراعات أخرى متعددة: صراع المشيئة الإلاهية ضد السلوك البشرى، صراع الرجل ضد المرأة، صراع روما ضد قرطاجة. كما أن شخصية أينياس فى النصف الأول من الإنيادة تشبه شخصية أودوسيوس فى «وديسية هوميروس، بينما فى النصف الثانى من الملحمة تشبه شخصيته شخصية أخيلليوس فى إلياذة هوميروس. إن التقوى pietas تمثل ركنا أساسيا فى شخصية المواطن الرومانى. إنها تعنى واجبات متعددة: طاعة الآلهة، حب الوطن، الإخلاص نحو الأصدقاء، الارتباط العائلى وخاصة نحو الوالد. لذا من الملاحظ أن الملحمة تؤكد ضرورة وجود العلاقة الودية بين الأباء والأبناء: بين أينياس ووالده أنخيسيس، بين أسكانيوس ووالده أينياس، بين إفاندر وولده باللاس. قد يكون المقصود من وراء ذلك رسم قدوة يحتذى بها الشباب الرومانى. إن فرجيليوس يؤكد فى ملحمته أن مشيئة الآلهة تتحقق من خلال إنجازات أفراد البشر. ولعله يشير بطريقة غير مباشرة - وإن كانت واضحة المعانى - إلى أن أينياس هو الإمبراطور أوغسطس. فلقد أسس أينياس روما فى الماضى ويقود أوغسطس روما فى عصر فرجيليوس.

****

ملحمة الإنيادة غنية بشخصياتها المتعددة والمتنوعة. يمكن تقسيم هذه الشخصيات إلى ثلاث مجموعات: شخصيات مقدسة، وشخصيات بشرية، وشخصيات هوميرية (أى وردت فى ملحمتىْ الإلياذة والأديسةا لهوميروس).

من الشخصيات المقدسة :

جونو: زوجة كبير الآلهة جوبيتر وشقيقته، وملكة الآلهة جميعا، وابنة الإله ساتورنوس. تعرف بين الإغريق باسم هيرا. تكره جونو الطرواديين لأن الأمير الطروادى باريس حجب عنها الجائزة أثناء المنافسة بين الربات الثلاث:

جونو وفينوس ومينيرفا. هى راعية مدينة قرطاجة وتعلم مقدما أن الرومان من سلالة آينياس قد قدّر لهم أن يدمروا قرطاجة. تشعر بالغضب الشديد نحو آينياس الطروادى أثناء كل أحداث الملحمة. يجعلها غضبها الشديد كما لو كانت العدو الإلاهى الأوحد لأينياس.

فينوس: ربة الحب والجمال، والدة البطل آينياس. تعرف بين الإغريق باسم **أفروديتى**. تقف دائما فى جانب الطرواديين. تخفّ لمساعدة ولدها آينياس عندما تشعر بأن جونو تنوى أن تؤذيه. تثير الفتنة والصراع بين الآلهة. يطلق عليها لقب الكيثيرية نسبة إلى جزيرة كيثيريا مسقط رأسها ومقام معبدها الشهير.

جوبيتر: كبير الآلهة، زوج الربة جونو، والد الربة فينوس، ابن الإله ساتورنوس. يعرف باسم **زيوس** بين الإغريق. يفرض جوبيتر مشيئته ويحقق إرادته مهما اختلفت رغبات كل الآلهة ومهما حاول كل منهم أن يفرض إرادته على الآخر. فرغبة جوبيتر هى القدر بعينه. هو الذى يوجه أقدار آينياس، مؤكدا أن آينياس لن تستطيع أية قوة – مهما علا قدرها – أن تمنعه من مواصلة السير فى طريقه نحو إيطاليا. تتصف سلوكيات كبير الآلهة جوبيتر بالاتزان والحصافة إذا ما قورنت بالسلوكيات الطائشة لكل من جونو وفينوس.

نبتونوس: إله البحار، يقف دائما فى جانب فينوس وولدها آينياس. يعرف باسم **بوسيدون** بين الإغريق. يهدّئ أمواج البحار الهادرة، ويُخضع العواصف الهوجاء، ويقود آينياس أثناء رحلته حتى يصل إلى غايته سالما غانما.

مركوريوس: رسول الآلهة، يرسله الآلهة الأخرى أحيانا ليحمل رسائلهم الشفهية إلى لأينياس. يعرف باسم **هرميس** بين الإغريق.

أيولوس: إله الرياح. يساعد الربة جونو فى معاكسة الطرواديين حيث يثير العواصف العاتية، ويخلق طقسا سيئا يعرقل مساعيهم.

كيوبيدوس: ابن الربة فينوس، هو إله الحب. يعرف باسم **إروس** بين الإغريق. يتنكّر فى هيئة الفتى أسكانيوس ابن البطل آينياس، ويحاول أن يوقع الملكة ديدو فى حب آينياس، وينجح كعادته فى ذلك.

أللكتو: إحدى ربات الغضب اللائى ينتقمن ممن يرتكبون الآثام. ترسلهن الربة جونو لإثارة غضب شعب مملكة لاتيوم وشن الحرب ضد الطرواديين.

فولكانوس: إله النار والحدادة، زوج الربة فينوس. يعرف باسم **هيفايستوس** بين الإغريق. تطلب منه الربة فينوس أن يصنع لولدها آينياس حلّة عسكرية فاخرة، حيث يكون لها أثر بالغ الأهمية أثناء معركته ضد تورنوس.

تيبيرينوس: إله النهر، يرتبط دائما بنهر التيبر الذى سوف تقام على ضفافه مدينة روما فيما بعد. بناء على نصائح تيبيرينوس يتّجه آينياس نحو شمال النهر ليعقد حلفا مع الأركاديين.

ساتورنوس: والد الآلهة. يعرف باسم **كرونوس** بين الإغريق. ظل يحكم مملكة الأولومبوس حتى تغلب علية ولده جوبيتر وعزله وحلّ محلّه.

مينيرفا: ربة الحكمة، ابنة كبير الآلهة جوبيتر. تقف فى جانب الإغريق أثناء حروبهم ضد الطرواديين. تعرف باسم **باللاس أثينة** بين الإغريق. مثلها مثل الربة جونو تقف مينيرفا ضد الطرواديين بسبب عدم منح الأمير الطروادى باريس الجائزة لها ومنح إياها إلى الربة فينوس أثناء المنافسة بين الربات الثلاث.

أبوللون: إله الشمس، ابن كبير الآلهة جوبيتر. مسقط رأسه جزيرة ديلوس حيث يقدم المعونة إلى الطرواديين أثناء رحلتهم البحرية ورسو سفنهم بالقرب من شواطئها. بارع فى استخدام القوس والسهام، لذلك فإن شخصيات كثيرة فى الملحمة يتوجهون إليه بالدعاء قبل أن يقذفوا بسهامهم أثناء القتال.

من الشخصيات البشرية :

آينياس: بطل ملحمة الإنيادة. أحد الطرواديين القليلين الذين ظلوا على قيد الحياة بعد تدمير مدينة طروادة على أيدى الغزاة الإغريق. أشهر صفاته الشخصية الورع واحترام رغبات الآلهة. محارب مغوار، وقائد قادر على إثارة همم رجاله فى مواجهة كل أنواع الصعاب. رجل قادر على تحمل كل أنواع الهموم والآلام. قدره المحتوم هو " زرع جذور" الجنس الرومانى فى التربة الإيطالية، لذلك فإنه يوجّه كل اهتماماته لتحقيق هذه المهمة المقدسة. تدور أحداث الملحمة حول رحلته من طروادة إلى إيطاليا، تلك الرحلة الطويلة الشاقة التى تتحقق فى نهايتها مشيئة القدر الإلاهى.

ديدو: ملكة مدينة قرطاجة الواقعة على الشاطئ الشمالى لقارة أفريقيا، والتى تعرف الآن بالجمهورية التونسية. كانت ديدو ملكة وزوجة لملك مدينة صور الذى قتله أخوها بيجمالين. عندئذ هجرت وطنها مدينة صور واستقرت فى قرطاجة حيث أصبحت ملكة قوية تحكم مدينة فائقة القوة. عندما وصل آينياس إلى قرطاجة وقعت ديدو فى حبه. أصبحت ضحية بائسة للصراع الدائم بين الآلهة حول مستقبل آينياس. كان حبها الزائد لآينياس سببا رئيسيا فى هلاكها. طعنت نفسها بسيف حبيبها الذى تركه خلفه، ولقيت حتفها.

تورنوس: حاكم مملكة الروتوليين فى إيطاليا. المنافس الأكبر بين الشخصيات البشرية للبطل آينياس. أكبر الطامعين فى حب لافينيا ابنة الملك لاتينوس حتى وصول آينياس،عندئذ تنشأ منافسة بينه وبين آينياس تدفعه إلى إعلان الحرب على الطرواديين. ذلك بالرغم من أن الملك لاتينوس كان راغبا فى السماح للطرواديين بالاستقرار فى منطقة لاتيوم، وأن تورنوس كان مدركا تمام الإدراك أنه لن يستطيع أن يتحدى القدر. كان تورنوس جنديا قويا متهورا مندفعا، لكنه كان يفضل كرامته على حياته.

أسكانيوس: ابن البطل آينياس من زوجته الأولى كريوسا. يلقب أحيانا باسم **يولوس.** تكمن أهمية شخصيته فى أنها ترمز إلى قدر آينياس المحتوم، وهو "زرع جذور" الجنس الرومانى فى التربة الإيطالية. بالرغم من أنه صبى صغير إلا أنه يبدى شجاعة فائقة ونزعة قيادية خلال أحداث الملحمة. فهو يقود موكبا من الصبية فوق ظهور الخيل أثناء الألعاب الرياضية، ويشارك فى الدفاع عن المعسكر الطروادى أثناء غياب والده آينياس ضد هجوم الملك تورنوس.

أنخيسيس: والد البطل آينياس، ترمز شخصيته إلى الإرث الطروادى الذى ورثه آينياس. يموت أنخيسيس أثناء رحلة آينياس من طروادة إلى إيطاليا. وبالرغم من ذلك فإن روحه تظل تمدّ آينياس بالعزم والمثابرة من أجل تحقيق الغرض المقدس من الرحلة. يبدو ذلك واضحا فى أماكن كثيرة من الملحمة وخاصة عندما تقود روحه آينياس فى عالم الموتى وتكشف له عما تخفيه الأقدار لأحفاده وأبناء جلدته.

كريوسا: زوجة آينياس الطروادية ووالدة أسكانيوس. تلقى حتفها أثناء محاولة أسرتها الفرار من طروادة بعد تدميرها، ولكنها تتنبأ لآينياس بأنه سوف يعثر على زوجة جديدة فى وطن جديد.

سينون: شاب إغريقى بارع فى الكذب والتضليل. يدّعى أن الإغريق تركوه وحيدا وعادوا إلى بلادهم فرارا من مواصلة القتال ضد طروادة. يحث الطرواديين على سحب الحصان الخشبى إلى داخل أسوار مدينتهم. يقنعهم ببراعة نادرة بصدق روايته. عندئذ يخرج الإغريق المسلحون من بطن الحصان الخشبى، ويفتحون بوابات المدينة على مصاريعها أمام القوات الإغريقية المختبأة فى الغابات خارج أسوار المدينة.

لاتينوس: ملك اللاتين، وهم أفراد الشعب الذى يسكن الآن فى وسط شبه الجزيرة الإيطالية حول نهر التيبر. يستقبل لاتينوس آينياس فى مملكته ويشجعه

على أن يخطب ودّ ابنته لافينيا. يتسبب ذلك في إشعال ثورة غضب عاتية ثم قيام حروب طاحنة ضد أفراد شعبه. يحترم لاتينوس الآلهة والأقدار، ولكنه لا يسيطر سيطرة كاملة على أفراد شعبه.

لافينيا: ابنة الملك لاتينوس. ترمز شخصيتها إلى منطقة لاتيوم بوجه عام. لا تتطور شخصيتها ولا تتغير مشاعرها خلال أحداث الملحمة، لكنها دائما موضوع الصراع بين اللاتين والطرواديين. مَنْ الذى سوف يتزوج لافينيا ؟ تورنوس أم آينياس؟ إن هذا السؤال هو الذى يمهد الطريق نحو مستقبل العلاقات بين اللاتين والطرواديين، وبالتالى فهو الذى يحدد الفكرة التاريخية الرئيسية فى ملحمة الإنيادة.

أماتا: ملكة لاورنتم، وهو إقليم فى منطقة لاتيوم الواقعة فى وسط شبه الجزيرة الإيطالية. زوجة الملك لاتينوس. تعارض أماتا فى زواج ابنتها لافينيا من آينياس، وتظل مؤيدة على الدوام لتورنوس العاشق الأول لابنتها لافينيا. فى النهاية تنتحر لافينيا بعدما تتأكد من فوز آينياس فى منافسته لتورنوس من أجل الزواج من لافينيا.

إفاندر: ملك باللانتيوم، وهو إقليم فى منطقة أركاديا الواقعة فى شبه الجزيرة الإيطالية. هو العدو اللدود للشعب اللاتينى، لذلك يصادقه آينياس، ويضمن إفاندر المساعدة لآينياس فى صراعه العسكرى ضد تورنوس.

باللاس: ابن الملك إفاندر ملك باللانتيوم. يسلّمه والده إلى آينياس ليهتم به ويدرّبه على القتال. يلقى باللاس حتفه على يد تورنوس أثناء إحدى المعارك العسكرية. يسبب موته حزنا شديدا لكل من آينياس وإفاندر. ينتقم آينياس لموته بأن يقتل تورنوس دون أن يصغى إلى توسلاته.

دراشيس: قائد لاتينى يرغب فى إنهاء الصراع بين اللاتين والطرواديين. أثناء أحد الاجتماعات التى يعقدها الشعب اللاتينى يطالب دراشيس تورنوس بأن يكشف عن حقيقة مشاعره نحو آينياس، لكن ذلك يغضب تورنوس غضبا شديدا.

كاميللا: قائدة الفولسكيات وهن مجموعة من العذارى المحاربات. ربما تكون كاميللا الشخصية النسائية الوحيدة بين الشخصيات البشرية فى الملحمة التى تتصف بالقوة والشجاعة.

يوتورنا: شقيقة تورنوس. تدفعها الربة جونو كى تتقمص شخصية قائد عسكرى، وتحرّض اللاتين على القتال بعد أن كانوا قد وقّعوا هدنة بين الأطراف المتحاربة.

من الشخصيات الهوميرية:

يوليسيس: بطل ملحمة الأوديسية لهوميروس، وأحد القادة الإغريق الذين حاصروا طروادة، وصاحب فكرة الحصان الخشبى. يعرف باسم **أودوسيوس** بين الإغريق. فُرض عليه - كما فُرض على آينياس بعده - الترحال ومقابلة متاعب وصعاب لا حصر لها قبل عودته إلى وطنه. تساعد الإشارات المتعددة فى الملحمة إلى جولاته ورحلاته على إيجاد علاقة وطيدة بينه وبين آينياس فى ذهن قارئ الإنيادة.

أخيلليس: أعظم المحاربين الإغريق. صرع البطل الطروادى هيكتور أثناء القتال. هو البطل التراجيدى فى إلياذة هوميروس. يعرف باسم **أخيلليوس** بين الإغريق.

هيكتور: أعظم المحاربين الطرواديين. ابن الملك الطروادى الشيخ برياموس. لقى حتفه فى ميدان القتال دفاعا عن وطنه. ربما يقف هيكتور فى

الإلياذة معادلا موضوعيا لتورنوس فى الإنيادة والذى يلقى حتفه أيضا فى ميدان القتال دفاعا عن وطنه.

أندروماخى: زوجة القائد الطروادى هيكتور. تظل على قيد الحياة بعد سقوط طروادة. تقابل أندروماخى البطل أينياس أثناء تجواله، وتروى عليه مأساتها، وتنصحه بالذهاب إلى ايطاليا.

باريس: أمير طروادى، ابن ملك طروادة برياموس من زوجته هيكابى. هو شقيق البطل الطروادى هيكتور. أكثر الشباب الطروادى رشاقة ووسامة، طلب منه أن يحكم بين الربات الثلاث جونو وفينوس ومينيرفا، وأن يقرر مَنْ منهن أكثر جمالا ورقة وجاذبية. وعدته الربة فينوس أن تمنحه أجمل نساء العالم زوجة له. حكم لصالحها. تتسبب حكمه في غضب الربة جونو من الطرواديين إلى الأبد. خطف باريس أجمل نساء العالم – هيلينى زوجة الملك الإغريقى منيلاووس – حملها معه إلى وطنه طروادة. تزوجها هناك. تسبب ذلك فى إشعال نيران حرب شعواء بين الإغريق والطرواديين.

هيلينى: أجمل امرأة في العالم، وزوجة الملك الإغريقى منيلاووس. كان اختطافها سببا فى قيام الحروب الطروادية.

منيلاووس: أحد الملوك الإغريق. تزوج هيلينى. أخذ والدها عهدا على بقية الملوك الإغريق – الذين كانوا يرغبون فى الزواج منها – أن يهبوا لنجدتها إن أصابها مكروه. عندما اختطفها باريس أوفى الملوك الإغريق بعهدهم وقامت الحروب الطروادية.

أجاممنون: ملك أرجوس، إحدى المدن الإغريقية، والقائد الأعلى للقوات الإغريقية أثناء حصار طروادة. فور عودته إلى وطنه ظافرا بعد سقوط طروادة

استقبلته زوجته كلوتمنسترا بموجة مزيّفة من الترحاب، وقتلته بمساعدة عشيقها أيجيسثوس.

برياموس: ملك طروادة أثناء حصار القوات الإغريقية للمدينة. أثناء اقتحام المدينة لقى حتفه أمام عينىْ ولده أينياس.

بيروس: ابن القائد الإغريقى أخيلليوس ،يعرف أيضا باسم نيوبتوليموس. يروى آينياس أن بيروس هو الذى قتل بوحشية والد آينياس برياموس وأبنائه (أشقّاء آينياس) أثناء اقتحام طروادة.

****

فيما يلى قائمة ببعض الدراسات الأجنبية التى ظهرت بعد صدور الطبعة الأولى.

Adler (Eve) , *Virgil's Empire* , Rowman & Littlefield 2003 .

Cairns (Francis) , *Virgil's Augustan Epic* ,New York , Cambridge University Press 1989 .

Camps (W.A.) , *An Introduction to Virgil's Aeneid* , New York , Oxford University Press 1968 .

Commager (Steele) , *A Collection Of Critical Essays* , Englewood Cliffs , New Jersey 1966 .

Conte (Gian Biagio) ,*The Poetry Of Pathos: Studies In Virgilian Epic* ,Oxford 2007 .

Fratantuono (Lee) , *Madness Unchained: A Reading Of Virgil's Aeneid* , Lexington Books 2007 .

Gransden (Karl) ,*Virgil's Iliad* ,Cambridge 1984 .

Heinze (Richard) , *Virgil's Epic Technique* , University of California Press , Berkeley 1993 .

Jenkyns (Richard) , *Virgil's Experience* , Oxford 1998 .

Johnson (W.R.) , *Darkness Visible: A Study Of Virgil's Aeneid* , University Of California Press , Berkeley 1979 .

Knox (Bernard), *Introduction . The Aeneid* , Robert Fagies (trans.), New York , Penguin 2006 .

McCrorie (Edward) . *Virgil . The Aeneid* , Filiquarian Publishing LLC 2007 .

Otis (Brooks) ,*Virgil: A Study in Civilized Poetry* , Oxford 1964 .

Putnam (Michael) , *Virgil's Aeneid: Interpretation And Influence* , University of North Carolina Press 1995 .

Quinn (Kenneh) , *Virgil's Aeneid: A Critical Description* , London Routledge & Kegan Paul 1968 .

Reed (Joseph) , *Virgil's Gaze* , Princeton 2007 .

Ross (David) , *Virgil's Aeneid: A Reader's Guide* , Blackwell 2007 .

Sisson (Charles Hubert) , *Virgil , Aeneid* ,Carcanet and Mid Northumberland Arts Group 1986 .

Slavitt (David) , *Virgil* , New Haven , Yale University Press 1991.

Virgil , *Aeneid Books 7-12 ,Appendix Vergiliana* ,edited by Fair-clough H.R. and Goold G.P. . Loeb Classical Library ,Camb-Ridge Mass, Harvard University Press 2001 .

Virgil . *Ecloques , Georgic , Aeneid 1-6* ,edited by Fairclough H.R. and Goold G.P. , Loeb Classical Library ,Cambridge Mass ,

Harvard University press 2001 .

Virgil , *The Aeneid* , translated by Frederick (A. W.) , Oxford University Press 2000 .

والله ولى التوفيق

دكتور عبد المعطى شعراوى

القاهرة مايو ٢٠١٠

« أى فرجيليوس ؛ أنت قائدى ،
أنت سيدى، أنت مولاى »

« دانتى ، الكوميديا الإلهية »
« الجحيم ، ق ٢ ، ص ١٤٠أ »

TU DUCA, TU SEGNORE E TU MAESTRO

(Dante, Inf. II, 140)

المحتويات

اشترك في ترجمة هذا المجلد

الكتاب الأول : كمال ممدوح حمدى

« الثانى : الدكتور عبد المعطى شعراوى

« الثالث : فاروق فريد سعيد

« الرابع : محمد حمدى ابراهيم

« الخامس : الدكتور عبد الله المسلمى

« السادس : أحمد عثمان

مقدمة

فرجيلوس وعصره :

نقرأ فى سجلات التاريخ بعض العبارات مثل : عصر هارون الرشيد ؛ العصر الاليزابيثى ، عصر لويس الرابع عشر ، عصر نابليون ، العصر الفيكتورى . فالحاكم قد يفرض اسمه على العصر الذى عاش فيه ، وإن كان هذا فى أغلب الأحيان لا يعنى بالضرورة أنه استطاع أن يفرض آراءه ومعتقداته . لكننا غالباً ما نلاحظ أن مفكراً أو كاتباً أو فناناً يفرض اسمه وشخصيته وآراءه على العصر الذى يعيش فيه ، فيؤثر فيه ويتأثر به ، ويعكس حاضره ويشكل مستقبله . فإننا مازلنا نطالع فى سجلات التاريخ عبارات مثل عصر أفلاطون (٤٢٩ – ٣٤٧ ق . م .) فى تاريخ الاغريق ، عصر شيشرون (١٠٦ – ٤٣ ق .م .) فى تاريخ الرومان ، عصر توماس الأكوينى Thomas Aquinas (١٢٢٥–١٢٧٤م) ، عصر دانتى Dante Alighieri (١٢٦٥ – ١٣٢١ م) ، عصر بترارك Francesco Petrarca (١٣٠٤ – ١٣٧٤ م) فى تاريخ إيطاليا أثناء العصور الوسطى ، عصر رافاييل Raffaello Sanzio (١٤٨٣ – ١٥٢٠ م) ، وميشيل أنجلو Michelangelo Buonarroti (١٤٧٥ – ١٥٦٤م) فى تاريخ إيطاليا أثناء عصر النهضة المتأخرة ؛ عصر شكسبير William Shakespeare (١٥٦٤ – ١٦١٦ م) ، عصر ميلتون John Milton (١٦٠٨–١٦٧٤م) ، عصر نيوتون Sir Isaac Newton (١٦٤٢–١٧٢٧م) ، وعصر داروين Charles Robert Darwin (١٨٠٩ – ١٨٨٢ م) فى تاريخ انجلترا . بل هناك من يفضّل مثلاً تسمية

العصر الاليزابيثى بعصر شكسبير والعصر الفيكتورى بعصر تنيسون Tennyson (١٨٠٧ – ١٨٩٨ م) .

هكذا تتوالى العصور فى تاريخ كل أمة ، كل منها يختلف عن الآخر فى مدى أهميته وازدهاره ، وفى مدى تأثره بالعصور السابقة وتأثيره فى القرون اللاحقة . والتاريخ الرومانى ، الذى يمتد فترة تبلغ ستة قرون أو سبعة ، يحتوى على بضعة عصور ذات أهمية بالغة . لكن أهم تلك العصور وأمجدها هو ذلك العصر الذى شهد تقويض أركان الحكم الجمهورى ووضع أساس الحكم الامبراطورى الرومانى . فى ذلك العصر وُضعت النظم السياسية والمدنية التى ظل العالم الأوربى يتبعها لفترة تربو على الألف عام ، كما اعتمدت عليها التطورات التى حدثت بعد نهاية تلك الفترة اعتماداً كبيراً . وفى ذلك العصر واجه الإنسان لأول مرة فى تاريخ البشرية مشكلة الامبراطورية الشاسعة القائمة على سيادة القانون وكفالة الحريات وتوطيد دعائم السلام ، وأوجد لها حلاً مؤقتاً . وفى ذلك العصر أيضاً بلغت عبقرية الجنس اللاتينى الذروة مُمثلة فى أعمال أعظم المؤرخين والخطباء والشعراء الرومان ، واتخذت اللغة اللاتينية أشكالاً جديدة أصبحت منذ ذلك الوقت حتى اليوم إرثاً عاماً للجنس البشرى وأنموذجاً أدبياً يُحتذى .

وعلى الرغم من صعوبة تحديد بداية ذلك العصر ونهايته ، فإنه من الممكن القول بشىء من اليقين انه امتد إلى فترة تتراوح بين خمسين وستين عاماً أثناء القرن الأول قبل ميلاد المسيح ، وهى الفترة التى عاش فيها الشاعر ڤرجيليوس على وجه التقريب . ولكى نفهم ڤرجيليوس ونتذوق أعماله لا يكفى أن نعرف تمام المعرفة أنه كان فناناً عظيماً فقط ، بل من الضرورى أيضاً أن نكون على دراية حقيقية بالعلاقة التى قامت بينه وبين عصره ، ذلك العصر الذى يمثل فى الحقيقة نقطة من نقط التحول الهامة فى تاريخ البشرية جمعاء . فلم يكن ڤرجيليوس رائداً لمجموعة من الأدباء البارزين

الذين بلغت اللغة اللاتينية على أيديهم ذروة مراحل ازدهارها فحسب ، بل كان أيضاً يجمع فى أعماق ذاته — بصورة فريدة وإلى حد منقطع النظير — بين كل من العناصر الذاتية والعناصر الثقافية التى تكونت منها الحضارة اللاتينية . كان ڤرجيليوس أعظم من قاموا بتوضيح أهداف عصره والتعبير عن مثله العليا فى سبيل تحقيق الرقى والسيادة للجنس البشرى . كان — مثله فى ذلك مثل أفراد قليلين جداً — يتأمل عالم الماضى وعالم المستقبل فى آن واحد، وأثناء وقفته بين هذين العالمين فإنه قد عبّر تعبيراً صادقاً عن ماضى أمته وأبناء جنسه ، بل شارك فى خلق مستقبلهم . فبفضله أصبحت إيطاليا **Italia** وروما **Roma** لهما هيبة وجلال ، وعلى يديه صار اسم ڤرجيليوس **Vergilius** مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بهما .

كان ڤرجيليوس منذ البداية مُبشراً بقدوم الامبراطورية الرومانية . ثم أصبح فيما بعد — بشهادة الجميع (١) — رسولاً ونبياً لمدينة روما — الأم الروحية — التى بها تتحقق المشيئة الإلهية وبها يبدو النظام الإلهى واضحاً أمام العالم . فهو الذى رسم حدود الخيال للجنس الرومانى وللشعوب الخاضعة له أو المتحالفة معه ، ووضع أصول الفكر التى التزم بها الشعب الرومانى فيما بعد . ولم يكد ينتهى من أداء رسالته حتى كان الوقت قد حان لظهور السيد المسيح ، ولم يكن توطيد أسس السلام فى ظل امبراطورية عالمية إلا تمهيداً لظهور « أمير السلام » . لقد قام مؤرخو العصر الأوغسطى وشعراؤه — وعلى رأسهم ڤرجيليوس — بتسجيل ذلك كله وتمجيده . وإن شهرة ڤرجيليوس الواسعة وتأثيره القوى ومجهوداته الرائعة قد جعلت منه شخصية عملاقة حجبت خلفها كثيراً من الشخصيات المعاصرة له ، وأظهرت البقية القليلة منها أقزاماً من حوله، حتى إنه من الممكن تسمية العصر الأوغسطى

---

(١) راجع ص ٥٧ وما بعده .

بالعصر الفرجيلي (١) . لذلك كان من الضروري التعرض للعصر الذي عاش فيه فرجيليوس حتى نستطيع أن نتفهم عملاً ما من أعماله الخالدة .

العصر الأوغسطي :

لم تكن الامبراطورية الرومانية في الأصل سوى مدينة صغيرة ذات حكومة مستقلة ، معظم سكانها من المزارعين والتجار الذين يسكنون منطقة لاتتعدى مساحتها بضعة أميال مربعة ، واقعة في المنطقة القريبة من نهر التيبر Tiberis . ولقد أبدى سكانها منذ اللحظات الأولى لإنشاء مدينتهم شجاعة مذهلة واستعداداً رائعاً نحو القتال ، وعبقرية فذة في النظم المدنية والاقتصادية . ولم يحل القرن الثالث قبل الميلاد حتى كانت هذه « المدينة — الدولة » قد احتلت مكاناً بارزاً بين الشعوب القاطنة في وسط شبه الجزيرة الإيطالية . وبتدهور سلطان الحلف الأتروسكي ، الذي كان يحتل مكانة كبيرة بين شعوب المناطق المجاورة ، أصبحت لروما علاقة مباشرة بالشعوب الكلتية التي كانت تحتل حينئذ وادي نهر البو Po وسهل اللومباردو Lombardo . كما نشأت أيضاً علاقات بينها وبين الاغريق والدويلات نصف الإغريقية التي كانت تسكن الجزء الجنوبي من شبه جزيرة إيطاليا وجزيرة صقلية (٢) . وتطورت هذه العلاقات السياسية والتجارية بين روما وجيرانها من الشعوب المختلفة ، فقد كانت جزيرة صقلية تمثل مركزاً استراتيجياً بالنسبة للمنطقة الغربية من البحر المتوسط التي كانت حينئذ واقعة تحت سيطرة كل من الإغريق والقرطاجيين . وكان الاستيلاء عليها ضرورياً بالنسبة لأية حكومة ترغب في توسيع نطاق

---

(١) راجع J.W. Mackail, Virgil and his Meaning to the World of To-day, Harrap Ltd., (London 1935), pp. 11-14. الذي اعتمدنا عليه في كتابة الصفحات التالية اعتماداً ملحوظاً .

(٢) كان الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة وجزيرة صقلية المواجهة له يسمى Magna Graecia أي بلاد الإغريق الكبرى . إذ أن سكانها كانوا إغريقيي الأصل ثم انقطعت صلتهم بعد ذلك بوطنهم الأم . من هنا أطلق عليهم أحياناً اسم «الدويلات النصف الاغريقية» .

سلطتها على هذه المناطق البحرية ، أو فرض نفوذها على المناطق المجاورة مثل إيطاليا أو جنوب بلاد الغال أو إسبانيا أو شمال أفريقيا (١) .

اشتد التنافس بين روما وقرطاجة من أجل السيطرة على تلك المنطقة الاستراتيجية ، ولأهميتها السياسية والاقتصادية أيضاً . وامتدت فترة الصراع العسكرى بينهما أكثر من مائة عام ، ولم تَنْتَهِ إلا بتدمير قرطاجة تدميراً شاملاً بواسطة الجيوش الرومانية فى عام ١٤٦ ق م . وخضوعها للحكومة الرومانية . ويعرف ذلك الصراع العسكرى الذى قام بين روما وقرطاجة بالحروب البونية ، وينقسم إلى ثلاث مراحل . الحرب البونية الأولى (٢٦٤ — ٢٤١ ق . م .) وهى حرب إنهاك للطرفين لم تسفر عن نصر حاسم لأى منهما . الحرب البونية الثانية (٢١٨ — ٢٠١ ق . م .) وهى حرب ضروس انتهت بزوال سيادة قرطاجة على المناطق المجاورة ، وانتقال هذه السيادة إلى روما مع احتفاظ قرطاجة باستقلال ذاتى لا تُحْسد عليه . والحرب البونية الثالثة (١٤٩ — ١٤٦ ق . م .) وهى حرب وقائية من جانب روما التى كانت قد أصبحت سيدة العالم القديم لكنها كانت تخشى نهضة قرطاجة من كبوتها ، فانتهزت الفرصة للقضاء عليها قضاءً مبرماً وجعلت أرضها جزءاً من الإقليم الإفريقى الخاضع للحكومة الرومانية. وأهم مرحلة من هذه المراحل الثلاث وأخطرها بالنسبة إلى روما هى المرحلة الثانية . هى المرحلة التى شهدت قتالاً مريراً استمر سبعة عشر عاماً وصلت روما أثناءها إلى حافة الهاوية بسبب البراعة العسكرية ، والجرأة المتناهية التى اتصف بها القائد القرطاجى هانيبال Hannibal . فلقد تركت هذه الحرب آثاراً واضحة فى تفكير الرومان لا يقل بأى حال من الأحوال عن الآثار التى تركتها الصراعات المتعددة التى تعرضت لها روما فيما بعد . إذ خرجت روما من هذه الحرب سيدة على إيطاليا وقوة عالمية لا يستهان بها ، لكنها كانت فى الوقت نفسه قد فقدت صفات لم تستطع استردادها بعد ذلك . لقد أنث الحروب

(١) Mackail, op. cit., pp. 15 sqq.

على أغلب تقاليدها العتيقة النبيلة من البساطة والتفانى من أجل الوطن والتمسك بمبادىء الشرف وكل ما كانت تعنيه كلمة virtus عند الرومان . فلقد تفشّى بين طبقات المجتمع الرومانى بجميعه أمراض اجتماعية فتاكة مثل البحث عن الثراء بجميع الوسائل المشروعة وغير المشروعة ، والسعى من أجل استغلال المناطق الخاضعة دون النظر إلى المصلحة العامة ، والجرى وراء وسائل التسلية والترفيه والحياة الحضرية الناعمة — ولقد تميزت فترة المائة عام التى مرّت بين تدمير قرطاجة واستيلاء يوليوس قيصر على السلطة (١٤٦ — ٤٥ ق . م .) بانتشار المادية المروّعة والتوسع الإقليمى وظهور الحكومات القاصرة ونشوب الخلافات الداخلية والحروب الأهلية الدامية. كانت الإمارات التى كوّنها قادة الاسكندر الأكبر فى مناطق الشرق الأدنى تتهاوى وتتحطم وتقع الواحدة بعد الأخرى تحت النفوذ الرومانى : فلقد أصبحت كل من مقدونيا وآسيا الصغرى ، وسوريا ، أقاليم خاضعة لسلطان روما ، وتحوّل البحر المتوسط فأصبح بحيرة رومانية . كانت الأقاليم الشرقية تفوق فى ثرائها الأقاليم الغربية ، تلك الأقاليم الشرقية التى امتازت أيضاً بغزارة سكانها ورقى حضاراتها. وبدأ « سحر الشرق » يحدث تأثيره المعروف . ظل شبح إمبراطورية الاسكندر الأكبر — التى كانت فى يوم ما تمتد من البحر الأدرياتيكى غرباً إلى بلاد الهند شرقاً ، ومن مناطق باكتريا Bactria شمالاً حتى السودان جنوباً — يداعب خيال الغرب ويتراءى أمامهم فى أحلامهم . وكانت سياسة روما تجاه المناطق الآسيوية متقلبة غير مستقرة على الدوام . فمثلاً ، بينما كان شاعرنا ڤرجيليوس يمر بالعام السابع عشر من عمره انطلق جيش رومانى ضخم وعبر نهر الفرات فى مغامرة جنونية ليفرض سلطان روما بالقوة ولينهب كنوز الشرق ، لكنه سرعان ما اندحرت قواته وانكسرت شوكته أمام قوات البارثين فى الصحراء الواقعة فى بلاد ما بين النهرين .

كانت الأمور تسير فى داخل روما — أثناء ذلك — من سيء إلى أسوأ . كانت روما قد بدأت تُشدد قبضتها على شبه الجزيرة الإيطالية . كان الحكام

الرومان يعاملون حلفاءهم معاملة قاسية كما لو كانوا يعاملون شعوباً ذليلة خاضعة لسلطانهم . كانوا يتبعون فى ذلك نظاماً عسكرياً دقيقاً ووسائل دفاعية محكمة . وبالرغم من ذلك فقدنشأ الشعور بالقومية الإيطالية الموحدة . ظهر ذلك فى روما نفسها على هيئة حركة تطالب بضم إيطاليا كلها تحت لواء الجمهورية الرومانية ، وظهر أيضاً فى جميع المناطق الإيطالية على هيئة حركة تطالب بالتخلص من نير السلطان الرومانى وخلق أمة إيطالية عن طريق توحيد القبائل المتفرقة والمجتمعات والإمارات المتعددة التى تنتشر فى شبة الجزيرة الإيطالية . وظلت هذه الرغبة كامنة فى صدور الرومان والإيطاليين على السواء ، مثل دخان مضغوط ليس فى استطاعته الانطلاق حتى واتته الفرصة ، فانطلقت الشرارة الأولى عندما قُتل أحد الترابنة الرومان (١) حين قدم بعض مشروعات بقوانين لتعديل الدستور الرومانى ولمنح حلفاء الرومان حقوق المواطنة الرومانية civitas . واشتعلت نيران الصراع الاجتماعى ، وتكونت حكومة رومانية جديدة ، وأُنْشِئتْ عاصمة جديدة وسط شبه الجزيرة . وفشلت الثورة بصورة مبدئية ، إذ انتصرت القوات الرومانية بعد قتال مرير دام ثلاث سنوات . لكن بعد انتهاء الحرب تقرر منح جميع الشعوب المتحالفة مع روما والقاطنة فى المناطق الواقعة جنوب نهر البو حقوق المواطنة الرومانية بينما ظلّت مشكلة أهل الشمال معلّقة حتى قيام معركة فيليبى Philippi عام ٤٢ ق . م . فلم تعد كيسالبينا Cisalpina – المنطقة الواقعة بين جبال الألب والأبنين – تعتبر إقليما رومانياً . فى هذه المنطقة بالذات ولد المؤرخ الرومانى المعروف تيتوس ليفيوس Titus Livius (٥٩ ق . م . – ١٣ م) ، كما ولد أيضاً شاعرنا ڤرجيليوس .

---

(١) التربيون tribunus (جمعها : ترابنة tribuni) : كانت طبقة العامة تنتخب عدداً من الترابنة فى كل عام للدفاع عن مصالحها . كان عدد هؤلاء إثنين ثم أخذ فى الزيادة حتى وصل إلى عشرة . وكان من حق التربيون تعديل القوانين القائمة أو التقدم بقوانين جديدة .

وما كاد يتم تأمين شبه الجزيرة الإيطالية حتى كانت الصراعات الداخلية قد وصلت إلى أقصى مراحلها داخل الحكومة الرومانية نفسها . فلقد انتشرت الثورات المتعددة على مدى نصف قرن من الزمان ، وصدرت أوامر النفى والقتل ومصادرة الأملاك باختلاف صورها ، ونشبت الحروب الأهلية الدامية ، حتى كاد ذلك كله يودى بالدولة الرومانية وبالحضارة الأوربية جمعاء إلى الدمار والفناء. وتوالت الأحداث سراعاً ، فسيطر الجنون على عقول الجميع ، ومادت الأرض بمن عليها فلم يعد أحد يعرف مكانه بين الجموع ، ولم يعد أحد يطمئن على مستقبله أو يضمن حاضره . انبثقت التشريعات الثورية المعروفة فى عام ٨٨ ق . م . تحرك سولا Sulla نحو روما واستولت الجيوش الرومانية لأول مرة فى التاريخ الرومانى على مدينة روما نفسها . ساد الفزع والرعب أثناء حكم ماريوس Marius . عادت الفرق الآسيوية وقامت المعركة المعروفة باسم معركة «بوابة كولينوس». عاد سولا وفرض سلطانه بالقوة ، وأقام المذابح البشرية ، وأراق الدماء . انتشرت الحروب الأهلية فى الأقاليم واندلعت نيران الثورة فى إسبانيا . امتلأ البحر المتوسط بأساطيل القراصنة . قام كاتيلينا Catilina بمؤامراته الشهيرة. وفشلت الحكومة فشلاً ذريعاً فى تصريف شئون الدولة وتم اختيار المجلس الثلاثى triumviri الأول. ولكن المجلس الثلاثى الأول فشل، وهبط يوليوس قيصر بجيوشه من الشمال واحتل إيطاليا . شبت الحرب الأهلية الشاملة التى استمرت حوالى خمسة أعوام (٤٩ — ٤٥ ق . م .) ، وانتهت بفوز يوليوس قيصر وتوليه زمام الحكم . ثم قتل يوليوس قيصر ، وسادت الفوضى وانتشر الفساد بين ربوع الدولة المفككة . وقامت حروب أهلية شديدة اشتركت فيها قوات ضخمة وجيوش جرارة . فتكون المجلس الثلاثى الثانى ، وتم القضاء نهائياً على سلطة السناتو . وانقسمت الدولة الرومانية إلى شرقية وغربية ، ونشأ صراع مرير بين أكتافيوس وأنطونيوس من أجل السلطة ، انتهى بمعركة أكتيوم البحرية . وهكذا كانت الحال أثناء نصف

قرن من الزمان لم تَرَ روما مثله فى جميع مراحل تاريخها المختلفة .

بعد كل هذه التقلبات المريرة والتحولات الرهيبة جاءت فترة حكم أوغسطس التى استمرت خمسة وأربعين عاماً (٣١ ق . م . — ١٤ م) . أصبح شعار الحكومة الرومانية أثناء تلك الفترة « الامبراطورية هى السلام » فبدأت روما — فى ثبات وتأنٍّ — فى استعادة النظام ، وتصفية الديون ، وإقامة حدود ثابتة والتصميم على الدفاع عنها ، وإحياء الزراعة ، وتنظيم الإدارة ، وبث التقوى فى النفوس من جديد ، ووضع مبادىء الأخلاق . كان العالم الرومانى قد أصيب فى كيانه وأثخن بالجراح ، وأصبح على وشك الفناء ، كانت الشهامة الرومانية والنبل الرومانى فى طريقهما للاندثار ، كانت المادية قد انتشرت انتشاراً واسعاً ، والأخلاق قد أفلست ووصلت إلى حد الانهيار . ووجّه العصر الأوغسطى جُلّ اهتمامه لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، ولم يتطرق اليأس إلى النفوس على الإطلاق ، وبدأ جيل جديد فى الظهور ، وانبثقت الحيوية والقوة والعبقرية من جديد بعد طول الركود ، وكان الرجال على استعداد تام لنسيان الماضى الرهيب بمفاسده وموبقاته ، وكانوا على استعداد تام أيضاً لبذل كل قطرة من العرق ، واستغلال كل ضربة من السواعد الفتيّة فى إعادة البناء لاستقبال السلام الأوغسطى Pax Augusta — لاستقبال فجر عصر جديد ذاخر بالمجد مليء بالفخار (١) ، ولم يكن شاعرنا ڤرجيلوس حينئذ مجرد واحد من بين هؤلاء الرجال ، بل كان رائداً يفتح الطريق أمامهم ، ونبياً يرشدهم إلى سواء السبيل ، ومُبشراً يبعث فى نفوسهم الأمل العريض ، ونذيراً يحذرهم من عاقبة الزهو والغرور ، ومغبّة التسرع والانفعال .

حياة ڤرجيليوس :

ولد پوپليوس ڤرجيليوس مارو Publius Vergilius Maro (٢) ، فى اليوم الخامس عشر من شهر أكتوبر فى العام الرابع والثمانين بعد السبعمائة منذ إنشاء

(١) Mackail, op. cit., p. 21.

(٢) اسم ڤرجيليوس كما يرد بالانجليزية هو Virgil (ونادراً) Vergil وبالفرنسية Virgile =

مدينة روما (١) ، أي قبل مولد المسيح بسبعين عاماً ، في قرية أنديس Andes ، التي قال عنها دوناتوس Donatus إنها لم تكن تبعد كثيراً عن مقاطعة مانتوا Mantua والتي حدّد بروبوس Probus المسافة بينهما بثلاثة أميال (٢) . وموقع أنديس غير معروف لنا الآن على وجه التحديد ، وإن كانت بعض المصادر ترجح أنه قريب من قرية بيتولا Pietola الحديثة (٣) .

انحدر ڤرجيليوس – فيما يبدو – من أسرة غير عريقة لكنها كانت ذات مكانة لا بأس بها (٤) . فكان والده في الأصل يعمل في خدمة بعض الأثرياء وكان مخلصاً مثابراً نشيطاً كافح حتى حصل على ثقة مخدومه فأتيحت له الفرصة – كما أتيحت لوالد الشاعر الانجليزي كيتس Keats بعد ذلك – ليتزوج من ابنة مخدومه ووريثته الوحيدة . ثم قضى حياته بعد ذلك يعمل بالزراعة وقطع الأخشاب وتربية النحل . أما والدة ڤرجيليوس فإننا لا نعرف عنها شيئاً أكثر من أنها كانت تدعى ماجيا بولا Magia Polla (٥) . ويقال إنها قد أصيبت بعد ذلك بلوثة أو مسّتها قوة إلهية فأصبحت تمارس السحر .

= وبالألمانية Vergil (ونادراً Virgil) . أما الهجاء الصحيح باللغة اللاتينية فهو Vergilius وليس Virgilius . حدث هذا الخلط بين حرف الـ e والـ i منذ العصور القديمة فأصبح خطأً شائعاً لم يحاول الكتاب الأوروبيون الأوائل تصحيحه . وربما كان مصدر الخطأ رواية قديمة وردت عند دوناتوس (حياة ڤرجيليوس ، ٢٥) مؤداها أن ساقاً جافة من سيقان الغاب (Virga) غرست على قبر ڤرجيليوس بمناسبة ذكرى مولده فنمت نمواً منقطع النظير ووصلت إلى ارتفاع شاهق. راجع H.J. Rose, History of Greek Literature (Methuen 1954), p. 236, no. 5.

(١) اعتاد القدماء تأريخ أحداثهم بالنسبة لحادثة هامة . بدأ الرومان قبل ظهور المسيحية في تأريخ أحداثهم بالعام الذي أنشئت فيه مدينة روما . من هنا نجد في المصادر القديمة أن ڤرجيليوس ولد بعد إنشاء مدينة روما بـ ٦٨٤ عاماً . ولما كانت مدينة روما قد أنشئت عام ٧٥٣ ق.م. فيكون مولد ڤرجيليوس هو عام ٧٠ ق.م.

(٢) دوناتوس ، حياة ڤرجيليوس ، ٢ ، بروبوس ، المقدمة .

(٣) قارن H.J. Rose, Eclogues of Vergil (Berkeley 1942), pp. 45-68, 228-233.

(٤) M.L. Gordon, Journal of Roman Studies (1934), pp. 1-12.

(٥) Gordon, op. cit., p. 7.

وتركت هذه الرواية أثرها على ڤرجيليوس نفسه . إذ قيل — فيما بعد — إن ڤرجيليوس إنما تأثر بالسحر الذى كانت تمارسه والدته فأصبح هو نفسه ساحراً ومشعوذاً ، وإنه استخدم السحر والشعوذة فى توطيد العلاقة بينه وبين الامبراطور أوغسطس — كما استعمل مرلين Merlin فيما بعد السحر فى علاقته بآرثر Arthur (١) .

ولا نستطيع القول بأن ڤرجيليوس قد ولد مواطناً رومانياً ، لكن من المرجح أن يكون والده قد حصل على الجنسية الرومانية قبل مولد ڤرجيليوس بعد أن أثبت كفاءة وأظهر نشاطاً وطنياً أهّله لأن يشغل بعض المناصب الرسمية فى الدولة الرومانية . وعلى أى حال ، فلقد أصبح كل سكان منطقة كيسالبينا — كما ذكرنا من قبل (٢) — يتمتعون بالجنسية الرومانية فى عهد يوليوس قيصر. وتروى بعض المصادر القديمة (٣) أن والد ڤرجيليوس قابل يوليوس قيصر مقابلة شخصية فى منطقة كيسالبينا حيث كان الأخير يباشر سلطته ، وأن الفرصة قد أتيحت لڤرجيليوس نفسه لمقابلة يوليوس قيصر أيضاً فى مانتوا أو فى كريمونا Cremona — حيث كان الأول يتلقى دراسته أثناء الأعوام الأولى من حياته — أو فى ميلانو — حيث كان يستكمل دراسته أثناء نضجه . وتروى مصادر أخرى أن صداقة نشأت — أثناء إحدى تلك المقابلات —

---

(١) Mackail, op. cit., pp. 29-31.

(٢) راجع ص ١٦ .

(٣) أغلب معلوماتنا عن حياة ڤرجيليوس مستمدة من المصادر القديمة التى تعرضت لترجمة حياته بالتفصيل . وقد جمعها فى عام ١٩١١ العالم الألمانى لايتزمان Lietzmann فى سلسلة Kleine Texte تحت رقم ٧٢ الصادرة من دار بون ڤيبر Bonn, Weber للنشر . رتبت هذه الأعمال حسب مؤلفيها : دوناتوس Donatus ، فوكاس Focas ، سرڤيوس Servius ، بروبوس Probus ، ڤيلا رجيريوس Filargyrius ؛ ثم ثلاثة مراجع لم يعرف مؤلفوها هى : مجموعة برنيسيس Bernesis ، مجموعة موناكنسيس Monacensis ، مجموعة نوريكنسيس Noricensis . وقد اعتمدت أغلب هذه المصادر القديمة على ما جاء عند سويتونيوس Suetonius (٧٠ — ١٦٠ م) .

بين ڤرجيليوس وصبّي يصغره بحوالى سبع سنوات كان منذ طفولته قد تبنّاه يوليوس قيصر، وأن ذلك الصبي أصبح فيما بعد يُعرف بالامبراطور أوغسطس. ورواية أخرى تقول إن ڤرجيليوس قد تعرّف فى صباه على الشاعر الغنائى المعروف كاتوللوس Catullus — (٨٤ — ٥٤ ق. م.) الذى كان موطنه مدينة ڤيرونا Verona ولم تكن تبعد كثيراً عن موطن ڤرجيليوس . وإن تأثير كاتوللوس ليبدو واضحاً وقوياً فى أعمال ڤرجيليوس . ولم يفُتْ تلك الروايات القديمة أن تربط بين الشاعر الكبير لوكريتيوس Lucretius (٩٤ — ٥٥ ق.م.) وشاعرنا ڤرجيليوس؛ فقد روى أغلبها أن الأول توفى فى يوم ١٥ أكتوبر عام ٥٥ ق . م . وهونفس اليوم الذى احتفل فيه فرجيليوس ببلوغه سن الخامسة عشرة وارتدائه التوجا ڤيريليس toga virilis (١) .

وقد اختلفت الآراء حول أصل ڤرجيليوس . كانت مانتوا إحدى المدن الرئيسية فى الحلف الأتروسكي القديم ، وكانت الدماء الأتروسكية ماتزال تجرى فى عروق سكانها وسكان المناطق المجاورة . ولقد اهتم ڤرجيليوس اهتماماً بالغاً بدراسة الحضارة والعقيدة الأتروسكيتين اللتين كانتا تشكّلان عاملين مُهمّين أثناء العصور الأولى للجمهورية الرومانية . إن ڤرجيليوس يؤكد دائماً الأصل الأتروسكي لمدينة مانتوا ، ويتكرر ذلك فى أشعاره بصورة ملفتة للنظر . فإن تلك الفقرة الواردة فى الكتاب العاشر من الأينيدة لمثال واضح على ذلك حيث يقول : (٢)

«مانتوا» غنية بأجدادها وأسلافها ، لكنهم ليسوا جميعاً من أصل واحد.

---

(١) toga virilis : كلمة toga تعنى عباءة ، وهى الرداء الرومانى الأصيل ، وكلمة virilis صفة مشتقة من كلمة vir (ومعناها رجل) . اعتاد الرومان الاحتفال بالصبية الذين يبلغون سن الخامسة عشرة ، فكانوا يلبسونهم أثناء الاحتفال عباءة من نوع خاص — توجا ڤيريليس — ترمز إلى نمو الصبى وبلوغه مرحلة الشباب .

(٢) الأينيدة ، الكتاب العاشر ، سطور ٢٠٠ — ٢٠٣ ؛ راجع الفقرة بأكملها من سطور ١٦٣ إلى سطر ٢١٤ .

يتكون سكانها من ثلاثة أجناس ، يسكن كل جنس أربع مدن . وترأس مانتوا هذه المدن ، لكنها تستمد قوتها من الدماء الأتروسكية . »

إنه – كما يبدو – يفخر بها مسقطاً لرأسه ، ويباهى بانتمائه إلى شعب عريق ذى ماضٍ عظيمٍ مُشرّف . وعلى كلٍّ فإن الشعوب التى كانت تسكن منطقة كيسالبينا كانت شعوباً كلتية Celtae كما أن اسم القبيلة Publius واسم العائلة Maro فى اسم ڤرجيليوس قد يشيران إلى أصل كلتى (١) . أضِفْ إلى ذلك أن بعض النقاد يرون أن مزاج فرجيليوس ، الذى يظهر بوضوح فى كتاباته ويُفْهم مما ورد فى المصادر القديمة ، يرجح أن الدماء الكلتية كانت تجرى فى عروقه .

إلى جانب ذلك كله ، فما زال هناك بعض الآراء التى يجدر الإشارة إليها فى هذا الصدد. ففى القرن الرابع الميلادى كتب الفيلسوف ماكروبيوس Macrobius محاورته المعروفة ساتورناليا Saturnalia حيث يتحدث عن ڤرجيليوس كما لو كان من أصل ڤينيتى Venetus (٢) . لكن من المؤكد أن مانتوا لم تكن فى وقت من الأوقات تابعة لمنطقة فينيتيا Venetia بالرغم من أنها لم تكن تبعد كثيراً عن حدودها الغربية . وقد يبعث ما جاء عن ماكروبيوس إلى الاعتقاد بأن أسرة ڤرجيليوس إنما يمتد أصلها البعيد إلى الجنس الفينيتى الذى ربما كان قد انحدر أفراده بدورهم من سلالة إلليرية لها علاقة وثيقة بالجنس السلافى (٣) .

---

(١) يتكون اسم الشخص عند الرومان من ثلاثة أجزاء : اسم الشخص نفسه ويعرف بالـ praenomen ويوضع قبل اسم القبيلة ، واسم القبيلة التى ينتسب إليها الشخص ويعرف بالـ nomen ، ثم اسم الأسرة ويعرف بالـ cognomen ويوضع بعد اسم الشخص نفسه . راجع Mackail, op. cit., p. 32.

(٢) أى من منطقة ڤينيتيا Venetia التى كانت تقع فى شمال إيطاليا بالقرب من ڤينيسيا الحالية تقريباً . راجع Macrobius, Saturnalia, v. 2.

(٣) Mackail, op. cit., pp. 31 sqq.

وهكذا يبدو من الصعب تحديد أصل ڤرجيليوس ، لكن علينا أن نسلّم بأن ڤرجيليوس كان ولابد من أصل مختلط . وقد يساعد هذا الاعتقاد فى تعليل اهتمام ڤرجيليوس الملحوظ بخلق وحدة إيطالية وسعيه من أجل تحقيق هذه الوحدة حتى أصبحت حقيقة واقعة فى عصره بعد أن كانت مجرد نظرية سياسية أو أملاً يداعب كلاً من الإيطاليين والرومان من قبله على السواء .

بعد أن تلقى ڤرجيليوس دراسته فى مدارس كريمونا وميلانو ، انتقل وهو فى الثامنة عشرة من عمره إلى روما (١) . فقد كانت فى ذلك الوقت مركزاً للدراسات المتقدمة بالنسبة لجميع المناطق الناطقة باللغة اللاتينية ، كما كانت مهداً نشأ فيه وترعرع مجموعة من الشعراء الشبان الذين حصل بعضهم على شهرة واسعة . من بين هؤلاء الشعراء كان آميليوس ماكر Aemilius Macer الذى ينتمى أصلاً إلى مدينة ڤيرونا وكوينكتيليوس ڤاروس Quinctilius Varrus الذى ينتمى إلى كريمونا ، كلاهما جاء من مناطق مجاورة لمسقط رأس ڤرجيليوس ، وكانت بينهما صداقة متينة . كما كان ڤرجيليوس صديقاً حميماً أيضاً لكورنيليوس جالّوس Cornelius Gallus (٦٩ — ٢٦ ق . م .) الذى كان ينتمى فى الأصل إلى منطقة واقعة فى بلاد الغال الواقعة تحت الحكم الرومانى . كان كورنيليوس جالّوس شخصية جذابة وشاعراً عبقرياً . وكان هو وڤرجيليوس متساويين فى العمر وعضوين بارزين فى جمعية أدبية معروفة أثناء الحروب الأهلية . فكانا يدرسان سوياً ، ويؤلفان سوياً أيضاً .

واصل ڤرجيليوس دراسته فى روما بشغف واهتمام لفترة طويلة من الزمن . بدأ دراسة الريطوريقا والطب والفلك ، لكنه سرعان ما تحوّل إلى دراسة الفلسفة الإغريقية (٢) . فتلقى دروسه على يدى العالم الأبيقورى سيرو

---

(١) Rose, Latin Literature, p. 237.

(٢) دوناتوس ، حياة ڤرجيليوس ، ٢٧ .

Siro (١) ، ولعله أثناء ذلك تعرّف لأول مرة على أشعار لوكريتيوس — الذى استفاد ڤرجيليوس منه الكثير . ثم تلقى دروسه فى الريطوريقا على يدى أستاذ الريطوريقا إبيديوس Epidius ، ولعله أثناء ذلك تعرّف على زميل له فى الدراسة كان يصغره فى السن ويدعى اكتافيوس ، وهو الذى أصبح فيما بعد الامبراطور أوغسطس . لقد حاول ڤرجيليوس أثناء فترة دراسته ممارسة الخطابة ، لكنه لم يستمر فى ذلك طويلاً . وللأسف فإننا لا نعرف الكثير من المعلومات عن هذه الفترة من حياة ڤرجيليوس ، إلا أنها كانت فترة نضج بطىء لعبقريته وفترة دراسة اتصفت بالشغف والتلهف وسط جماعة من الأفراد مختلفى الصفات . أثناء هذه الفترة أيضاً توفى والده وتزوجت والدته مرة أخرى . وليس لدينا ما يشير إلى أنه كان على صلة بمسقط رأسه ومهد صباه . فقد كان يرى فى كل بلد يدرس فيه موطناله . كان مشغولاً بدراسته ، مهتماً بالأسفار والترحال ، واهباً نفسه تماماً للآداب والدراسات الفلسفية والتاريخية . ولم يجرؤ ڤرجيليوس — مثلما جرؤ الكثير غيره من أعضاء جمعيته — على محاولة الاشتراك فى النشاطات المدنية أو الإدارية أو السياسية أو العسكرية . ويرجع ذلك إلى عدة أسباب : خجله الشديد ، وسلوكه الريفى الذى ظل يتصف به طيلة حياته ، وضعف بنيته ، وصحته العامة فقد كانت متدهورة على الدوام .

عندما ناهز ڤرجيليوس الثلاثين من عمره أتى تيار الأحداث العامة فى الدولة نهائياً على ثروته ، ثم أعادها إليه مرة أخرى . فى عام ٤٢ ق .م . هزم أنطونيوس قوات بروتوس Brutus وكاسيوس Cassius عند مدينة فيلبى Philippi . وطبقاً لما ورد عند دوناتوس فإن أول عمل قام به أنطونيوس وزميلاه أعضاء المجلس الثلاثى بعد معركة فيلبى هو تسريح أفراد

---

(١) نوكاس ، ٦٣ (راجع حاشية رقم ٣٠ ، ص ٢١) .

القوات العسكرية الهائلة التي حاربت تحت قيادته ومنحهم الاستقرار (١) . لذلك قام أعضاء المجلس بمصادرة الأراضي والممتلكات في كريمونا بحجة أن أهلها لم يقفوا بجانب أعضاء المجلس أثناء الحرب الأهلية (٢) . ثم منحوا هذه الأراضي والممتلكات لبعض أفراد القوات بعد تسريحهم . ولما لم تستطع أراضي كريمونا أن تفي باحتياجات جميع الأفراد ، فما كان من أعضاء المجلس إلا أن صادروا جزءاً كبيراً من أراضي منطقة مانتوا المجاورة لكريمونا. كانت ممتلكات ڤرجيليوس ضمن الأراضي التي صودرت في مانتوا . لكن ڤرجيليوس كان له أصدقاء ذوو نفوذ وسلطان (٣) . فبالاضافة إلى جالّوس وفاروس – اللذين كانا قد وصلا في ذلك الوقت إلى مكانة مرموقة في الدولة – كان بولليو Pollio الرئيس الإداري المباشر للمنطقة من بين أصدقاء ڤرجيليوس. ونتيجة لتدخل هؤلاء الأصدقاء فقد تمّ تعويض ڤرجيليوس عما لحقه من خسارة بأن منحته الدولة ضيعة صغيرة في كمبانيا Campania . بل أكثر من ذلك أتيحت له الفرصة لينال ثقة مجموعة أخرى من الأشخاص أصبحت تُعرف فيما بعد « ببلاط الامبراطور » . وهكذا أصبح الثراء والغنى من نصيب ڤرجيليوس طيلة البقية الباقية من حياته .

لم يمض على ذلك زمن طويل حتى قام ڤرجيليوس في عام ٣٧ ق . م . بنشر مجموعة أشعاره المسماة بالأشعار المختارة Eclogae أو الرعويات Bucolica . وسرعان ما نال شاعرنا شهرة كبيرة ، وانتشرت أشعاره ،

---

(١) دوناتوس ١٩ . أما مؤلف مجموعة برنـسيس فإنه يرى أن ذلك حدث بعد معركة بيروسيا Perusia عام ٤١ ق. م. التي انتصر فيها أكتاڤيوس على انطونيوس . أما باقي المؤلفين القدماء فيذكرون في هذا الصدد معركة أكتيوم عام ٣١ ق.م. التي قضى فيها اكتاڤيوس أيضا على قوات أنطونيوس . ولعل هناك احتمالا واحداً من بين الاحتمالين الأول والثاني ، أما الثالث فإنه مستحيل من الوجهة التاريخية .

(٢) Rose, op. cit., p. 238.

(٣) استقينا هذه المعلومات من القصيدة الأولى والتاسعة من مجموعة قصائد ڤرجيليوس الرعويات . راجع أيضا مقدمة المجلد الثالث من أعمال ڤرجيليوس .

وأصبحت تُقرأ فى المسارح والأماكن العامة. وهكذا توقع الجميع لڤرجيليوس العظمة والمجد ورأوا فيه أعظم شعراء الحكومة الجديدة مستقبلاً . كان پولليو فى ذلك الوقت قد أتاح لڤرجيليوس فرصة المثول بين يدى مايكيناس Maecenas ، الذى كان حينئذ مستشاراً لأوغسطس وصديقاً حميماً له. وفى الكتاب الأول من الهجائيات Satirae يروى هوراتيوس Horatius (٦٥ - ٨ ق . م .) كيف ذهب هو وڤرجيليوس وفاريوس Varius وتوكّا Tucca من روما إلى برنديزى Brundisium فى صحبة مايكيناس أثناء قيامه بمهمة سياسية خطيرة (١) .

بعد ظهور الرعويات نشر ڤرجيليوس مجموعة أخرى من الأشعار بعنوان الفلاحة أو الزراعيات . ومن المؤكد أنه نظمها ، بناء على أوامر صدرت إليه من مايكيناس . لكن هذا لا يعنى أنه كان ينفذ أوامر الحكام دون تفكير أو روية . فلقد ذكر دوناتوس أن ڤرجيليوس ظل مدة سبع سنوات (٢) - قضى أغلبها فى ضيعته الجديدة فى كمبانيا - يفكر ويكتب وينقّح حتى ظهرت هذه المجموعة من الأشعار . كان لڤرجيليوس قصر فى مدينة روما يقع فى الحى الأسكويلينى ، لكنه نادراً ما كان يذهب إليه ، وحتى حين كان يذهب إليه فإنه لم يكن ليمكث فيه فترة طويلة(٣) . كان يقضى الشتاء فى كل عام على الشاطىء القريب من مدينة نابلى، بينما كان يقضى الصيف فى ضيعته الواقعة على ربوة غير مرتفعة تحيط بها المزارع والحقول من جميع الجهات . لكنه غالباً ما كان يذهب إلى المناطق الجنوبية القريبة من تارنتم Tarentum وإلى جزيرة صقلية فيقضى فيها فترات غير قصيرة .

---

(١) هوراتيوس ، الهجائيات ١ ، ٥ .

(٢) دوناتوس ، حياة ڤرجيليوس ، ٢٥ :

Bucolica triennio, Georgica VII, Aeneida XI perfeci annis.

« أكمل الرعويات فى ثلاث سنوات ، والزراعيات فى سبع ، والأينيدة فى إحدى عشرة »

(٣) دوناتوس ، حياة ڤرجيليوس ، ١٤ .

كما أن بعض فقرات من الزراعيات والأينيدة تشير إلى أنه كان على معرفة تامة واتصال شخصى بالمناطق الواقعة فى وسط إيطاليا .

انتهى فرجيليوس من نظم الزراعيات فى عام ٢٩ ق . م . فى ذلك العام كان أوكتاڤيوس قد عاد من رحلة إلى الأقاليم الشرقية، وعند وصوله إلى إيطاليا قرأ عليه ڤرجيليوس هذه المجموعة من الأشعار (١) . ونُشرت الزراعيات بعد ذلك مباشرة ، فذاعت شهرتها ، وأصبح ڤرجيليوس حينئذ أعظم شعراء اللاتين – السابقين منهم والمعاصرين – وأشهرهم دون منازع . كان ڤرجيليوس فى ذلك الوقت قد ناهز الأربعين من عمره. كان منذ سنواته الأولى حتى ذلك الوقت يفكر فى نظم ملحمة إيطالية . لم يكن ينقطع لحظة واحدة عن التفكير فى ذلك ، وغالباً ما كان يقتطع جزءاً من وقته ليخطط لذلك العمل الضخم ويرسم خطوطه العريضة . وبدأ وهو فى سن الأربعين فى تحقيق حلمه الذى ظل يداعبه سنين عدة ، وقضى بقية حياته كى يخرج ذلك العمل إلى الوجود ؛ ولم يكن ذلك العمل سوى الأينيدة . لقد شجّعه على ذلك إلحاح البلاط الامبراطورى ورغبات الجماهير والآمال التى كانت تجيش فى صدورهم كما شجّعه على المضى فى طريقه أن القيام بمثل ذلك العمل الضخم قد يتيح له فرصة التعبير عن جميع الأحاسيس التى كانت تدور فى خلده كشاعر ، والتى كان يتحين الفرصة للتعبير عنها . ومنذ ذلك الوقت اعتكف ڤرجيليوس عن المجتمعات القليلة التى كان يرتادها ، وكرّس كل جهده ووقته لتحقيق أمله العريض . لم تصلنا سوى معلومات ضئيلة عن حياته أثناء هذه الفترة أيضاً . وحتى ذلك القدر الضئيل الذى وصلنا ليس فيه شىء يستحق الذكر سوى قدر يسير . فى عام ٢٦ ق . م . انتحر صديقه الحميم جالّوس ، فكان لتلك الكارثة وقع خطير على ڤرجيليوس وتأثير بالغ على نفسيته . كان جالّوس قد لاقى نجاحاً باهراً فى الميدان السياسى ووصل إلى أسمى المناصب ، وسرعان

(١) Charles L. Durham (in his introduction to : J.W. Mackail, Virgil's Works, Modern Library, New York 1934), p. X.

ما تغيرت أقداره وأصابه فشل ذريع دفعه إلى التخلص من الحياة . لقد حزن ڤرجيليوس على صديقه حزناً شديداً ، ولم يستطع أن يتخلص منه طيلة حياته . كما أن نظرته إلى النجاح والفشل وعلاقتهما بالجد والنشاط قد تغيرت ، فلقد أصبح ينظر إلى الحياة نظرة مليئة بالجد والصرامة . ولعل ذلك من الأسباب التى من أجلها انطبعت أشعاره فيما بعد بطابع الحزن والكآبة (١) .

قضى ڤرجيليوس سنوات عديدة فى نظم الأينيدة (٢) . ففى عام ٢٥ ق.م كتب الامبراطور أوغسطس من إسبانيا يسأل ڤرجيليوس عما تم فى مشروعه الضخم . فى الحقيقة لم يكن الامبراطور وحده هو الذى ينتظر بفارغ الصبر ظهور الأينيدة ، بل كان العالم الإيطالى بأسره يحس شوقاً جارفاً نحو سماع خبر الانتهاء من نظمها . ولعل ما قاله الشاعر الغنائى بروبرتيوس Propertius (٥٠ — ١٦ ق . م .) — الذى عاصر ڤرجيليوس وكان يصغره بحوالى عشرين عاماً — يُعبرّ عن ذلك الترقب خير تعبير ؛ إذ يقول بروبرتيوس فى إحدى قصائده بعد ما سمع بعض فقرات من الأينيدة (٣) :

« إنه (ڤرجيليوس) الآن يبعث الحياة من جديد فى قوات آينياس الطروادية ، وفى أسوار المدن التى أقامها على شواطىء لاڤينيوم . فلْتَسْتَسْلموا أيها الكُتّاب الرومان ، ولتستسلموا أيها الكُتّاب الاغريق ، فإن شيئاً أضخم من الإلياذة على وشك أن يُولد . »

بعد ذلك بثلاثة أعوام على الأقل قرأ ڤرجيليوس ثلاثة كتب كاملة من الأينيدة على الامبراطور أوغسطس وشقيقته أكتاڤيا — وهم الكتاب الثانى والرابع والسادس . وفى الكتاب الأخير تعرّض ڤرجيليوس لموت الصبى

---

(١) راجع ص ص ٧٧ ، ٧٨ .
(٢) أنظر حاشية رقم ٢ ص ٢٧ .
(٣) Propertius, II, 34, 63-66.

ماركيلّوس Marcellus ، إبن أوكتافيا الوحيد والوارث الوحيد للامبراطورية[1].
لقد عبّر ڤرجيليوس فى إحدى فقرات ذلك الكتاب عن الحزن الدفين من أجل موت ذلك الصبى حتى أن أكتافيا تأثرت تأثراً شديداً وسيطر عليها الحزن فطفقت تذرف الدمع ولم تستطع مواصلة الاستماع . ثم واصل ڤرجيليوس عمله فى شغف بالغ عبر السنين ، وأخذ العمل بدوره ينمو ويكبر ويصبح على وشك الانتهاء ، حتى جاء عام ١٩ ق . م . فى ذلك العام انتهى ڤرجيليوس بصورة مبدئية من تأليف الأينيدة ، لكنه كان يرى أنه ما زال أمامه ثلاثة أعوام أخرى ، عليه أن يقضيها فى مراجعة النص وتنقيحه وإدخال ما قد يلزم من تعديلات قبل أن يصل إلى أيدى الجماهير الإيطالية . وفى صيف العام نفسه أحس ڤرجيليوس برغبة فى القيام بجولة فى بلاد الاغريق وشواطىء بحر إيجه والجزر الواقعة فيه ، عسى أن يكون فى ذلك تجديد لنشاطه الذهنى وصقل لأحاسيسه . لكنها كانت رحلة مشئومة لم يكن ڤرجيليوس فى ذلك الوقت يحتمل الترحال والأسفار ، ثم إنه لم يكن يكتفى بالزيارات القليلة ، بل ظل ينتقل بسرعة من مكان إلى مكان ، ومن قرية إلى قرية ، ومن مدينة إلى مدينة ، يصعد من سهل إلى ربوة ، ويهبط من تل إلى شاطىء ، ثم يبحر من جزيرة إلى جزيرة حتى وصل إلى أثينا . وهناك قابله الامبراطور أوغسطس أثناء عودته إلى إيطاليا ، بعد جولة قام بها فى الأقاليم الشرقية . ولعل تلك المقابلة المفاجئة أتاحت لڤرجيليوس فرصة التفكير فى مدى قدرته على مواصلة رحلته الطويلة الشاقة . وبإلحاح من الامبراطور إقتنع ڤرجيليوس بضرورة عودته إلى إيطاليا بصاحبة الامبراطور . لكن يبدو أنه كان قد اتخذ قرارا بعد فوات الأوان — فعندما كان يزور ميجارا وأثناء استعداده للإبحار نحو إيطاليا أصيب بالملاريا . وبالرغم من أن إصابته لم تكن شديدة إلا أن بنيته الضعيفة لم تستطع المقاومة . وساءت حالته واشتدت الحمى أثناء الرحلة البحرية إلى إيطاليا ،

(١) راجع الكتاب السادس من الأينيدة ، سطور ٨٦٠-٨٨٦ .

فتوقف فى برنديزى حيث توفى بعد بضعة أيام ؛ وكان ذلك فى اليوم الحادى والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٩ ق . م . ولم يكن قد أكمل عامه الحادى والخمسين (١) .

بينما كان ڤرجيليوس على فراش الموت طلب من مرافقيه عدم نشر الأينيدة وأمرهم بإحراقها إذا ما حدث له أى مكروه ، فلم يكن ڤرجيليوس يرغب فى أن تنشر أشعاره دون مراجعة أوتنقيح . لكن أصدقاءه الذين كانوا حوله رفضوا ذلك فى رفق . ومحاولة منهم لإرضائه فقد وعدوه بحرق المخطوط فى المستقبل . وبعد موته أصدر أوغسطس أوامر مُشددة إلى القائمين على نشر أعماله – وهما فاريوس وتوكّا – بنشر الأينيدة كما تركها مؤلفها . فلولا أوامر الامبراطور أوغسطس لاندثر أعظم الأعمال اللاتينية التى وصلتنا والتى أثّرت تأثيراً بالغاً – كما سنرى فيما بعد – فى الأدب العالمى فى جميع أنحاء العالم وعلى مدى العصور . مات ڤرجيليوس فى برنديزى بين أهل كالابريا Calabria ، ونُقل رفاته إلى نابلى ودفن بالقرب من قصره الذى يقع بالقرب من الساحل فى بوسيليبو Posilipo (٢) ، حيث أقيمت له مقبرة ضخمة نقش عليها بيتان من الشعر قيل إنه نظمهما بنفسه قبل موته (٣) :

« مانتوا أنجبتنى ، كالابريا انتزعتنى ، واليوم تحتوينى
پارثينوپى (نابولى) ، أنا ، مَنْ تغنّيْتُ بالمراعى ، بالحقول ، وبالقادة »

رغم ضآلة المعلومات التى وصلتنا عن حياة ڤرجيليوس ، فمازالت هناك بعض المعلومات التى قد تساعد معرفتها على التعرّف على شخصية الشاعر . لم يتزوج ڤرجيليوس – مثله فى ذلك مثل صديقه هوراتيوس . لذلك فقد آل جزء كبير من ثروته بعد وفاته إلى أخيه لأمه ماجيا بعد زواجها الثانى .

---

(١) Mackail, op. cit., pp. 33-42.

(٢) قارن : Norman De Witt, « Virgil at Naples », Classical Philology, XVII (1922), pp. 104-110.

(٣) Charles L. Durham, op. cit., p. VII.

فلم يكن يوجد من أفراد عائلة ڤرجيليوس عند موته سوى ذلك الشقيق . أما الجزء الباقي من ثروة ڤرجيليوس فقد وزّع على بعض أصدقائه . وهناك روايات لا حصر لها انتشرت حول حياته الخاصة . قيل إنه كان منطوياً على نفسه، غير مغرم بارتياد الأماكن العامة . لم يكن يقبل على الأنشطة العامة فى الدولة ، ولم يكن له نشاط رياضى، إذ لم تكن لديه القدرة على بذل أى مجهود عضلى . ويرجع ذلك إلى ضعف بنيته وعدم لياقته البدنية . كان حاد المزاج ، ريفياً فى مظهره ، خشناً فى سلوكه ، متمسكاً بعادات الريف وتقاليده . ومما قيل عنه أيضاً أنه كان يتمتع بطريقة أداء رائعة تطرب السامعين ، فقد عوّضته الطبيعة عن ضعف بنيته قوة فى صوته وعذوبة فى نبراته وبراعة فى إخراج الكلمات وهى صفات لا يتصف بها أغلب الشعراء فى معظم العصور .

فيما يتعلق بأوصافه لم يحفظ لنا الزمن شيئاً على الإطلاق من التماثيل النصفية العديدة التى أقيمت له فى الأماكن المتفرقة . وحتى التماثيل التى عُثر عليها فى العصور التالية ووُجد اسم ڤرجيليوس منقوشاً عليها ثبت أنها تماثيل زائفة لا تمثل ملامحه الشخصية حقاً . وقد حاول أكثر من فنان عالمى أن يتخيّل ڤرجيليوس ، وأقيمت له تماثيل عديدة بواسطة فنانين معروفين مثل بوتيشيللى Botticelli (١٤٤٥ — ١٥١٠ م) ، ورافاييل Raphael (١٤٨٣ — ١٥٢٠ م) ، وبليك Blake (١٧٥٧ — ١٨٢٧ م) ، وبيرن جونس Burne-Jones (١٨٣٣ — ١٨٩٣م) . وفى عام ١٨٩٦ م عُثر أثناء القيام ببعض الحفريات فى مدينة سوس Sousse بتونس على لوحة رائعة من المزايكو يبدو أنها كانت جزءاً من أرضية قاعة أحد القصور الرومانية. من بين المناظر المنقوشة على هذا الأثر منظر لڤرجيليوس وهو يجلس بين إثنتين من ربات الفنون ، ويضع على ركبتيه قرطاساً يحوى ملحمة الأينيدة وقد ظهر على إحدى صفحاته هذه الكلمات (١) :

Musa mihi causas memora

(١) «قصى على ، يا ربة الشعر .....» . الأينيدة ، الكتاب الأول ، سطر ٨ .



فرجيليوس يجلس بين كليو – ربة التاريخ – على يمينه وملبومينى – ربة التراجيديا – على يساره ، يضع على ركبتيه قرطاسا يحوى ملحمة الاينيدة وقد ظهر على احدى صفحاته بيت من الابيات الاولى منها . صورة موجودة على لوحة من المزايكو ومحفوظة الآن في متحف باردو .

يرى علماء الآثار أن هذه اللوحة لا يرجع تاريخها إلى أكثر من مائة عام بعد وفاة ڤرجيليوس. ومن المحتمل أن الفنان الذى صنعها نقل مادته عن الصور التى كانت قد نقلت بدورها عن تماثيل أقيمت لڤرجيليوس أثناء حياته . وتتفق أوصاف ڤرجيليوس التى نشاهدها فى هذه اللوحة مع ما كُتب عنه فى المصادر القديمة ومع ما أمكن لنا أن نستشفه أو نتخيله من واقع أعماله ومن الروايات المختلفة التى تناولته(١) . ويمكن ذكر هذه الأوصاف بايجاز فيما يلى : الوجه نحيف يبدو عليه الإنهاك ، لون البشرة شاحب ، الملامح دقيقة تَنُمّ عن ضعف جثمانى عام ، الشعر أسود فاحم يتخلله بعض شعيرات رمادية ، الجبهة مستوية ، الفم رقيق دقيق ، العينان واسعتان غائرتان لامعتان .

هذا هو تقريباً كل ما استطاع جيلنا أن ينتزعه من براثن الزمن فيما يتعلق بڤرجيليوس مؤلف الأينيدة .

---

(١) Mackail, op. cit., pp. 43-44.

أعمال فرجيلوس :

(أ) الرعويات :

ظلت مقدرة ڤرجيلوس على نظم الشعر تتقدم تقدماً بطيئاً . كان يكتب على مهل بشيء من التردد ، كان دائماً غير راض رضاء تاماً عما يكتبه(١) . ظل عدة سنوات ينظم أعمالاً بدت تجريبية واتصفت بعدم النضج التام وأظهرت عدم السيطرة التامة من الناحية الفنية . وبالرغم من ذلك كله فقد أثبتت أعماله منذ اللحظة الأولى أنها من إنشاء شاعر ملهم وفنان موهوب تنقصه الخبرة والحنكة والثقة فى النفس ثقة تامة ، وأشارت إلى ما كان ينتظر صاحبنا من مستقبل مشرق . كانت الثقافة العالية تسيطر على الشعر اللاتينى فى أوائل عهد ڤرجيلوس ، وكان النقاد فى ذلك الوقت يؤكدون ضرورة الثقافة والعلم وأهميتها بالنسبة للشاعر . كان الاهتمام منصباً بصورة عامة على الشكل دون الجوهر وعلى الزخرف اللفظى دون البناء الفنى . وظل الفن فى ذلك الوقت يتطور رويداً رويداً حتى أصبح يعتمد على الصيغة اعتماداً كلياً . حدث ذلك نتيجة تأثر الكتاب الرومان بالشعر الهلينستى الذى وضعت أسسه مدرسة الاسكندرية . كان شعراء الاسكندرية — فوق كل شيء — علماء أكاديميين مثقفين وفنانين ذوى خبرة ودراية . ومن أهم الشعراء السكندريين الذين أعجب بهم شعراء روما وحاولوا تقليدهم الشاعر يوفوريون Euphorion (٢٧٦ — ١٨٧ ق . م . تقريباً) الذى كان رئيساً لأمناء مكتبة الاسكندرية فى عصر دولة سليوكوس — كما كان كاليماخوس Callimachus (٣٠٥ — ٢٤٠ ق.م. تقريباً) من قبل رئيساً لأمناء المكتبة نفسها فى عصر دولة البطالمة . فلم يكن الشاعر فى ذلك الوقت أميناً لمكتبة بالمعنى المعروف لنا اليوم فحسب ، بل كان مديراً للجامعة . ومن هنا اتصفت الأشعار التى نظمها هذان الشاعران بالطابع السامى ، وبالثقافة الواسعة ، وبالتأرجح بين الصلابة الجافة والعاطفية المتميعة.

(١) Ibid., pp. 45 sqq.

ووجدت مساوىء هذه الأشعار – أكثر مما وجدت محاسنها – إستجابة لدى الذوق الرومانى . ولعلنا نلاحظ بعضاً من ذلك التأثير فى أشعار كاتوللوس ، بينما نلاحظه كاملاً فى أعمال من جاء بعده من الشعراء .

فى هذه الفترة بالذات من تاريخ الشعر اللاتينى ظهرت المجموعة الأولى من أشعار ڤرجيليوس التى وصلتنا ، وهى الرعويات ، تعلن عن بدء مرحلة جديدة من مراحل الشعر ، وتُنْبىء بنهوض الشعر اللاتينى بعد كبوته ، وتبشر بصحوة بعد طول نعاس . وبالرغم مما اتصفت به هذه المجموعة الأولى من قصور فنى نسبى وعدم اكتمال فإنها امتازت بعذوبة وحلاوة ورقة لم يكن يتصف بها الشعر اللاتينى من قبل. وبذا يكون ڤرجيليوس قد أخرج للرومان شعراً جديداً لفت إليه الأنظار . ولقد اعتاد النقاد ومؤرخو الأدب القول بأن الرعويات كانت أول مجموعة قصائد تنشر لڤرجيليوس . ومع ذلك فليس من الخطأ القول بأنها أيضاً لم تكن المجموعة الوحيدة التى كان الشاعر قد نظمها حتى ذلك الوقت . كان فرجيليوس – كما سبق أن ذكرنا – متردداً لا يسمح بنشر أشعاره قبل أن يراجعها ويُنَقِّحُهَا ويتأكد من أنها تستحق النشر فعلاً . إنه يقول لنا بنفسه إن فكرة إنشاء ملحمة كان يراوده منذ شبابه لذلك فليس من المستبعد أن يكون قد نظم أشعاراً أخرى قبل الرعويات ، ولم يشأ أن ينشرها حتى ذلك الوقت . فلقد كان ڤرجيليوس يقضى الساعات الطويلة فى نظم بيت شعر واحد ، يدقق فى اختيار الألفاظ ، ويغير ويبدل من ترتيب الكلمات . ثم إنه كان ينقد أشعاره بنفسه نقداً قاسياً عنيفاً ، فإذا لم يرض عنها حرقها أو حجبها عن الناشرين لفترة ما حتى تحين له فرصة لمراجعتها . ولقد نجح ڤرجيليوس بلا شك فى القضاء على مجموعات ضخمة من الأشعار التى انتهى من نظمها ، ولم يجد لديه الجرأة لنشرها ظناً منه أنها لا ترقى إلى مستوى النشر . لهذا السبب فقد وصلنا – ضمن مجموعات متنوعة لأعمال شعراء لاتين مغمورين تم جمعها فى عصور متأخرة – عدد لا بأس

به من الأشعار المنسوبة إلى ڤرجيليوس مع الإشارة إلى أنه قد نظمها فى صدر شبابه[1] . ومن المرجح أن بعضاً منها فقط هو الذى يرق إلى مستوى عبقرية ڤرجيليوس . ومع ذلك فإن ذلك البعض يشير إلى مرحلة مبكرة فى حياة ڤرجيليوس الأدبية –مرحلة تمرين ودراسة وعدم نضج تام ، كما سنرى ذلك فيما بعد[2] .

ومن الواضح أيضاً أن ڤرجيليوس وافق على نشر الرعويات بعد تردد غير قليل . لعل ذلك يذكّرنا بالشاعر الانجليزى ميلتون Milton (١٦٠٨ – ١٦٧٤ م) ، الذى لم يكن راضياً تماماً عن نشر إحدى قصائده بعنوان Ludlow Masque ، إذ أنه كان يفكر فى إخراج عمل ضخم يحجب وراءه جميع الأعمال الأخرى التى كان ينظمها بين الحين والحين[3] . ولعل البيت الذى اختاره ميلتون من رعويات ڤرجيليوس ليقدم به ذلك العمل للقراء يشير بطريقة غير مباشرة إلى أن ميلتون كان يحس بعدم اكتمال ذلك العمل – تماماً كما أحس ڤرجيليوس من قبل عندما وافق على نشر الرعويات[4] . لكن المقارنة بين ميلتون وڤرجيليوس لا تستمر أكثر من ذلك . فالشاعر الرومانى لم يتنازل إطلاقاً عن تواضعه ، ولم يفارقه تردده حتى عندما كان ينظم قصيدته الملحمية الخالدة ، إذ أننا نقرأ فى الكتاب التاسع من الأينيدة هذه السطور[5] :

« أيها الصديقان المباركان – إن كانت أشعارى هذه قادرة على أن تحقق شيئاً – فلسوف لاتنتزعكما الأجيال المتعاقبة من ذاكرة الزمن ، مادامت سلالة آينياس تسكن منطقة الكابيتول الصخرية ، والحاكم الرومانى يباشر سلطانه هناك » .

---

(١) Tenny Frank, Vergil, A Biography (New York 1922), pp. 68 sq.

(٢) راجع ص ٣٩ ومابعده

(٣) Mackail, op. cit., p. 49.

(٤) الرعويات ، القصيدة الثانية ، سطر ٥٨ .

(٥) الأينيدة ، الكتاب التاسع ، سطور ٤٤٦–٤٤٩ .

إن ذلك بالطبع – يختلف عن الكبرياء الرائع الذى كان على الدوام يمثل عنصراً هاماً من العناصر المكوّنة لمزاج ميلتون – فكل من الشاعرين كان يرى أن من الصعب الوصول إلى حد الكمال ، لكن تردد ڤرجيليوس قبل نشر أشعاره كان تواضعاً حقيقياً يفوق الحد ؛ بينما كان تردد ميلتون كبرياءً ضخمة جاءت نتيجة لإحساسه بأن ما كتبه – مهما وصل إليه من جودة – ليس جيداً بدرجة تجعله يستحق أن يحمل اسم ميلتون .

كان ظهور رعويات ڤرجيليوس – كما ذكرنا – ينبىء بمولد نوع جديد من الشعر ، كما أنها استُقْبلت كرمز وبشير لعهد جديد . إن رعويات ڤرجيليوس – مثلها فى ذلك مثل تقويم الرعاة Shepherds Calender للشاعر الإنجليزى سبنسر Spenser (١٥٥٢ – ١٥٩٩ م) – أشارت إلى عصر بأكمله ، بل وساهمت مساهمة فعالة فى خلقه ، فكل من هذين المجلدين الصغيرين ضئيل فى محتوياته ، غير ناضج فى صياغته ، ذاخر بما هو غير أصيل ، وملىء بما هو مناهض للتقاليد البالية . كلاهما أيضاً يحتوى على بعض فقرات رديئة . ومع ذلك فقد كان كلاهما يبشر بنغمة جديدة ذاخرة بالحيوية . أولهما كان ينبىء ويرحب بمفاخر العصر الأوغسطى ، والثانى بمفاخر العصر الاليزابيثى . وكلاهما تمّ الاعتراف به – منذ اللحظة الأولى لظهوره – كمحور تتجمع حوله جميع فنون الأدب القومى ، وإن كان الفرق بينهما هو أن لرعويات ڤرجيليوس تأثيراً كبيراً ليس على الشعر اللاتينى فى العصر الأوغسطى فحسب ، بل على الشعر اللاتينى فى العصور التالية ، وعلى الشعر فى أغلب اللغات الأخرى أيضاً .

ولسنا الآن بصدد تقديم دراسة وافية عن رعويات ڤرجيليوس أو ما وصلنا من أعماله الأخرى – فيما عدا الأينيدة – ، فمثل هذه الدراسة سوف يجدها القارىء فى مكان آخر[١] . لكن تكفى الإشارة هنا إلى أن ڤرجيليوس –

(١) راجع مقدمة المجلد الثالث من أعمال ڤرجيليوس الرعويات والزراعيات .

بنشر هذه المجموعة من الأشعار الرعوية ـ أدخل نوعاً جديداً من أنواع الشعر إلى غرب أوربا ، فجعل الشعر الرعوى نمطاً من الأنماط الشعرية فى أوربا . حقيقة إن الشعر الرعوى ترجع أصوله الأولى إلى جزيرة صقلية ، وليس إلى بلاد الإغريق ، لكنه ظل بدائياً حتى جاء ثيوكريتوس (عاش فى القرن الثالث قبل الميلاد) فى العصر السكندرى فأدخل عليه كثيراً من التعديلات ، وارتقى به حتى أصبح يضارع الأنواع الأخرى من الشعر الأغريقى ؛ وحتى أصبح اسم ثيوكريتوس مرتبطاً بظهور الشعر الرعوى . وإن ما فعله ڤرجيليوس ليس مجرد تعريف الشعب الرومانى بالشعر الرعوى وتثبيت أركانه كفن خالد فى إيطاليا ، لكنه فعل أكثر من ذلك(١) . جعل ڤرجيليوس لهذا النوع من الشعر هدفاً جديداً ، وضمّنه تضمينات مختلفة . أصبح الشعر الرعوى بفضله أكثر رصانة وأشد تعقيداً ، أصبح يعبر عن الطبيعة بالرمز والألفاظ الغامضة ، بعد أن كانت تعبيراته مباشرة طابعها البساطة والوضوح .

(ب) الڤرجيليانا :

قبل التعرض للمجموعة الثانية من أشعار ڤرجيليوس ، تجدر بنا الإشارة إلى ثلاث قصائد اعتاد بعض القدماء أن ينسبوها إلى ڤرجيليوس بينما أنكر البعض الآخر نسبتها إليه دون أن يتمكنوا فى الوقت نفسه من التوصل إلى معرفة المؤلف الحقيقى لهذه القصائد (٢) . وقد دأب النقاد والشرّاح منذ القدم على تسمية هذه القصائد الڤرجيليانا Vergiliana ، أى القصائد المنسوبة إلى ڤرجيليوس(٣) والثابت ـ أساساً ـ أن هذه القصائد قد نُظمت فى عصر

(١) Charles L. Durham, op. cit., p. X.

(٢) Ibid., p. X.

(٣) بالإضافة إلى هذه القصائد الثلاثة ورد فى المصادر القديمة ذكر عدد آخر من القصائد منسوبة إلى ڤرجيليوس وهى : كاتالبتون Catalepton (مجموعة مكونة من أربع عشرة قصيدة قصيرة) ، كوبا Copa ، أيتنا Aetna . وقد اكتفينا هنا بالإشارة إلى الثلاث قصائد التى يعتقد أغلب النقاد فى صحة نسبتها إلى ڤرجيليوس .

ڤرجيليوس ، كما أنه من المؤكد أيضاً أنها من إنتاج شعراء ينتمون إلى الجمعية الأدبية التي كان ينتمي إليها ڤرجيليوس . لكن ليس هناك ما يؤكد بصورة قاطعة أنها من نظم ڤرجيليوس نفسه .

القصيدة الأولى من هذه القصائد بعنوان كيريس Ciris . إنها أروع القصائد وأهمها ؛ فهي تلقي ضوءاً على ما كان عليه منهج الشعر الڤرجيلي أثناء مراحله المبكرة وعلى الطريقة التي كان يتبعها ڤرجيليوس نفسه في صياغة أشعاره (١) . إنها قصيدة رعوية روما نتيكية ، يتراوح عدد أبياتها بين خمسمائة وستمائة بيت من الشعر ، عامرة بالإيقاعات الرائعة والألفاظ السلسة ، وإن كانت مليئة في الوقت نفسه بمواطن الضعف والسخف (٢) . ظلت هذه القصيدة تمثل لغزاً بالنسبة للنقاد المحدثين حتى جاء العالم الألماني ف. سكوتش F. Skutsch وتناول القصيدة بالتحليل الدقيق وقارنها بأشعار ڤرجيليوس الأخرى وأشعار الشعراء المعاصرين له وذلك في كتابه Aus Vergils Frühzeit الذي صدر في عام ١٩٠١ م ثم واصل دراسته للموضوع ذاته في كتابه جالّوس وڤرجيليوس Gallus und Vergil الذي صدر في عام ١٩٠٦م . اكتشف سكوتش أن هذه القصيدة تشبه إلى حد كبير الأشعار التي كان ينظمها جالّوس وهو في مقتبل عمره ، عندما كان هو وڤرجيليوس يعملان سوياً في نظم الشعر . وبالتالي فإن بروفسور سكوتش يعتبر هذه القصيدة عملا اشترك في نظمه كل من جالوس وڤرجيليوس . ولعل ما يلفت النظر — وهو ما قد يؤيد نظرية سكوتش إلى حد كبير — هو أن القصدتين السادسة والعاشرة من الرعويات قد ضمّنها ڤرجيليوس عمداً بعض أبيات قليلة متفرقة كان قد نظمها صديقه جالوس . كما نلاحظ أيضاً أن أبياتاً كاملة بل وفقرات بأكملها من قصيدة كيريس يتكرر ورودها في بعض قصائد من الرعويات والزراعيات بل في الأينيدة أيضاً . لكن — من ناحية أخرى — ليس من السهل التمييز بين ما كتبه ڤرجيليوس

(١) Rose, op. cit., pp. 260-262.

(٢) Mackail, op. cit., pp. 54 sqq.

وما نقله عن غيره . فقد كان ڤرجيليوس شاعراً يقف بفنّه فى مفترق الطرق بين القديم والحديث ، لا يألو جهداً فى محاولة المزج بين المذاهب المختلفة وخلق تآلف بين القديم والحديث . هذا فضلا عما كانت تجود به قريحته وما يبتكره خياله الخصب وما يتوصل إليه عقله المفكر . وهنا يكمن سرُّ روعة أشعار ڤرجيليوس ؛ فأشعاره مزيج متآلف يصعب الفصل بين عناصره المختلفة والتوصل إلى كنه كل عنصر على حدة .

أما القصيدتان الأخريان فهما أكثر نضجاً وأقرب إلى الكمال الفني . ومن المرجح أن تاريخ نظمهما يرجع إلى عصر متأخر قليلاً . كما أنه ليس من السهل تمييزهما عن أشعار ڤرجيليوس الأخرى . وبالرغم من ذلك فليس فى مقدورنا أن نؤكد نسبتهما إلى ڤرجيليوس بالرغم من التشابه الشديد الواضح بينهما وبين أشعاره الأخرى التى وصلتنا .

أولى القصيدتين بعنوان موريتم Moretum (١) ، وهى أقصر من القصيدة الأخرى وأكثر اكتمالا من ناحية الأسلوب(٢) . إنها تتناول الحياة فى الريف ، وقيل إنها نُظمت على نمط قصيدة إغريقية لم يصلنا نصها. قد يثبت تحليل هذه القصيدة ودراستها دراسة نقدية فاحصة ، أنها فعلاً من نظم ڤرجيليوس ، ويؤكد الاحتمال القائل بأن نظمها ربما كان محاولة أولى أو تمريناً واختباراً لمقدرة ڤرجيليوس الفنية قبل أن يقدم على نظم المجموعة الثانية من أشعاره التى وصلتنا والتى تدور عن الفلاحة والحياة فى الريف . لكن – من ناحية أخرى – هناك ما قد يزعزع ثقتنا بهذه النظرية ويجعلنا نتردد بعض الشيء فى قبول نسبة هذه القصيدة إلى ڤرجيلوس . إذ أقدم مصدر ينسب هذه القصيدة إلى ڤرجيليوس يرجع تاريخه إلى القرن السادس الميلادى .

---

(١) تعنى الكلمة اللاتينية Moretum نوعاً من أنواع «السلطة» كانت تصنع من الجبن وبعض النباتات الخضراء .

(٢) Rose, op. cit., p. 265.

من هنا ينشأ سؤال بسيط : إذا كان ڤرجيليوس قد نظم فعلاً هذه القصيدة الرائعة ، فلماذا تجاهلتها جميع المصادر الأدبية والتاريخية منذ عصر ڤرجيليوس فى القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادى ؟ — لماذا تجاهلتها تلك المصادر التى لاحصر لها والتى تناولت تاريخ حياة ڤرجيليوس بالتفصيل وناقشت أعماله ، بل و اهتمت بذكر تفاهات وسخافات عديدة عن حياته الخاصة والتى يوجد من بينها مصادر موثوق بها ومشهود لها بالدقة . إن استحالة وجود إجابة مقنعة لهذا السؤال هى فقط التى تجعلنا لا نستطيع أن نؤكد أن قصيدة موريتم من نظم شاعرنا ڤرجيليوس .

أما القصيدة الثالثة والأخيرة التى عنوانها كيوليكس Culex (١) . فمن المؤكد أن ڤرجيليوس نظم قصيدة بهذا العنوان ؛ فلقد ورد هذا العنوان مراراً فى مصادر موثوق بها يرجع تاريخها إلى القرن الأول الميلادى(٢) من بين هذه المصادر ما كتبه الشاعر ستاتيوس Statius (٤٥ — ٩٦ م) الذى لا يمكن أن يداخلنا الشك فيما كتبه عن ڤرجيليوس . إذ أن ستاتيوس كان شاعراً موهوباً وباحثاً أكاديمياً فى نفس الوقت ، كما كان مغرماً لحد يفوق الوصف بفن ڤرجيليوس ومعجباً به أيما إعجاب . بل وأكثر من ذلك فقد عكف ذلك الشاعر الناقد فترة غير قصيرة على دراسة أعمال ڤرجيليوس دراسة عميقة . من هنا تبرز ثلاثة احتمالات . الأول هو أن يكون ڤرجيليوس قد نظم قصيدة بعنوان كيوليكس لكن النص الذى وصلنا ليس النص الأصلى بل نصاً آخر يحمل نفس العنوان . والثانى هو أن القصيدة ليست من نظم ڤرجيليوس نفسه بل من نظم شاعر مغمور معاصر له ، ينتمى إلى الجمعية الأدبية التى كان

(١) تعنى الكلمة اللاتينية Culex بعوضة . والقصيدة تروى قصة بعوضة لدغت أحد الرعاة أثناء نومه ، فقام الراعى مفزوعاً وقتل البعوضة . لكنه اكتشف بعد ذلك أن ثعبانا كان على وشك أن يلدغه أثناء نومه لولا أن أيقظته البعوضة التى قتلها . لهذا يأسف الراعى ويقيم للبعوضة قبراً يكون موضع تكريم على الدوام .

(٢) Rose, op. cit., pp. 258-9 sqq.

ينتمى إليها ڤرجيليوس ، درس منهج ڤرجيليوس فى صياغة الشعر دراسة عميقة ونجح نجاحاً باهراً فى تقليد أسلوبه واختيار عباراته وصياغة إيقاعاته لدرجة أنه أصبح من الصعب التمييز بين العمل الذى قام به الشاعر المغمور وأعمال ڤرجيليوس المعروفة لنا . أما الاحتمال الثالث والأخير فهو أن يكون ڤرجيليوس قد نظم هذه القصيدة فعلاً ، لكنه لم يرض عنها ولم يوافق على نشرها فور الانتهاء من نظمها كعادته ، وبالرغم من ذلك فقد تداولها النقاد والشعراء المعاصرون له فيما بينهم ، حتى وصلت إلى العصور التالية بطريقة ما غير رسمية ، وظلت متداولة بنفس الطريقة إلى أن وصلت إلى أيدى النقاد المحدثين فاسترعت انتباههم وأثارت مناقشة حادة بينهم على مدى الأجيال . وكما يبدو واضحاً الآن ، فإن الاحتمالات الثلاثة قائمة ، وليس من السهل ترجيح أحدها . وبالرغم من ذلك فهناك من يستبعد الاحتمال الأول كلية ، ويرجح الاحتمال الثالث ، وإن كان لا يستند فى ذلك على براهين مقنعة(١) .

(ج) الزراعيات :

المجموعة الثانية من القصائد التى نشرها ڤرجيليوس هى بعنوان الجيورجيكا Georgica ، الفلاحة أو الزراعيات . وكما يفهم من إحدى فقرات الكتاب الثالث من هذه القصائد فإن هناك احتمالا كبيراً فى أن ڤرجيليوس قد نظمها بناء على أوامر من مايكيناس والبلاط الامبراطورى (٢) ومن المؤكد أن الشعب الرومانى والحكومة الرومانية على السواء كانوا فى مسيس الحاجة إلى ظهور مثل هذه المجموعة من القصائد . فقد ظل الشعب الرومانى — كما رأينا — قرناً كاملاً من الزمان يقاسى أزمات عسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية ، ووقع تحت وطأة حروب داخلية وخارجية . وكان لذلك كله أثر خطير على الزراعة . فالزراعة والمحاصيل الزراعية والصناعات القائمة عليها كانت

(١) راجع W.A. Baehrens, Philologus, LXXXI, p. 364 sqq. D.L. Drew, Culex (Oxford, Blackwell, 1925), pp. 4 sqq.

(٢) ڤرجيليوس ، الزراعيات ، الكتاب الثالث ، سطر ٤٠ وما بعده .

مصدراً رئيسياً للثروة . وعندما انتشرت الصراعات والمنازعات داخل البلاد وخارجها اتجه الأفراد نحو العمل السياسي والانخراط فى السلك العسكرى . وعندما اتسعت رقعة الامبراطورية الرومانية بدأ أفراد الشعب الرومانى يهجرون المزارع والحقول ويفضلون الحياة الحضرية ، ينفقون فى بذخ ويرفلون فى ألوان النعيم . لكن بعد أن انتصرت جيوش أوغسطس واستتب الأمن فى ربوع البلاد ، ولما لم تعد الدولة فى حاجة إلى تلك الأعداد الضخمة من الجنود ، أرادت الحكومة مكافأتهم على ما قدموه لوطنهم من خدمات وتضحيات فمنحتهم الأراضى الزراعية المصادرة أو التى كان أصحابها قد هجروها أثناء الحرب . عندئذ أحست الدولة بضرورة عودة أفراد الشعب إلى العمل فى الحقول والمزارع ، والاهتمام بالزراعة من جديد ، والسعى من أجل رقى الصناعات الريفية وتطورها . من هنا كان على الحكومة نفسها أن تولى اهتماماً كبيراً للزراعة (١) . فبدأت تباشر النشاط الزراعى فى اهتمام بالغ ، وتقيم المشروعات الزراعية ، وتشجع الأبحاث العلمية المتعلقة بالزراعة والمحاصيل الزراعية ، وتساهم فى إقامة المزارع الفردية ومساعدة القائمين عليها مساعدات فنية وعلمية ومادية . ولعل ذلك يعلل ظهور الأعمال العلمية والأدبية التى تتناول الزراعة والفلاحة . فقد نُشرت مقالة ڤارو Varro (١١٦ — ٢٧ ق . م .) بعنوان عن الفلاحة De Re Rustica فى نفس الوقت الذى نُشرت فيه مجموعة قصائد الزراعيات لڤرجيليوس تقريباً . كما نشر العديد من المقالات التى تناولت الحياة فى الريف ، وتضمنت إرشادات زراعية ، ولفتت أنظار أفراد الشعب إلى ضرورة الاهتمام بالزراعة ، بل كان الهدف منها أيضاً ترغيب أفراد الطبقة المثقفة فى الاتجاه نحو الزراعة ، وذلك بعد أن كان أفراد هذه الطبقة قد ابتعدوا عن الزراعة تماماً وأصبحوا يعتبرون الفلاحة مهنة لا تليق بالمثقفين ، وعملاً لا يتلاءم مع ثقافتهم الرفيعة . وبالطبع لم تَنْسَ الدولة أثناء تلك المحنة ما للشعر من تأثير قوى وأهمية بالغة ،

(١) Rose, op. cit., p. 245.

وبخاصة أنها كانت تعلم علم اليقين أن بين صفوفها شاعراً وطنياً مخلصاً هو ڤرجيليوس (١) .

لم يكن من الغريب إذن أن تصدر الأوامر إلى ڤرجيليوس بنظم مجموعة قصائد عن الفلاحة وطرق الزراعة . ولم يكن من الغريب أيضاً أن يسارع ڤرجيليوس فى الاستجابة لهذه الرغبة الامبراطورية ، وأن يتنازل – مؤقتاً وإلى حد ما – عن تردده المعهود ويعمل على سرعة نشر تلك المجموعة لتكون الفائدة أعم والتأثير أبلغ . أضف إلى ذلك أن موضوع الزراعيات وجد هوى شديداً فى نفس ڤرجيليوس واتفق اتفاقاً مع طبيعته الريفية ونشأته الأولى . كان ڤرجيليوس محباً للطبيعة مغرماً بها . كانت الفلاحة والحياة الريفية مألوفة له منذ طفولته ، كما كانت دراسته المستمرة وخبرته الطويلة قد مكنتاه من السيطرة على فن صياغة الشعر . وفضلا عن ذلك فقد هداه عقله المفكر وثقافته الواسعة إلى فكرة رائعة ، هى أن يبتكر نوعاً من أنواع الشعر لم يسبقه إليه الاغريق أو الرومان ، أن ينظم قصائد تتناول الفلاحة والحياة الريفية بشرط أن تتصف بالطابع القومى الصرف وأن تكون عامرة بالأحاسيس الإنسانية . هكذا جاءت زراعيات ڤرجيليوس تتسم بالطابع الرومانتيكى ، وتزهو بالزخرف اللفظى ، وتسمو بالدوافع التاريخية والوطنية ، وتتضمن فى أسلوب رائع معتقدات الشاعر الدينية وأفكاره الفلسفية وتأملاته لحياة جميع أفراد البشر على السواء ، وتفيض برقة جادة اتصف بها ڤرجيليوس فى جميع مراحل حياته الأدبية .

وعلى الرغم من أن المجال قد لا يسمح بأن نطيل وقفتنا عند زراعيات ڤرجيليوس فانه لا بأس من أن نضيف بعض المعلومات التى قد تلقى بعض الضوء على شخصية ڤرجيليوس نفسه بقدر ماتلقيه من ضوء على الزراعيات. فالزراعيات عبارة عن مجموعة من القصائد لا يتعدى عدد أبياتها الألفين

(١) Mackail, op. cit., pp. 60 sqq.

إلاّ قليلاً . ومع ذلك فقد قضى ڤرجيليوس سبعة أعوام كاملة فى إعدادها ومراجعتها وتنقيحها وحذف فقرات منها أو إضافة فقرات أخرى إليها حتى أحس أخيراً بالرضى ورأى فيها عملاً يستحق أن يُنْشر على الجمهور الإيطالى . ولقد سبق أن أشرنا إلى الصداقة المتينة التى كانت تربط بين ڤرجيليوس وجالّوس ، كما أشرنا أيضاً إلى المصير المشئوم الذى انتهى إليه جالّوس وأثر ذلك فى نفس ڤرجيليوس . كان ڤرجيليوس – كما اعتقد بعض النقاد – قد اختتم زراعياته بفقرة امتدح فيها صديقه جالّوس . كان ذلك الصديق – أثناء الفترة ما بين ظهور الرعويات والزراعيات – يتقدم بسرعة مذهلة ، ويحرز فى حياته نصراً بعد نصر ، حتى أصبح واحداً من القادة الذين اشتركوا فى معركة أكتيوم . لقد أبلى بلاءً حسناً فى الدفاع عن أفريقيا ضد قوات أنطونيوس وكليوباترة ، ولعب دوراً هاماً فى تحقيق النصر لجيوش اكتافيوس . وبالتالى فقد كان أول حاكم على مصر من قبَل اكتافيوس ، حيث قام مرتين بالقضاء على الشغب الذى كان يقوم به حلفاء أنطونيوس . ثم تقدم بقواته حتى وصل إلى منطقة الشلال ، كما عقد أيضاً معاهدة مع ملك إثيوبيا . وسرعان ما أسكرته نشوة الانتصار وأطاحت بلُبّه فرحة النجاح ، فطغى وحاد عن الطريق القويم . عندئذٍ أستدعى جالّوس إلى روما ، وصودرت أملاكه ، وقُدم للمحاكمة ، وصدر الحكم بنفيه . لكنه أراد أن ينقذ سمعته ويكفّر عن خطيئته فانْكَفَأَ على سيفه – على عادة الرومان – وفارق الحياة فى الحال . حدث ذلك بعد بضع سنوات من تاريخ نشر الزراعيات ، فأصبحت خاتمتها – أو هكذا رأى بعض النقاد – غير مناسبة أو غير مرضية بالنسبة للامبراطور . لذلك يرى بعض النقاد أن الفقرة الأخيرة التى خصصها ڤرجيليوس لمدح جالّوس قد حُذفت وأعيدت كتابة خاتمة أخرى . فإن كان ذلك قد حدث فعلاً ، فإن الخاتمة الأصلية للزراعيات لم تصلنا ، ولا نعلم حتى الآن ما الذى كانت تحتويه على وجه التحديد . لكن هناك من يرى أن ڤرجيليوس ربما يكون قد حاول الاستفادة بمادتها فيما بعد فى الكتاب

الثامن من الأينيدة إن لم يكن قد فعل ذلك أيضاً فى بعض أعماله الأخرى . لكن هذا التغيير – إذا صح أنه قد حدث حقاً تغيير – لم يقلل من المستوى الفنى للزراعيات ولم يذهب بروعتها وبهائها ، بل أضاف مادة جديدة إلى مادتها وزادها روعة وبهاء .

كان اهتمام ڤرجيليوس البالغ بمراجعة وتنقيح الزراعيات قبل نشرها سبباً فى ظهورها فى صورة مُشرّقة جعلت جميع النقاد ومؤرخى الأدب يمتدحونها ، كما جعل منها أنموذجاً يحتذيه الشعراء والأدباء الذين جاءوا من بعده – قال درايدن Dryden (١٦٣١ – ١٧٠٠ م) – مثلاً – عن ڤرجيليوس إنه « يقول أشياء كثيرة فى كلمات قليلة ، وغالباً ما يقولها فى صمت » ، كما قال أيضاً فى مقدمته لترجمة الزراعيات « إنها أحسن عمل لأحسن شاعر » . ثم وصفها بعد ذلك أديسون Addison (١٦٧٢–١٧١٩م) بأنها « عمل أكثر اكتمالاً ، أكثر إتقاناً ، وأكثر روعة من جميع الأعمال القديمة » .

(د) الأينيدة :

يقول ڤرجيليوس فى الكتاب الثالث من الزراعيات(١) :

« بل إنى سوف أكون مستعداً فى القريب العاجل للتحدث
عن المعارك الحامية التى خاضها قيصر ولتخليد اسمه عبر
السنين العديدة التى تفصل بين قيصر ومولد تيثونوس » .

يلاحظ أغلب النقاد أن هذه السطور غير مترابطة مع بقية النص الواردة فيه ، سواء من ناحية الإيقاع العام أو البناء الفنى ، لذلك فإنهم يعتقدون أنها ربما قد أضيفت إلى نص الزراعيات فيما بعد . يضاف إلى ذلك أنه يمكن حذف هذه السطور من النص دون حدوث خلل فى البناء الفنى أو انقطاع فى تسلسل

(١) الزراعيات ، ، الكتاب الثالث ، سطور ٤٦–٤٨ . راجع أيضا دوناتوس ، حياة ڤرجيليوس ، ١٩ .

المعانى . وليس من المستبعد أن هذه الظاهرة تؤكد رغبة ڤرجيليوس فى نظم ملحمة وطنية أثناء الفترة التى نُشرت فيها الزراعيات ، أو قد تعبر عن استجابته إلى رغبة الرومان ، إذ يبدو فى هذه الفقرة وكأنه يتعهد أمام الرومان بالعمل على تحقيق رغبتهم فى القريب العاجل . ولقد سبق أن أشرنا إلى أن ڤرجيليوس ظل منذ بداية حياته يفكر فى إنتاج عمل ضخم يزخر بذكر الحروب وتصوير المعارك الحربية ، ويتغنى بمآثر الرومان وما أحرزوه من انتصارات ، ويخلّد فيه الشخصية الرومانية وتجعل منها أنموذجاً بشرياً خالداً تحتذيه الشعوب الأخرى على مدى الأجيال(١) . ولعل ما كان يفكر فيه ڤرجيليوس كان يجد هوى فى نفوس قادة الرومان أيضاً . بل إنهم – فيما يبدو – كانوا يحثّونه دائماً على متابعة السير قدماً فى تنفيذ فكرته ، ويطلبون منه أن يتنازل عن تردده المعهود(٢).

لم يكن ڤرجيليوس أول من حاول نظم أشعار ملحمية ذات طابع قومى(٣) . حاول إنّيوس Ennius (٢٣٩ – ١٦٩ ق . م .) ذلك من قبل عندما نظم الحوليات Annales ونجح فى ذلك إلى حد ما ، وإن ظهرت أشعاره فى هيئة تأريخ للأحداث أكثر منها موضوعاً شعرياً ملحمياً . كانت أشعار إنيوس ذائعة الصيت فى عهد ڤرجيليوس ، بل إنها كانت قد أصبحت ضمن التراث القومى ، وكانت أيضاً تدرس فى المدارس وقاعات العلم كتحفة أدبية . لذلك كان على ڤرجيليوس أن ينتج عملاً أضخم وأعظم وأن يكون عمله أكثر اكتمالاً وأصلب عوداً (٤).

جمع ڤرجيليوس مادة ملحمته من مصدرين أساسيين . أولهما تاريخ روما المعاصر وبخاصة العصر الذى توطدت فيه أركان السلام الرومانى

(١) Rose, op. cit., p. 247.

(٢) C.M. Bowra, from Virgil to Milton (Macmillan 1963), p. 38.

(٣) Ibid., p. 34.

(٤) Mackail, op. cit., pp. 37 sqq.

وثبتت جذور الامبراطورية الرومانية على يد الامبراطور أوغسطس . وثانيهما الروايات التى تدور حول نشأة مدينة روما والأساطير التى تروى كيف انحدر الشعب الرومانى – وبخاصة عائلة يوليوس – من أصل طروادى. لم تكن مادة المصدر الأول – بالطبع – مجهولة بالنسبة للرومان ، بينما لم تكن مادة المصدر الثانى أيضاً بغريبة فى عصر ڤرجيليوس . فمنذ عصر تأسيس المستعمرات الإغريقية فى الغرب نشأت رواية تقول : إن جماعة من الطرواديين وعلى رأسهم آينياس هاجروا إلى إيطاليا . ثم انتشرت هذه الرواية انتشاراً واسعاً بعد أن أصبحت روما إحدى القوى المسيطرة على حوض البحر المتوسط. وظلت الأجيال المتعاقبة تضيف تفاصيل جديدة إلى الرواية نفسها جيلاً بعد جيل . وقد نالت هذه الرواية شهرة واسعة بين سكان روما بعدما نظم نايڤيوس Naevius (ولد حوالى عام ٢٧٠ ق . م .) ملحمته التاريخية التى تناولت تاريخ الحرب البونية الأولى[١] . وربما كان نايڤيوس أول من جعل آينياس يزور قرطاجة ، وذلك استناداً إلى ما جاء عن بعض المؤرخين الاغريق الذين كانوا قد رأوا أن كلاً من مدينة روما وقرطاجة تم تأسيسهما فى عصر واحد[٢] . كما أن أعظم الكتاب الرومان الذين عاشوا فى القرن الأول قبل الميلاد – ڤارو Varro – قد تناول ذلك الموضوع قبل ڤرجيليوس. أما قصة حب الملكة ديدو ، ونهايتها المفجعة فإن معظم الدلائل الأدبية تؤكد أنها من ابتكار ڤرجيليوس .

يقول دوناتوس إن ڤرجيليوس وضع خطة عامة للأينيدة ، وإن هذه الخطة كتبها نثراً وقسمها إلى إثنى عشر جزءاً أو كتاباً [٣] . احتفظ ڤرجيليوس بهذه الخطة حتى يستطيع بسهولة أن ينظم أى جزء من الأجزاء الإثنا عشر من الملحمة فى أى وقت من الأوقات دون التقيد بترتيب الأجزاء .

---

(١) Rose, op. cit., p. 26.

(٢) Rose, op. cit., p. 251, no. 64.

(٣) دوناتوس ، حياة ڤرجيليوس ، ٢٣ .

وإن ما جاء عند دوناتوس يتفق اتفاقاً تاماً والاستنتاجات التى توصل إليها العلماء والنقاد بعد دراسة تحليلية لنص الملحمة . من أهم هذه الاستنتاجات أن ڤرجيليوس لم يكن يعمل بانتظام فى نظم الملحمة ، كما أنه لم ينظم أجزاءها المختلفة بالترتيب الذى توجد به فى النص الذى بين أيدينا اليوم — بمعنى أن أجزاء قد نُظمت أولاً لكنها تأتى فى النص بعد أجزاء كانت قد نُظمت قبلها . كما أن تفاصيل الأحداث التى وردت فى الخطة النثرية تعرضت فيما بعد لعدد غير قليل من التغيرات والتعديلات . من أهم هذه الاستنتاجات أيضاً أن النص الذى يوجد بين أيدينا اليوم لا يمثل النص الذى أراد ڤرجيليوس إخراجه ، إذ أن الموت — كما ذكرنا — أدرك ڤرجيليوس فجأة قبل مراجعته وتنقيحه . ولقد بذل الناشرون ، الذين أخذوا على عاتقهم تقديم النص إلى القارىء الرومانى بعد موت ڤرجيليوس ، قصارى جهدهم كى يخرج النص فى صورة أقرب ما تكون إلى الكمال ، لكنهم لم ينجحوا فى إنجاز مالم يستطع ڤرجيليوس أن ينجزه بسبب موته المفاجىء . وبالرغم من أن هؤلاء الناشرين لم يفصحوا عن مدى ماأدخلوه من تعديلات ، إلا أننا نستطيع أن نلمح بعضاً منه فيما جاء عند سرڤيوس(١) . يقرر سرڤيوس أنهم قد حذفوا ما رأوا من الواجب حذفه ، لكنهم لم يضيفوا شيئاً . والأينيدة — كما حصل عليها هؤلاء الناشرون بعد موت ڤرجيليوس ، وكما تركوها لنا بعد نشرها — لا تخلو من المتناقضات والتكرارات ومواطن الضعف وعدم الاستقرار سواء من ناحية اللغة أو أوزان الشعر أو الأبيات الناقصة التى لا تستقيم معانيها . وهناك عدد من الفقرات كان ڤرجيليوس قد سطرها على هوامش المخطوط الأصلى بصفة مبدئية ولم يكن قد قرر بعد إدخالها فى النص أو الاستفادة بمادتها . وقد استبعد الناشرون — طبقاً للروايات القديمة — تلك الفقرات إلا أربعاً فقط .

لقد تناول النقاد والشراح والمعلقون على مدى الأجيال ملحمة ڤرجيليوس بالنقد والشرح والتحليل ، وحاولوا التوصل إلى معرفة تاريخ نظم بعض

(١) سرڤيوس ، حياة ڤرجيليوس ، ٣ .

فقرات معينة منها أو معرفة مواطن الحذف أو الإضافة فى بعض الأحداث أو الأجزاء . ولا تخلو مثل هذه المحاولات من المخاطر بقدر ما هى زاخرة بعناصر الإثارة والإغراء . فالكتاب الثالث – على سبيل المثال – يختلف فى أسلوبه وفى بنائه عن جميع الكتب الأخرى من الملحمة(١) . فهو يصف ما قام به آينياس من مغامرات ، منذ رحيله عن طروادة حتى وصوله إلى جزيرة صقلية ، يرويها آينياس بنفسه على ديدو ملكة قرطاجة . وواضح جداً فى هذا الكتاب أن بناءه يؤكد أنه وصل إلينا فى صورة غير نهائية وأن فرجيليوس نظمه فى فترة مبكرة . بل إنه يحتوى أيضاً على بعض فقرات يوحى تركيبها الفنى وأسلوبها وألفاظها بأن أشعار ذلك الكتاب ربما يكون فرجيليوس قد نظمها قبل أن ينظم الزراعيات . بل أكثر من ذلك فإنه يحتوى على فقرات أخرى يمكن حذفها دون حدوث خلل فى تسلسل الأحداث أو اختلال فى الإيقاع العام (٢) . كما يحتوى على فقرات لا تتفق اتفاقاً تاماً مع الأحداث الواردة فى الكتاب الثانى ، وفقرات غيرها متناقضة معها مثلما يحدث – على سبيل المثال – عندما يتنبأ هيلينوس لآينياس بأن سيبولا سوف تقول له أشياء ثم يتضح بعد ذلك أن هذه الأشياء نفسها قد قيلت له بواسطة شبح والده .

وقد حاول النقاد تعليل وجود مثل هذا العدد غير القليل من المتناقضات فى الكتاب الثالث بالذات . وجدير بالذكر فى هذا الصدد أن لدينا معلومات تقول إن فرجيليوس قصد فى الخطة النثرية للأينيدة أن يكون الكتاب الثالث ترتيبه الأول بين الكتب الإثنى عشر وأن تكون الرواية فيه مباشرة ، كما تشير أيضاً نفس المعلومات إلى أن تغيير الخطة العامة للأينيدة الذى تم فيما بعد وما تبعه من تغييرات داخلية فى كل كتاب على حدة ربما حدث قبل موت فرجيليوس بأربعة أعوام ، وأن ذلك لم يؤثر فى التعديل الذى طرأ على الكتاب

(١) Rose, op. cit., p. 248.

(٢) راجع الفقرات : ٤١٤–٤٢٨ ، ٤٤٥–٤٥٢ ، ٥٧٥–٥٨٢ ، ٥٨٨–٦٥٤ من الكتاب الثالث .

الثالث . ولعلنا نلاحظ بوضوح كيف أن رغبة ديدو التى ينتهى بها الكتاب الأول قد تحققت فى الكتاب الثانى ، وكيف أن الأحداث تتوالى سريعة فى الكتاب الرابع بعد ذلك لتكمل ما جاء فى الكتاب الثانى . وبالرغم من ذلك الاتصال المباشر بين الكتاب الثانى والرابع فإن ڤرجيليوس كان على صواب فعلاً عندما أدخل محتويات الكتاب الثالث وسط هذين الكتابين . ولقد كان ڤرجيليوس قد ارتكب خطأً فنياً شنيعاً إن هو استخدم فى افتتاحية الملحمة معلومات تمهيدية محضة ولم يفسح المجال من أول لحظة للحدث الرئيسى . وربما كان يجانبه الصواب لو كان قد وضع أحداث الكتاب الثانى والرابع — التى تتميز جميعها بالتوتر الشديد — معاً دون أن يفصل بينها ببعض المواقف الهادئة مثل تلك التى يحتوى عليها الكتاب الثالث(١) .

وبذل ڤرجيليوس قصارى جهده فى الدراسة والبحث حتى يستطيع أن يخرج للعالم عملاً يستحق الخلود . فلدينا شذرة باقية من إحدى الرسائل المتبادلة بين ڤرجيليوس والامبراطور أوغسطس يقول فيها الأول عن الأينيدة.

« يضاف إلى ذلك ، أنى — كما تعلم — مازلت أضيف إليها حصيلة أخرى من الدراسات العميقة ... ... »

لقد ظل ڤرجيليوس يتعمق فى دراسة العادات القومية ، فقرأ بإمعان ونهم مجلدات عديدة فى الشعر الاغريقى والرومانى القديم ، بل فى التاريخ والآثار والعلوم أيضاً . كما درس بتوسع الديانة الإيطالية والمعتقدات الإغريقية وظل يقوم برحلات متعددة إلى مناطق وسط وجنوب إيطاليا ، لدراسة مظاهرها الطبيعية وجمع القصص المحلية ، والتعرّف على الخصائص المختلفة لكل جنس وقبيلة على حدة . بل إنه عندما تقدمت به السن — اهتم اهتماماً بالغاً بالفلسفة والبحث فى كُنْه العالم ، وفى فكرة الاعتقاد فى حياة أخرى بعد الموت . لقد ظل طيلة سنوات عمره الطويلة يصب فى الأينيدة حصيلة

---

(١) Mackail, op. cit., pp. 80 sqq.

دراسته أولاً بأول ، ويضع فيها خلاصة دراساته العميقة ، فجعل منها دستوراً اهتدى به أبناؤه وأحفاده من الرومان ، وظلت الإنسانية جمعاء تنهل منه فيما بعد .

لم يكن ڤرجيليوس – كما ذكرنا – أول شاعر ملحمى ، ولم تكن الأينيدة أول ملحمة ظهرت فى العالم القديم . كان هوميروس قبل ڤرجيليوس بعدة قرون قد وضع مواصفات البناء الملحمى . فالإلياذة بأبياتها البالغ عددها حوالى خمسة عشر ألفاً والأوديسا البالغ عدد أبياتها حوالى إثنى عشر ألفاً كانتا قد وضعتا تقليداً ثابتاً التزم به كتاب الملحمة فيما بعد وهو أن تكون القصيدة الملحمة ذات طول خاص بحيث تستوعب بحجمها معالجة مستفيضة لموضوع واحد ، وإن كان ذلك الحجم فى نفس الوقت قد أتاح فرصة مواتية لخلق بعض الأحداث الجانبية التى تسير موازية للحدث الرئيسى . لكن من المرجح أن ڤرجيليوس قصد أن لا يزيد عدد أبيات ملحمته عن العشرة آلاف ، وذلك حتى لا يضطر إلى تكرار بعض الفقرات واستخدام بعض المواد أكثر من مرة فى الملحمة . هكذا جاء عدد أبيات الأينيدة ٩٨٩٦ بيتاً فقط . ولعلنا لا نتفق مع الرأى القائل بأن هذا العدد كان من الممكن أن يزداد زيادة كبيرة لو أن الموت أتاح فرصة لڤرجيليوس كى يراجع الملحمة وينقحها . فالحالة التى وصلتنا عليها النص توحى بأن الشاعر كان قد استنفد كل التفاصيل التى كان ينوى وضعها فى ملحمته ، وأنه – لو أتيحت له فرصة للمراجعة – كان سوف يُغيّر فى الأسلوب أو ترتيب السطور دون أن يحدث تغيراً ملحوظاً فى عددها الإجمالى .

هناك ظاهرة جديرة بالنظر فى هذا المجال . فأغلب شعراء الملاحم – الذين جاءوا بعد ڤرجيليوس لم ينظموا ملاحم يزيد عدد أبيات كل منها على عدد أبيات الأينيدة(١) . فملحمة لوكانوس Lucanus (٣٩ – ٦٥ م) –

---

(١) Mackail, op. cit., pp. 87 sqq.

فرساليا Pharsalia ، التى تتناول الحروب الأهلية بين بومبى ويوليوس قيصر — بلغ عدد أبياتها ثمانية آلاف ، وملحمة ستاتيوس Statius (٣٥—٦٩م) — قصة أبناء طيبة Thebais ، التى تتناول قصة الصراع بين ولدىْ أوديب بولونيكيس وإتيوكليس من أجل عرش طيبة — يقرب عدد أبياتها من عدد أبيات الأينيدة . وحتى بعد ذلك أيضاً ، عندما بدأ الأدب يستعيد نشاطه بعد فترة ركود طويلة أثناء العصور المظلمة ، فإننا نلاحظ استمرار وجود هذه الظاهرة ، فعدد أبيات أنشودة رولان Chanson de Roland — واحدة من بين مجموعة الملاحم الفرنسية التى يرجع تاريخها إلى القرن الثانى عشر الميلادى والمعروفة بأناشيد الأعمال البطولية Chansons de geste — لا يتعدى أربعة آلاف بيت. أما ملحمة تسيدا Teseida — التى تناول فيها بوكاشيو Boccaccio (١٣١٣ — ١٣٧٥ م) جزءاً من قصة البطل الإغريقى ثسيوس — فلا يقل عدد أبياتها عن عدد أبيات الأينيدة إلا ببيت واحد فقط . من ناحية أخرى ، إن الأشعار الرومانسية فى العصور الوسطى والملاحم الرومانسية فى أواخر عصر النهضة لم يتقيد مؤلفوها بعدد معين من الأبيات . فرومانسية رومان دى لاروز Roman de la Rose — التى اشترك فى نظمها كل من جويلوم دى اوريس Guillaume de Lorris وجان دى مونج Jean de Meung إبان القرن الثالث عشر الميلادى — تتكون من حوالى ٢٣ ألف بيت ، بينما تتكون رومانسية أورلاندو إناموراتو Orlando Innamorato — التى تركها بوياردو Boiardo (١٤٤١ — ١٤٩٤ م) غير مكتملة — من أكثر من ٣٥ ألف بيت ، ورومانسية أورلاندو فيوريوزو Orlando Furioso — التى نظمها أريوستو Ariosto (١٤٧٤ — ١٥٣٣ م) تكملة لقصة حب أورلاندو وأنجليكا التى بدأها بوياردو — من حوالى ٤٠ ألف بيت . أما تحرير بيت المقدس Gierusalemme Libertata فإن تاسو Tasso (١٥٤٤— ١٥٩٥ م) نظمها فيما لا يزيد عن ١٥ ألف بيت ، بينما التزم ميلتون Milton (١٦٠٨ — ١٦٧٤م) بالحدود التقليدية عندما نظم الفردوس المفقود Paradise

Lost فجاءت فى ١٠٥٠٠ بيت فقط ، وكذلك فعل ويليام موريس William Morris (١٨٣٤ — ١٨٩٦ م) أيضاً عندما نظم أعظم ملحمة إنجليزية ظهرت فى العصر الفيكتورى وهى سيجورد ڤولسونج Sigurd The Volsung فجاء عدد أبياتها مثل عدد أبيات الفردوس المفقود تقريباً . أما إذا ما التفتنا إلى الوراء حيث الصفحات الأولى فى سجل التاريخ فلسوف نلاحظ أن شعراء الاسكندرية لم يكونوا مغرمين بنظم ملاحم طويلة. فملحمة الأرجوناوتيكا Argonautica — حيث يتناول أبولونيوس الرودسى Apollonius Rhodius (ولد عام ٢٩٥ق . م) قصة السفينة أرجو والبحث عن الجزة الذهبية ، والتى درسها ڤرجيليوس دراسة مستفيضة وتأثر بها تأثراً بالغاً — فلا يصل عدد أبياتها إلى ستة آلاف(١) .

تنقسم كل من الإلياذة والأوديسا إلى أربع وعشرين أنشودة أوكتاباً . ولم يكن هذا التقسيم قائماً فى النص الأصلى ، بل وُجد بعد هوميروس بعدة قرون . والغرض من هذا التقسيم هو تسهيل عملية الرجوع إلى النص أو تسهيل عملية الإنشاد . ولا يستند هذا التقسيم إلى أسباب فنية أو أدبية أرادها المؤلف نفسه ، بل ربما فعل النقاد ذلك لأنه كان من السهل عليهم تقسيم كل ملحمة إلى أربعة وعشرين جزءاً ، وتسمية كل جزء منها بحرف من الحروف الأبجدية الاغريقية التى كان عددها أربعة وعشرين حرفاً أيضاً . أما الأينيدة فإنها مقسمة إلى إثنى عشر جزءاً أو كتاباً . قام ڤرجيليوس نفسه بتقسيمها قبل أن يبدأ فى نظم الملحمة شعراً ؛ أى عندما أعد الخطة النثرية للموضوع . ويقوم التقسيم فى الأينيدة على أسس فنية وأدبية . فالحدث الرئيسى فى الملحمة يمتد من لحظة سقوط طروادة حتى انتشار السلام بصورة نهائية فى شبه الجزيرة الإيطالية . يشبه الجزء الأول منها — إلى حد ما — موضوع الأوديسا ، ويأتى فى صورة قصة يرويها البطل آينياس نفسه على ديدو ملكة قرطاجة .

(١) يستطيع القارىء الرجوع إلى كتاب H.A. Guerber, The Book of the Epic, Harrap, London 1930. حيث يجد عرضاً موجزاً لأغلب الملاحم والرومانسيات المشار إليها على هذه الصفحات .

بهذه الوسيلة البارعة استطاع ڤرجيليوس أن يبدأ ملحمته بداية مثيرة بدلاً من أن يبدأها بتلخيص أو سرد سريع لما تعرض له آينياس من متاعب . وهكذا تبدأ الملحمة بهذه القصة الدرامية المثيرة التي تصور العاصفة التي تعرض لها أسطول آينياس في البحر ثم وصوله إلى مدينة قرطاجة فور انتهاء ديدو من تأسيسها .

يتناول الكتاب الأول من الأينيذة قصة آينياس أثناء تلك الرحلة المثيرة (١) . إن موضوعه محدد من أول لحظة مكان الحدث ، ويقدم إلى القارىء الشخصية المحورية . ويثير الاهتمام على الفور بما فيه من تتابع سريع لأحداث حية مثيرة ، كما أنه — بسبب تدخل الآلهة من وقت لآخر — يساهم في إبراز القضايا الهامة التي سوف يثيرها الشاعر عن غايات القدر . وينتهي الكتاب الأول بوصف المأدبة التي أقامتها الملكة ديدو في القصر الملكي تكريماً لآينياس ورفاقه. ويتناول الكتاب الثاني « مصير طروادة المشئوم » كما يرويه آينياس ، وهذا الجزء مليء بالانفعال النفسي الصادق ، إذ أن الراوي ليس المؤلف ، بل هو واحد من الأشخاص الذين اشتركوا اشتراكاً فعلياً في الأحداث ، وأصابهم ضرر كبير أثناءها . في هذا الكتاب يستهل آينياس حديثه بقوله (٢) :

« لقد رأيت بعيني رأسي تلك المصائب كلها ونالني منها قدر عظيم »

ويواصل آينياس في الكتاب الثالث روايته ، فيتحدث عن مغامراته التي قام بها منذ سقوط طروادة حتى وصوله إلى قرطاجة . لكن — كما سبق القول — تعرضت فقرات هذا الكتاب إلى تعديلات جوهرية ، وأدرك الموت ڤرجيليوس قبل أن يراجعه مراجعة دقيقة ، لذلك يصل إلينا في صورة مرضية . ويتعرض الكتاب الرابع لقصة الملكة ديدو : غرامها ويأسها بعد

---

(١) لم نشأ أن نورد في مقدمتنا تلخيصاً وافياً للأينيذة أو نناقش موضوعها بالتفصيل رغبة في تشويق القارىء إلى قراءة النص الكامل لها .

(٢) الكتاب الثاني ، سطور ٥–٦ .

هجر آينياس لها ، وانتحارها بعد تصميم آينياس على الرحيل عن قرطاجة . فقد تركت هذه القصة أثراً كبيراً فى نفوس أغلب أدباء العالم فيما بعد . ثم يصل آينياس إلى جزيرة صقلية مع بداية الكتاب الخامس ، وهناك يقيم الألعاب الطروادية والاحتفالات تكريماً لوفاة والده أنخيسيس . وينتهى هذا الكتاب بإبحار آينياس فجأة وسقوط باليِنوروس صريعاً فى البحر فداءً للأسطول الطروادى . وليست هذه الكتب الخمسة سوى مقدمات : قصة آينياس وسقوط طروادة ، ثم قصة آينياس والملكة ديدو ، ثم قصة آينياس وجزيرة صقلية . بعد ذلك ينتقل فرجيليوس من المقدمات إلى جوهر الموضوع . لكنه قبل أن يفعل ذلك يرى أن عليه أن يُوجد فترة انتقال بين الجزءين . إن فترة الانتقال هذه هى ما يدور من أحداث فى الكتاب السادس ، إنه يهبط بالقارىء إلى العالم الآخر ، ويتخطى حدود الزمان والمكان ، ويستحضر صوراً لما كان وما سيكون .

وإن ما يأتى به فرجيليوس بعد ذلك هو الموضوع الرئيسى للملحمة(١) . فى هذا الجزء ينتقل مسرح الأحداث إلى إيطاليا ، ويتغير مجرى الحديث فيدور حول الشعب الإيطالى . فى الكتاب السابع يتحدث فرجيليوس عن استقرار الطرواديين فى وادى نهر التيبر ، واحتكاكهم بالملك لاتينوس . ثم يتحدث فى الكتاب الثامن عن البعثة التى أرسلها الطرواديون إلى الملك إفاندر فى المنطقة الريفية حيث أقيمت مدينة روما فيما بعد ، وعن التحالف بينه وبين الأتروسكيين ثم الاستعداد للحرب . أما الكتاب التاسع فموضوعه يدور حول الهجوم على المعسكر الطروادى بواسطة القوات الإيطالية المتحالفة تحت قيادة تورنوس. لكن آينياس ينقذ المعسكر فى الكتاب العاشر ، وتدور معارك طاحنة تنتهى بانتصار القوات الطروادية . عندئذ تزدحم الأحداث وتتوالى سريعة بعد ذلك فى الكتاب الحادى عشر . وتظل الأمور تسير فى سرعة مذهلة حتى نصل إلى الكتاب الثانى عشر والأخير حيث تُعقَد المعاهدات وتظهر فى

(١) Charles L. Durham, op. cit., p. XII.

الأفق تباشير السلام ، لكنها سرعان ما تختفي بتأثير غضب الإلهة چونو التي مازالت تلاحق الطرواديين حيثما ذهبوا . في هذا الجزء الأخير من الملحمة يدور صراع بين الإله والإنسان ، ويلقى الإنسان – ممثلاً في شخص تورنوس – حتفه جزاء ما قدمت يداه . عندئذٍ يرضى الإله عن البشر ؛ فيصبح من الممكن أن يبدأ عالم جديد ينمو ويكبر ويزدهر في ظل سلام دائم .

مكانة ڤرجيليوس أثناء العصور القديمة والحديثة :

علمنا أن ڤرجيليوس كان يتمتع بشهرة واسعة وشعبية كبيرة أثناء حياته ، وأن أشعاره لم يكن يتلقفها القراء فور صدورها فحسب ، بل كانوا ينتظرون صدورها بفارغ الصبر . كان لهذه الظاهرة أثر ملحوظ على مكانة الأينيدة في العصور القديمة والعصور الوسطى على السواء . لكن هذا لا يعني أن ڤرجيليوس كان محبوباً لدى الجميع أو أن أحداً لم يتعرض لأعماله بالنقد على الإطلاق . فمن الصعب – بل من المستحيل – على الكاتب مهما كان مجيداً أن يرضى الجميع . ولدينا فقرة وردت عند دوناتوس تشير إلى أن مجموعة من النقاد لم يكونوا راضين عن أعمال ڤرجيليوس وأن أسكونيوس بديانوس Asconius Pedianus (٩ ق.م. – ٧٦م.) تصدّى لهؤلاء النقاد ودافع عن أعمال ڤرجيليوس وذلك في كتاب عنوانه Contra Obtrectatores Vergilii « دفاع ضد المستهزئين بڤرجيليوس »(١) . لكن خجل ڤرجيليوس وانطوائيته جعلاه يظل بعيداً عن المنتديات الأدبية وعن المناقشات . كان يقضي وقته في العمل والدراسة ، وكان في الوقت نفسه يتمتع بحماية أغلب الشخصيات البارزة ، وكان مرضياً عنه من كبار رجال السياسة وهواة الآداب والفنون . من هنا ذاع صيت أعماله وجاءت شهرته وشعبيته . فقد كانت أشعاره الجيدة تشق طريقها بنفسها ، لذلك فإننا نلاحظ أن الأينيدة أصبحت – فور صدورها – معروفة ومتداولة في أيدي عدد هائل من القراء ، بل صارت كتاباً مدرسياً

---

(١) دوناتوس ، حياة ڤرجيليوس ، ٤٦ .

بالنسبة للعالم القديم (١) وُجدت فقرات منها منقوشة على جدران الحمامات العامة فى روما ومكتوبة على طبقات الملاط التى كانت تغطى الجدران فى شوارع مدينة بومبىء Pompeii . أما عن الرعويات والزراعيات فقد أصبحت ضمن الكتب المدرسية أثناء حياة ڤرجيليوس نفسه . يقول سويتونيوس Suetonius (٧٠ – ١٦٠ م) إن ذلك قد حدث فى مدرسة ثانوية للبنين تأسست فى روما عام ٢٦ ق . م . تقريباً على يد شخص يُدعى كوينتوس كايكيليوس Quintus Caecilius وهو رجل إغريقى ، إبروسى المولد (أى من منطقة إبيروس Epirus) ، عتيق أتيكوس رجل المال المعروف وصديق شيشرون(٢) : ولدينا أيضاً بيت من أبيات الشاعر جوفيناليس Iuvenalis (ولد حوالى ٥٠ م) يصف فيه كيف كان التلاميذ يتداولون أشعار ڤرجيليوس ، وكيف كانت صورة ڤرجيليوس نفسه تتصدر تلك الأشعار(٣) . لكن أشعار ڤرجيليوس تعرضت للمصادرة فى بعض العصور . فنحن نعلم أن الامبراطور كاليجولا (١٢ – ٤١ م) قرر استبعاد أعمال ڤرجيليوس من جميع المكتبات العامة ، لكن ذلك لا يعدو أن يكون تصرفاً غير حكيم صدر عن شخص معتوه كما هو معروف عن الامبراطور كاليجولا . ثم تزعم الامبراطور هادريانوس (١١٧ – ١٣٨ م) بعد ذلك حركة كانت تنادى بإحياء الملحمة القديمة وتفضيل إنيوس وغيره من الشعراء القدامى ، لكن هذه الحركة لم تُعمَّر طويلا(٤) . أضف إلى ذلك أن ڤرجيليوس قاسى من جماهير النحاة والمعلقين والشراح الذين كانت لهم الحرية المطلقة فى تناول أشعاره بالنقد . فلقد توالت سلسلة طويلة من هؤلاء عبر الأجيال حتى العصور المظلمة . وبالرغم من ذلك فإن مكانة ڤرجيليوس وسلطانه وسيطرته على الأفئدة

---

(١) Quintilitanus, Inst. Or., I. 8. 5.

(٢) Suetonius, De Illustribus Grammaticis, 16.

(٣) Juvinal, VII. 225-227 ; Cf. Martialis, XIV, 186-2.

(٤) Mackail, op. cit., pp. 120 sqq.

لم تتضاءل . فكل الأدب اللاتيني بعد فرجيليوس – سواء أكان شعراً أم نثراً – ملىء بالعبارات الفرجيلية المقتبسة أو بفقرات محوّرة أو بإشارات لأعماله – تماماً كما نرى فى الأدب الانجليزى – مثلاً – خلال الثلاثة قرون الماضية بالنسبة لأعمال شكسبير ، وربما أكثر من ذلك .

تمتعت أشعار فرجيليوس – وخاصة الأينيدة – فى العصور القديمة بمكانة تشبه مكانة الإنجيل فيما بعد . إذ أصبحت مصدراً لإلهام قدسى ، وربما ظل ذلك الاعتقاد سائداً حتّى القرن السابع عشر الميلادى . كان الأوربيون يأخذون فألهم بعد مطالعة بعض فقرات من الأينيدة فى المعابد . وبذلك تكون الأينيدة قد احتلّت مكانة الكتب السيبولّية التى كانت مصدر النبوءات أثناء العصور السابقة لعصر فرجيليوس (١) . فتروى بعض الروايات أن هادريانوس عرف طالعه واطمأن على مستقبله بعد استشارته للأينيدة وللكتب السيبولية (٢) . كما أخذ كلوديوس ألبينوس Clodius Albinus فأله بمطالعة بيتين من أشعار فرجيليوس فى معبد أبولاون فى كوماى ، بينما أخذ الكسندر سفروس Alexander Severus فأله أيضاً بنفس الطريقة فى معبد فورتونا Fortuna فى برانيستى .

كان الرومان ينظرون إلى فرجيليوس بعد موته نظرة فيها نوع من التقديس ؛ إذ كانوا يعتقدون أن لديه القدرة وهو فى العالم الآخر على أن يسيطر على شئون البشر وأن يحدد مصائرهم أثناء حياتهم الأولى . وقد سجل الرومان يوم مولده مثله فى ذلك مثل يوم مولد الامبراطور أوغسطس – فى التقويم الرومانى ضمن الأيام المقدسة . وكان الشعراء – مثل ستاتيوس Statius وسيليوس إيتاليكوس

(١) كان لدى الرومان مجموعة من الكتب اعتقدوا أنها مقدسة ونسبوها إلى العرافة سيبولا (راجع الحاشية رقم (٨١) ص٢٧٤ ، " ٣ " ص ٣١٢) ، وكانوا منذ فجر التاريخ يأخذون فألهم عن طريق مطالعة هذه الكتب التى كانوا يحفظونها فى معابدهم . أنظر أيضا ك ٦ ص ٢٧٨ وما بعده .

(٢) Script. Hist. Aug., (Spartianus) Hadr. II. 8.

Silius Italicus (١) — يحجون إلى قبره ويؤدون فروض الولاء كما لو كانوا يحجون إلى مكان مقدس (٢). ووضع الكسندر سفروس تمثالا نصفياً لفرجيليوس فى اللاراريوم Lararium — محراب العائلة — داخل القصر الامبراطورى : حيث كانت تقدم له فروض الولاء. ومن المحتمل أن ذلك النوع من التقديس قد توقف عندما تدهورت الوثنية، ثم ظهر من جديد فى عصر الكنيسة المسيحية. فقد اعتبر علماء المسيحيين القصيدة الرابعة من الرعويات نبوءة مباشرة تبشر بمولد السيد المسيح (٣). عبّر عن هذه الفكرة الامبراطور قسطنطين Constantinus (٢٧٤ — ٣٣٧ م.) — فى خطاب وجهه إلى جميع أفراد الشعب المسيحى فى الامبراطورية — بعد ما أصدر قراره بالاعتراف بالمسيحية كدين رسمى فى الدولة الرومانية (٤). بعد ذلك انتشرت هذه الفكرة انتشاراً واسعاً بين المسيحيين (٥). فالقديس أوغسطين لم يصدقها فحسب، بل إنه يستشهد بحديث فرجيليوس عن نبوءات سيبولا الكومية — فى القصيدة الرابعة من الرعويات — كدليل على أصالة تلك النبوءات التى انتشرت قبل ظهور المسيحية وفعاليتها. أضف إلى ذلك أن الأشعار الفرجيلية تعرضت لبعض التحوير أو التعديل الطفيف الذى قام به المسيحيون لإعدادها كى تقرأ أو تنشد أثناء الاحتفالات الدينية المسيحية داخل الكنيسة أو خارجها.

ولم تقف أهمية فرجيليوس عند هذا الحد، بل ازداد تقديس المسيحيين له، أو هكذا تشير الروايات التى بين أيدينا. فلدينا رواية تقول إن القديس بولس

---

(١) سيليوس إيتاليكوس (توفى عام ١٠١ م) هو مؤلف أطول ملحمة لاتينية بعنوان الحروب البونية Bella Punica. تناولت هذه الملحمة الحرب البونية الثانية. ترك فرجيليوس أثراً واضحاً فى أعمال إيتاليكوس. راجع Charles L. Durham, op. cit., p. VIII.

(٢) Plin., Epp., III. 7. 8.

(٣) Rose, op. cit., p. 242; Charles L. Durham, op. cit., p. X.

(٤) Constantine, Oratio de Sanctos, 19-21.

(٥) W.G. De Burgh, The Legacy of the Ancient World, (Penguin 1953), pp. 313-4.

زاز قبر ڤرجيليوس وهو فى طريقه من بوتيولى Puteoli إلى روما ، وإنه بكى وهو يتذكر أن ڤرجيليوس مات قبل أن يرى « النور » (يقصد بذلك نور المسيحية) وقد أضاء العالم . ولقد أضيفت هذه القصة فيما بعد إلى مادة الاحتفال الذى كان يقام بمناسبة يوم القديس بولس فى مانتوا . وكان بعض الرومان أثناء احتفالات أعياد الميلاد يطلقون أحياناً على ڤرجيليوس لقب « نبى » الوثنيين . ثم تمادت الشعوب الأوربية فى تخيلاتها وغالت فى تصوراتها . فتحول ڤرجيليوس « النبى » إلى ڤرجيليوس « الساحر » ، ونسجت حوله قصص خيالية ربما نشأت أصلاً فى نابلى ثم انتشرت فى جميع أنحاء العالم الأوربى . وإن أغلب هذه القصص ضمها كتاب عنوانه أعمال الرومان Gesta Romanorum وهو من المجلدات التى امتازت بشعبية ضخمة أثناء العصور الوسطى . وكانت هذه القصص نواة لعدد ضخم من الرومانسيات الشعرية والنثرية التى بدأت فى الظهور منذ القرن الثانى عشر الميلادى .

وهكذا نلاحظ أن ڤرجيليوس — الإنسان والشاعر — حاز إعجاب الجميع منذ بدأ حياته الأدبية ، فقد أعجب به جميع الكتاب القدامى منذ بترونيوس Petronius (القرن الأول الميلادى تقريباً) حتى القديس أوغسطين (٣٥٤ — ٤٣٠ م) . ثم تجاوزت شهرته فترة ظهور المسيحية كما تجاوزت فترة سقوط روما(١) . فبالنسبة للقديس أوغسطين — على سبيل المثال — كان ڤرجيليوس « الشاعر الذى فاق الجميع فى شهرته Poeta ille clarissimus » . وحتى أثناء القرون المظلمة الأوربية فقد عكف على دراسته أغلب الدارسين مثل بيدى Bede (٦٧٣ — ٧٣٥ م) وألكوين Alcuin (٧٣٥ — ٨٠٤ م) ، وأنسيلم Anselm (١٠٣٣ — ١١٠٩ م)(٢) . وإذا كنا نسلم بأن دانتى Dante كان أعظم شخصية فى العصور الوسطى وأنه أيضاً خالق الأدب

---

(١) Charles L. Durham, op. cit., p. IX.

(٢) Bowra, op. cit., p. 33.

الحديث ، فإن ذلك يوضح إلى أى حد وصلت إليه مكانة ڤرجيليوس بين الأدباء أثناء العصور الوسطى . فقد كان ڤرجيليوس – بشهادة دانتى نفسه – معلماً لدانتى يشعر نحوه بالعرفان بالجميل ، ويكن له كل احترام وتبجيل . فبفضل إرشادات ڤرجيليوس توصل دانتى إلى رؤية عوالم العقاب ومجتمعات التطهّر . ففى الجزء الأول من الكوميديا الإلهية Divina Commedia – الجحيم Inferno – يخاطب دانتى ڤرجيليوس قائلاً :(١) .

أنت قائدى ، أنت سيدى ، أنت مولاى .

إن دانتى يخلع على ڤرجيليوس جميع ألقاب المديح مثل : المرشد الحكيم Savio duca ، الوالد العزيز : dolce padre ، المعلم الرائع alto dottore ، القائد العظم gran maliscalco ، الكنز الأبدى pregio eterno ، الفضيلة السامية virtù somma ، الرفيق المخلص scorta fida ، محيط ذاخر بالحكمة mar di tutto il senno . هذه هى بعض الألقاب التى كان دانتى يخلعها على أستاذه وسيده ڤرجيليوس أو يناديه بها ، وإن كان فى أغلب الأحيان يشير إليه فى بساطة بكلمة « الشاعر » il poeta ، وهو يرى فى ذلك الكفاية ، ولا يجد ضرورة لإضافة صفة أو كنية . ومن ڤرجيليوس ودانتى نهل بعد ذلك كل من بترارك Petrarca وبوكاتشيو Boccaccio وأريوستو Ariosto وتاسو Tasso وليوپاردى Leopardi وكاردوتشى Carducci . كما نهل منهما أيضاً شعراء مختلفو الجنسية ، وحمل مشاعل ربات الفنون من بعدهم مجموعة أخرى من بينهم تشوسر Chaucer وسبنسر Spenser وميلتون Milton ووردزويرث Wordsworth وشيلى Shelley وكيتس Keats وغيرهم . فلم يكن ڤرجيليوس مجرد رائد للشعر والشعراء ، بل كان وما يزال منذ القرن الرابع عشر حتى القرن الحالى نبعاً متدفقاً ، ومورداً لا ينضب لجميع الشعراء على حد سواء . لقد كان ڤرجيليوس – وسوف يظل ما بقيت الإنسانية – معلماً وأنموذجاً وإلهاماً .

(١) دانتى ، الجحيم ، الأنشودة الثانية ، سطر ١٤٠ .

مكانة الأينيدة بين الملاحم القديمة والحديثة :

والآن لنا أن نتساءل ماذا فعل فرجيلوس ليجعل من الأينيدة نموذجاً يحتذى به ، ولماذا فضّل أغلب شعراء الملاحم اتباع منهجه على منهج من سبقه من الشعراء .

هناك من يقسّم الملحمة إلى نوعين : ملحمة حقيقية أو أصيلة authentic وملحمة أدبية literary . وقد تبعث هذه التسمية على تفضيل النوع الأول على النوع الثانى ، بل وعلى الإعجاب بالنوع الأول واحتقار النوع الثانى . لكن س . م . باورا C.M. Bowra لا يرى ذلك صحيحاً على الإطلاق(١) . إذ يرى أن هذه التسمية قد أطلقها بعض النقاد لمجرد التمييز بين فرعين للشعر الملحمى . فهناك فرعان فعلاً للشعر الملحمى ، وهناك فروق بين خصائص كل منهما . هناك بالتأكيد فرق بين بيوولف Beowulf (٢) وأنشودة رولان Song of Roland من ناحيـــة والأينيدة والفردوس المفقود Paradise Lost (٣) من ناحية أخرى . لكن هذا الفرق ليس أصلاً فى نوعية الشعر . فإذا كانت الأينيدة لا تعرض شيئاً صلباً وسامياً للغاية مثل رفض رولان أن ينفخ فى بوقه فإن أنشودة رولان لا تحتوى على شىء قلبى ومأساوى للغاية مثل اللحظات الأخيرة فى حياة ديدو وبخاصة لحظة موتها . فالكل من

(١) راجع .Bowra, op. cit., pp. 1 sqq الذى اعتمدنا عليه فى كتابة الصفحات التالية اعتماداً ملحوظاً .

(٢) قصيدة من الأدب الانجليزى القديم يبلغ عدد أبياتها ٣٢٠٠ ، من أقدم القصائد التى وصلتنا بلغة من اللغات الحديثة . موضوعها هو مغامرات بيوولف ، ويبدو أنها تشير إلى بعض أحداث وقعت بالفعل فى القرن السادس الميلادى . يرجع تاريخ نظم هذه القصيدة إلى القرن الثامن الميلادى ، من أجود الطبعات التى ظهرت فيها هذه القصيدة الطبعة التى نشرها كليبر F. Kleaber عام ١٩٢٢ ، ومن أروع الترجمات التى ظهرت حتى الآن ترجمة وليام موريس William Morris . ا . ج . يات A.J. Wyatt فى عام ١٨٩٢ .

(٣) هى ملحمة ميلتون الرائعة التى تنقسم إلى إثنى عشر كتاباً أو جزءاً والتى نشرت لأول مرة عام ١٦٦٧ م .

الملحمتين طريقتها الخاصة ، وكل طريقة على حدة تسهم اسهاماً من نوع خاص في تصور الحياة وفهمها . وليس لنا أن نقرر أيهما أفضل ، بل ليس علينا سوى أن نوضح الفرق بينهما ، وأن نحس بالبهجة التي تبعثها كل منهما في النفس. لكن الاعتراف بوجود فرق بين كل منهما لا يبرر تسمية النقاد للأول « حقيقياً » والآخر « أدبياً » . كما أنه ليس من الصواب أن نحمل هذا الاختلاف في التسمية أكثر مما يعني في الواقع .

وإذا ما تعرضنا — على سبيل المثال — للمقارنة بين بيوولف والفردوس المفقود فسوف نجد أن الأولى بعيدة كل البعد عن الثانية . فإن الفرق بينهما هو الفرق بين الملحمة « الشفهية » والملحمة « التحريرية » ، بين ملحمة تُنظم لتُسمع وملحمة تُنظم لتُقرأ ، بين ملحمة تُنشد أمام مستمعين وملحمة تنشر في كتاب . والملحمة الشفهية صورة ناضجة من روايات مرتجلة كتلك الروايات التي مازالت باقية حتى الآن في يوغوسلافيا والتي انتشرت في الأزمان الغابرة في عدد من مناطق العالم المختلفة . في تلك المناطق كان الراوي — مثل ديمودوكوس عند هوميروس (١) — ينشيء أشعاره في نفس اللحظة التي يقوم فيها بالإنشاد . يعني أنه يرتجل أشعاره ، لذلك فإن فنه كان يحتاج إلى مران طويل شاق . ولكي يروي روايته كان من الواجب أن يكون لديه مقدماً في ذهنه عدد من الجمل والأبيات الكاملة التي تتفق مع أي موقف من المواقف التي يتناولها في القصة التي يرويها . قد يكون في ذهنه بعض الفقرات الكاملة التي تناسب الموضوعات التي يتناولها مثل استخدام الأسلحة وإنزال قارب إلى البحر وقدوم الصباح أو المساء ، إلى آخر مستلزمات رواية القصة . وكان لابد له أيضاً من أن يكون لديه حصيلة ضخمة من القصص ، فقد يطالب المستمعون منه قصة معينة ، كما كان من الضروري له أن يكون قادراً على السيطرة

---

(١) عاش في كل قصر من قصور الأمراء الاغريق منشد كان ينشد أمجاد الأجداد ويقوم بالترفيه عن الأمير وضيوفه . ومن أشهر هؤلاء المنشدين ديمودوكوس Demodocus الذي عاش في قصر ألكينوس Alcinus والذي ذكره هوميروس في الكتاب الثامن من الأوديسا .

على لغة تقليدية قد لا ترتبط كثيراً بلغته المحلية بل تكون قد تكونت على أيدى أجيال متتالية من الرواة مثل لغة الشعر . من هنا كانت قوة الذاكرة شيئاً ضرورياً بالنسبة للراوى . إذ أنه إذا لم يكن مسيطراً على فنه ، وإذا لم يكن قادراً على التغلب فى الحال على أى عقبة تعترضه أثناء روايته فإنه يتلعثم ويبدو عليه التردد ويفشل فى الإنشاد . إن كل همه ينحصر فى استخدام التعبيرات والأبيات الكاملة التى تعلمها أثناء فترة تدريبه استخداماً سليما يتناسب مع المواقف التى يتناولها فى روايته .

وفيما يتعلق بهذا الفن — فن الإنشاد — فإن هوميروس يقف عملاقاً لا يغيب عن الأنظار ، ومن المستحيل الاعتقاد أن الإلياذة والأوديسا — كما نعرفهما الآن — كانتا أشعاراً مرتجلة ، لكن تركيبهما الفنى يوحى بأنهما كانتا كذلك ، وأنهما انحدرتا من أشعار مرتجلة . فالنعوت الثابتة المعروفة ، والأبيات ، ومجموعات الأبيات المكررة ، والعدد الهائل من المترادفات والتركيبات اللفظية التبادلية ، كل ذلك يشير إلى عنصر الارتجال فى الإلياذة والأوديسا . إن هوميروس يمارس على نطاق واسع طريقة شفهية انحدرت من أشعار مرتجلة ، وإن طريقته فى كثير من النواحى الفنية هى الطريقة المتبعة فى نظم بيوولف وأنشودة رولان . فلقد خلقت ظروف الارتجال والانشاد نوعاً من الشعر يمكن التعرف عليه باستخدامه للألفاظ والأبيات المكررة والتركيبات الثابتة . وهذا النوع من الشعر بعيد كل البعد عن أشعار ڤرجيليوس وميلتون . فإذا كانت أشعار ڤرجيليوس وميلتون يظهر فيها تأثير هوميروس ، فإن ذلك يرجع إلى أن كلاً من ڤرجيليوس وميلتون يتبعان هوميروس لاقتناع شخص بأن عليهما أن يفعلا ذلك ، وليس لأن ظروفهما أرغمتهما على استخدام وسائل لا يمكن الاستغناء عنها فى نظم الشعر الشفهى .

واختلاف ظروف النظم يؤدى بدوره إلى اختلاف فى طبيعة الشعر . فلأن هوميروس نظم أشعاراً بقصد الإنشاد فإن أشعاره تتصف فى بعض النواحى بأنها أقل التزاماً وأكثر تفككاً من أعمال ڤرجيليوس وإن كلاً من ملحمتى

هوميروس ذو خطة عظيمة ، وكلاهما يمُرّ من مشكلة إلى خاتمة . لكنهما أقل تماسكاً إذا ما قورنتا بالأينيدة . فالأحداث فى كل منهما يمكن فصلها عن الكل بسهولة أكثر ، كما يمكن التمتع بهذه الأحداث كأشعار مستقلة . ولقد كان فى مقدور الشاعر الاغريقى أن يصوغ حدثاً متكاملاً متماسكاً ، لكنه لم يتوقع أن ينشد ملحمته كاملة فى مناسبة واحدة وأمام نفس الجمهور . ولذا عليه أن يكون مستعداً لاختيار جزء منها لينشده بشرط أن يكون ذلك الجزء مكتملاً نسبياً فى حد ذاته ، وأن لا يحتاج إلى شروح كثيرة من أجل فهمه وتذوقه . لهذا فإن طبيعة شعر هوميروس — وبخاصة الإلياذة — قد أسىء فهمها ، فظهرت آراء تنادى بأن أشعاره لم تكن فى الأصل سوى مجموعة من الأشعار المستقلة ثم تمّ جمعها على شكل ملحمتين كاملتين . وهكذا يبدو أن التفكك الظاهر فى بناء الإلياذة كان وليد الظروف التى أحاطت بمؤلفها ، وحتّى الإهمال الظاهر فى التفاصيل فهو جزء من فنه الشفهى .

إن الفرق شاسع بين فن هوميروس الشفهى وفن ڤرجيليوس التحريرى . فالشاعر الذى يكتب للقراء يكون استخدامه للعبارات والصيغ أقل من استخدامه للمفردات . إنه يصوغ الجمل بحرص وعلى حدة ، كذلك يحرص على تفادى الاسقاطات والتناقضات وعلى خلق توافق بين التفاصيل الدقيقة للموضوع وعلى تحقيق وحدة متماسكة للفكرة بأ كملها . وحتّى عندما يتأثر ڤرجيليوس بهوميروس فى استخدام الطريقة الشفهية فى تكرار النعوت أو الجمل أو التركيبات فإن ڤرجيليوس يسلك سبيله الخاص ويدخل فى كل مرة تعديلات على الصورة التى يستخدمها . إنه مغرم بالتكرار ، لكنه يُغير دائماً من استخدامه للعبارات ، فهو يعبرّ عن الشىء الواحد بعبارات مختلفة ترِد فى أماكن متفرقة فى ملحمته . لذلك نلاحظ أن ڤرجيليوس يفضل تكرار المعانى على تكرار الألفاظ أو العبارات . إنه يكدس أكبر قدر من المعانى فى البيت الواحد ، ويدقق فى اختيار الكلمة التى توحى بأكثر من معنى ، ويحاول أن يستحوذ على أكبر قدر من انتباه القارىء . فإن كانت جودة الملحمة الشفهية تعتمد

على بساطتها وقوتها ومعانيها المباشرة فإن جودة الملحمة التحريرية تعتمد على نسيجها الشعرى واختيارها الموفق أو المناسب أو المؤثر للكلمات والمعنى المتدفق الذى تنقله العبارات والأبيات . وهوميروس يمتاز بعباراته الساحرة أما ڤرجيليوس فإنه يمتاز بتركيباته الجريئة ، لكن الاختلاف بينهما قائم وموجود . إنه اختلاف إنشائى ، اختلاف فنى ، وهذا هو ما يحدد الفرق بين نوعى الشعر الملحمى ، اللذين هما فى الحقيقة ليسا نوعين — الأول « حقيقى » والثانى « أدبى » — بقدر ما هما فرعان لنوع واحد — فرع « شفهى » وآخر « تحريرى » — .

تؤدى بنا معرفة هذا الفرق على حقيقته إلى ما هو أكثر من مقارنة بين هوميروس وڤرجيليوس فقط . إنها تمكننا من التمييز بين نوع من الملحمة يتضمن الإلياذة والأوديسا وبيوولف وأنشودة رولان ومجموعة ضخمة من الروايات اليوغوسلافية ونوع آخر يتضمن الأينيدة وأبناء لوسوس (البرتغاليون) Os Lusiadas وتحرير بيت المقدس Gerusalemme Libertata والفردوس المفقود ؛ فإن أطلقنا على النوع الأول اسم الملحمة « الشفهية » فليس هناك ما يمنع من تسمية النوع الثانى بالملحمة « التحريرية » — بشرط أن نثبت فى أذهاننا أن كلمة « أدبية » تعنى « مكتوبة » أو « تحريرية » وتوحى بأن أشعار ذلك النوع من الملحمة ليست من الأشعار التى تُنظم لتُنْشد بل من الأشعار التى تُكْتب لتُقْرأ . عندئذ يكون التمييز مجرد تمييز بين أصل وطبيعة كل من النوعين وليس بين مادة وقيمة كل منهما . وبالطبع عندما يتقسم نوع من أنواع الشعر إلى نوعين فرعين فإن كلاً من هذين النوعين الفرعين يكون له شعراؤه المجيدون ، ويكون من المستحيل أن تقرر مَن منهم على صواب ومن منهم على خطأ (١) ؛ إذ أن لشعراء كل مجموعة

---

(١) Rose, op. cit., p. 250.

من المجموعتين أساليبهما الخاصة التى تتبعها وأهدافها التى تحققها .

يصاحب اختلاف المناهج فى نظم الشعر الملحمى اختلافاً اجتماعياً أو روحياً (١) . فأغلب الملاحم الشفهية تصوّر ما يُعرف بالروح البطولية ، وتنشأ فى مجتمعات تتمسك بمقاييس بطولية للسلوك .. لكن الملاحم الأدبية — بالرغم من أن لها « أبطالها » — فلها مفهوم آخر للبطولة وللعظمة البشرية ، إنها وليدة مجتمعات لا يمكن تسميتها فى الواقع مجتمعات بطولية . فالعالم البطولى لا يتمسك بشىء بقدر مايتمسك ببسالة البطل الفرد وسمعته. إذ أن الرجل الفرد أخيليوس أو بيوولف أو رولان يفوق الرجال الآخرين فى القوة والشجاعة . إن هدفه الرئيسى — بل هدفه الأوحد — هو أن ينال الشرف والشهرة من خلال أعماله الجليلة التى يؤديها ، وأن ترتبط ذكراه بتلك الأعمال بعد موته . إنه لا يعبأ عن حوله ، وحتى الأخلاق فإنها ليست شغله الشاغل ، إذ أنه يعيش فى عالم لا يهتم بالأخلاق بقدر ما يهتم بالكرامة . ويبدو من الناحية التاريخية أن مثل هذه الشخصية قد نشأت فى ظروف بدائية صعبة . كان على الأنسان فى مثل تلك الظروف أن يمتاز ببسالة وجرأة حتى يستطيع أن يتغلب على الجميع ، فإن نجح فى ذلك أصبح شبيهاً بالآلهة : ويمكننا مقارنة تلك الظروف بالظروف التى كانت تحيط بالاغريق أثناء عصور ما قبل التاريخ أو بالانجليز الأصلاء Anglēs (هم أفراد قبيلة ألمانية هى أصل الانجليز) والساكسونيين عندماجاءوا لأول مرة منأوطانهم الأصلية فى القارة الأوربية إلى انجلترا . فى تلك العصور كان البطل — أو السوبرمان — هو القائد الذى يستطيع أن يُلهم الآخرين ويدفعهم فى الأعمال العسكرية التى تسبق إقامة نظام جديد . فلم يكن هدف أخيليوس الراحة والنعيم بل المجد والعظمة، وهما يتطلبان سلوكاً معيناً . لذلك فالبطل يضحى بحياته من أجل تحقيق المجد لنفسه . وبالمثل ، فإن رولان — الذى يبدو فى الظاهر أنه يحارب من أجل شارلمان Charlemagne ومن أجل الدولة المسيحية — يلقى مصيراً بطولياً

(١) Bowra, op. cit., pp. 9 sqq.

لسبب بسيط وهو أن كرامته قد خدشت فأراد الدفاع عنها . والواقع أن الاهتمام الكامل لا يكون فى هذه الحالة منصباً على مدى قدرة هؤلاء الرجال على التدمير بل على مدى استعدادهم للموت .

إن الشخصية البطولية الحقة والسلوك البطولى ليس لهما وجود بالنسبة لشعراء الملحمة الأدبية . وبالرغم من أن ڤرجيليوس كان تلميذاً مخلصاً لهوميروس ويدين بالفضل العظيم له ، فإن نظرة الأول لقيمة الإنسان تختلف عن نظرة الثانى ، كما أن الأول عاش فى مجتمع بعيد كل البعد وغريب كل الغرابة عن المجتمع الذى عاش فيه أبطال هوميروس . وعندما استخدم ڤرجيليوس الصورة التقليدية للملحمة فإنه وجدنفسه مضطراً إلى إدخال تعديلات عليها تتفق وظروف عصره . فهناك مراحل تاريخية بعيدة تفصل ڤرجيليوس عن النماذج البطولية التى يتناولها . فلقد اتجه ڤرجيليوس نحو الماضى بحثاً عن الإلهام ، لكن الحاضر هو الذى شكل إنتاجه . وهنا يختلف ڤرجيليوس عن هوميروس فى نقطتين أساسيتين على الأقل . النقطة الأولى هى منهجه فى التأليف ، والثانية نظرته إلى المستوى البطولى . فالمزاج العام للأينيدة يختلف كل الاختلاف عنه للإلياذة . فقد ابتكر فرجيليوس نوعاً من الشعر هو شعر ملحمى فى مظهره العام وفى نبله وإحساسه بالقيمة البشرية ، لكنه لا يشبه أى شعر ملحمى كان قد ظهر من قبل . ولقد نجح فرجيليوس فى محاولته نجاحاً باهراً دفع شعراء آخرين إلى الاقتداء به ، فأنتجوا ملاحم سُمّيت بالملاحم الأدبية .

إن ما كتبه كاموس Camoes البرتغالى وتاسو Tasso الإيطالى وميلتون Milton الانجليزى يتبع فى نوعه ما كتبه ڤرجيليوس . بل إن نظرية الشعر الملحمى بوجه عام فى عصر النهضة اعتمدت على ما جاء عند ڤرجيليوس . لكن بالرغم من أن شعراء عصر النهضة ساروا على المنهج الڤرجيلى ، فأنهم حاولوا منافسة ڤرجيليوس نفسه ، وهكذا أصبح هؤلاء الشعراء تلاميذ لڤرجيليوس ومنافسين له فى الوقت نفسه . والملحمة الأدبية هى إنتاج طبقة من الشعراء

يشبه كل منهم الآخرين فى الهدف والنظرة العامة ، وهى طبقة منفصلة انفصالاً تاماً عن طبقة شعراء الملحمة البطولية سواء القديمة منها أو الحديثة .

ويكمن الفرق الجوهرى بين الملحمة الأدبية والملحمة الشفهية فى ظروف النشأة . فشعراء النوع الأول عاشوا فى مجتمعات منظمة تنظيما دقيقاً حيث لا يوجد مكان للفردية المطلقة. عاش ڤرجيليوس تحت تأثير الامبراطور أوغسطس وعاش كاموس تحت الحكم الكاثوليكى المطلق فى البرتغال ، وعاش تاسو فى فترة عصيبة كان فيها الاصلاح يسير مندفعاً قوياً ، كما عاش ميلتون فى ظل حكم كرومويل وجماعة المتطهرين . لذلك لم يكن لأى منهم أن يتغنى بمآثر شخصية أجنبية نبيلة . وحتى سادتهم وحكامهم أنفسهم فإنهم لم يدعوا لأنفسهم البطولة بالمعنى القديم . أراد أوغسطس أن يبدو أمام الجميع فى صورة المواطن الأول فى روما ، وأن يبدو أمامهم ملتزماً بجميع قواعد الأخلاق المتوارثة : كما كان أصحاب الصولة والمطارنة فى عصور النهضة وعصر الإصلاح حكاماً مسيحيين ، كانوا يعتقدون على الأقل — أنهم خاضعون لرحمة الله . كان الانسان فى ذلك الوقت قد غير مكانه فى العالم. لم تعد حياته بعد بقعة ضئيلة من الضوء وسط ظلام شاسع ، ولم يعد واجبه قاصراً نحو نفسه فقط . لم يصبح من واجبه تحقيق العظمة والمجد لنفسه فحسب بل للدولة أو الكنيسة التى يتبعها . لذلك كان من المستحيل أن يتناول الشاعر الملحمى موضوعه بنفس الأسلوب القديم . أما إذا أراد تصوير موضوع بطولى فقد كان عليه أن يبتكر نمطاً جديداً للبطل وأنموذجاً جديداً للبطولة .

بدأ شعراء الملحمة الأدبية فى البحث عن صفات جديدة للبطل الملحمى . إذ كان بطل الملحمة الشفهية — مثل أخيليوس أورولان — يقع تحت تأثير دافعين قويين من دوافع النفس البشرية ، هما حب المجد واحترام التضحية . والأول يتحقق عن طريق الثانى ، فالبطل يضحى بحياته فيحقق لنفسه مجداً خالداً . لكن ڤرجيليوس اكتشف ميداناً جديداً للمجد والتضحية . فالدافع الذى يستحق المجد ويدفع إلى التضحية ليس بسالة فردية مثالية بل خدمة روما . إن روما هى التى تمنح المجد لأبنائها ، وإن روما هى التى تستحق أن يضحى

أبناؤها من أجلها ليس بحياتهم فحسب بل أيضاً بهنائهم وطموحهم الشخصى وبكل ما اعتبرته الشخصية البطولية القديمة حقاً لها . لهذا السبب هجر ڤرجيليوس فكرة رغبة البطل فى الحصول على المجد لنفسه واستبدلها بفكرة رغبته فى تحقيق المجد لأمته . وهكذا وضع النظرة القديمة لكرامة الإنسان داخل إطار من الأخلاقيات حيث تحددت الواجبات فى وضوح وأصبح من الواجب القيام بها فى حدود رغبة الآلهة . وهكذا أصبحت الملحمة لأول مرة على يد ڤرجيليوس عملاً قومياً . وفضلاً عن ذلك فقد أضاف إليها بعض الموضوعات التى لم يطرقها الشعراء الذين جاءوا قبله ، فجعلها تحتوى على فلسفة الحياة والموت ، وهى مشكلة كان الإنسان يهتم بها اهتماماً بالغاً . ومع ذلك فقد ظلت أشعار ڤرجيليوس تُعرف بالأشعار الملحمية ، لأنها تتناول ما هو أعظم وأنبل فى حياة الإنسان ، لكنها فى الحقيقة كانت نوعاً جديداً ، إذ أن تلك العظمة وذلك النبل كانا جديدين فى حد ذاتهما .

سار شعراء النهضة على نهج ڤرجيليوس لأكثر من سبب : لشهرة أشعاره التى يرجع سببها إلى اللغة والأسلوب اللذين جعلا الأجيال التالية تنظر إليه نظرة تقدير . فلقد اعتبر ڤيدا Vida (١) ڤرجيليوس أعظم الشعراء ، كما اهتمت المدارس بتدريس أشعاره . وكان شعراء عصر النهضة الذين يستخدمون اللغة اللاتينية فى كتاباتهم يتخذونه أنموذجاً لهم . من هنا جاء إعجاب الشعراء الآخرين الذين تأثروا بذلك الجيل الأخير من الشعراء . هذا بالإضافة إلى أن ڤرجيليوس قد تناول نواحى من الحياة البشرية اهتم بها أيضاً شعراء النهضة كما اهتم بها شعراء العصور الوسطى من قبل . أضف إلى ذلك أن احتواء أشعار ڤرجيليوس على كثير من الموضوعات الفلسفية والتاريخية والدينية جعل الشعراء الذين جاءوا بعده يبذلون محاولات جادة لتناول هذه الموضوعات المتعددة بطريقتهم الخاصة وحسب مفهومهم الخاص .

---

(١) فى كتاب فن الشعر Ars Poetica الذى نشر فى كريمونا Cremona عام ١٥٢٧ م . راجع Bowra, op. cit., p. 89.

ولما كان ڤرجيليوس يرغب فى أن يتخطى فى أشعاره حدود شخصية الفرد فإنه فكر فى أن يربط بين الماضى والحاضر فى دائرة متكاملة وأن يمنح روما وحدةً ميتافيزيقية عن طريق عرض الإمكانيات التى جعلتها عظيمة أثناء عصره والتى لازمتها منذ نشأتها . لذلك نلاحظ أنه يربط بين بطله الأسطورى آينياس ومولاه الحقيقى أوغسطس . كان هدفه من ذلك الثناء على الحاضر . لكن الحاضر حقيقة واقعة ، ومعقد للغاية ، ومألوف جداً لدرجة أنه ليس بقادر على أن يمُدّ ڤرجيليوس بمادة لأشعاره . لذلك فقد ربطه ڤرجيليوس بالماضى ومجّده على أنه جاء نتيجة لمسيرة طويلة مقدسة أرادتها الأقدار . إن أوغسطس يحرز المجد لارتباطه بآينياس ، وروما تصل إلى أوج عظمتها لارتباطها بأصلها المتواضع . كانت فكرة ڤرجيليوس جريئة ، لكنها لم تكن مستحيلة .

أراد كاموس وتاسو وميلتون — مثلما أراد ڤرجيليوس من قبلهم — أن يمجدوا الأحداث العظيمة والخبرات القادرة التى وجُدت فى عصورهم . لكن ما من واحد منهم وجد موضوعاً مستقلاً مناسباً لتحقيق رغباته . لم يجد كاموس سوى فاسكو داجاما Vasco da Gama الذى لا يمثل سوى بعض القيم فقط التى ساهمت فى خلق البرتغال . بالرغم من ذلك فإن موضوع ملحمة كاموس هو البرتغال ، تماماً كما أن موضوع الأينيدة هو روما . وتأثر تاسو أيضاً بفكرة معاصرة وهى ضرورة التحلى بأخلاق الفرسان والشهامة أثناء الصراع مع الكافرين ، فتناول شخصية مولاه ألفونسو الثانى Alfonso II لكن الصفات التى وجدها فى تلك الشخصية لم تكن فى نظره كافية لتكوّن موضوعاً ملحمياً . لذلك فقد تناولها بطريقة مثالية ضمن قصة تدور حول الحروب الصليبية الأولى حيث جعل أجداد ألفونسو يظهرون القيم التى توارثوها عن آبائهم وجعل محاربين آخرين يكملون دائرة الشرف العسكرى والمجد الفروسى . أما ميلتون فكان يحس — وهو فى ربيع عمره — باهتمام بالغ نحو كرومويل والانتصارات التى حققها البريطانيون لدولة الكومنولث ، فعبّر فى مقطوعات غنائية قصيرة sonata عن إكباره للقادة العظام . لكنه أحس

أن ما فعله لم يكن كافياً . لذلك فقد نظم الفردوس المفقود وربط فيها بين الإنسان الأول والرجل البريطانى . وهكذا نلاحظ أن جميع هؤلاء الشعراء ربطوا بين الماضى والحاضر — مثلهم فى ذلك مثل ڤرجيليوس — وإن كان كل منهم قد فعل ذلك بطريقته الخاصة .

وقد أدت عملية الربط هذه إلى نتيجة هامة . فإن الملاحم الأدبية لم تصوّر — كما صورت ملحمتا هوميروس — مجرد أفراد عاديين . إنها تصور أشياء تشبه الرموز أو المثل العليا ، تصور أشخاصاً يصوّرون بدورهم أشياء أخرى خلاف شخصياتهم. فأينياس عند ڤرجيليوس يمثل روما ، وفاسكو دا جاما عند كاموس يمثل البرتغال ، وجوفريدو Goffredo عند تاسو يمثل الشهامة المسيحية ، وآدم عند ميلتون يمثل البشرية . معنى هذا أن الشاعر يعالج قضايا هامة ، ويبذل جهده كى يتناول كل ما على الإنسان من واجبات وكل ما يحيط به من ظروف . وبالتالى فإن أشعاره أشعار تعليمية ، وهو ما لم تكُنْ عليه أشعار هوميروس. فأبطال شعراء الملحمة الأدبية أنماط بشرية . والهدف التعليمى ليس خافياً فى هذه الملاحم ، بالرغم من أنه ليس من الضرورى أن تكون له دلالة مباشرة أو معاصرة. فبينما أراد كاموس وتاسو أن تواصل أوربا حروبها الصليبية ضد المسلمين أراد ڤرجيليوس أن يكشف النقاب عن أقدار روما ، وأراد ميلتون أن يشير إلى ما تفعله العناية الإلاهية . وليس من الضرورى أيضاً أن يكون الغرض التعليمى ظاهراً . فقد يستطيع الشاعر أن يحقق غرضه بوسائل غير مباشرة ، بأن يتجه نحو قلوب القراء أو يلجأ لخيالهم أو ضمائرهم . هكذا أراد شعراء الملحمة الأدبية أن تكون أشعارهم مصدر إلهام وتثقيف وتعليم . لم يقتنعوا بالفكرة التى سادت لفترة طويلة أن هدف الشعر تمضية الوقت أو الترفيه ، بل كانوا يرون أن دعوتهم جد خطيرة وأن هدفها السمو بأفراد البشر .

وبالرغم من ذلك لم ينس ڤرجيليوس وشعراء الملحمة الأدبية من بعده أنهم شعراء قبل كل شىء . لذلك كان عليهم أن يصوغوا أفكارهم فى قالب

شعرى رصين ، و أن يلجأوا إلى خيال القراء فيدخلوا العنصر الرومانسى الذى اتصفت به ملاحم من سبقهم من الشعراء . فكما تأثر فرجيليوس بروما نسية أبوللونيوس الرودسى فقد تأثر كاموس وتاسو بأريوستو ، بل إن ميلتون نفسه يبدو فى بعض الأحيان أنه قد وقع تحت تأثير روما نسية بعض الشعراء الإيطاليين بالرغم من أنه كان يمقتها .

والملحمة منذ نشأتها الأولى مليئة بالأحداث الخيالية . فالأوديسا زاخرة بمثل تلك الأحداث وكذلك أيضاً بيوولف وأنشودة رولان . إن تلك القصص الخيالية كان – فى اعتقاد بعض المجتمعات البدائية – من الممكن حدوثها . هذا بالنسبة للملحمة البطولية . أما بالنسبة للملاحم الرومانسية مثل أورلاندو إننا موراتو لبوياردو وأورلاندو فيوريوزو لأريوستو فالأمر يختلف. فشعراء النوع الأخير لا يعتقدون إمكان وقوع هذه الأحداث ، لكنهم يرون أن وجودها ضرورى لمجرد إدخال البهجة فى نفوس القراء . إنهم لا يدعون أنهم يعبرون عن الواقع ، بل إنهم عاجزون عن مواصلة الكتابة عندما يصبح الواقع مُرّاً صعب المراس – كما حدث فعلاً عندما توقف بوياردو عن العمل فى ملحمته بعد أن هاجم الفرنسيون إيطاليا عام ١٤٩٤م. إن أشعارهم تساعد على الهرب من الواقع ، والهدف منها هو مجرد إدخال البهجة والسرور ، لقد نُظمت خصيصاً من أجل مجتمع مثقف أرستقراطى ولا يدعى مؤلفوها أنها قومية أو تتصف بالشمولية .

والفرق واضح بين شعراء الملحمةالرومانسية والملحمةالأدبية . إذ يعترف بوياردو وأريوستو فى صراحة بأنهما يختلفان حوادث خيالية محضة (١) . لكن كاموس وتاسو وميلتون يعلنون أنهم إنما يقولون الصدق ، وإن كانوا يضطرون فى بعض الأحيان إلى الإشارة إلى أن ما يقولونه قد يتجاوز أحياناً

(١) راجع بوياردو ، أورلاندو إينا موراتو ، ١،٣،١ ؛ أريوستو ، أورلاندو فيوريوزو ، ١،٢،٢٦ .

الصدق إلى حد ما (١) . أما ڤرجيليوس فيستهل ملحمته بفقرة يوحى أسلوبها الجاد إلى القارىء بأنه بصدد معرفة معلومات صادقة كل الصدق عن مدينة روما (٢). هكذا نجد أن شعراء الملحمة الأدبية المحدثين يختلفون فى طريقة معالجتهم لموضوعاتهم عن شعراء الملحمة الرومانسية من ناحية وعن ڤرجيليوس من ناحية أخرى . إنهم يجمعون بين عنصر الخيال — وهم متأثرون فى ذلك بشعراء الملحمة الرومانسية — وعنصر الحقيقة — وهم يسيرون فى ذلك على منهج ڤرجيليوس. ذلك لأنهم رأوا أن الخيال وحده لا يكفى وأن مجرد إدخال البهجة والسرور لا يفى بالغرض المطلوب . لقد أرادوا أن ينشئوا أعمالاً أكثر جدية وأقرب إلى الحياة .

وهذا لا يعنى أن كل ما ورد فى أينيدة ڤرجيليوس قد حدث بالفعل أو أن ڤرجيليوس نفسه كان يعتقد ذلك . فالعلاقة بين آينياس وديدو ، على سبيل المثال — كما ذكرنا من قبل ، ابتكار ڤرجيلى محض يتفق مع ما جاء عند جميع المؤرخين الذين تناولوا تاريخ روما . وفى الكتاب التاسع — مثلاً — عندما تتحول سفن آينياس إلى جنيات مائية فإن ڤرجيليوس يكتب رومانسية محضة . لكن كل قصة من قصصه تكمن وراءها قضية هامة وتنقل مغزى هاماً إلى عصره. والفرق بين شعراء الملحمة الأدبية فى عصور النهضة وڤرجيلوس هو أن هؤلاء الشعراء أحسوا بوجود تنافر بين الحقيقة والخيال أضخم من التنافر الذى أحس ڤرجيليوس بوجوده ، ووجدوا صعوبة فى التغلب على ذلك أكبر من الصعوبة التى وجدها . إن ڤرجيليوس مزج بين الحقيقة والخيال مزجاً تاماً ، لكن شعراء الملحمة الأدبية فى عصر النهضة لم يقصدوا التمييز بين هذين العنصرين ، بينما شعراء الملحمة الرومانسية فى العصور الوسطى لم يميزوا بين العنصرين على الإطلاق . وهنا يكمن الفرق بين الأطراف الثلاثة .

---

(١) راجع كاموس ، أبناء لوسوس ، ١ ، ١١ ، ١–٤ ؛ تاسو ، تحرير بيت المقدس ، ١ ، ٢ ، ٦–٨ ؛ ميلتون ، الفردوس المفقود ، ٩ ، ٢٨–٣١ وأيضا ١ ، ١٦ .

(٢) راجع ڤرجيليوس ، الأينيدة ، ١ ، ١–٥ .

بالإضافة إلى ذلك فقد استغل ڤرجيليوس عملية المزج بين عنصرى الحقيقة والخيال فى معالجته للمسائل الأخلاقية — لذلك جاءت معالجته مؤثرة وفعالة ، وأدرجت أشعاره فى الوقت نفسه ضمن سجلات التاريخ . وهنا يختلف ڤرجيليوس أيضاً عن أبوللونيوس الرودسى والشعراء السكندريين الآخرين الذين كانت رومانسيتهم تلقى إعجاباً شديداً لدى الرومان أثناء فترة شباب ڤرجيليوس .

هناك جانب آخر من جوانب الملحمة يستحق الذكر ، وهو الجانب العاطفى . فإن هوميروس لم يرغب فى التحدث عن مغامرات أبطاله العاطفية ، بل إنه غالباً ما كان يصفهم بالتزمت والعزوف عن الجنس والعاطفة . فأوديسيوس قضى عاماً كاملاً مع كيركى Kirke دون أن يحس بالمتعة على الإطلاق (١) ، كما أنه قبل رغم أنفه الإقامة مع كالوبسو Kalupso (٢) وهذه ظاهرة عامة فى الملاحم البطولية ، لكنها لا توجد فى الملاحم الرومانسية. فملحمتا بوياردو وأريوستو زاخرتان بالمغامرات العاطفية بالرغم من أن موضوعهما يدور حول الحرب . وهنا يبدو تأثير شعراء الاسكندرية واضحاً على شعراء الملحمة الرومانسية . إذ كان الشعر السكندرى يهتم اهتماماً بالغاً بالمغامرات العاطفية . وبالرغم من أن أشعار هوميروس وشعراء الاسكندرية كانت معروفة لڤرجيليوس فإنه لم يتأثر — فى هذه الناحية بالذات — بأى منهما فلقد وجد فى أشعار هوميروس إجحافاً وفى الأشعار السكندرية ترويجاً للجنس والعاطفة . ولعل من السهل تعليل موقف ڤرجيليوس الذى فرضته عليه ظروف عصره . لقد اتخذ الامبراطور أوغسطس موقفاً متشدداً من الجنس ونص عليه فى القوانين التى إستنها . وبالتالى لم يكن أمام ڤرجيليوس إلا أن يضمّن أشعاره تحذيرات ونصائح حتى لا يغضب مولاه . لذلك نلاحظ

(١) هوميروس ، الأوديسا ، الانشودة العاشرة ، سطور ٣٧٣-٣٧٤ .

(٢) هوميروس ، الأوديسا ، الانشودة الخامسة ، سطر ١٥٥ .

أن قصة الحب العظيمة الوحيدة الواردة فى الأينيدة قد عالجها فرجيليوس بأسلوب مأساوى واعتبرها مشكلة مروعة تعترض سبيل آينياس وفاتحة سلسلة من الكوارث تصيب العلاقة بين روما وقرطاجة فى المستقبل. لقد وجد كل من كاموس وتاسو طريقة فرجيليوس مناسبة لعصريهما فاتبعاها إلى مدى كبير – بالرغم من تأثرهما من وقت لآخر بطريقة أريوستو – ، بينما التزم ميلتون طريقة فرجيليوس ولم يحدْ عنها .

وفى نهاية مناقشتنا لخصائص الملحمة الأدبية الفرجيلية ومكانتها بين الملاحم القديمة والحديثة يجدر بنا أن نتعرض لجانب الهزل فى الملحمة (١) . اعتاد هوميروس أن يضع بعض الفواصل الهزلية القصيرة بين نسيج قصصه البطولية. يحدث ذلك غالباً أثناء حديثه عن الآلهة ، لكنه يحدث أيضاً بين الحين والحين عند حديثه عن بعض أبطاله الآدميين . وتوجد الظاهرة نفسها فى أغلب ملاحم العصور الوسطى . فشخصية راينورت Raynouart الرفيعة الشأن التى يجعل دانتى مكانها الفردوس – قد أصبحت شخصية هزلية . ويستمر وجود هذه النزعة عند كل من بوياردو وأريوستو ، لكنها تختفى بعد ذلك فى أغلب الملاحم التى نظمت فى العصور التالية . فالشاعر تاسو لا يتفادى الهزل فقط فى ملحمته بل إنه يحذر شخصياته – على لسان شخصيات أخرى – من الضحك (٢) . أما كاموس فلا نجد فى ملحمته سوى شخصية كوميدية واحدة أو اثنتين على الأكثر ، وفيما عدا ذلك فإن بقية الشخصيات وقورة وجادة . والهزل عند ميلتون يحمل معنى الاحتقار (٣) ، وإن كنا لا نجده يفعل ذلك مع الشخصيات المهمة بل مع الشخصيات الثانوية فقط ، أما الموضوع

---

(١) Bowra, op. cit., pp. 26 sqq.

(٢) تاسو ، تحرير بيت المقدس ، ١٤ ، ٧٤ ، ١–٨ .

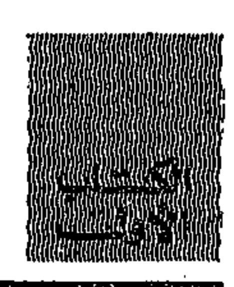
(٣) راجع – على سبيل المثال – ميلتون ، الفردوس المفقود ، ٨ ، ٧٥–٧٩ .

الرئيسي فهو ذو نغمة جادة. أما ڤرجيليوس فقد استبعد عنصر الهزل من جميع موضوعاته التي تناولها . وهكذا نجد ڤرجيليوس وشعراء الملحمة الأدبية من بعده لم يكونوا مغرمين بايجاد عنصر الهزل فى أشعارهم ، وإذا كان هؤلاء الشعراء مهتمين ببناء عوالم جديدة للفكر فهم لم يسمحوا للهزل بأن يطغى على وقارهم أو يعوق سبيل هدفهم الأخلاقى ؛

ومن السهل تعليل عدم وجود عنصر الهزل فى الأينيدة . فالملحمة الأدبية لا تزدهر فى عصر متدهور ولا فى عصر يكون فى طريقه نحو الازدهار ، لكنها تزدهر فى عصر وصلت فيه النهضة إلى أوجها وفى نفس الوقت فى طريقها نحو التدهور إن آجلاً أو عاجلاً . لهذا نلاحظ أن شاعر الملحمة الأدبية يستعرض مآثر الماضى ومفاخره . إنه يستغل الماضى المجيد لمدح الحاضر والثناء عليه . والعكس صحيح بالنسبة للأنواع الأدبية الأخرى ، فهى تزدهر فى عصر إزدهار الأمم . فنحن لا نجد أشعاراً ملحمية رائعة فى عصور مزدهرة مثل عصر بركليس فى بلاد الاغريق والعصر الاليزابيثى فى بريطانيا وعصر لويس الرابع عشر فى فرنسا . فشعراء هذه العصور ينظرون دائماً إلى الأمام ، وليس إلى الخلف ؛ ينظرون إلى المستقبل وليس إلى الماضى ؛ يتعلقون بالأمل العريض ويتطلعون إلى مستقبل أفضل . فالمستقبل فى نظرهم أكثر ازدهاراً من الماضى ولعل هذا — فى رأى س . م . باورا C.M. Boura — يعلل نظرة الاكتئاب التى اتصفت بها أعمال شعراء الملحمة الأدبية مثل كاموس وتاسو وميلتون وعلى رأسهم ڤرجيليوس. فلقد كتب ڤرجيليوس ملحمته فى الفترة التى كان يتحول فيها العالم الرومانى من مطامع العصر القيصرى المتطرفة إلى الهدوء الأوغسطى المنتظر . فڤرجيليوس يمثل فى ذاته فترة الانتقال بين سنوات الشغب الطويلة التى شهدها العصر الجمهورى وسنوات السلام الدائم التى كان يَعد أوغسطس الشعب الرومانى بها . إن ڤرجيليوس يجمع بين خصائص وملامح كل من هاتين الفترتين ؛ إنه يحترم الماضى المجيد بشعبه وأبطاله ورجاله الأشداء ويمدح الحاضر بسلامه وهدوئه واتزانه ومظاهره الفنية والفكرية .

لذلك فليس هناك حاجه للهزل ولا مكان للضحك فى الأينيدة : الكل يعمل ويسعى ويكافح ، الكل يفكر ويتأمل ، وجميع المساعى موقوفة لخدمة روما — المدينة الأم — التى خلدها الشاعر الرومانى ڤرجيليوس ببراعته فأصبح اسمها مرتبطاً بالمجد والشرف ، وصار ذكره على كل لسان ، وظلّت أشعاره محوراً تدور حوله كل الأشعار الجيدة ، ومنهلاً يستقى منه كل شاعر مجيد .

د. عبد المعطى شعراوى



كمال ممدوح حمدي

للسلاح أغنى ، وللرجل (١) الذى كان أول من جاء به القدر شريداً من سواحل طروادة إلى إيطاليا وشواطىء لافينيوم (٢) : يضرب على غير هدى — بقوة من السماء — فى آفاق البر والبحر ، بسبب غضب جونو (٣) الذى لايعرف الصفح ، وقاسى الكثير فى الحرب أيضاً ، كى يستطيع أن يؤسس مدينة ويأتى بآلهته إلى لاتيوم ، حيث أتى الجنس اللاتينى ، وسادة ألبا (٤) ، وأسوار روما الشاهقة، إلى الوجود .

قُصىّ علىّ ، ربة الشعر ، أى نوع من الأذى قد مسّ ربوبيتها ، وأى نوع من الأفعال قد أغضبها ، حتى أنها قد دفعت برجل ، معروف بتقواه ، ليكابد مثل هذه المخاطر الكثيرة ، ويواجه مثل هذه الصعاب العديدة. أيمكن أن يستقر مثل هذا الغضب الأحمق فى صدور أرباب السماء ؟

كان هناك مدينة عتيقة ، احتلها المستعمرون من أهل صور ، إنها مدينة قرطاجة (٥) ، الواقعة فى مواجهة إيطاليا ومصاب نهر التيبر (٦) البعيدة ؛ مدينة وافرة الثراء ، شديدة المراس فى فنون الحرب ، يقال إن جونو قد وهبتها من حبها أكثر مما وهبته لباقى الممالك ، واعتبرت ساموس (٧) فى مرتبة أدنى . فهنا ، فى قرطاجة ، تكدست أسلحتها ، واستقرت عربتها الحربية ، وكانت الربة حتى ذلك الوقت تسعى وتطمع فى أن تكون هذه المدينة كعبة للشعوب ، لوأن الأقدار كانت تسمح بذلك . وعلى كل فقد علمت الربة أن ذرية انحدرت من أصل طروادى عليها أن تدمر ، يوماً ما ، القلاع الصورية ، وأن من هذه الذرية سوف يظهر شعب يحكم ممالك مترامية الأطراف ، صعب المراس فى الحرب ، وسوف يأتى ليصب على ليبيا الدمار (٨) . هكذا قضت ربات القدر (٩) . إن الربة ابنة ساتورنوس (١٠) ،

التي كانت تخشى ذلك وتتذكر الحرب القديمة التي خاضت غمارها عند طروادة فيما مضى من أجل أرجوس العزيزة [١١] ولم تزل أسباب غضبها وحزنها المرير لم تنمح بعد من ذاكرتها ، وما زال يستقر فى أعماق قلبها الحكم الذى أصدره باريس والإهانة التي لحقت بجمالها المُزْدرَى [١٢] والذرية الطروادية الممقوتة . [١٣] ، والتقدير الذى حظى به جانيميديس الذى اختطفته السماء [١٤] ، إن ابنة ساتورنوس ، وقد ازداد غضبها أكثر فأكثر من جراء ذلك ، قد قذفت على صفحة البحر كله بالطرواديين الذين أبقى عليهم الأغريق وأخيليوس [١٥] القاسى ، وساقتهم بعيداً عن لاتيوم ، مشردين ، تطاردهم الأقدار ، فى جميع أنحاء البحار أعواماً عديدة : هكذا كان الجهد ، الذى بذله الشعب الرومانى لإقامة مدينته ، جهداً شاقاً للغاية .

بعد أن غابت أرض صقلية ، عن الأنظار ، أخذ الطرواديون ينشرون فى البحر الأشرعة ، ويشقون أمامهم فى بهجة زبد البحر بمقدمات السفن البرونزية . عندئذ حدثت جونو نفسها — وهى لا تزال تحتفظ بجرح لم يلتئم بعد فى أعماق نفسها — قائلة : هل أتخلى — مهزومة — عن خطتى ، غير قادرة على ردّ ملك الطرواديين عن إيطاليا ؟ لاشك أن الأقدار قد أغفلتنى ، أتستطيع الربة بالاس [١٦] أن تحرق أسطول الأغريق وأن تغرق الأغريق أنفسهم فى البحر بسبب خطيئة رجل واحد وجنون أياس بن أويليوس [١٧] ، فلقد رمتهم هذه الإلهة من بين السحب العالية بلهب جوبيتر البارق ، فبعثرت سفنهم ، وأشاعت الاضطراب فى البحر باثارة العواصف ، أما أياس فقد ألقت به فى دوامة وهو ينفث لهيباً من صدره المثقوب ، وثبتته فوق صخرة مدببة ؛ بينما أنا ، من تروح وتغدو مليكة الأرباب ، وأخت جوبيتر وزوجته ، أشن الحرب على شعب واحد طوال هذه السنين العديدة ؟ مَن بعد ذلك يقدس ألوهية جونو ، وأى ضارع سوف يقدّم القرابين على مذابحها ؟

جاءت ، وهى تقلّب مثل هذه الأحاسيس فى صدرها المحموم ،

إلى أيوليا (١٨) موطن العواصف ، وهي بقاع تعج بالرياح الثائرة . هنا في كهفه الرحب، يتصدى الملك أيولوس للرياح الجامحة، والعواصف المزمجرة ، ويكبح جماحها بالقيد والسجن . إن تلك الرياح ، بزئيرها المروع ، تولول حول حواجز الجبل ، وأيولوس يتربع فوق حصنه الشامخ ، ممسكاً بصولجانه ، يهدىء من جيشانها ، ويحد من غضبها . ولا شك أنه لو لم يفعل ذلك لحملت معها في انطلاقها الماء واليابس والأفق الشاهق ، وطوحت بها في الفضاء . لكن السيد القادر على كل شيء ، خوفاً من ذلك أخفاها في كهوف مظلمة ، ووضع فوق قمتها كتلة ضخمة وجبالاً شامخة ، ونصب عليها ملكاً يرتبط بميثاق أمين ، يعرف كيف يوثقها ، حين تصدر إليه الأوامر ، وكيف يطلق لها العنان . إليه توجهت چونو حينذاك ، متوسلة قائلة :

« أي أيولوس — لأن أب الآلهة ورب البشر قد وهبك القدرة على تهدئة الموج وإثارته باستخدام الرياح — فإن ثمة ذرية بغيضة إلىّ تركب البحر التيراني (١٩) ، وهي تحمل إلى إيطاليا ما كانت تحتويه قلعة طروادة من آلهة مقهورة . فلتبعث القوة في رياحك ، ولتغمر سفنهم الغارقة ، ولتدفع بهم أشتاتاً في كل اتجاه ، ولتنتشر جثثهم فوق سطح المحيط ، إن عندي من الحوريات أربع عشرة ، فاتنات الأجسام ، من بينهن ديوبيا (٢٠) أكثرهن جمالاً ، سوف أوثقها بك، في زواج متين ، سوف أهديها لك إلى الأبد ، كي تفنى معك طيلة أعوام العمر في مقابل مثل هذه الخدمات ، ولتجعل منك أباً لذرية جميلة » .

أجابها أيولوس قائلا : « مليكتي، فلتفصحي عن رغبتك، وهذا ما عليك، أما أنا فواجبي أن أنفذ أوامرك ، فأنت التي وهبتني مملكتي هذه ، وخلعت عليّ هذا الصولجان ، ومنحتني عطف جوبيتر ، وأتحت لي الفرصة كي أجلس على موائد الآلهة وجعلت مني سيداً على السحب والعواصف . »

بعد أن قال هذا ، ضرب الجانب المجوف من الجبل بمؤخرة حربته ، فانطلقت الرياح ، وكأنها صف متماسك ، من حيث وجدت لها منفذاً ،

تواول عاصفةً عبر الأراضي . وسرعان ما انتشرت فوق سطح البحر فأهاجته كله من أعمق أغواره ؛ ريح الشرق وريح الجنوب ورياح أفريقيا الزاخرة بالزوابع وكأنها عاصفة واحدة فدحرجت أمواجاً عريضة نحو الشاطىء. ثم تبع ذلك صيحة الرجال وصريف الحبال ؛ وفي لحظة اختطفت السحب السماء وضوء النهار من أعين الطرواديين ، بينما سجى ظلام حالك فوق سطح البحر ، وأطلقت السماء رعودها ، وأبرق الأفق بوميض متلاحق ، كان ذلك كله نذيراً للرجال بموت عاجل . وفي التو تفككت أوصال آينياس من البرد فراح ينتحب ، رافعاً راحتيه نحو السماء ، مردداً : « كم هم سعداء ، سعادة تفوق الجد (٢١) ، هؤلاء الذين لقوا حتفهم تحت أسوار طروادة الشامخة وتحت أنظار آبائهم وأجدادهم ! أي ديوميديس (٢٢) ، يا ابن تيديوس ، يا أقوى سلالة دناؤوس ، ليتني كنت استطعت أن أسقط فوق سهول طروادة وأن أغرب على يديك عن تلك الحياة ، وأبقى حيث يرقد هيكتور الجسور مجندلا بحربة الأياكيدي (٢٣) ، وحيث سقط العظيم ساربيدون (٢٤) ، وحيث ابتلع نهر سيمويس (٢٥) كل تلك الدروع والخوذ ، وطوى في أمواجه أجساداً فتية لرجال شجعان . »

بينما هو ينطق بهذه الكلمات ، إذا بريح عارمة آتية من الشمال ترتطم بالشراع كله ، وترفع الموج إلى عنان السماء ، فوهنت المجاديف ، وتأرجحت مقدمة السفينة فاستدارت وتعرضت بجوانبها للأمواج ، ولاحقتها أكوام من الماء شامخة كالجبال ، وتعلق البعض فوق قلب موجة ، وهبط آخرون إلى قاع البحر مع موجة تمور ، وغلى الجيشان بالرمال . وانتزعت ريح الجنوب ثلاث سفن وطوحت بها فوق صخور خافية ، صخور تنهض وسط الأمواج ، ويطلق عليها الإيطاليون اسم « المذابح المقدسة » ، إنها نتوءات خطيرة تعتلي قمة البحر ؛ وثلاث سفن أخرى دفعتها ريح الشرق من الأعماق إلى الضحضاح والرمال المتحركة ، — يا له من مشهد ينضح بالأسى — تضرب بها اليابس وتطوقها بأكوام من الرمال . وحملت موجة هائلة إحدى السفن

كانت تحمل أورنتيس الأمين وزملاءه اللّوكيين (٢٦) ، فقلبتهامن علٍ رأساً على عقب أمام أعين آينياس نفسه ، وترنّح ماسك الدفة فهوى على رأسه تطويه الأمواج ، وانظر ! لقد طوّح الموج بالسفينة ثلاث مرات يدفعها حول نفسها فتدور فى دائرة واحدة ، ثم التهمتها دوامة سريعة فهوت إلى أعماق البحر ، وظهر أشخاص سابحون متباعدون فيما بينهم فى وسط الهاوية الرهيبة ، وظهرت أمام الأعين أسلحة الرجال وألواح خشبية وكنوز طروادة وسط الأمواج . والآن وقدتسلطت عاصفةعلىسفينةإليونيوس (٢٧) ، مهد القوة ، وعلىسفينة أخاتيس ، مهد الشجاعة ، وعلى تلك التى كان يبحر على ظهرها أباس ، وعلى تلك التى كان يقودها العجوز أليتيس ؛ ولما أن تفككت مفاصل الجوانب ، اندفعت جميعها فى التيار المضاد وتمزقت بالشقوق .

أثناء ذلك رأى نبتونوس (٢٨) البحر يعجّ بصراخ مهول ، وشاهد العاصفة مطلقة العنان ، والماء الساكن وقد هاج من أعمق الأغوار ، فراعه ما رأى ، واهتز من الأعماق ، وران بنظرة فوق البحر ، ثم رفع وجهه البشيش فوق أعلى الأمواج فرأى أسطول آينياس مبعثراً فوق سطح الماء على اتساعه ، ورأى الطرواديين تهوى بهم الأمواج . لكن السماء المتداعية لم تخف الام چونو عن أخيها ، ولم يتخفّ عنه غضبها ، فجمع ريح الشرق وريح الغرب ، وتحدث إليها قائلا :

« أيتها الرياح ، هل ملّكت عليك نفسك الاغترار بمولدك إلى هذا الحد حتى تتجاسرى على خلط السماء بالأرض دون أمرى ، وتثيرى كل هذه الفوضى ؟ (٢٩) مَنْ تراني ! — بل يحسن أن تهدأ الأمواج الغضبى — ثم لسوف أعاقبكم عقاباً عسيراً على ماتعديتمونى فيهاوحدث ذلك مرة أخرى ، عجّلوا بالفرار ، وانقلوا لسيدكم (٣٠) هذه الكلمات : « لم يهب القدر له ، بل لى أنا ، سيادة البحر وذلك الصولجان المهيب ، أما أيولوس فله السلطان على الصخور الرهيبة ، مأواك ، يا رياح الشرق . دعوه يحس بالزهو

وهو بين جدران تلك القاعة ، دعوه يباشر سلطانه داخل سجن الرياح المغلق . »

هكذا تحدث . وقبل أن ينتهي من حديثه ، كانت المياه الغضبى قد هدأت. ثم أمر السحب المتجمعة أن تنزاح ، والشمسّ أن تعود . وتضافرت مجهودات كيموثوى وتريتون (٣١) فانتزعا السفن من بين فكـّـى الصخرة الحادين ، وأعانهما الإله نفسه بصولجانه ، وفتح طريقاً وسط الرمال المتحركة المترامية، ونظم حركة البحر ، وراح يُجرْى الأمواج الشامخة فوق عجلات حانية . وكما ينشأ فى بعض الأحيان خلاف بين أفراد شعب عظيم ، وتثير حثالة القوم الدنيئة أعصاب الناس ، وتتطاير جذوات اللهب والحجارة ، ويوجه جنون الغضب السلاح ، عندئذ ، لو صادف أن وقعت عيونهم على رجل بالغ التقوى كريم السجايا ، يهدأون ، ويقفون حوله بآذان صاغية ، فيملك عليهم بالكلمات وجدانهم ، ويهدّىء أفئدتهم ، كما يحدث ذلك فى أغلب الأحيان ، فقد تداعى كذلك هياج البحر كله . وبعد أن ألقى الإله نظرة على البحر ، وبعد أن ركب تحت سماء صافية ، وجه خيوله ، وطار مطلقاً العنان لعجلته المطيعة .

عندئذ جدّ رفاق آينياس المتُعبين فى البحث عن أقرب شاطىء ، فاتجهوا صوب شواطىء ليبيا ، إلى مكان يقع فى غور طويل ، جزيرة تشكل ميناء بشواطئها الممتدة ، تتكسر عليها جميعاً كل موجة فى البحر ، ثم تتمزق فى طيّات وترتد محسورة ، وهنا وهناك تمتد هضاب صخرية شاسعة ، وتنتصب قمتان صخريتان تناطحان السماء ، تسكن تحت إبطها الحانى المياه كلها ، ومن فوقها خلفية من غابات متألقة ، تلوها أجمة مظلمة بظلال خشنة. وهناك تحت واجهة الصخرة المجاورة كهف داخل الصخور المعلقة ، بداخله ماء زلال ومقاعد من صخور طبيعية ، مقام الحوريات ، حيث لا حاجة لأصفاد توثق السفن الحائرة ، أو خطاف يثبتها بعقدة ملتوية إلى هنا أسرع آينياس ، ومعه سبع سفن ، هى كل ما جمع من شتات أسطوله ،

وبعد شوق عظيم لليابس ، حصل الطرواديون المرهقون على مأواهم المنشود وأرخوا على الشاطىء أطرافهم المكسوة بالأملاح . وقبل كل شيء ، أطلق أخاتيس شرارة من الظران (٣٢) وتلقى النار بأوراق من الأشجار ، وأحاطها بوقود جاف ، وأمرّ الشعلة بين الشقوق . بعدئذ تناولوا — وقد أرهقتهم المتاعب — قمحاً أفسدته الأمواج ، ورحى صغيرة باركتها كيريس ، وأعدوا الحبوب التي أمكن انقاذها ، ليجففوها فوق النار ، وليسحقوها بين كتفي الرّحى .

أثناء ذلك ، تسلق آينياس إحدى الصخور ، وأطل بنظرة شاملة فوق اتساع البحر علّه يرى أشلاء أنثيوس ، الذى تقاذفته الأنواء ، وسفنه الفروجية ، أو عساه يرى أشلاء كابيس أو أسلحة كايكوس فوق مؤخرات السفن العالية ، لكن ما من سفينة واحدة لاحت لناظريه ، وإنما رأى غزلانا ثلاثة تتجول على الشاطىء يتبعها عدد كبير من القطعان ، يمضى خلفها فى صنيف طويل بينما ترعى عبر الوادى . هنا توقف آينياس وأمسك بيده قوسا ، ورماحاً خاطفة ؛ إنها تلك الأسلحة التى كان يتسلح بها يوما ما أخاتيس الوفى . بدأ أولا بالقادة نفسها : أصاب الغزلان الثلاثة ، بينما كانت تسير رؤوسها شامخة تعلوها قرون متفرعة تشبه أغصان الأشجار ؛ ثم هاجم بقية القطيع التابع ، : يقودها بحرابه بين الأحراش المورقة . بل إنه لم يشأ أن يتوقف قبل أن يجد — وهو منتشيا بالانتصار — سبعة منها مجندلة تتمدد بأجسامها الضخمة على الأرض ، مساويا بعددها عدد سفنه . عندئذ أسرع نحو المراسى ، ووزعها بين زملائه جميعا ، ثم وزع نبيذاً كان أكستيس (٣٣) الطيب قد ملأ به الجرار على ساحل ترينا كريا (٣٤) هدية البطل عند رحيلهم . ثم هدأ نفوسهم المفجعة بهذه الكلمات :

« أى رفاق ، يا من قاسيتم خطأ عاثراً ، إننا لم نكن نجهل من قبل هذه الشرور ، لكن الإله سيضع حداً لكل هذه الآلام . لقد اقتربتم من سكيلا (٣٥) الهائجة بالجنون ، وصخورها ذات الأصوات الحادة التى تنطلق من الأعماق ،

وأشرفتم على صخور الكوكلوبس (٣٦) . استعيدوا شجاعتكم ، وخلّوا عنكم الحزن والخوف ، فقد تنفعنا هذه الأحزان يوماً ما حين نأخذ منها حلو الذكرى ؛ فمن خلال المصائب المختلفة ، ومن خلال كل هذه الطرق المحفوفة بالمخاطر علينا أن نشق طريقنا إلى لاتيوم ، حيث أعدت الأقدار لنا مساكن الأمان . فهناك شاءت الأقدار أن تنهض مملكة طروادة من جديد . عليكم بالصبر والتحامل على أنفسكم حتى تدرككم السعادة » .



قال بصوته هذه الكلمات ، بينما كان – وهو مثقل بهموم مضنية – يرسم على وجهه الأمل ، ويكتم الحزن الدفين فى صدره . واستعد الآخرون للمأدبة المنتظرة من الغنيمة : فجرّدوا الضلوع من الجلود ، وكشفوا عن اللحم : البعض يقطعونها إرباً ويشكّونها فى السفود ، وهى ما تزال ترتعش ، والآخرون ينصبون المراجل على الشاطىء ، ويلهبون من تحتها النار ، فهكذا يعيدون بالطعام القوة إلى أجسادهم . وانتشروا فوق الأعشاب ، ثم ملأوا بطونهم بالنبيذ المعتق ولحم الصيد الدسم . وبعد أن تداعى الجوع بالولائم ، ورفعت الموائد ، نعى الطرواديون زملاءهم المفقودين ، فى رثاء طويل ، يتنازعهم الشك بين الأمل والخوف : أيوقنون أنهم أحياء يرزقون ، أم أنهم قد لاقوا حتفهم ، وما عادوا يسمعوننا إذ نناديهم ، لاسيما آينياس الورع كان يبكى مع نفسه حيناً فجيعة الصنديد أورنتيس وحيناً آخر نهاية أميكوس ، والأقدار القاسية التى أدركت ليكوس وجياس الشجاع وكلوأنثوس المقدام (٣٧) .

ثم كانت النهاية ، عندما أطل جوبيتر من علياء السماء على البحر الزاخر بالأشرعة ، والأراضى الشاسعة ، والشطآن ، والشعوب المنتشرة ؛ هكذا

أطل من ذرا السماء ، وأمعن النظر فى مملكة ليبيا إليه ، وقد مسّت شغاف قلبه هذه الآلام ، تحدثت ڤينوس بحزن بالغ ، وقد أغرورقت عيناها البراقتان بالدموع :

« يا أنت ، يا من تحكم الآلهة والبشر بسيادة أزلية ، وترهبهم بصولجانك ، أىّ إثم بشع يمكن أن يكون قد اقترفه — فى نظرك — عزيزى آينياس ؟ وماذا جناه الطرواديون ، الذين — بعد أن تجرّعوا الموت الزؤام — أغلقت فى وجوههم جميع مسالك الدنيا وهم فى طريقهم إلى إيطاليا ؟ إنه أنت الذى وعدت أن ينبثق منهم سلائل الرومان يوماً من الأيام على مر السنين ، وأن يأتى منهم سادة من دم تيوكر الجديد ؛ يملكون البحر . وكل الأرض تحت إمرتهم ماذا جعلك تغيرّ رأيك ، يا أبتاه ؟ كان وعدك يُعَزّينى عن المصير المؤلم الذى آلت إليه طروادة ، وعما حدث من دمار يثير الحزن ، عندما كنت أوازن هذه الأقدار بتلك . والآن ، فإن نفس القدر يطارد الرجال إلى سوء المصير ، أى خلاص من الآلام دبّرته لهم أيها الملك العظيم ؟ لقد استطاع أنتينور ، بعد أن انسّلّ من الآخيين المحيطين به ، أن يجتاز البرازخ الإلليرية [38] ومناطق الليبورنيين الموحشة ، وأن يعبر منابع تيماڤوس [39] ، التى ينساب منها — طوال تسعة شهور مع زئير الجبل الرهيب — فيضان يطوى الحقول تحت مياهه الصاخبة . ومع ذلك فقد شيّد هنا مدينة بتاڤيوم [40] ، مستقراً للتيوكريين ، وأطلق اسما على السلالة ، ووطّد أسلحة طروادة ؛ ثم استراح الآن ، وقد خلد إلى سلام مُسْتَقر . لكنا ، ونحن ذريتك ، التى جَعَلْتَ مكانهم القلعة السماوية ، فقد فُقدتْ سفننا — عار أى عار ! — ومن أجل غضبة فرد واحد خُدعْنَا ، وأبْعدنَا طويلاً عن شواطىء إيطاليا . أهذا جزاء التقوى ؟ أهكذا تَرد ّ إلينا عرشنا ؟ »

ابتسم لها سيد الآلهة والبشر ، ونظر إليها نظرة أضاءت السماء ، وقشعت السحاب ، وطبع قبلة على ثغر ابنته فى رقة ، وقال هذه الكلمات : « أيتها الكيثيرية [41] ، دعى عنك خوفك ، فستبقى مصائر أبنائك

لن تتغير ، ولسوف تشهدين مدينة لافينيوم وأسوارها الموعودة ، ولسوف تحملين آينياس – السامي الروح – بين نجوم السماء ، فأنا لم يُغيرّ من رأيي شيء قط . إن هذا العزيز لديك – ولسوف أتحدث ما دام القلق من أجله يسحقك ، بل وأكثر من ذلك ، سأفرد لوح أقدارهم ، وأكشف عن مكنون أسرارهم – سوف يشن حرباً مهولة في إيطاليا ، ويسحق أمماً مكابرة ، ويَسن لقومه القوانين ، ويقيم الحصون ، إلى أن يراه الصيف الثالث حاكماً على لاتيوم ، وتنقضي ثلاث معسكرات شتوية بين الروتيليين المقهورين . لكن الفتى أسكانيوس [٤٢] ، الذي يكنى الآن يولوس – وحين كانت الأمة الإليّة في أوج مجدها كان يكنى إيلوس – ، سوف يقضي ثلاثين دورة عظيمة من الشهور المتعاقبة ؛ وسوف ينقل مقر حكمه من لافينيوم ، وسوف يشيد ألبالونجا ، مدينة شديدة البأس ، وهنا – بعدئذ – سوف تبقى المملكة تحت إمرة سلالة هكتور طوال ثلاثمائة سنة كاملة ، إلى أن تنجب المليكة المقدسة إليا [٤٣] توأميها ، اللذين حملتهما من مارس . بعدئذ سوف يحمل رومولوس – سعيداً بالجلد الأعفر لمرضعته الذئبة – لواء السلالة ، فيؤسس مدينة الإله مارس ، ويسمي الرومانيين على اسمه [٤٤] . وبالنسبة لهؤلاء ، فإني لم أضع حدوداً ، كما أني لم أحدد زمناً لدولتهم ، إنما وهبتهم حكماً بغير نهاية ، بل إن القاسية چونو ، التي يَتشقى البحر والأرض والسماء الآن بالخوف منها ، سوف تثوب إلى رشدها ، وسوف تقف إلى جانبي في مساندة الرومانيين ، سادة العالمين ، وشعب العباءة [٤٥] . هكذا شئنا ، ولسوف يأتي عهد بعد تعاقب العصور ، حيث تُخْضِع أسرة أساراكوس فثيا وموكيناي الشهيرة [٤٦] ، وتسومهما مرارة العبودية ، وتفرض سلطانها على أرض أرجوس المقهورة . ومن هذا الأصل النبيل سيولد قيصر الطروادي ، يُحَدد إمبراطوريته بالمحيط ، ويُعْلي شهرته إلى النجوم : يوليوس ، اسم ينحدر من يولوس العريق . سوف تستقبلينه ، وقد فارقك القلق حينئذ في السماء محملا بغنائم من الشرق ، وسوف تُقدم إليه النذور [٤٧] . عندئذ ،

سوف تنتهي العصور العصيبة بعد أن تخمد الحروب ، وسوف تضع فيديس الموقرة ، وفستا ، وكويرنيوس مع أخيه ريموس ، دستوراً للمدينة ؛ وسوف تُغْلَق أبواب الحرب الرهيبة ، بحديدها وأعوادها الملتحمة ، وسوف يزأر الغضب الوحشي بداخلها ، وقد تمدد فوق أسلحة محمومة ، موثوقة يداه خلف ظهره ، بمائة عقدة من القيود البرونزية ، مخيفاً بثغره الدامي . »

قال هذه الكلمات ، ثم أنزل ابن مايا (٤٨) من السماء ، كي تنفتح أرض قرطاجة ، وأبراجها الجديدة ، احتفاء بالتيوكريين (٤٩) ، وخشية أن تُلْقِى بهم ديدو — جاهلةً بالقدر — خارج الحدود . وانطلق ابن مايا ينفذ في الهواء الهائل ، يُجدّف بأجنحته ، ويتأنّق في سرعة فوق شواطىء ليبيا ، يُنَفِّذ الأوامر في التو واللحظة . وبإرادة الإله ، يتخلّى الفينيقيون عن مشاعرهم الوحشية ، وفوق ذلك ، تستقبل الملكة التيوكريين بتفكير هادىء وعاطفة رقيقة .

لكنّ آينياس التقيّ يفكر في أمور شتى طوال الليل ، ثم — وكما لو أنه قد وهب في الحال نوراً يساعده على التفكير — قرر أن يبرح مكانه ، وأن يستطلع المواقع الجديدة ، ليرى إلى أي الشواطىء قد اندفع مع الريح ، وليتعرف على من يسكنونها : أناس هم أم وحوش — إذ أنه لا يرى إلاّ أرضاً مجدبة — ، ثم يحمل إلى الرفاق العلم اليقين .

أخفى آينياس أسطوله تحت شجيرات منحنية نحو صخرة تشبه الكهف ، تواريه الأشجار من حوله وأستار من الظلال المتحركة . وتقدم بنفسه يصحبه أخاتيس وحده ، قابضاً بيده على زوج من الحراب ، ذي رأس حديدي عريض . واعترضت والدته طريقه وسط الغابة ، بدت له عذريّة الملامح ، عذرية الهيئة ، ذراعاها مثل ذراعي عذراء إسبرطية (٥٠) ، أو مثل هاربالِيكي التراقية عندما تُلهِب خيولها أو تسبق في عدوها هيبروس المُجنّح (٥١) — ظهرت أمامه وقد علقت قوسها في كتفها على هيئة صيّاد ، وأطلقت للريح شعرها يتطاير ، ركبتها عارية ، وطيات ثوبها الفضفاض متجمعة في عقدة

واحدة . وبادرتهما بالحديث قائلة : « هلاّ رأيتما — مصادفة — أختاً لى تائهة هنا ، متمنطقة كنانة ، مُتَسَرْبلَةً بجلد وشَق أرقط ، لاهثةً ، صائحة ، إثر خنزير برىّ هائج ؟ »

هكذا تحدثت ڤينوس ، وهكذا أجابها ابن ڤينوس [٥٢] : « ما من واحدة من أخواتك رأيت أو سمعت ، ولكن أيتها العذراء بم أناديك ؟ فليس لك سحنة الفانين ، وليس رنين صوتك من رنين صوت البشر .. أنت إلهة ولا شك ! أم تراك أخت فويبوس [٥٣] ؟ أم واحدة من سلالة الحوريات ؟ كُونى رحيمةً — مهما يكن شخصك — ولتخففى عنا متاعبنا ، أخبرينا تحت أي سماء قد ألقى بنا ، وفى أى منطقة من الدنيا نهيم ، جاهلين الناس والأرض هنا ، وقد دفعتنا الريح والأمواج ، ولسوف ننحر لك بيُمْنَانَا أضاحى كثيرة أمام معابدك . »

بعدئذ ردت ڤينوس : « كلاّ ، فلَسْتُ جديرة بكل هذا التكريم ، فإن عذارى صور قد تعودن أن تتمنطقن الكنانة ، وأن تضعن أقدامهن فى أحذية قرمزية عالية . إن ما ترى الآن هو المملكة البونية ، وأهل صور (القرطاجين) ومدينة أجينور ، أما الأراضى المجاورة فهى أراضى الليبيين ، شعب لا يُقْهَر فى الحرب . وديدو هى التى تتولى الحكم فيها ، بعد أن نزحت إليها من مدينة صور ، هرباً من أخيها : إنها قصة جريمة يطول شرح تفاصيلها ، ويصعب تفسير ملابساتها ، لكننى سأتتبع أبرز خطوطها : كان زوجها يدعى سيخايوس ، أكثر الفينيقيين ثراءً ، ومعبود ديدو التعسة التى كانت تكن له حباً جماً ، إليه زفّ الوالد ابنته العذراء ، ووثقوهما بكل الشعائر . لكن أمر مملكة صور كان بيد أخيها بيجماليون ، الذى فاق أعتى المجرمين طراً فى بشاعة جُرْمه . ودب جنون الخلاف بين هذين الرجلين ، فأردى بيجماليون سيخايوس أمام المحراب فى كفر غير مبالٍ ، وقد أعماه حب الذهب ، أرداه بضربة غادرة غير مكترث بعواطف أخته ديدو ، وقد أخفى فعلته فترة طويلة ، وخدع العاشقة المريضة بأمل كاذب ، مستعيناً فى تظاهره بكثير من المكر

والدهاء . لكن شبح الزوج ، الذى بقيت جثته دون دفن ، جاءها فى المنام ، وهو يرفع وجهه الشاحب ، الذى يشع بحكمة مذهلة ، فكشف عن المحاريب القاسية بينما صدره مرشوق بالحديد ، وأزاح الستر تماماً عن جريمة البيت الغامضة ، ثم نصحها بأن تُعَجِّل بالفرار ، وأن تبرح الوطن . وأخرج من الأرض كنوزاً قديمة ، كتلة من الذهب ومن الفضة — لم يكن يعرفها أحد — عوناً لها فى رحلتها . وأعدت ديدو رفاقاً ، واستعدت للفرار وقد أهاجتها هذه الأحداث . واجتمع كل من كان فى قلبه كراهية شديدة للطاغية ، أو كان يراوده منه خوف بتّار ، واستولوا على سفن كانت مُعَدّة بطريق الصدفة ، وشحنوها بالذهب . حملوا ثروة بيجماليون الجشع فوق البحر ، وتولّت المرأة قيادة المُهمّة . ووصلوا إلى مكان تستطيع ، وأنت فيه الآن ، أن ترى الأسوار الضخمة لطروادة الحديثة ، وأن تلمح قلعتها السامقة ، فابتاعوا أرضاً — أصبحت تسمى منذ ذلك الوقت بيرسا ، بلغت مساحتها القدر الذى استطاعوا أن يحيطوه بجلد ثور (٥٤) . لكن مَنْ أنت ، ومنْ أى الشواطىء أتيت ؟ وإلى أى صوب تتجه برحلتك؟ . بعد أن ألقت عليه هذه الأسئلة تنهّد آينياس وانتزع صوته من أغوار قلبه قائلا :

«أيتها الربة ، لو أننى واصلت قصتى بادئاً من أصلها الأول ، وكان عندك فسحة من الوقت لتستمعى إلى سلسلة الآلام التى تعرضنا لها ، لأرخى الليل سدوله على نهار اليوم خلف بوابة السماء المغلقة قبل أن تنتهى قصتى . لقد دفعت بنا عاصفة بكل قوتها ، من طروادة القديمة — إن كان اسم طروادة قد تناهى إلى سمعك — عبر بحار متباينة إلى شواطىء ليبيا . إننى آينياس الورع ، مَنْ يحمل معه فى الأسطول آلهة البيناتيس (٥٥) ، التى انتزعتها من يد العدو ، قد بلغت شهرتى عنان السماء . إننى أبحث عن إيطاليا ، وطنى ، وعن سلالة چوبيتر رفيع المقام ، ركبت البحر الفروجى (٥٦) ومعى عشرون سفينة ، تهدينى والدتى الإلهة الطريق ، أسعى خلف أقدارى المكتوبة ، لم يبق من تلك السفن غير سبع ، بعد أن طوّقتها الرياح والأمواج ، قد صرت مجهولا ،

واستبدّ بى الإملاق ، أتجوّل فوق صحارى ليبيا ، بعد أن طُرِدتُ من أوروبا وآسيا » .



آينياس أثناء فراره من طروادة ، وهو يحمل والده انخسيس على كتفه ، ويقود ابنه اسكانيوس وهو ممسك بيده . (وجدت هذه اللوحة فى مدينة بومبى)

لم تحتمل ڤينوس أن تستمع إليه أكثر من ذلك ، فقاطعت حديثه الناضح بالشكوى قائلة هذه الكلمات :

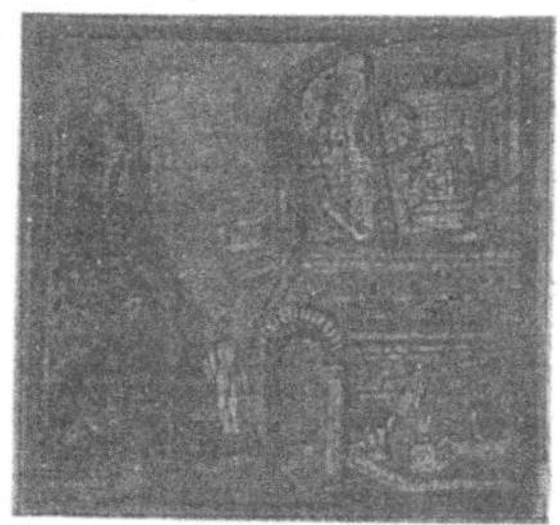
« أيّاً ما تكن هَوِيّتَك فأنت ــ فيما أعتقد ــ لست بغيضاً عند أهل السماء طالما تتردد فيك أنفاس الحياة ، فها أنت قد وصلت إلى مدينة صور ، فَامْضِ قُدُماً ، واذهب من هنا إلى أعتاب الملكة . والآن أزفّ إليك بشرى : إن رفاقك راجعون إليك ، وأسطولك عائد إلى مكان أمين ، مدفوعاً برياح

الشمال العكسية ، هذا إذا لم يكن والداى دعيَّين ، أخفقا فى تعليمى التنبؤ بالغيب . أنظر ! ثمة اثنتا عشرة أوزة سعيدة ، كانت تسير فى نظام ، بعثرها فى الهواء الطلق نسر جوبيتر الذى انطلق من كُوّة فى السماء . إنها الآن تطير فى صف طويل ، تبدو وكأنها تتطلع إلى أرض تستقر فيها ، أو إلى الأرض التى استقر بعضها فيها بالفعل . وكما أنها تلهو أثناء عودتها بأجنحتها الخفاقة ، وقد طافت بطرف السماء فى صحبتها ، وأطلقت أناشيدها – كذلك الحال مع رفاقك وسفنك . فإما أن تكون قد استقرت بمرساها ، أو أنها تنطلق الآن إلى مدخله بأشرعتها المنبسطة امض قدماً ووجه خطاك إلى حيث يقودك الطريق . »

بعد أن أتمت فينوس حديثها استدارت ، فتألقت رقبتها الوردية ، ونشرت خصلات شعرها العطرة عبيقاً إلهياً من رأسها ، وتدلى دثارها إلى أخمص قدميها ، وتجلت فى خطوها إلهة حقيقية . حينئذ تعرّف آينياس فيها أمه ، وتبعها وهى تفرّ منه منادياً بهذه الكلمات : « لماذا تهزئين بابنك دائماً بأطياف زائفة ؟ أنت أيضاً قاسية ، لم لا يُسْمَحُ لى بأن تعانق يمناى يمناك ، وأن أسمع وأن أقول كلمات صادقة ؟ » عاتبها بهذه الكلمات ، ثم وجه خطاه صوب المدينة . أما فينوس فقد دثرتهما ، وهما يتقدمان ، بنسيم غائم ، وطوقتهما – لأنها إلهة – بعباءة كثيفة من السحاب ، كى لا يستطيع أحد أن يلمحهما ، أو يلمسهما ، أو يعوقهما ، أو يتبين أسباب مجيئهما ، بينما اتجهت هى إلى بافوس (٥٧) عبر طرق سماوية سامية ، فزارت مقامها من جديد تخامرها البهجة ، هناك حيث معبدها بمذابحه المائة ، تفوح بالبخور السبأى (٥٨) ، عبقة بأكاليل ناضرة .

وأسرعا وسط الطريق الذى أوصلهما إليه الممر ، ثم أخذا يتسلقان التل ، الذى يجثم شامخاً فوق المدينة ، ويطل من شاهق على القلاع المواجهة . وتعجب آينياس من تلك الكتلة من المبانى ، التى كانت ذات مرة أكواخاً . وتعجب من البوابات ، ومن طنين الطرق الممهدة . لقد كافح أهل صور فى حماس

شديد : بعضهم يقيمون الأسوار ، ويشيدون القلاع ، ويدحرجون الصخور بأيديهم ، والباقون يختارون مكاناً للسكنى ، ويحيطونه بخندق . إنهم يُشرّعون القوانين ، وينشئون الوظائف ، ومجلساً مقدساً للشيوخ . هنا فئة يحفرون الموانىء ، وهناك آخرون يرسون أسساً متينة لمسارحهم ، وينحتون من الصخور أعمدة هائلة ، حلية سامقة لمسرح المستقبل . إنهم كالنحل فى مطلع الصيف ، بين الحقول المزهرة ، ينكب على عمله تحت قيظ الشمس ، عندما يقود



منظر لعملية بناء مدينة قرطاجة : يقف آينياس وصديقه اخاتيس فى اعلى يسار الصورة ، بينما تظهر على اليمين اسوار المدينة التى تم بناؤها . وفى اسفل الصورة يقوم بعض الرجال بنحت الاحجار وتسويتها . وفى اعلى الصورة ناحية اليمين تظهر عجلة مثبتة فى عمود ، استخدمها الفينيقيون فى رفع الاحجار الضخمة .

الطلائع النامية من جنسه ، أو عندما يضغط الشهد السائل ، ويملأ الخلايا بحلو النكتار (٥٩) ، أو يتحمل أعباء القادمين ، أو يطرد من بين صفوفه ، فى طابور عسكرى ، اليعاسيب ، ذلك القطيع الخامل . إن العمل يزدهر ، والعسل يفوح بعبيق السعتر . « أيها المحظوظون .. يا من تعلو الآن مدينتكم » قالها آينياس وهو يتطلع إلى أسطح المدينة . واندس وسطهم ، وهو متدثر بالسحابة — يا لها من رواية شائقة — واندمج مع الرجال دون أن يفطن أحد إلى وجوده .



راس حصان مرسوم على وجه عملة فضية سكها القرطاجيون خصيصا لتوزيعها على افراد الحملة العسكرية القرطاجية اثناء وجودها في جزيرة صقلية عام ٤٠٩ ق.م. (موجودة الآن فى المتحف البريطانى)

كانت هناك أجمة فى وسط المدينة ، وارفة الظلال . إنها تلك البقعة التى حفر فيها الفينيقيون – حين ألقت بهم الأمواج والدوامة فى أول الأمر – العلامة التى أشارت جونو الملكة عليهم بحفرها : رأس حصان جامح (٦٠) . فهكذا شاءت الأقدار أن تكون سلالة شهيرة فى الحرب ، غنية فى المورد على مر العصور . وهنا كانت ديدو الصيداوية تشيد معبداً مهيباً لجونو ، غنياً بالعطايا وبتشريف الآلهة ، له أعتاب برونزية ترتفع بشكل متدرج ، قد سُوِّيَتْ دعامات أعتابه العليا من البرونز ، وكان للأبواب البرونزية « مفصلة » تطاق صريراً . فى تلك الأجمة تبدّى له – للمرة الأولى – شىء جديد هدأ من روعه . وهنا – لأول مرة – يجسر آينياس
٤٥٠ أن يهفو إلى السلام ، وأن يؤكد ثقته من جديد فى أقداره المحطّمة . إذ بينما كان يترسّم كل خطة تراوده ، وهو تحت سقف المعبد العظيم فى انتظار الملكة ، وبينما كان يعْجب بالمستقبل الذى ينتظر تلك المدينة ، وباليد المدرّبة ، والجهد الذى يبذله أهلها ، مرت أمام ناظريه المعارك الطروادية حسب ترتيبها الزمنى ، وتلك الحروب التى أصبحت معروفة فى العالم كله ، وأبناء أتريوس ، وأبناء برياموس ، وأخيليوس الذى عادى كلا منهما . وقف آينياس
٤٦٠ يذرف الدمع ويتساءل : « أى مكان يا أخاتيس ، أى بقعة فى الأرض لا تفيض الآن بأحزاننا ؟ أنظر ... ذاك برياموس ! هنا أيضاً تُمتدح فضائله ، وهذى الدموع ، والأشلاء الفانية ، كلها تمس شغاف القلوب . هوّن عليك خوفك ، فسوف تُقدّم لك تلك الشهرة بعض العزاء . هكذا تحدث ، وطيّب روحه بالصورة الخالدة ، وتنهد كثيراً ، ووجهه مثخن بنهر من الدموع . فقد كان

يشهد فى الصورة كيف – عندما استعرت الحرب حول أسوار طروادة – كان الأغريق هناك يلوذون بالفرار ، وكيف كان الشباب الطروادى يرهقهم . هناك كان أخيليوس ذو الخوذة ذات الذؤابة يطارد بعربته الفروجين أثناء فرارهم . وفى هذا الجزء من الصورة ، الذى لا يبعد عن الآخر كثيراً ، تعرّف – بينما هو يذرف الدمع – على خيام ريسوس بنسيجها الناصع البياض ، تلك الخيام التى خدع ديوميديس بن تيديوس – سفاك الدماء – أصحابها وهم فى أول غفوات النوم ، فأطاح بهم وأزهق منهم أرواحاً كثيرة ، ثم أدار الجياد الشرسة إلى المعسكر ، قبل أن تذوق العليق الطروادى ، أو أن تشرب من كسانثوس (٦١) . وفى جزء آخر من الصورة رأى ترويلوس (٦٢) ذلك الفتى التعس ، الذى لم يكن نداً لمنازلة أخيليوس : وهو يفر بعد أن فقد أسلحته – حملته خيوله ، ولما أن سقط تعلق خلف عربته الخالية ، ممسكاً – رغم هذا – بالعنان ، ومن ثم كانت رقبته وشعرة يُسْحَبَان فوق الأرض ، وحربته المنكسة تخط فى التراب . وفى نفس الوقت كانت النسوة الطرواديات بجدائلهن الشعثاء تتجهن نحو معبد مينرفا المعادية ، ترتدين ثوب الاستجارة ، تنتحبن فى ضراعة ، وتضربن صدورهن بالكفوف ، بينما تحولت الإلهة عنهن وثبتت عينيها نحو الأرض . لقد سحب أخيليوس هيكتور ثلاث مرات حول أسوار طروادة ، وباع الجسد الفاقد الروح بالذهب .

وبعدئذ ، أطلق آينياس من أعماق قلبه صرخة عالية ، عندما لمح الغنائم ، والعربة وجسد صديقه ذاته ، وبرياموس يداه موثوقتان مجردتان من السلاح . وتعرف على نفسه أيضاً أثناء معركة قامت بينه وبين القادة الأغريق ، كما تعرّف على القوات الشرقية وعلى أسلحة ممنون الأسمر (٦٣) ، ورأى بنثسيليا (٦٤) وهى تقود – فى سورة من الغضب – صفوف الأمازونيات بدروعهن الهلالية الشكل وقد اشتعلت حماساً وسط الألوف من حولها ، متمنطقة بزنار ذهبى تحت صدرها العارى : إنها محاربة عذراء جرؤت على خوض معركة ضد الرجال .

وإذ كانت هذه المشاهد اللافتة تتوالى أمام عينى آينياس الدردانى ، وبينما كان يحملق مشدوهاً يرنو بنظرة واحدة غير منقطعة ، اقتربت من المعبد الملكة ، ديدو ، البالغة الفتنة والجمال ، مع صحبة كبيرة من الشباب تحيط بها : وكأنها ديانا ، تقود جوقاتها الراقصة ، على شواطىء يوريتاس أو عبر قمم كينثوس ، وقد تجمع من حولها هنا وهناك ألف حورية أوريدية (٦٥) ، تحمل جعبة فوق كتفها ، تسمو فى خطوها على كل الإلهات ، ويخفق صدر أمها لاتونا (٦٦) الصامت فرحاً . تلك كانت ديدو ، وهكذا كانت تتهادى مبتهجة وسط صويحباتها ، تستحث العمل فى مملكتها الصاعدة . بعدئذ ، وبالقرب من أبواب الإلهة ، وتحت القبو الذى يتوسط المعبد ، تربعت محاطة بالأسلحة ، وأخذت مكانها ، مستوية على عرش مرتفع ، تقيم العدل وتشرع القوانين لشعبها ، توزع بينهم أعباء العمل بالتساوى ، أو تختارها لهم بالقرعة. وعلى حين غرة يرى آينياس ـ وسط جمهرة كبيرة تقترب ـ أنثيوس ، وسرجيستوس ، وكلوأنثوس الشجاع ، وآخرين من الطرواديين ممن شتتهم العاصفة السوداء فوق البحر ، وألقت بهم بعيداً على شواطىء أخرى . عندئذ تملكته الدهشة وتملكت أخاتيس فى الوقت نفسه ، فارتجفا من الفرح والرهبة . وتحرقا شوقاً أن تتعانق يمناهما ، لكن خاطراً مجهولاً حير أفئدتهما ، فظلا مختبئين ، إذ كانا لا يزالان متدثرين بالسحابة التى تلفهما . راحا يفكران : أى مصير ينتظر زملاءهما ، وعلى أى شاطئ تركوا أسطولهم ، ولم جاءوا ، إذ أنهما شاهدا أشخاصاً مختارين من كل السفن يتقدمون ، يلتمسون العفو ، ويسعون إلى المعبد فى صياح .

بعد أن أصبحوا فى الداخل ومنحت لهم فرصة الكلام ، بدأ إليونيوس العجوز ، منشرح الصدر ، يقول : « أيتها الملكة ، يا من وهبك جوبيتر حق تأسيس مدينة جديدة ، وحق السيطرة على قبائل متشامخة . إننا طرواديون تعساء ، طوحت بهم الريح فوق كل البحار ، نتوسل إليك ، إدرئى عن سفننا نيراناً متقدة ، أجيرى ذرية ورعة ، وانظرى بعين العطف لمصائرنا ،

إلينا بموجة مفاجئة ـ إلى ضحضاح خفي ، وشتتنا بعيداً بضربات قاسية مخطوفة ، فلَيس في خاطرنا ذلك العنف ، وليس للمهزومين مثل ذلك الكبْر. هناك مكان يسمية الأغريق هيسبريا (٦٧) ، أرض قديمة ، أهلها قادرون على حمل السلاح ، وغنية في ثروة الأرض ، يسكنها الأوينتريون ؛ والآن تسرى شائعة تقول إن ذرية صغيرة قد أسمتها إيطاليا على اسم قائدهم (٦٨) . تلك الأرض كانت مقصدنا ، عندما حَمَلَنا أوريون العاصف ـ بعد أن دفع لم نأت لنعيث بالسيف فساداً في الديار الليبية ، أولنندفع إلى الشاطىء أسلاباً بين أمواج البحر المصطخب الجائش بين الصخور التي لا منفذ لها ؛ وهكذا أبحرت فئة قليلة منا إلى شواطئك . أيّ سلالة من الناس هذه ؟ وأيّ وطن بربرى هذا الذى يسمح بتلك العادة ؟ لقد رفضوا استضافتنا على الشاطىء ، بل أعلنوا الحرب علينا ، ومنعونا من أن نلمس حدود أراضيكم . إن كنتم تحتقرون الجنس البشرى والأسلحة الفانية ، فتطلّعوا إلى الآلهة التى تتذكّر الصواب والخطأ . كان آينياس ملكاً علينا ، لم يكن هناك من يفوقه فى العدل أو التقوى ، أو مَنْ هو أعظم منه فى الحرب أو استخدام السلاح . إذا كان القدر لا يزال يحفظ لنا ذلك الرجل ، وإن كان ما يزال يستنشق هواء السماء ، وإن لم يكن قد رقد بعد فى الغياهب القاسية ، فلن يراودنا الخوف . كما أنك لن تندمى على المسارعة إلى تقديم الخدمات إلينا . فهناك أيضاً فى أرجاء صقلية مدائن وعتاد ، وهناك أكستيس ، المعروف بأصله الطروادى . فلْتسمحى لنا أن نرسى أسطولنا الذى أرهقته الرياح إلى الشاطىء ، وأن نشق الألواح ، ونسوّى المجاديف فى الغابات ، علّنا ، إذا التقينا بالرفاق والملك ، نشق الطريق نحو إيطاليا ، كى نواصل البحث عنها وعن لاتيوم ونحن نشعر بالسعادة . أما إذا حُرِمْنا الأمان واحتواك بحر ليبيا ، يا أعظم أب للطرواديين ، وإذا لم يبق لنا أى أمل فى أيولوس ، فلْنبحث عندئذ عن برازخ صقلية ، عن المناطق المُعَدة للقائنا ، من حيث جئنا إلى هنا ، وعن أكستيس ، نتخذه ملكاً علينا . » نطق إليونيوس بهذه الكلمات ، ثم هتف معه كل أبناء داردانوس فى صيحة واحدة.




عندئذ تحدثت ديدو فى إيجاز وقد وجهت نظراتها إلى أسفل . « انزعوا الخوف من قلوبكم ، يا معشر التيوكريين ، واطرحوا القلق جانباً ؛ فالضرورة القصوى وحداثة عهد مملكتى تدفعانى إلى القيام بمثل هذه الأعمال القاسية ، وإلى تأمين الحدود بالحراس فى كل اتجاه . مَنْ يستطيع أن يجهل سلالة آينياس ؟ ومَن لا يعرف مدينة طروادة ورجالها الصناديد ، وأعمالهم البطولية ، أو نيران تلك الحرب ؟ نحن معشر الصوريين ، لا نحمل قلباً جامداً إلى هذا الحد ، كما أن إله الشمس لا يوثق خيوله بعيداً عن مدينتنا صور . وسواء أكنتم ترغبون فى التوجه إلى هيسبريا العظيمة وحقول ساتورنوس ، أم تفضلون الذهاب إلى حدود أريكس واختيار أكستيس ملكاً عليكم ، فسوف أساعدكم بأموالى وأبعث بكم محاطين بحراسى ، أما إذا كنتم ترغبون فى الإقامة معى على قدم المساواة فى هذه المملكة فالمدينة التى أشيدها الآن مدينتكم . أرسوا سفنكم إلى الشاطىء ، ولسوف أعامل الطرواديين والصوريين بدون تفرقة . وياليت الملك آينياس نفسه يأتى إلى هنا تدفعه نفس رياح الجنوب . بل إننى سوف أبعث فى الوقت نفسه بأشخاص مخلصين على طول الشاطىء . وأصدر إليهم أوامرى كى يجوسوا أطراف ليبيا البعيدة ، فلعله — بعد أن ألقت به الرياح — يتجول الآن فى الغابات أو فى المدائن . »

لطالما تحرّق الشجاع أخاتيس والأب آينياس إلى أن ينطلقا من بين السحابة ، وقد أثارت مشاعرهما تلك الكلمات . فى أول الأمر تحدث

أخاتيس إلى آينياس « يا ابن الربة .. أى فكرة تقفز إلى ذهنك ؟ فها أنت ذا ترى أن كل شيء آمن ، وأن الأسطول قد استُعيد والرفاق قد رجعوا . ينقصنا رجل واحد ، وهو الذى رأيناه بأعيننا يهوى وسط الموجة ، أما كل ما بقى فهو يتفق مع أقوال أماك . »

لم يكد أخاتيس ينطق بهذه الكلمات ، حتى انشقت السحابة المحيطة بهما فجأة وتبددت فى الهواء المكشوف . ونهض آينياس يتألق فى الضوء النقى ، يشبه إلهاً فى الوجه والكتفين — إذ أن أمه نفسها كانت قد خلعت على ابنها بهاء الخصلات المتموجة ، وفتنة أوج الشباب ، وأضفت على عينيه لمعاناً متألقاً . كان جماله كالجمال الذى تضفيه على العاج يد فنان ، أو مثل الفضة أو مثل رخام باروس إذا ما غُلّف بالذهب الأصفر ، ثم تحدث إلى الملكة ، بينما لم يكن يراه أحد من الحاضرين قال فجأة :

« ها هو أمامك من تبحثين عنه ، إننى فى حضرتك ، آينياس الطروادى ، بعد أن تحررتُ من الأمواج الليبية . يا أنتِ ، يا مَنْ رثتْ دون غيرها لآلام طروادة التى تفوق الوصف ، أنتِ يا من جعلتنا ، نحن الفارين من قبضة الاغريق ، المُنْهَكين بكل نوازل الأرض والبحر ، المحرومين من كل شيء . ... جعلتنا ، يا ديدو ، شركاءً لك فى الدار وفى المدينة ، وليس فى مقدورنا أن نقدم لك ما تستحقينه من شكر ، وليس ذلك فى مقدور أى إنسان آخر — حيثما كان — من السلالة الطروادية المنتشرة على وجه الأرض العريضة . ألا ليت الآلهة — إن كانت الأرواح المقدسة تقدر الأتقياء ، إن كان هناك شيء من العدالة فى أى مكان — ليت الآلهة وليت روح العدالة الواعية تهبك ثواباً تستحقينه . أىّ عصور سعيدة قد حملتك ؟ وأىّ والدين عظيمين قد أنجباك ما دامت الأنهار تجرى نحو البحار ، ومادامت الظلال تزحف على جوانب الجبال ، وما دامت النجوم تقتات من كلأ السماء ، فلسوف يخلد شرفك واسمك وحمدك فى جميع البقاع التى أذهب إليها مهما تعددت » . هكذا تحدث . ثم مد يده اليمنى نحو صديقه إليونيوس ، واليسرى نحو سيرستوس ،

ثم بعد ذلك فعل نفس الشيء مع أصدقائه الآخرين : جياس الشجاع ، وكلوأنثوس المقدام .

تملكت الدهشة ديدو الصيداوية ، فى البداية عند رؤية منظر الرجل ، ثم بعد ذلك عند معرفة ما وقع له من أهوال . ثم انطلق لسانها بهذه الكلمات « أى قدر يتعقبك ، يا ابن الإلهة ، بين مثل هذه المخاطر ؟ أى قوة تدفعك إلى شواطئه اللعينة ؟ أهو أنت ذلك الرجل آينياس ، الذى أنجبتك لأنخسيس الدردانى ڤينوس البهية ، بموجة من سيمويس الفروجى ، ؟ حقاً ، إننى أذكر تيوكر حين جاء إلى صيدا ، منفياً خارج حدود وطنه ، باحثاً عن مملكته الجديدة بمساعدة بيلوس . كان أبى بيلوس حينذاك قد قهر قبرص الغنية ، وكان — لأنه المنتصر — يضعها تحت سلطانه : ومنذ ذلك الوقت أصبح سقوط مدينة طروادة معروفاً لدىّ ، وكذلك أصبح اسمك وأسماء الملوك البلاسجيين . بل إن العدو نفسه كان يمجد التيوكريين تمجيداً بالغاً ، وكان يتمنى لو أنه نفسه ينحدر من سلالة التيوكريين العريقة . هلموا إذن أيها الشباب وادخلوا مساكننا ، فأنا أيضاً قد ساقنى حظ ، من مثل حظكم ، إلى غمار آلام كثيرة ، ثم شئت أن أؤسس داراً فوق هذه الأرض . ولأنى لا أجهل السوء فقد تعلمت أن أصادق التعساء . »

وما كادت تفرغ من حديثها حتى قادت آينياس فى الحال إلى القصر الملكى ، وأمرت فى التو بتقديم القرابين فى معابد الآلهة . وفى نفس الوقت لم تنس أن ترسل عشرين ثوراً إلى رفاقه على الشاطىء ، وبعثت بمائة خنزير ضخم ، ظهورها ذات شعر كثيف ، وبمائة حمل سمين تصاحبها أمهاتها ، وهدايا ونبيذاً يدخل البهجة على قلوبهم . كان القصر من الداخل مجهزاً فى أبهة ملكية رائعة ، وقد أعدت الولائم فى وسط قاعاته . فالأغطية مطرزة بحذق من الأرجوان الفاخر ، وفوق الموائد عدد ضخم من الأوانى الفضية ، محفور عليها بالذهب أعمال الآباء البطولية ، سلسلة بالغة الطول من البطولات تترى خلال أبطال كثيرين منذ أصل السلالة العريق .

ولأن عاطفة الأبوة لم تدع وجدان آينياس يخلد للراحة ، فقد أرسل أخاتيس سريعاً إلى السفن ، ليحمل هذه البشائر إلى أسكانيوس وليقوده إلى المدينة — ففى أسكانيوس وضع آينياس كل حب كان يحس به نحو والده. وأمره كذلك أن يحضر معه كل الهدايا المنتشلة من حطام اليوم : دثار مطرز الحافة بأشكال صيغت من الذهب ، وخمار مهدب الحواشى بالأقنثا الصفراء ، لبسته ذات يوم هيلينا الأرجوسيه عندما سعت إلى برجاموس تبحث عن زواج غير مشروع (٦٩) : نفائس كانت قد أحضرتها من موكيناى هدية رائعة من والدتها ليدا (٧٠) ، وأمره أن يحضر أيضاً صولجاناً ، حملته ذات مرة إليونى ، كبرى بنات برياموس ، وقلادة محلاة باللؤلؤ ، وإكليلاً ذا طوقين من الجواهر والذهب. وولى أخاتيس وجهه صوب الأسطول مسرعاً يحمل هذه الأوامر .

لكن الكثيرية كانت تقلب فى صدرها حيلاً ، وتدبر خططاً جديدة : أن يأتى كيوبيد ، بعد أن يتغير وجهه وملامحه — يأتى بدلاً من الوسيم أسكانيوس ، فيلهب الملكة بهداياه إلى حد الجنون ، ويبث نار الحب فى عظامها. فى الحقيقة كانت الكثيرية تهاب المنزل الغامض ، والصيداويين ذوى اللسانين (٧١) ، لكن جونو القاسية كانت تلهب غيظها . لذلك زاد اهتمام الكثيرية من جديد ، وبعد أن جن الليل تحدثت إلى إله الحب المجنح بهذه الكلمات :

« ولدى (٧٢) ، أنت وحدك قوتى ، أنت وحدك قدرتى الفائقة ، ولدى يا من تحتقر حراب الأب القادر التيفوية (٧٣) ، إليك ألتجىء ، ضارعة ، أرتجى قدسيتك. إن أخاك آينياس قد دار به البحر يلقيه على كل شاطىء بسبب كراهية جونو القاسية — ولعل ذلك معروف لديك — ولطالما تألمت لحزننا . إن ديدو الفينيقية تستبقيه ، وتمهله بألفاظ عذبة ، وإنى لأخشى عاقبة ذلك الكرم الجونى (٧٤) ، فإن جونو لا تقف مكتوفة الأيدى عندما تتحول الأمور . ولذلك فإنى أفكر فى أن أهزمها بالخديعة ، وأن أحاصر الملكة بلهيب الحب ، كى لا تستطيع أية قوة مقدسة أن تبدل مشاعرها ،

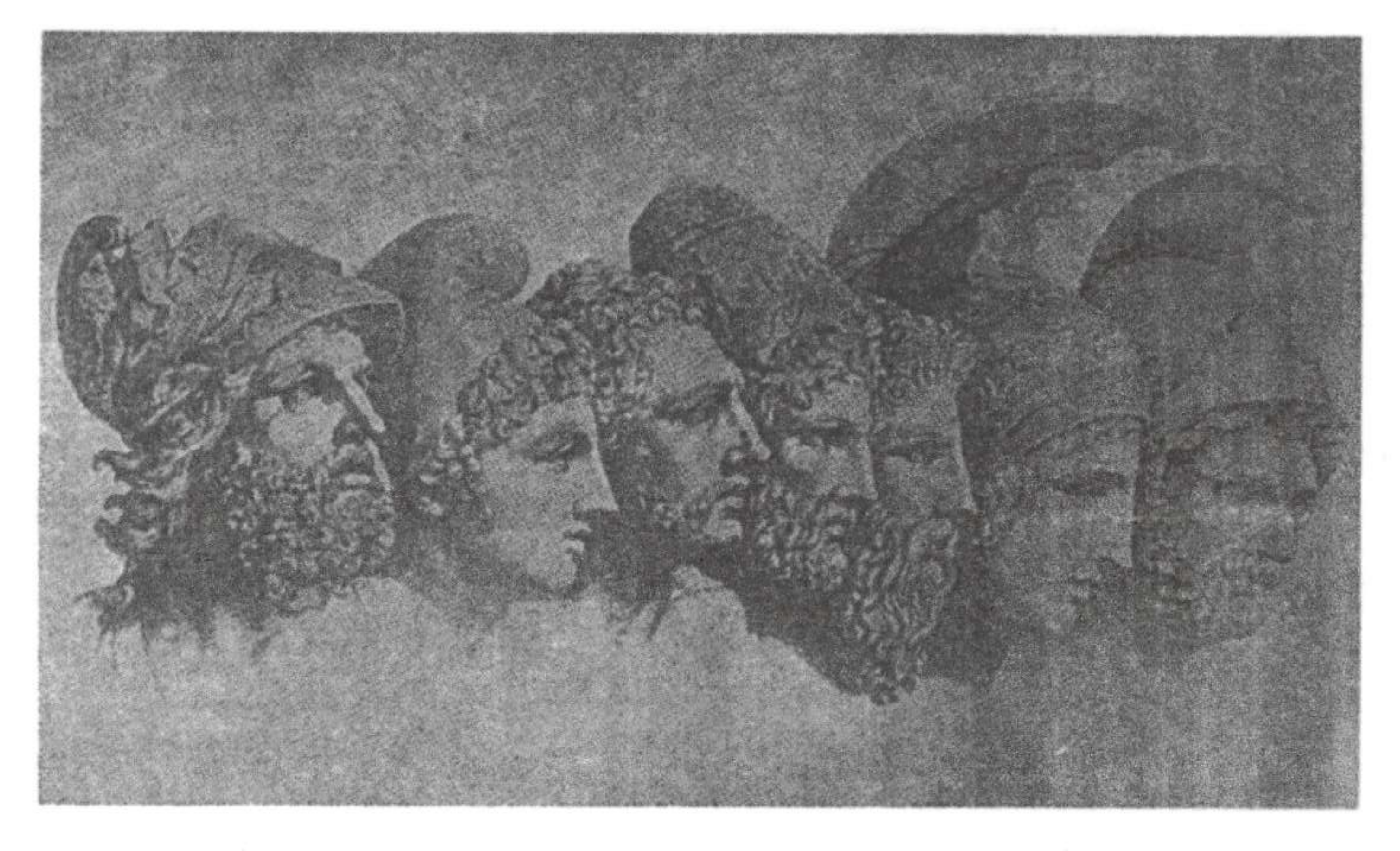
ولكنها عن طريقي – سوف ترتبط مع آينياس بحب عظيم . إليك الآن نصيحتي ، التي تستطيع بها أن تنفذ هذا : إن الصبي الملكي (٧٥) ، شاغلي الأعظم ، يستعد للذهاب إلى مدينة صيدا ، تلبيةً لطلب والده العزيز ، حاملاً معه الهدايا التي ظلت باقية بعد أهوال البحر وحريق طروادة : سوف أهْدِهُ إلى سبات عميق ، ثم أخفيه في مقامي المقدس ، فوق أعالي كيثيرا ، أو فوق إيداليوم (٧٦) ، كي لا يستطيع ، بشكل ما ، أن يفطن إلى حيلتي أو يحبطها : فانتحلْ بالخديعة شخصيته الليلة واحدة لا أكثر . ولأنك صبي مثله ، فاخلعْ على نفسك ملامح وجهه المعهود . وعندما تستقبلك ديدو في حجرها ، وهي في غمرة سعادتها بين الموائد الملكية والنبيذ المتدفق ، وعندما تحتويك في أحضانها وتلثمك أحلى القبلات ، فإنك تستطيع حينئذ أن تبث فيها ناراً غير مرئية ، وتخدعها بسُمِّك . » ويطيع إله الحب كلمات أمه العزيزة ، ويخفض جناحيه ، ويتهادى مغتبطاً في هيئة يولوس . أما ڤينوس فإنها تبعث الهدوء اللذيذ في أوصال أسكانيوس ، وتدلله في حضنها ، ثم تحمله ، بعناية إلهية ، إلى أحراش إيداليوم العالية ، حيث يحتويه المردقوش الناعم ، وتلفه الظلال الحلوة العابقة بأريج الزهور .

لقد ذهب الآن كيوبيد ، منصاعاً لقولها ، وحمل الهدايا الملكية إلى الصيداويين ، سعيداً بأخاتيس كمرشد له . وعندما وصل كانت الملكة مسترخية فوق عرش ذهبي ، بين ستائر فاخرة ، متخذة مكانها في الوسط ، وقد تجمع في تلك اللحظة آينياس الأب والشباب الطروادي ، واتكأوا على أغطية قرمزية مفروشة . وكان الخدم يسكبون الماء على أيديهم ، ويقدمون الخبز من السلال ، ويحملون المناشف الناعمة الذوائب . وفي الداخل كان ثمة خمسون خادمة ، مهمتهن توفير الأطعمة المعدة دون انقطاع ومواصلة إشعال المواقد ؛ وهناك مائة أخريات ، معهن كثير من الخدم المتقاربين في السن ، يحملن الموائد بالأطعمة ، ويصففن عليها الأكواب ، ودخل الصيداويون كذلك جماعات ، عبر المداخل البهية ، وصدرت إليهم الأوامر بالجلوس على الوسائد

المطرزة . لقد أذهلتهم هدايا آينياس ، وأدهشهم يولوس . راعهم الإله بنظراته المتألقة ، وكلماته البراقة ، وأدهشهم الدثار والخمار المنقوش بزهرة الأكانثوس الصفراء . إلى جانب ذلك كانت الفينيقية المسكينة ، المسُوقة إلى مصير مهلك ، لا تستطيع أن تهدّىء روعها ، بل كانت تشاهد كل ذلك فتشتعل ناراً ، وقد أهاجتها الهدايا ، وأثارها الصبي على السواء . وبعد ما تعلق الفتى ، معانقاً ، برقبة آينياس ، وأشبع الحب العظيم للأب المخدوع ، توجّه إلى الملكة . لقد تشبثت به بنظراتها ، وبكل فؤادها ، ثم ما برحت تدلله في حجرها غير مدركة ــ مسكينة ديدو ! ــ أي إله عظيم يستقر بداخلها ليكون سبباً في شقائها . لكنه ــ متذكراً أمه الأكيدالية (٧٧) ــ بدأ ينتزع ــ شيئاً فشيئاً ــ حبها لسيخايوس ، وحاول أن يفاجىء روحها التي كانت قد غفت عن الحب ، وقلبها الذي لم يعتده طويلا قبل الآن ، بحب فتيّ دافق .

عندما ساد الهدوء المأدبة ، ورُفعتْ الموائد ، سرعان ما وضعوا الدنان الضخمة ، وتوّجوا النبيذ بأكاليل من الزهر . ثم امتلاء المبنى بالضوضاء ، وترددت أصوات في ردهاته الشاسعة . وإذا بمصابيح مضيئة تتدلى من السقوف المحلاة بالذهب ، ومشاعل تقهر ظلام الليل بوهجها . عندئذ طلبت الملكة كأساً مثقلة بالذهب والجواهر ، ملأتها بالنبيذ الخالص ، إنها تلك الكأس التي اعتاد أن يستخدمها بيلوس وكل سلالة بيلوس ، ثم خيم الصمت على القصر : « أي جوبيتر ، لأنك تُشرّع القانون للضيوف ــ كما يقولون ــ لتكُنْ مشيئتك أن يكون اليوم يوماً سعيداً لكل من الصيداويين والقادمين من طروادة ، وأن يبقى في ذاكرة صغارنا على الدوام . ليكن باخوس ، واهب النشوة ، بجانبنا ، ولتكن جونو الطيبة أيضاً . وأنتم ، يا معشر الصيداويين ، إحتْفوا بصحبتنا ووفّوها حقها من التكريم . » . قالت هذا ، ثم سكبتْ النبيذ على المائدة ، كما لو كانت تقدم قرباناً . بعد ذلك كانت هي أول من لمسته بطرف شفتها ، ثم ناولته لبيتياس في تحدٍ ، فعبّ الكأس المزْبدة في خفةٍ ، وراح يحتسي من الذهب المترع بالنبيذ ، وتبعه بعد ذلك النبلاء الآخرون .

وملأ أيوباس ، ذو الشعر الطويل ، الردهة ألحاناً بقيثارته الذهبية ؛ تغنى أيوباس ، الذى علّمه أطلس العظيم ، بالقمر السوّاح ، وبآلام الشمس . أنشد من أين جاء الإنسان والحيوان ، ومن أين وُجد الماء والنار ، وأنشد أيضاً عن أركتوروس ، وعن هياديس الممطر ، وعن الثورين التوأمين ؛ وعلل فى إنشادة لماذا تسرع شمس الشتاء إلى إغراق نفسها فى المحيط ، وأى تأخير يعرقل لياليه المتلكئة . وتمادى الصيداويون فى التصفيق ، وتبعهم فى ذلك الطرواديون . أما ديدو التعسة فقد كانت بدورها تطيل الليل بأحاديث متنوعة ، وترتشف كؤوس الحب الخالد: تسأل كثيراً عن برياموس، وكثيراً عن هيكتور، وحيناً تسأل عن الأسلحة التى امتشقها ممنون عند حضوره ، وحيناً تسأل عن سلاله خيول ديوميديس ، وحيناً تسأل عن أخيليوس العظيم . « بل تعال ، قُص علينا القصة أولاً من بدايتها ، أيها الضيف . »قالت له ذلك ، ثم أضافت : «تحدث عن غدر الأغريق ، وعن مصائب رفاقك، وعن تجوالك ، لأن هذا هو الصيف السابع الذى يحملك متجولا فوق كل الأراضى والبحار » .



« قادة الاغريق فى الحرب الطروادية كمـــا تخيلهم الرسام كريستيان هاين »

حواشى الكتاب الأول

(١) تبدأ بعض المخطوطات ملحمة ڤرجيليوس بالأبيات التالية :

ذاك أنا ، من غنى نشيده على مزمار رفيع ،
بعد أن هجرت الغابات ، قصدت الحقول المجاورة ،
كى أعين المزارعين ، وأقرب إلى نفوسهم ذلك العمل الشاق ،
وها أنا ذا أغنى للإله مارس المدجج بالسلاح .

يبدو أن ڤرجيليوس كتب هذه الأبيات الأربعة فى إحدى مسوداته عند صياغة الأينيدة ، ثم استبعدها من قاموا بجمع وإعداد هذا العمل بحجة أن التعبير «السلاح والرجل Arma virumque» الذى يبدأ به السطر التالى هو بداية طبيعية ومألوفة فى استهلال الملاحم القديمة .

هذا إلى أن استهلال الملحمة بنبذة عن حياة الشاعر وأخرى عن حياة البطل أمر غير مألوف . ومن ناحية أخرى فإن هذه الأبيات ذاتية يشير فيها ڤرجيليوس إلى الأعمال التى سبق أن قام بها وهى الرعويات والفلاحة ثم بداية الأينيدة ؛ وهى لهذا الطابع الذاتى تتنافى مع طبيعة الملحمة الموضوعية .

(٢) لاڤينيوم Lavinium ، اسم مدينة بناها آينياس Aeneas فى إقليم لاتيوم Latium الذى يضم مدينة روما ، وسماها باسم زوجته لاڤينيا Lavinia ابنة لاتينوس Latinus . وهى مدينة پراتيكا Pratica الحالية .

(٣) چونو Juno أو Iuno ، فى الأساطير الرومانية هى زوجة چوپيتر Jupiter رب الأرباب وكبير الآلهة ، وتقابل الربة هيرا Hera عند الإغريق . من وظائفها الإشراف على عملية الوضع ومساعدة النساء أثناء ذلك . والسبب فى غضبها من أهل طروادة – ومنهم آينياس – هو الإهانة التى لقيتها من پاريس ابن ملك طروادة ، إذ أن پاريس حرمها والربة مينيرڤا Minerva من التفاحة الذهبية ، جائزة الجمال ، ومنحها الربة ڤينوس Venus ، ربة الجمال ، فوعدته الأخيرة بالزواج من أجمل نساء الدنيا ، وهى هيلينا زوجة مينيلاوس التى كانت سببا فى قيام الحرب الطروادية التى وصفها هوميروس فى الإلياذة .

(٤) ألبا Alba أو البالونجا Alba Longa ، هى المدينة الأم لروما ، شيدها أسكانيوس Ascanius إبن آينياس على التل الألبانى ، الذى يقع على بعد خمسة عشر ميلا جنوب غربى روما .

(٥) قرطاجة Karthago ، مستعمرة أسسها الفينيقيون من أهل صور ، حوالى القرن التاسع قبل الميلاد بالقرب من تونس الحالية . كانت قلعتها تسمى بورصا ، وهى تعنى – باللغة الفينيقية – القلعة . اشتهر أهلها بالتجارة وركوب البحر .

(٦) التيبر Tibris ، النهر الرئيسى فى إيطاليا ، يشقها طولا من جبال الأبنين إلى الجنوب حيث يمر بين اتروريا وأومبريا من ناحية ، وبين لاتيوم من ناحية أخرى. كان هذا النهر قديماً يسمى ألبولا ، وتقع مدينة روما على شاطئه الأيسر على بعد أربعة عشر كيلو متراً من مصبه عند أوستيا Ostia

(٧) ساموس Samos ، جزيرة تقع فى مواجهة الساحل الجنوبى الغربى لآسيا الصغرى .

(٨) ليبيا Lybia ، المقصود هنا بكلمة ليبيا هو الجزء الشمالى من القارة الافريقية .

(٩) ربات القدر Parcae ، كن عند الإغريق ثلاث : كلوثو Clotho ، لاخيسيس Lachesis ، أتروبوس Atropos ، ويقابلهن عند الرومان : نونا Nona دكوما Decuma ، مورتا Morta .

(١٠) ساتورنوس Saturnus ، أى «باذر الحب» ، هو إله الزراعة عند الرومان ، ثم أصبح بعد ذلك يقابل كرونوس عند الإغريق . يقال إنه أول من أدخل الزراعة فى روما ، وهو أيضا مؤسس قلعتها فوق الكابيتول. عرف عهده بالمهد الذهبى،وسمى الاحتفال الذى يقام تكريماً له بأعياد الساتورناليا Saturnalia .

(١١) (عاصمة إقليم أرجوليس جنوب البيلوبنيز) .

(١٢) راجع قصة التفاحة الذهبية التى سبقت الإشارة إليها فى حاشية رقم ٣ .

(١٣) كان الطرواديون على الدوام هدفاً لغضب جونو : إذ أن دردانوس Dardamus – الجد الأكبر للطرواديين – هو ابن جوبيتر الذى أنجبته له الكترا فى غفلة من زوجته الشرعية جونو .

(١٤) جانيميديس Ganymedes : كان هو الآخر بغيضاً لجونو ، لأنه ابن تروآس Troas الذى سميت طروادة باسمه ، والذى ينحدر من إريختينيوس بن دردانوس بن جوبيتر من الكترا . ومن ثم فإن جانيميديس من ناحية هو حفيد لابن زوجها سليل الخيانة ، ومن ناحية أخرى كان جانيميديس أخا إليوس جد برياموس ، وأيضاً كان أخا أساراكوس جد آينياس الأكبر . وتروى الأساطير أن الآلهة رفعت الفتى جانميديس إلى السماء ، أو أن نسر جوبيتر قد اختطفه واتخذه كبير الآلهة ساقياً له .

(١٥) أخيليوس (= أخيليس عند الرومان Achilles) ، أحد قادة الحملة الإغريقية ضد طروادة ، والبطل الحقيقى للإلياذة – ملحمة هوميروس – والذى لعب الدور الرئيسى فى حرب طروادة ، بعد أن تملكه الغضب بسبب موت صديقه باتروكلوس .

(١٦) هى أثينا ربة الحكمة .

(١٧) أياس بن أويليوس Aias Oili ، وهو غير أياس التلاموني وأقل منه مكانة . كان أحد الذين اشتركوا فى حصار طروادة . غرق أسطوله أثناء عودته فساعده پوسيدون على النجاة ، فلما وصل سالماً وقف فوق صخرة ليعلن أنه استطاع السباحة بالرغم من إرادة الآلهة . عندئذ أغرق پوسيدون الصخرة من تحته وأغرقه . أما لماذا أغرقت أثينا أسطوله – بالرغم من أنه اغريقى – فقد حدث ذلك لأنه انتهك حرمة كاساندرا العذراء بعد سقوط طروادة بالرغم من أنها كانت تحتمى خلف تمثال أثينا (= مينيرڤا عند الرومان) المقام فى معبدها . وظل شعب أياس يكفر عن هذه الجريمة البشعة بإرسال عدد من عذارى النبلاء كل عام ليخدمن فى محراب تلك الإلهة المقام فى طروادة .

(١٨) أيوليا Aeolia ، عند هوميروس، هى جزيرة عائمة يعيش عليها أيولوس ابن هيبوتيس ، أحد أصدقاء الآلهة ، وقد أصبح إلهاً للريح ، فيما بعد . أما ڤرجيليوس فهو يشابه بين أيوليا وليپارا وهى إحدى الجزر البركانية الواقعة شمال صقلية (راجع الكتاب الثامن من الملحمة سطر ٤١٦) .

(١٩) البحر التيرانى Tyrrhenum aequor ، نسبة إلى الاتروسكيين ، وهم قوم استقروا فى شمال غرب إيطاليا ، ولا يعرف أصلهم ؛ وإن كان من المرجح أنهم نزحوا من ليديا .

(٢٠) ديوپيا Deiopea ، اسم لإحدى الحوريات ، لم يرد ذكره إلا عند ڤرجيليوس .

(٢١) حرفيا : سعادة مثلثة أو مربعة terque quaterque beati ;

(٢٢) ديوميديس Diomedes هو ابن تيديوس Tydeus ، نازل آينياس بالقرب من أسوار طروادة ، وجرح آينياس أثناء ذلك النزال ، كان ديوميديس على وشك أن يقضى على حياة منافسه لولا أن تدخلت الإلهة ڤينوس .

(٢٣) «مجندلا بحربة الأياكيدى» Aeacides ، أى حفيد أياكوس ، وهو أخيليوس ابن پليوس Peleus بن أياكوس .

(٢٤) ساربيدون Sarpedon ، ابن جوپيتر من لاوذاميا Laodamia . كان قائداً بارعاً قاد الكيليكيين – حلفاء الطرواديين – ، وأعظم المحاربين ؛ قتله حربة باتروكلوس رفيق أخيليوس .

(٢٥) سيمويس Simois ، اسم نهر فى طروادة ، ورد ذكره للمرة الأولى عند هزيودوس Hesiodos فى قصيدة أنساب الآلهة ، سطر ٣٤٢ .

(٢٦) شعوب تسكن منطقة لوكيا Lycia الواقعة فى آسيا الصغرى .

(٢٧) إليونيوس Ilioneus وأخاتيس Achates هما إثنان من مرافق آينياس أثناء رحلته الطويلة الشاقة .

(٢٨) نبتونوس Neptunus ، إله إيطالى قديم ، كانت تقدم له العبادة فى شهر يوليو من كل عام (نبتوناليا Neptunalia) . أول ما ظهر فى الأدب الرومانى كان إلهاً للبحر ، وكانت له صفات پوسيدون . كذلك عرف بحبه للخيل التى كان يهواها پوسيدون أيضا .

(٢٩) يحدث نيبتونوس إلى الرياح باحتقار شديد ؛ إذ أنها كانت فى نظر الرومان تنتمى إلى آلهة «الدرجة الثالثة» ، طالما كانت تنتسب إلى أحد التياتن (العمالقة) يدعى استرايوس Astraeus وزوجته أورورا Aurora .

(٣٠) سيدهم هو أيولوس المكلف بحراسة الرياح .

(٣١) أسماء قادة طرواديين .

(٣٢) يشير ڤرجيليوس هنا إلى احتكاك حجر الصوان وما ينتج عنه من شرار ؛ وهى الطريقة البدائية لإشعال النار .

(٣٣) أكستيس Acestes ، ابن إله البحر الصقلى كريمسوس من إحدى الطرواديات. إحتفى بأينياس فى صقلية .

(٣٤) تريناكريا Trinacria وتعنى الأرض ذات الرؤوس البحرية الثلاثة، أى جزيرة صقلية .

(٣٥) سكيلا وخاريبديس حارستان لصخور تطبق على من يبحر بينهما . انظر الأينيدة ك ٣ ، س ٤١٠ — ٤٣٠ ص ١٨٠ .

(٣٦) أى : ذو العين المستديرة (الواحدة) انظر ك ٣ ، س ٦١٢ — ٦٤٤ ص ١٨٧ .

(٣٧) كل هؤلاء مرافقون لأينياس ورد ذكرهم بعد ذلك أكثر من مرة .

(٣٨) المقصود بالبرازخ الإليرية هنا هو الخليج الأدرياتيكى على طول شاطىء إلليريا Illyria . يؤكد هذا أن عابر ذلك الخليج — شأن أنتينور — يجد نفسه وسط أصقاع الليبورنيين Liburni .

(٣٩) تيماڤوس Timavus ، نهر يجرى فى إيستريا Istria الواقعة شمال الأدرياتيك .

(٤٠) مدينة پتاڤيوم Patavium ، قرب الينابيع فى كيسالبينا الغالية .

(٤١) الكيثيرية Cytherea ، كناية للربة ڤينوس ، نسبة إلى كيثيرا Cythera وهى جزيرة تقع شمال لاكونيا يقال إن مولد ڤينوس كان فى المياه القريبة من شواطئها .

(٤٢) أسكانيوس Ascanius ، هو ابن آينياس وكريوسا Creusa، ، ويدعى أيضا إيولوس Iulus . بهذه التسمية الأخيرة يربط ڤرجيليوس أسرة (آل) يوليوس – ومن ثم الإمبراطور يوليوس – بآينياس . ويرى ڤرجيليوس أن أسكانيوس كان يدعى فى بادىء الأمر إيلوس (وهو اسم أحد ملوك إليوم = طروادة) ، ثم تحول هذا الاسم بعد سقوط طروادة فأصبح إيولوس ، وهو اسم يوحى بالشباب والجمال . ومنه اشتق اسم يوليوس .

(٤٣) إليا Ilia ، وتسمى أيضا ريا سيلڤيا Rhea Silvia ، عذراء أوقفت حياتها على العبادة . أمر عمها أموليوس Amulius بإلقائها فى نهر التيبر ، لكن إله البحر أنقذها من الموت (راجع الحاشية التالية) .

(٤٤) يقال إن روما قبل أن تستكمل كيانها كانت إحدى مقاطعات ألبالونجا ، توارد على حكمها عدة ملوك ينحدرون من أصل طروادى ، أولهم أسكانيوس بن آينياس وآخرهم أموليوس الذى أزاح أخاه نوميتور Numitor الملك العادل ، وأجبر ابنته على الترهب كى لا تتزوج خوفاً من أن تنجب أبناء ينتقمون لجدهم نوميتور . لكن إليا حملت من مارس إله الحرب فى توأم – ريموس Remus ورومولوس Romulus – فألقى أموليوس بهما فى نهر التيبر . لكن الأمواج قذفت بهما على الشاطىء الآخر حيث تلقتهما أنثى ذئب أرضعت الطفلين إلى أن شبا وعادا إلى ألبالونجا فأطاحا بعرش أموليوس وأعادا نوميتور إلى الحكم . بعد ذلك قررا تأسيس مملكة قوية واختارا أن يكون الطير حكماً بينهما فى اختيار أحدهما ليكون ملكاً عليها ، فكان رومولوس الذى سميت المملكة «روما» باسمه .

(٤٥) شعب العباءة ، لأن العباءة Toga كانت الرداء المميز لأفراد الشعب الرومانى يلبسونها أثناء أداء واجباتهم الاجتماعية ، ثم اقتصر ذلك فيما بعد على المناسبات الرسمية .

(٤٦) أساراكوس Assaracus ، هو الجد الأول لآينياس . فثيا Phthia ومُوكيناى Mycenae ، مدينتان اغريقيتان . الأولى فى تساليا ، وهى مسقط رأس أخيليوس ، والثانية فى منطقة أرجوليس ويحكمها أجا ممنون . ويقصد ڤرجيليوس بذلك أن روما سوف تقهر بلاد الإغريق .

(٤٧) بعد معركة أكتيوم عام ٣١ ق.م. توغل أوكتاڤيوس فى سوريا وآسيا الصغرى ، ثم احتفل بانتصاراته عندما عاد إلى روما عام ٢٩ ق.م. فى ذلك الوقت أهدى أوكتاڤيوس معبداً ليوليوس قيصر المؤله Divus Iulus ، وراح يتقبل الهدايا والنذور فى شرفه ، وأغلق معبد يانوس دلالة على انتهاء عصر الحروب واستقرار السلام – وهنا يتنبأ جوپيتر بكل هذه الأحداث .

(٤٨) ابن مايا Maia ، هو الإله ميركوريوس Mercurius ، رسول الآلهة .

(٤٩) التيوكريون هم أبناء تيوكر ، أى الطرواديون .

(٥٠) يؤكد فرجيليوس جمال ڤينوس ، الذى تبدت به أولا ، ثم يؤكد قوتها ؛ إذ كانت القوة فى المرأة من أمارات الجمال ، وكانت نساء اسبرطة يؤدين تمارين رياضية عنيفة لتقوية عضلاتهن .

(٥١) هار باليكي Harpalyce ، هى ابنة هاربا ليكوس أحد ملوك تراقيا كانت تحارب جنباً إلى جنب مع الجنود . وهيبروس Hebrus هو النهر الرئيسى فى تراقيا ، ويعرف الآن بنهر ماريتزا Maritza . وقد اعتاد الشعراء وصف الأنهار بالسرعة ؛ بالرغم من أن نهر هيبروس لم يكن نهراً متدفقا .

(٥٢) ابن ڤينوس هو آينياس .

(٥٣) فويبوس Phoebus ، هو أپوللون ، إله النور .

(٥٤) بيرسا Byrsa ، هى فى الأصل تحريف للكلمة الفينيقية بوصرا Bosra ومعناها «قلعة» ، ومن المحتمل أنها تشير إلى قلعة قرطاجة الجديدة . ولم يفهم القدماء أصل كلمة Bosra فاعتقدوا أنها مشتقة من الكلمة الإغريقية Bursa ومعناها «جلد الحيوان المذبوح» . من هنا نشأت أسطورة «جلد الثور» . تروى الأسطورة أن ديدو ورفاقها – فور وصولهم – ابتاعوا من المواطنين مساحة من الأرض بقدر ما يستطيع جلد ثور مذبوح – بعد تمزيقه إلى شرائط ضيقة وتوصيل هذه الشرائط بعضها ببعض حتى تكون ما يشبه الحبل – أن يحددها .

(٥٥) البيناتيس هم آلهة طروادة يأتى ذكرها بعد . (٥٧) (ص ١٥٩)

(٥٦) الفروجى Phrygius ، نسبة إلى فروجيا Phrygia الواقعة شمال غرب آسيا الصغرى والقريبة من طروادة .

(٥٧) بافوس Paphos مدينة فى جزيرة قبرص يوجد بها معبد ڤينوس ومقر عبادتها .

(٥٨) نسبة إلى مملكة سبأ (= اليمن) الشهيرة بالعطور والبخور .

(٥٩) النكتار Nectar ، هو شراب الآلهة ؛ أما طعامهم فكان الامبروسيا ambrosia .

(٦٠) كانت رأس الحصان الجامح شعاراً لقرطاجنة ، وهى شائعة فى عملتها . عموماً كان الحصان يرمز إلى الحرب والثروة ، وكانت قرطاجنة غنية بالذهب والفضة ، كما كانت غنية أيضا بالخيول .

(٦١) كسانثوس Xanthus ، نهر معروف يجرى فى طروادة .

(٦٢) ترويلوس Troilus ، الابن الأصغر لبرياموس ملك طروادة ، لقى حتفه على يد أخيليوس .

(٦٣) ممنون Memnon ، هو ملك الأثيوبيين ، أنجبه تيثونوس Tithonus من الربة أوورورا .

(٦٤) بنثسيليا Penthesilea ، هى ملكة الأمازونيات .
كانت تحارب بشجاعة فى صفوف الطرواديين . ذبحها أخيليوس بعد أن قتل هيكتور . لكنه بعد ذلك حزن عليها حزناً بالغاً لجمالها المفرط . وتروى الأسطورة أن أحد أصدقاء أخيليوس — ثرسيس — كان يداعبه ويسخر منه لأنه قتلها فاغتاظ أخيليوس وقتل صديقه فى ثورة من الغضب ، ثم ركب عربته لا يلوى على شىء مما أتاح لباريس بن برياموس — أو للإله أبوللون — أن يرشقه بسهم فى كعبه فأرداه قتيلا (كانت أم أخيليوس — وهى حورية ماء — قد أمسكته من كعبه أثناء طفولته وغمسته فى ماء مقدس ، فابتل كله إلا كعبه ، ومن ثم أصبح خالداً لا يمكن إصابته إلا من كعبه الذى لم يبتل بالماء المقدس) .

(٦٥) الحوريات الأوريدية Oreades ، هم الحوريات اللائى كن يرتعن فى الجبال ، والصفة مشتقة من الكلمة اليونانية oros ومعناها «جبل» .

(٦٦) لأتونا Latona ، هى والدة ديدو ملكة قرطاجة .

(٦٧) هيسبيريا Hesperia ، أى الأراضى الغربية (بالنسبة للإغريق) ، والمقصود بها إيطاليا .

(٦٨) نسبة إلى قائدهم إيطالوس Italus .

(٦٩) المقصود هنا هيلينا Helena ، زوجة مينيلاؤوس ، عندما هربت بمصاحبة باريس إلى طروادة بعد أن تركت خلفها زوجها ملك اسبرطة .

(٧٠) ليدا Leda ، هى زوجة تنداريوس Tyndareus ووالدة هيلينا .

(٧١) أى القرطاجيين ذوى اللسانين . الكلمة اللاتينية المستعملة هى bilinguis وتعنى « ذا اللسانين أو ذا اللسان المزدوج » وكانت توصف بها الحية أو الثعبان فقط . لكن أثناء الحرب البونية أطلق الرومان على القرطاجيين الصفة bilinguis أى أنهم كانوا يقولون شيئاً ويفعلون شيئاً آخر ، وهم بذلك كانوا يصفونهم بالخيانة والخداع والغـــدر .

(٧٢) كان إله الحب Cupidus ابناً لفينوس ، وبالتالى فقد كان شقيقاً لآينياس .

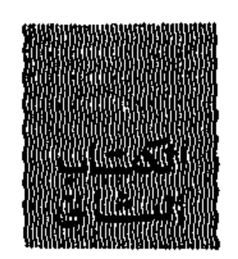
(٧٣) كان إله الحب هو الوحيد الذى يستهزىء بالصواعق ؛ كان معروفاً أن الأب جوبيتر ، رب الأرباب ، يرسل الصواعق ضد أعدائه . والمقصود هنا بالأسلحة التيفوية الصواعق التى استخدمها جوبيتر فى القضاء على العملاق تيفويس Typhoeus .

(٧٤) نسبة إلى الإلهة جونو . هنا تتهكم فينوس فتصف ما تفعله جونو بأنه كرم مفتعل المقصود منه الانتقام من آينياس .

(٧٥) المقصود هنا هو أسكانيوس بن آينياس .

(٧٦) إيداليوم Idalium ، مدينة فى جزيرة قبرص حيث توجد أجمة فينوس المقدسة . فيما يتعلق بكيثيرا راجع حاشية رقم ٤١ .

(٧٧) الأكيدالية Acidalia ، لقب آخر من ألقاب فينوس ، نسبة إلى أكيداليا فى منطقة بوإيتا حيث اعتادت فينوس وربات البهجة والسرور الاستحمام والسباحة .

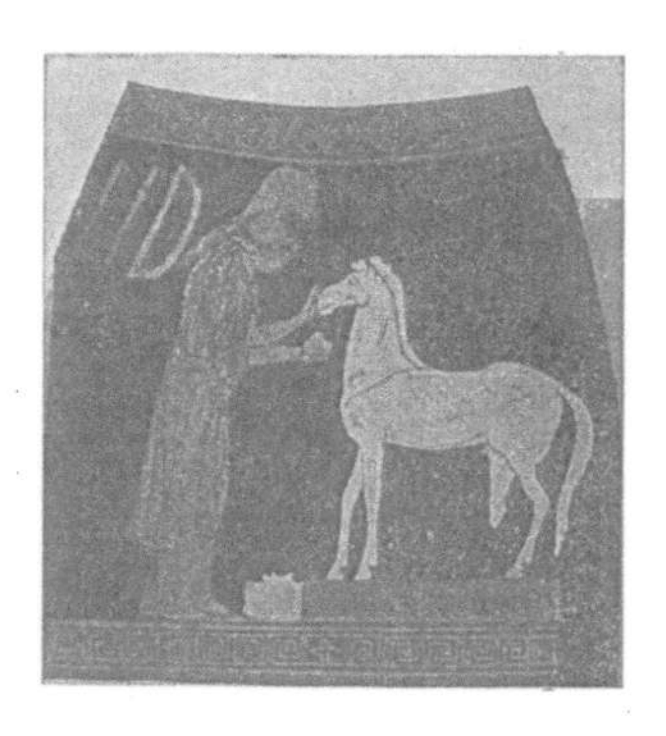


دكتور عبد المعطى شعراوى

خيمّ الصمت على الجميع وقد أداروا وجوههم نحوه ، وأخذوا يرمقونه بنظراتهم ؛ عندئذ بدأ الأب آينياس ، من فوق مقعده المرتفع ، حديثه فقال :

« مليكتى ، ما أقسى العذاب الذى تريدين أن تبعثيه فى نفسى من جديد ؛ كيف قضى أبناء دناءوس [1] على ثروة طروادة وسلطانها المأسوف عليه . لقد رأيت بعينىّ رأسى كل تلك المصائب ، ونالنى منها قدر عظيم . فمَنْ من رجال أخيليوس (الميرميدنيين [2]) ، أو من رجال فوينيكس (الدلوبيين [3]) ، أو من جنود أوديسيوس القساة، يستطيع أن يكتم الدمع حين يروى مثل هذه الأحداث ؟ والآن يهبط الليل برطوبته من قبة السماء ، ويغرى مغيب النجوم الجفون بالنعاس . بيد أنه إن كانت لك رغبة شديدة فى الوقوف على مصائبنا ، والاستماع فى إيجاز إلى محنة طروادة الأخيرة ، فبالرغم من أن أوصالى ترتعد حين أتذكر تلك الأحداث ، وبالرغم من أن روحى تحاول أن تتخلص من آلام تلك الذكريات ، فسوف أبدأ روايتى :

بعد أن هُزم قادة الدنائيين فى الحرب ، وبعد أن دارت عليهم الأقدار ، وبعد مرور سنوات عديدة ،أقام هؤلاء القادة — طبقاً لنصيحة مقدسة من الإلهة بالاس [4] — هيكلاً لحصان يضارع الجبل فى حجمه ، وقاموا بتغطية جوانبه بألواح من خشب الشربين . وتظاهروا بأنه قربان نذروه للإلهة ، تأميناً لعودتهم إلى بلادهم . وانتشرت هذه الرواية فى كل مكان . وفى داخل الجوانب المظلمة لذلك الهيكل ، وضعوا خلسة نخبة من رجالهم المختارين ، ثم ملأوا الأجزاء المجوفة فى داخل الهيكل وتجاويف البطن أيضاً بمجموعة من الجنود المدججين بالسلاح .



الالهة بالاس (مينيرفا) تصنع انموذجا للحصان . صورة وجدت على احدى الاوانى فى مدينة كابوا ، ويرجع تاريخها الى منتصف القرن الخامس . هذه الانية موجودة الآن فى متحف برلين .

هناك على مرمى البصر تقع تنيدوس (٥) ، جزيرة ذات شهرة ذائعة للغاية ، غنية بمواردها ، أو هكذا كانت أثناء حكم برياموس ، لكنها الآن ليست سوى خليج ومرفأ غير أمين للسفن . لجأ الاغريق إلى تلك الجزيرة ، وأخفوا أنفسهم على شواطئها المهجورة . أما نحن فقد ظننا أنهم قد رحلوا ، وتوجهوا بمساعدة الرياح نحو موكيناى (٦) . وعلى ذلك فإن جميع سكان طروادة تخلصوا من فزعهم المستمر . وانفتحت البوابات على مصاريعها ، وأحس الجميع برغبة فى الخروج لمشاهدة المعسكرات الدورية (٧) ، والمواقع الخالية ، والشاطىء المهجور : فهذه المنطقة كان يحتلها رجال فوينيكس وتلك كان يسيطر عليها أخيليوس القاسى ، ومن هذا المكان اعتادوا مهاجمتنا

بأساطيلهم ،وفى ذلك غالباً ما تعرضوا لهجمات قواتنا . أخذ البعض يحملق مشدوهاً فى الهدية القاتلة ، التى جاءت من عند العذراء مينيرفا ، ودهشوا لضخامة الحصان . فى بادىء الأمر حثهم ثيمويتيس (٨) على أن يقودوا الحصان إلى داخل الأسوار ، وأن يضعوه فى القلعة ؛ حدث ذلك ، إما بدافع الخيانة ، أو هكذا شاءت الأقدار لطروادة . أما كاپيس ، ومعه آخرون ممن امتازوا بتفكير سليم ، فقد أمر الطرواديين أن يلقوا فى البحر بهدية الإغريق المضللة الخادعة ، أو أن يجعلوا منها وقوداً لألسنة اللهب ، أو أن يحدثوا بها ثقباً، ثم يستطلعوا ما بداخل الأماكن المجوفة فى بطن الهيكل . وانقسمت الجماهير الحائرة ، وقامت بينهم مناقشة حادة .

فى تلك الأثناء انطلق لأوكوون (٩) من قمة القلعة ، متجهاً إلى أسفل ، وقد سيطرت عليه رغبة جامحة ، وهو يتقدم جمهوراً كبيراً يسعى من خلفه ، ثم صاح من بعيد :

« أيها المواطنون التعساء ، ما هذا الجنون المنقطع النظير ؟ هل تعتقدون أن الأعداء قد أبحروا ؟ أو هل تظنون أن أى هدايا تأتى من عند الأغريق تخلو من الخديعة ؟ أهكذا نعرف نحن أوديسيوس (١٠) ؟ قد يكون الآخرون(١١) قد أخفوا أنفسهم داخل ذلك الهيكل الخشبى ، أو قد تكون هذه الآلة ، الموجودة الآن أمام أسوارنا ، قد صممت خصيصاً لتتجسس على منازلنا ، ولتهبط على مدينتنا من علٍ . إن هناك خديعة ما تكمن فى ذلك الحصان ، أيها التيوكريون (١٢) ، فلا تثقوا فيه . ومهما يكن الأمر ، فإنى أخشى الإغريق حتى عندما يقدمون الهدايا » . بعد أن قال هذا قذف بقوة هائلة حربته الضخمة نحو جانب الهيكل والألواح الخشبية المنحنية حول بطنه . واستقرت الحربة وهى تتذبذب ، ورنت الأجزاء المجوفة فى البطن بتأثير تلك الذبذبة ، وانطلقت صرخة مكتومة من الداخل . فلو لم تكن الأقدار مضللة ، ولو لم يكن تفكيرنا تافهاً ، لكان لأوكوون قد أقنعنا بضرورة استخدام السلاح فى تدمير

كمين الإغريق ، ولظلت طروادة مزدهرة حتى الآن ، ولاستمر بقاؤك — أنتِ ، ياقلاع بريامـوس الشاهقة — حتى هذه اللحظة .

يالهول الموقف ! فى تلك اللحظة كان بعض الرعاة الطرواديين يدفعون إلى الملك ، فى ضوضاء عالية ، شاباً يداه مقيدتان خلف ظهره . ومع أنه غريب ، لكنه كان قد وضع نفسه بمحض إرادته فى طريق هؤلاء الرعاة القادمين ، لكى يُنَفّذ خطته بالذات ويفتح طروادة أمام الإغريق . كان واثقاً فى حسن تدبيره ، مستعداً لمواجهة أحد أمرين : إما أن يتقن الخداع والتضليل ، أو يقابل موتاً مؤكداً . واندفعت من كل صوب جماهير الشباب الطروادى زرافات ووحدانا ، كلهم شوق لمشاهدة الأسير ، وأحاطوا به ، يتبارون فيما بينهم فى السخرية منه .

فلْترينَ الآن خيانة الإغريق ، ولْتعلمن من جريمة واحدة مَنْ هم هؤلاء جميعاً . فعندما وقف ساكناً ، مرتبكاً ، أعزل ، وسط نظرات الجماهير ، وأدار ناظريه حول الحشود الفروجية (١٣) ، انطلق يقول :

« وا أسفاه ! أى أرض يمكن الآن أن تقبلنى ، وأى بحر يمكن الآن أن يضمنى إليه ؟ وأخيراً ، أى مصير ينتظرنى ، أنا التعس ، الذى لم يَعُدْ له مكان بين الإغريق ، والذى يطالب الطرواديون أنفسهم — أعداؤه — بالانتقام منه ، وإراقة دمه ؟ »

تبدّلت أحاسيسنا ، من جرّاء صراخه وأنينه ، وقلّت حدة اندفاعنا . أخذنا نحثه على الكلام ، ليخبرنا إلى أى أصل ينتمى ، إلى أى هدف يرنو ، ما هى حُجّته فى أسره . وأخيراً ، بعد أن ذهب عنه الفزع ، قال :

« أيها الملك ، مهما تكن العاقبة ، سوف أعترف لك بالحقيقة كلها ، سوف لاأنكر أنى أنتمى إلى أصل أغريقى . هذا أولا وقبل كل شىء . وإذا كان القدر قد جعل من سينون (١٤) إنساناً تعساً ، فإنه سوف لا يجعل منه ،

بأى حال من الأحوال ، إنساناً مخادعاً وكذاباً أيضاً . لعله قد وصل إلى سمعك اسم أحد الأشخاص يدعى بالاميديس ، سليل بيلوس (١٥) ، وعلمت بعظمته وشهرته الواسعة ، ذلك الشخص البرىء الذى دفع به البلاسجيون (١٦) إلى الموت ، بناء على معلومات زائفة ، وبسبب اتهامه بجريمة مروعة لم يرتكبها ، إذ أنه كان يعارض فكرة إشعال نار الحرب . لكنهم الآن ، بعد أن فارق الحياة ، يذرفون الدمع من أجله . كان والدى الفقير تربطه صلة قرابة بذلك الشخص ، لذلك فقد أرسلنى بصحبته إلى هنا ، تحت السلاح ، منذ سينوات عمرى الأولى . ولما كان مركزه آمناً فى الدولة ، وكان له سلطان فى مجالس الأمراء ، كنت أتمتع بالشهرة وأحس بالعظمة . وبسبب حقد أوديسيوس الماكر — وأنا لا أتحدث هنا عن شىء غير معروف تمام المعرفة — فقَدَ بالاميديس مركزه السامى ، فأحسَسْتُ بالانكسار ، وقضيت حياتى فى حزن وأسى ، وشعرت بالضيق ، من أجل مصيبة صديقى البرىء . وعندما سيطر علىّ الغضب ، لم أركن إلى الصمت . أقسمت بالانتقام له ، لو أن الفرصة أتيحت لى ، ولو أنى عدت منتصراً إلى وطنى أرجوس . لقد أثَرْت بكلماتى هذه إحساساً قوياً بالكراهية . ومن هنا كانت الخطوة الأولى نحو الدمار . فمن أجل ذلك ظَلّ أوديسيوس يهددنى ، كل لحظة ، باتهامات جديدة ، ومن هنا انتشرت شائعات مضللة بين الجماهير . ثم بحث أوديسيوس عن أسلحة أخرى ، يشهرها ضدى ، وهو يشعر بالذنب . لكنه لم يحس بالراحة إلا عندما استغل العرّاف كالخاس .... (١٧) لكن ، لماذا أستعيد الآن ذكرى هذه الرواية المحزنة ، دون جدوى (١٨) ؟ أو لماذا أضيع أمامكم العراقيل ، إذا كنتم تعتبرون جميع الإغريق فى منزلة واحدة على السواء ، وإذا كنتم قد علمتم أنى إغريقى ؟ والآن ، عليكم بالانتقام ، فلطالما أراد أوديسيوس الإيثاكى (١٩) ذلك ، ولَشَدّ ما أراد ولدا أتريوس (٢٠) أيضاً تحقيقه بأى ثمن » .

عندئذ أحسسنا بشغف نحو معرفة الأسباب ، وأخذنا نسأل عنها ،

ونحن جاهلون بالجرائم الشنيعة والمكر الذى اتصف به الإغريق . وبينما هو يرتعد ، واصل حديثه ، فقال بإحساس مزيّف :

« كثيراً ما أراد الإغريق الرحيل عن طروادة ، والفرار من هنا ؛ وبعد أن أدركهم العناء ، رغبوا أيضاً فى إيقاف الحرب ، التى استمرت مدة طويلة . ويا ليتهم كانوا قد فعلوا ذلك ! فكثيراً ما عاقتهم عواصف البحر الهوجاء ، وأفزعتهم ريح الجنوب ، أثناء رحيلهم ، وبخاصة عندما أخذ هذا الحصان المركّب من ألواح خشب الإسفندان مكانه هنا ، فإن العواصف الباردة ملأ زئيرها كلّ ركن من أركان السماء . عندئذ استولت علينا الحيرة ، فأرسلنا يوريبيلوس [21] ليستطلع نبوءة فويبوس [22] . وعاد من المعبد المقدس يحمل هذه الأنباء المفزعة » :

« أيها الإغريق ، لقد تفاديتم غضب الرياح بإراقة دم إحدى العذارى [23] ، عندما جئتم لأول مرة إلى شواطىء طروادة ، وعليكم أن تحققوا عودتكم بإراقة الدماء أيضاً . يجب عليكم أن تقدموا آدمياً حياً من أرجوس قرباناً » .

عندما وصلت تلك الكلمات إلى آذان الجمهور ، سيطرت الدهشة على أفئدتهم ، وأدركتهم رعشة باردة ، نفذت إلى أعماق عظامهم . إلى مَنْ تشير الأقدار ؟ مَنْ يطالبه أبوللون ؟

عندئذ جذب الإيثاكى العرّاف كالخاس إلى وسط الجمهور ، وهو يصرخ صرخة مدوية ، ثم سأله عما قد قد تعنى تلك المشيئة الربّانية . لقد أدرك الجميع أن الجريمة البشعة ، التى كان يدبرها ذلك الماكر ، كانت موجهة ضدى ، وأخذوا يترقّبون — وقد خيم عليهم الصمت — ما سوف يمر أمامهم بعد ذلك من أحداث . ظل ذلك العرّاف صامتاً مدة عشرة أيام ، حبيساً فى خيمته ، يرفض أن يتفوه باسم أحد ، أو أن يُعَرّض أحداً للموت . وأخيراً ، وبعد عناء طويل ، وبعد أن أجبرته صيحات الإيثاكى العالية ،

خرج عن صمته ، طبقاً لإتفاق سابق ، وأشار إلى أننى سوف أذهب إلى المذبح[٢٤] . ووافق الجميع ، فإنما كان يحس به كل واحد — على حدة — من خوف على نفسه جعل الجميع يحسون بالراحة لتعاستى ، والقضاء علىّ وحدى . وجاء اليوم المشئوم ، وتم الاستعداد للقيام بالشعائر المقدسة من أجلى : أعدّت وجبة من القمح المخلوط بالملح ، ووضعت الأكاليل حول رأسى[٢٥] . أما أنا ، فإنى أعترف : لقد انتزعت نفسى من قبضة الموت انتزاعاً ، حطمت أغلالى ، ولجأت إلى مستنقع ملىء بالوحل ، فقضيت الليل مختبأ بين الأحراش ، حتى يرحلوا بسفنهم — إن كانوا قد عقدوا العزم حقاً على الرحيل . لم يعد لدى الآن امل فى رؤية وطنى القديم ، ولا فلذات كبدى الأعزاء ، ولا والدى الذى طالما تحرقت شوقاً لرؤياه . بل ربما يُنزل الإغريق العقاب انتقاماً لفرارى من الموت ، وبموت هؤلاء الأشقياء سوف ينتقم الإغريق لجريمتى هذه . من أجل ذلك ، إنى أستحلفك بآلهة السماء ، بالقوى المقدسة ، التى لا تخفى عنها الحقيقة ، بالثقة الحصينة التى ما زالت باقية بين البشر فى كل مكان .. إنى أستحلفك بكل هؤلاء ، أن ترحم إنساناً مثقلاً بأعباء جسيمة ، وروحاً مليئة بما لا يطاق[٢٦] . »

إزاء تلك الدموع منحناه الحياة ، بل وأكثر من ذلك ، فإننا أحسسنا بالشفقة نحوه . كان برياموس[٢٧] نفسه أول من أمر بأن تُفك قيود الرجل ، وأن تتحطم أغلاله . ثم بعد ذلك بادره قائلاً فى نبرات رقيقة . « مهما تكن شخصيتك ، فعليك من الآن وصاعداً أن تنسى الإغريق ، الذين فقدتهم ، فسوف تصبح واحداً منا . إنى أسألك الآن ، فاشرح لى حقيقة هذه الأمور : لماذا أقاموا هذا الهيكل الضخم ، هذا الحصان العملاق ؟ من هو مبتكره ؟ ما الهدف من إقامته ؟ أى قربان مقدس يكون هذا ، أو أى آلة من آلات الحروب يكون ؟ » . هكذا قال برياموس . أما الرجل ، الخبير بالخيانة وبالدهاء الإغريقى ، فقد رفع يديه الطليقتين نحو السماء وقال : « أى ألسنة اللهب الأبدية ، فلتشهد قدرتك المقدسة الحصينة على ما أقول . أيتها المذابح

المقدسة والسيوف اللعينة ، التي فررت منها . أيْ أغلال الآلهة المقدسة ، التي ما زلتُ أنوء بحملها فوق رأسي ، منذ كنت على وشك أن أقدم قرباناً للآلهة . فليكُنْ مباحاً لي أن أتحرر مما قطعته على نفسي من عهود مقدسة قبَل الإغريق ، وأن أكره رجالهم ، وأن أفضح كل أسرارهم – مهما تكن تلك الأسرار – ، وألاّ أخضع لأي قانون من قوانين وطني . أما أنتِ يا طروادة ، فليتك تظلّين عند وعدك ، وتثقين بمن أنقذك ، إذا ما كنت صادقاً فيما قلت ، وإذا ما عوّضتك عما أصابكِ أكبر تعويض .



ديوميديس يحمل تمثال البلاديوم في يده اليسرى وسيفه في يده اليمنى . توجد هذه الصورة على وجه عملة فضية كانت تستعمل في ارجوس ويرجع تاريخها الى القرن الرابع قبل الميلاد ، وموجودة الآن في المتحف البريطاني .

كان الإغريق منذ بداية الحرب يضعون كل أملهم وثقتهم في مساعدة بالاّس لهم . لكن منذ أن حاول كل من ديوميديس (٢٨) ، الدنس ، وأوديسيوس ، مُدبّر الجريمة ، انتزاع البالاّديوم ، تمثال بالاس القدري(٢٩) ، عنوة من معبدها المقدس ، وبعد أن قتلا حراس القلعة الشاهقة ، واستحوذا على التمثال المقدس ، وتجرآ على تدنيس الأكاليل ، التي تزين تمثال الإلهة العذراء ، بأيديهما الملطخة بالدماء – منذ ذلك الوقت تضاءل أمل الإغريق ، وانكسرت شوكتهم ، وانصرفت الإلهة بقلبها عنهم . ولقد دلتْ الإلهة التريتونية (٣٠) على غضبها بآيات لا يختلف اثنان في تفسيرها . فما كاد يُوضع التمثال داخل المعسكر ، حتى انطلق اللهب المتوهج من العينين المرفوعتين إلى أعلى وتصبب العرق المالح من خلال مسام الأطراف (٣١) . أما التمثال بأكمله – وهذا ما يدعو إلى الدهشة – فقد انطلق إلى الأمام وارتفع عن سطح الأرض ، ثلاث مرات ، وهو يحمل درعاً وحربة مهتزة . وسرعان ما يشير

كالخاس بضرورة إعادة قياس عمق مياه البحر تمهيداً لعملية الفرار ، ويتنبأ بأن القلاع البرجامية [٣٢] لا يمكن تحطيمها بالأسلحة الأرجولية [٣٣] ، إلا إذا عاد الإغريق إلى أرجوس لمعرفة الطالع هناك ، ثم أعادوا معهم ذلك التمثال المقدس الذى كانوا قد حملوه معهم عبر البحر فى سفنهم المقوسة . والآن ، لقد رحل الإغريق بمساعدة الرياح إلى وطنهم موكيناى ، ليجمعوا السلاح ، وليسترضوا الآلهة ، كى ترافقهم من جديد ؛ وسوف يركبون البحر مرة ثانية ، ويحضرون إليكم فجأة . هكذا فسر كالخاس النبوءة ؛ لقد نصحهم كالخاس أن يقيموا هذا الهيكل الضخم بدلاً من البالاديوم (تمثال الإلهة بالاس) ، ذلك التمثال المقدس الذى انتُهكَتْ حرمته ، حتى يكفّروا عن خطيئتهم الشنعاء . لقد أمرهم كالخاس أن يقيموا الهيكل على هذا القدر من الضخامة ، وأن يزيدوا من صلابته بألواح من الخشب المتين ، وأن يجعلوا قامته شامخة نحو السماء حتى لا يستطيع أحد استقباله عن طريق الأبواب ، أو إدخاله عبر الأسوار ، أو حتى لا يحمى شعبك الطروادى تحت ستار عبادته العتيقة [٣٤] . فإذا امتدت أيديكم بسوء لقربان مينرڤا [٣٥] ، فإن دماراً شاملاً — وياليت الآلهة تصب جام غضبها عليه (كالخاس) نفسه — سوف يحيق بمملكة بريامو‌س ، وبالشعب الفروجى . لكن إذا صعد هذا القربان إلى مدينتكم ، وبأيديكم ، فإن آسيا [٣٦] سوف تتقدم فى قتال رهيب ، يفوق وصفه الخيال ، نحو أسوار المدن الإغريقية [٣٧] وسوف يلحق نفس المصير أيضاً بأبنائنا وأحفادنا . »

عن طريق تلك الخدع ، وبواسطة دهاء سينون ، الحانث بالعهود ، حظيت روايته بثقتنا . لقد تغلبت علينا الخيانة والدموع المفتعلة ، تغلبت علينا ، نحن الذين لم يهزمنا رجال تيديوس [٣٨] ، ولا أخيليوس اللاريسى [٣٩] ، ولا حرب السنوات العشر أو الألف سفينة [٤٠] . وهنا يبرز أمام أعيننا ، نحن التعساء ، منظر آخر ، أكثر فزعاً ، وأشد إيلاماً ، منظر يشتت حواسنا المضطربة . كان لأوكوون — الذى تم اختياره بالاقتراع كاهناً للإله نبتونوس

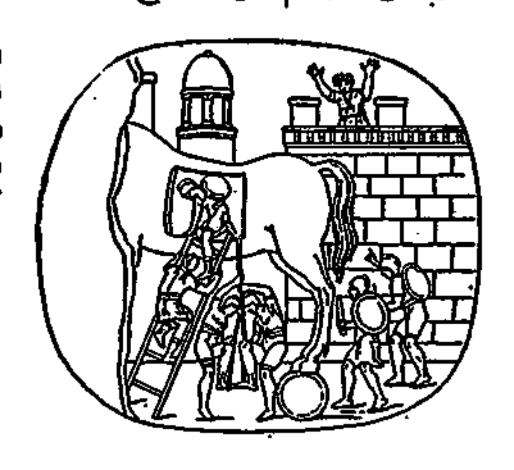
– يذبح كالمعتاد ثوراً ضخماً على المذابح المقدسة . وإذا بحيّتين اثنتين – بالهول – ، مُلْتَفّتين إلتفافات ضخمة ، تشقان عباب البحر ، – إنى أرتعد عند روايتى لذلك المنظر – ، عبر المياه العميقة الهادئة ، من جزيرة تنيدوس ؛ وقد توجهتا جنباً إلى جنب نحو الشاطىء . صدراهما مرتفعان فوق الزبد ، وذؤابتاهما الحمراوان القانيتان تعلوان الأمواج ، والأجزاء الباقية من جسديهما تطفو فوق سطح الماء ، وهما تَثْنيان ظهريهما ثنيات ضخمة . كان اليم حينذاك يزبد ويهدر . ثم وصلتا عندئذ إلى المزارع ؛ كان لهما عيون تنبعث منها الدماء واللهيب ، بينما كانتا تلعقان بلسانيهما المرتعشين فميهما (٤١) اللذين كان يلفظان فحيحاً متواصلاً .

تفرّقنا مذعورين (٤٢) عند رؤية ذلك المنظر . أما الحيّتان فقد اتجهتا نحو لأوكوون مباشرة (٤٣) . احتضنت ، فى بادىء الأمر ، كل واحدة منهما جسد أحد طفليه (طفلَى لأوكوون) الصغيرين ، والتفّت حوله ، ثم ألهبت أطراف المسكين عضاً . بعد ذلك قبضت كلتاهما على لأكوون نفسه ، وهو حامل أسلحته ، ساعٍ إلى معونتهما (معونة طفليه) ، والتفّتا حوله فى لفات ضخمة ، تارة تضغطان على خصره مرتين ، وتارة أخرى تلفّان ظهريهما المغطيين بالحراشيف لفّتين حول عنقه ، ثم يرتفعان فوقه برأسيهما ورقبتيهما . ويحاول لأوكوون من فوره أن يخلّص نفسه بيديه من عُودَتيهما الملتفين حوله . لقد تخضّبت أوصاله بالدماء ، وسرى فيها سم زعاف . وفى الوقت نفسه فإنه كان يطلق صرخات مروعة ، تصل إلى عنان السماء ، تشبه ذلك الخوار ، الذى يطلقه ثور جريح ، وهو يهرب بعيداً عن المذبح المقدس ، وينقذ رقبته من ضربة بلطة لم تُصوّب إليه تصويباً دقيقاً . لكن تفر الحيّتين كلتاهما فرت إلى المنطقة العليا من المحراب المقدس ، قاصدتين قلعة الإلهة التريتونية الشرسة ، فتختبآن تحت قدمَىْ تمثال الإلهة ، وخلف درعها المستدير . عندئذ انتشر فزع غريب فى نفوسنا المضطربة واستولى علينا جميعاً ؛ وقال الملأ إن لأوكوون قد نال ما استحقه من عقاب

جزاء جريمته، لأنه تطاول بأسلحته على الحصان الخشبي ، وصوّب حربته الآثمة نحو بطن الهيكل . وصرخ الجميع في صوت واحد قائلين إن الهيكل يجب أن يُعاد إلى مكانه (إلى داخل طروادة) ، ويجب أن تُقدم الصلوات للإلهة . قمنا نمزق الجدران ، ونحدث فجوات في أسوار المدينة . أصبح الجميع يعمل ، إنهم يضعون تحت أقدام الهيكل بكرات سهلة الانزلاق ، ويلقون حول عنقه حبالا من الكتان . وصعدت الآلة المشئومة عبر الأسوار ، محمّلة من الداخل بالأسلحة . وحولها انطلق الصبية والعذارى ، يترنمون بترانيم مقدسة ، وهم يشعرون بالسرور ، حين يلمسون بأيديهم الحبال . وتحركت ، فوصلت إلى وسط المدينة ، تحمل في طيّاتها التهديد والدمار .

أيها الوطن ، أيْ طروادة ، يا مقام الآلهة ، أيتها الأسوار الدردانية الشهيرة في الميدان الحربي [٤٤] . لقد توقف الهيكل أربع مرات عند مدخل البوابة ، كما أحدثت الأسلحة ضوضاء داخل الهيكل أربع مرات أيضاً . لكننا ، مع ذلك ، كنا نَستَحِث ذلك الهيكل الضخم المشئوم على التقدم ، وقد أعمانا الغضب والجهل بالمصير ، حتى وضعناه مكانه في القلعة المقدسة . وفي تلك اللحظة بالذات ، ارتعشت شفتا كاساندرا ، وهي تتنبأ بما سيتوالى من كوارث[٤٥]، هاتان الشفتان اللتان لم تَفُزْ نبوآتهما — حسبما أرادت الآلهة — بثقة الطرواديين . فقد كنا ، نحن التعساء ، في ذلك اليوم الذي شاهد نهايتنا ، نزيّن بأكاليل الزهور الكرنفالية الأماكن المقدسة للآلهة في جميع أنحاء المدينة . في تلك الأثناء اكفهرت السماء ، وبزغ الليل من جوف المحيط ، ايطوى في ظلمته الحالكة الأرض والسماء ، وكمن الإغريق [٤٦] ، بينما استلقى الطرواديون في استرخاء وهدوء داخل أسوار المدينة ، وقد غلبهم النعاس وفكك أطرافهم المرهَقة . عندئذ كان الفيلق البحري الأرجوسي يتحرك ، بسفنه تحت ستار من الهدوء ، المحبب لضوء القمر الهادىء ، في نظام دقيق ، من جزيرة تنيدوس ، قاصداً الشواطىء المعروفة له من قبل . وحينما أطلقت السفينة الملكية [٤٧] إشارات ضوئية ، انطلق سينون خلسة — تسانده القوى الإلآهية

المشئومة — ليطلق سراح الإغريق القابعين فى داخل الهيكل ، ويرفع القضبان الخشبية التى تعوقهم عن الخروج .



الاغريق يهبطون من داخل الحصان الخشبى الى ارض طروادة . انهم يستخدمون الحبال والسلم الخشبى ، ويتسلحون بأسلحتهم . وفوق سور المدينة وقف شخص — ربمـا كاساندرا — يصرخ حتى يتنبـه الطرواديون ويستعدون لمقابلتهم . (صورة مرسومة على حلية زجاجية)

وحالما انفتح بطن الحصان ، عاد الإغريق إلى الهواء الطلق مرة أخرى ، وألقى القائدان ثساندروس وسثنيلوس (٤٨) ، وأوديسيوس اللعين ، بأنفسهم ، فى غبطة ، خارج التجويف الخشبى ، وانزلقوا بمساعدة الحبل المدلى إلى أسفل . وكذلك فعل أكاماس وثوآس ونيوبتوليموس بن بيليوس وقبلهم جميعاً ماخون (٤٩) ؛ ثم أيضاً مينيلاءوس وإبيوس — وهو أس الخديعة (٥٠). لقد أغاروا على مدينة سيطر النعاس عليها ؛ وفكك النبيذ أوصالها . وبعد أن قتلوا الحراس ، وفتحوا البوابات ، استقبلوا جميع زملائهم فى ترحاب ، ثم وحدوا شمل قواتهم . لقد حل الوقت الذى تسلل فيه خلسة — وبمساعدة الهدية التى أرسلتها الآلهة — نعاس لذيذ ، فسيطر على نفوس رجال تعساء .

وا أسفاه ، لقد ظهر لى هيكتور فى أحلامى وهو فى غاية الحزن والأسى ، يذرف الدمع مدراراً ، يتمزق جسده بفعل العجلة الحربية (٥١) — كما حدث له ذلك من قبل — وقد أصبح لونه قانياً ، عندما اختلط بالتراب والدماء ، وقد وخز الإسار قدميه المتورمتين . يالتعاستى ، يالمظهر هيكتور ، كيف تغير مظهره : من هيكتور الذى عاد وهو يرتدى ملابس أخيليوس (٥٢) ،

أو هيكتور الذى كان يقذف السفن الإغريقة بالقذائف النارية الطروادية[٥٣] ، إلى هيكتور آخر : أشعث اللحية ، ملطخ شعر رأسه بالدماء ، مثخن جسده بالجراح العديدة ، التى أصيب بها أثناء دورانه حول أسوار وطنه . أما أنا ، فقد خُيّل إلىّ أنى كنت باكياً ، وأنى قد بادرت بمحادثته ، وقلت له فى نبرات كئيبة :

« يانور عينىْ دردانيا [٥٤] ، يا أمل الطرواديين البسّام ، لماذا تأخرت علينا ذلك التأخير الطويل ؟ إننا فى غاية الشوق إليك ، يا هيكتور . من أى مكان أتيت إلينا ؟ إننا ننظر إليك الآن ، وقد أنهكَتْ قوانا ، بعد أن قضى الموت على الكثير من أهل وطنك ، وبعد أن حلّت متاعب متعددة بالمدينة وأهلها . أىّ قسوة شوّهت ملامح وجهك الوضّاء ؟ أم لماذا ألمح تلك الجراح ؟ » .

لكن هيكتور لم يحر جواباً ، ولم يأبَه بى ، عندما كنت أوجّه إليه أسئلتى التافهة . بل أطلق من أعماق نفسه صرخة ، حبيسة ، كئيبة ، وهو يقول : « إيه يا سليل الآلهة [٥٥] ، عليك بالفرار ، عليك أن تنقذ نفسك من تلك النيران . لقد استولى الأعداء على المدينة ، إن طروادة تنهار من عليائها . لم تعد طروادة ، أو برياموس ، فى حاجة إلى أكثر من ذلك . فإن كان من المستطاع الدفاع عن طروادة بمغامرات جريئة ، فإن هذه المغامرات قد حدثت فعلاً أثناء الدفاع عنها . إن طروادة تضع اليوم مُقدساتها وآلهتها فى حمايتك ، فاجعل منهم رفقاء وشركاء لك فى المصير . إبحثْ لهم عن أسوار عظيمة [٥٦] ، عن مدينة عظيمة ، تقيمها أخيراً بعد تجوال عبر البحار » .

هكذا قال ؛ ثم انتزع بيديه من أعماق المحراب المقدس أكاليل الزهور وتمثال الإلهة فستا القادرة الأبدية [٥٧] . فى أثناء ذلك انتشر الفزع فى جميع أنحاء المدينة . وبالرغم من أن منزل والدى أنخيسيس يقع فى مكان منعزل ، تحيط به الأشجار ، إلاّ أن الضوضاء قد بدأت تُسْمَع بوضوح شيئاً فشيئاً ، وضجيج المعركة يزداد تدريجياً . وصحوت من نومى ، وصعدت فوق سطح

المنزل ، ووقفت هناك ، وكُلى آذان صاغية . فقد اندلعت النيران فى حقول القمح ، بينما اشتدت رياح الشمال العاصفة ، واكتسح الحقول تيار جارف كالسيل المنحدر من قمة جبلية . كان يكتسح المحاصيل اليانعة ، ويلقى بما قام به الثيران من مجهود فى مهب الرياح (٥٨) ، ويقتلع الغابات عن بكرة أبيها. هكذا استولت الدهشة على راعٍ ، جاهلٍ بحقيقة ما يدور حوله ، وهو ينصت إلى الضوضاء من قمة الجبل العالية (٥٩) .

عندئذ ، أصبح الموقف واضحاً ، وانكشفت خديعة الإغريق . لقد انهار منزل ديفوبوس (٦٠) الفسيح الرحب وسط النيران المندلعة ، واشتعل أيضاً منزل يوكاليجون (٦١) ، المجاور له ، وانتشرت ألسنة اللهب فوق سطح المياه العريضة المحيطة برأس سيجيوم البحرية (٦٢) . وارتفعت صيحات البشر وأصوات النفير . أما أنا فقد حملت السلاح فى عصبية وجنون ، فلم يكن فى تفكيرى سوى أن أحمل السلاح . لكنى فى قرارة نفسى ، كنت أتحرّق شوقاً لتكوين فرقة محاربة ، وأتجه مع زملائى نحو القلعة . كان الغضب والسخط يسيطران على مشاعرى ؛ فقد تخيلت كم هو جميل أن يموت الإنسان وهو يستعمل سلاحه .

لكن وا أسفاه ، فلقد تفادى بانثوس أسلحة الإغريق ، بانثوس ابن أوثريس (٦٣) ، كاهن معبد أبوللون الكائن فى القلعة . ثم هرع وفى يده حفيده الأصغر والأوانى المقدسة وتماثيل الآلهة المغلوبة على أمرها . ثم أخذ طريقه نحو بوابة منزلى .سألته : «إلى أى مدى قد وصل الموقف ، يا بانثوس؟ وأى مكان حصين سوف نحتمى به ؟ » وما كدت أنطق بتلك الكلمات ، حتى أصدر أنيناً مروعاً وهو يجيب : « لقد حلّت الساعة ، ساعة لا مفر منها بالنسبة للطرواديين . لم تعد طرواديين بعد ، لم تعد هناك طروادة ، فلقد زالت دولة الطرواديين. لقد نقل جوبيتر الغاضب السلطة كلها إلى أرجوس (٦٤) ، وأصبح الإغريق مسيطرين على المدينة المشتعلة . إن الحصان الخشبى يقف شامخاً وسط المدينة ، ينفث رجالاً مسلحين ، وسينون يقفز هنا وهناك

منتصراً ، ينشر ألسنة اللهب . بعض الإغريق موجودون بجوار البوابات المفتوحة على مصراعيها ؛ آلاف عديدة حضروا من موكيناى الآهلة بالسكان. والبعض الآخر يحاصرون مضايق الطرق ليواجهوا بالسلاح كل القادمين . ويقف حدّ السيف المسلول لامعاً مضيئاً مستعداً للقتال . لقد حاول حراس البوابات جهد طاقتهم الاشتراك فى القتال فى أول الأمر ومقاومة مارس الغاشم(٦٥) »

دفعت بى كلمات ابن أثريس ومشيئة الآلهة وسط النيران والأسلحة ، حيث توجد روح الشر المُهْلكة ، وحيث تناديني صرخة المعركة ، التى يصل زئيرها إلى عنان السماء . وانضم إلىّ الأصدقاء ريبيوس وأبجيتوس ، البارع فى استخدام السلاح . وتقابلنا تحت ضوء القمر مع هيبانيس ودعاس ، اللذين انضما إلى جانبنا . وتقابلنا أيضاً مع الشاب كوروبوس بن موجدون ؛ لقد جاء بمحض الصدفة أثناء تلك الأيام إلى طروادة ، وهو مُفْعَم بحب جنونى نحو كاساندرا . ومن أجل رغبته فى أن يكون زوجاً لكاساندرا فقد أحضر مساعدات إلى برياموس والطرواديين . إنه ذلك التعس ، الذى لم يستمع لنصائح عروسه المعتوهة (٦٦) . عندما رأيت هؤلاء ، منهمكين فى القتال ، يحاربون بجرأة ، بادرتهم قائلا : « أيها الشباب ، ذو النفوس الأبية الشجاعة ، إذا كنتم حقيقة قدعقدتم العزم على أن تسيروا خلف مواطن يخطو نحو المغامرة الأخيرة ، فإنكم تقدّرون أى مصير ينتظر وطننا . لقد تخلّت عنه جميع الآلهة ، بعد أن هجرت كل مذبح ومحراب مقدس فيه . لقد رحلت عنا جميع الآلهة التى أرسَت من قبل دعائم سلطاننا . إنكم تحاولون إنقاذ مدينة أتت عليها النيران . فَلْنُلْقِ بأنفسنا فى غمار المعركة ، ولنقابل الموت فى شجاعة . فهناك نوع واحد من الأمان للمهزومين : هو أن يأملوا فى الحصول على الأمان . »

هكذا ازداد الغضب فى نفوس الشباب . فاندفعنا إلى الأمام وسط أسلحة الأعداء ، نحو موت مؤكد ؛ وشققنا طريقنا حتى قلب المدينة ، وقد اشتد ظلام الليل الحالك ، وانتشر من حولنا ، مثل ذئاب صيّادة ، وسط غمامة

كثيفة ، يدفعهم الجوع البغيض فى جنون ، وقد تركوا وراءهم صغاراً جياعاً ، ينتظرون عودتهم . مَنْ يستطيع أن يشرح ، بالكلمات ، كارثة تلك الليلة ومذبحتها ؟ أو مَنْ يستطيع أن يعبرّ ، بالدموع ، عن متاعبها ؟ لقد انهارت المدينة العتيقة ، بعد ما ساد سلطانها عبر السنين العديدة . فقد كانت الجثث لا حصر لها ، ملقاة لا حراك فيها فى كل مكان ، فى الطرقات ، فى المساكن ، عند مداخل معابد الآلهة . ولم يلحق الموت بالطرواديين فقط ، بل كانت الجرأة تنبعث بين حين وآخر فى نفوس الطرواديين المهزومين ، فيلاقى الإغريق المنتصرون مصرعهم . انتشر الرعب البغيض فى كل مكان ، وساد الفزع فى كل مكان ، فى كل مكان كنتَ ترى صورة بشعة من صور الموت المتعددة .

اعترض فى بادىء الأمر طريقنا أندروجيوس (٦٧) ، وبصحبته فرقة ضخمة . واعتقد خطأً أننا فرقة حليفة ، فبادرنا بالحديث فى نبرات أليفة قائلا : «أسرعوا ، أيها الرجال ، لماذا تبطئون ؟ لمَ هذا التأخير ؟ إن زملاءكم الآخرين ينهبون ويسلبون القلعة ، التى أتت عليها النيران ، وأنتم حتى الآن ما برحتم تغادرون السفن الضخمة !! » هكذا تحدث ، ولكنه — لمّا لم تصله إجابة منا تبعث على اليقين — سرعان ما اكتشف أنه يتحرك وسط قوات معادية . سيطرت عليه الدهشة ، توقفت قدماه عن الحركة ، واحتبس صوته . كان مثله مثل ذلك الذى حاول أن يثبت قدمه على بقعة من الأرض ، وسط أشواك حادة ، فوطئت قدمه ثعباناً مختبئاً ، فتراجع فجأة فى ذعر خوفاً من الثعبان ، الذى رفع هامته فى غضب ، ونفخ رقبته الداكنة اللون . هكذا تماماً بدا أندروجيوس وهو يتراجع مذعوراً عند رؤيتنا . واندفعنا نحوهم (أندروجيوس وفرقته) ، أمطرناهم من جميع الجهات بوابل من الأسلحة ، قضينا عليهم جميعاً ، بعد أن سيطر عليهم الفزع ، وأجهز على قوتهم جهلُهم بالمنطقة . لقد كانت الأقدار بجانبنا فى مهمتنا الأولى . عندئذ، قال كوروبوس، بروح عالية ، وهو مبتهج بنشوة النجاح : « أيها الزملاء ،

فلْنسلك طريق السلامة ، الذى يشير علينا به القدر أولاً ، وحيث يشملنا فيه برعايته . فلْنتبادل الدروع ، ولنضع على أجسامنا ملابس الجنود الإغريق . فالخيانة أو الشهامة ، مَنْ له أن يطلبها من بين الأعداء (٦٨) فالأعداء أنفسهم سوف يمدوننا بالسلاح . »

بعد أن قال كوروبيوس ذلك ، قام من فوره فوضع على رأسه الخوذة المرتفعة الخاصة بأندروجيوس ، وعلّق فى ساعده درعه ذا الرسوم الجميلة ، وثبّت على جانبه سيفه الأرجوسى (٦٩) . وهكذا فعل ريبيوس أيضاً ، ثم فعل ديماس كذلك ، ومن بعده قام جميع الشباب بفعل ذلك وهم مسرورون . لقد سلّح كل واحد نفسه بأسلحة غير أسلحته (٧٠) . وتقدمنا إلى الأمام — لم يكن ذلك بالقوة ، بل عن طريق الإندساس بين القوات الاغريقية . وخضنا معارك عديدة تحت جنح الليل الدامس ، وسُقْنا كثيراً من الإغريق إلى الموت . لقد فرّ البعض بلا نظام نحو السفن ، وبحثوا عن الأمان على الشواطىء ، بينما عاد البعض الآخر ، فصعدوا — وقد استولى عليهم فزع مُشين — إلى الحصان الضخم ، واختبأوا فى تجويف الهيكل الذى عرفوه من قبل .

كاساندرا تستجير بمحراب الالهة بالاس ، بينما يمسك اياس بسيفه ويحاول اللحاق بها . وعلى يمين الصورة تقف بالاس تحاول الدفاع عن كاساندرا ، وتهاجم حية بالاس اياس ايضا (صورة وجدت على آنية يرجع تاريخها الى عام ٥٠٠ ق.م تقريبا)

وا أسفاه ، لا يصح لأحد أن يأمن للآلهة الغاضبة . يا ويلتاه ، إن كاساندرا ، ابنة برياموس العذراء ، تُسْحَب خارج المعبد ، بل وخارج المحراب المقدس لمينرڤا ، بواسطة خصلات شعرها المنكوش ، وقد رفعت عينيها الوضّاءتين

فى يأس نحو السماء . نعم ، لقد رفعت عينيها نحو السماء ، إذ أن يديها الرقيقتين كانتا ترزحان بالأغلال . ولم يحتمل كوروبيوس رؤية ذلك المنظر ، فسيطر عليه الغضب ، وألقى بنفسه بين الصفوف ، مستعداً للموت . وانطلقنا جميعاً خلفه ، ألقينا بأنفسنا وسط الجموع الكثيفة . عندئذ انهالت علينا من المنطقة العليا للمعبد أسلحة رجالنا ، وبدأت مذبحة قاسية للغاية بسبب الأسلحة الإغريقية التى كنا نحملها والخوذات الإغريقية التى نرتديها (٧١) . بعد ذلك تجمع الإغريق من جميع الأنحاء ، بسبب الصرخات الغاضبة التى كانت تطلقها العذراء كاساندرا ، أثناء إنقاذها ، وأخذوا يهاجموننا . جاء أياس ، فى أوج غضبه ، وولدا أتريوس ، وجميع جيش الدولبين (٧٢) . لقد حدث مثلما يحدث أحياناً عندما تصطدم رياح متعارضة فتنتج دوامة عنيفة : عندما تصطدم رياح الغرب برياح الجنوب وتطرب رياح الشرق بقدوم الفجر (٧٣) . لقد تحطمت الغابات ؛ وثار نيريوس فى وحشية ، وأزبد ، وضرب بصولجانه أعماق البحر (٧٤) . وحتى هؤلاء — الذين سحقناهم بخطتنا تحت جنح الليل الحالك ، وطار نادهم فى جميع أنحاء المدينة — فقد ظهروا فى تلك اللحظة . لقد تعرفوا فى بادىء الأمر على الدروع والأسلحة المغتصبة (٧٥) ، وفطنوا إلى اللهجة غير الإغريقية التى كانت تنطق بها شفاهنا . ثم سرعان ما تعرضنا للهلاك بالجملة . فقد لقى كوروبيوس أولاً مصرعه — على مذبح الإلهة المدججة بالسلاح (٧٦) — على يد بينليوس . ثم سقط ريبيوس ، الذى كان أكثر عدلاً ، وأكثر تحقيقاً للعدالة من جميع الطرواديين — حَدثٌ غير متوقع من الآلهة — وقُتل هيبانيس وديماس بيد أصدقائهما ، وأنتَ يابانثوس ، لم يَحمك ورعك وتقواك ، ولا أكليل أبوللون ، من الموت :

يا أطلال طروادة ، ويا ألسنة اللهب التى أتت على جثث إخوانى المواطنين ، فلْتكونوا من الشاهدين . إنى لم أترك السلاح أثناء محنتكم ، ولم أتوانَ فى الدفاع عنكم ، أو فى الموت بجدارة على يد واحد من الإغريق — لو شاءت الأقدار — . لقد انتزعنا أنفسنا من ذلك المكان : أنا وإيفيتوس

وبلياس . كان إيفيتوس مثقلا بالشيخوخة ، وبلياس بطيئاً لإصابته بجرح بواسطة أوديسيوس ، وذلك عندما دعينا نحن الثلاثة بصرخة عالية لنتقدم نحو منزل بريامو س . هناك كانت المعركة على أشدها ، كما لو كانت قد اجتمعت جميع العمليات الحربية فى ذلك المكان،وكما لو لم يكن هناك من عمليات قتل فى سائر أنحاء المدينة سواها . وهكذا رأينا مارس هائجاً ، هائجاً ، والإغريق ينطلقون نحو المنزل ، والمدخل محاصر بفرقة محصنة من حاملى الدروع . أسندوا السلالم الخشبية على الجدران ، وأخذوا يصعدون على درجاتها بجوار البوابات ، وهم يحملون فى أيديهم اليسرى دروعهم لحماية أنفسهم من سهامنا ، ويقبضون بأيديهم اليمنى على الأجزاء البارزة فى أعلى المبنى . أخذ الطرواديون يحطمون الأبراج والأجزاء المقابلة لها من سقف القصر . ولما أحسوا باقتراب مصيرهم المحتوم : استعدوا للدفاع عن أنفسهم — وهم أقرب ما يكونون إلى الموت — مستخدمين حطام القصر كأسلحة : أخذ البعض يدحرجون الأعمدة الذهبية والزخارف الأنيقة الخاصة بأجدادهم الأوائل إلى أسفل ، بينما تمركز البعض الآخر بسيوفهم المسلولة تحت مداخل البوابات ، يدافعون عنها فى أعداد خفيرة . وتجدد الحماس فى نفوسنا ، كى ندافع عن القصر الملكى ، ونمد هؤلاء الرجال بالمساعدة ، ونقوى عضد المغلوبين على أمرهم . كانت هناك بعض البوابات المظلمة ، التى تُفْضى إلى ممر يربط بين المدخل وبين قصر الملك بريامو س ، وكان فى المنطقة الخلفية منه مدخل مهجور (٧٧) ، اعتادت أندروماخى التعسة (٧٨) — قبل أن تدول دولتنا — أن تذهب أحياناً ، تسلكه وحيدة ، لمقابلة والدىْ زوجها ، وأن تصطحب ابنها الصبى استياناكس إلى جدّه . وصَعَدت إلى منطقة مرتفعة بارزة عن المبنى ، ومن هذه المنطقة كان الطرواديون التعساء يطلقون بأيديهم طلقات غير صائبة . وكان هناك برج قائم على حافة رأسية ، ترتفع المنطقة العليا منه شامخة إلى عنان السماء ؛ من هناك اعتدنا أن نشاهد مدينة طروادة بأكملها والسفن الدنائية والمعسكرات الآخية . هاجمنا بأسلحتنا تلك

المنطقة من البرج ، من جميع الجهات ، حيث تتصل الطوابق العليا منه بسطح المبنى . أتينا عليها من أساسها العميق فحطمناها ، وهوت تلك الطوابق فجأة ، وانحدر حطامها ، وهو يحدث ضوضاء عالية ، فسقط فوق القوات الدنائية المنتشرة فى كل مكان . وحضرت قوات أخرى لمساعدتهم ، بينما لم يتوقف استعمال الأحجار أو أى نوع آخر من أنواع الأسلحة .

عند المدخل مباشرة ، وعلى عتبة القصر الخارجية ، كان بروس (٧٩) برنو مبتهجاً ، متألقاً بين الأسلحة ، وتحت الأضواء الفضية المنعكسة منها ، كما لو كان ثعباناً ، تغذى على حشائش سامة ، أرغمه برد الشتاء القارس على الاختفاء تحت سطح الأرض ، وهو متورّم (بفعل الحشائش السامة) ، ثم بعد أن تخلّص من جلده القديم ، وأصبح متألقاً مليئاً بالشباب ، خرج إلى ضوء النهار ، يزحف بجسده الأملس ، وقد رفع رأسه وصدره عالياً نحو أشعة الشمس ، وأطلق لسانه الذى يشبه الشوكة ذات الثلاث شعب خارج فمه فى حركة سريعة يميناً ويساراً (٨٠) . وتبع بروس نحو المبنى بريفاس الضخم ، وأوتوميدون المحمّل بالأسلحة ، وقائد خيول أخيليوس ، وكل شباب سكيروس (٨١) ، وهم فى طريقهم نحو القمة ، يقذفون سطح المنزل بالنيران . أما بروس نفسه فكان فى المقدمة مع آخرين ، يحطم ويقتحم بلطة قوية المدخل الحصين ، ويقتلع البوابات البرونزية من محاورها . حينئذ قطع بروس شريحة ضخمة من جذع شجرة من أشجار الزان المتينة ، ثم أحدث فجوة ضخمة ذات فوّهة واسعة . وأصبح المنزل مكشوفاً من الداخل ، وأصبحت أبهاؤه الواسعة ظاهرة للأعين . لقد هُتكَتْ أستار القاعات المقدسة ، الخاصة ببرياموس وبالملوك القدامى ، عندما ظهر على أعتابها رجال مسلحون ، مستعدون للقتال . وسيطر على القصر من الداخل الأنين والضوضاء التعسة ، وترددت فى داخل قاعات القصر أصداء نحيب النسوة وبكائهن ، وارتفع الصراخ حتى وصل إلى أبراج النجوم الذهبية . عندئذ أخذت الأمهات المنزوعات تتجولن خلال ربوع القصر الواسع ،

وتتعلقن بالأبواب وتحتضنها ، وتطبعن عليها قبلاتهن .

تقدم بيروس بعزم أبيه (٨٢) ، فلم تستطع المزالج أو الحراس أن تقف فى وجهه . فقد تصدعت البوابة بفعل آلات فتح الأبواب (٨٣) ، وهوى الباب نفسه بعد أن أنتزع من محوره . وهكذا صنع ممر بالعنف ، فوجد الإغريق مدخلاً ، وتقدموا إلى الأمام يقتلون القوات الأمامية ، وعلأون المكان بعدد هائل من الجنود . لقد فاقوا فى عنفهم عنف نهر ثائر عندما يدمر ضفتيه ، ويفيض على الجانبين ، ويحطم السدود التى تعترض مجراه ، وتغطى مياهه فى جنون وغزارة على الأراضى الزراعية ، فتكتسح الماشية من حظائرها عبر عديد من السهول . رأيت بنفسى نيوبتوليموس (٨٤) عند المدخل ، وقد سيطرت عليه رغبة جنونية فى القتل ، ورأيت أيضاً ولدىْ أتريوس . ورأيت هيكوبا وبناتها المائة (٨٥) ، كما رأيت برياموس بين المذابح المقدسة ، يدنس بدمائه مواقد النيران ، التى كان هو نفسه يقدسها من قبل . تلك القاعات العرائسية الخمسين (٨٦) ، ذلك الأمل العريض للأحفاد ، والبوابات الفخمة المطعمة بذهب الشرق ، لقد هوى كل ذلك ، واستولى الإغريق على ما لم تستطع أن تأتى النيران عليه .

ولربما تسألين ، أيتها الملكة (٨٧) ، ماذا كان مصير برياموس . عندما شاهد الملك دمار المدينة بعد الاستيلاء عليها ، وبعد أن شاهد تحطيم مداخل القصر ، ووصول الأعداء إلى قلب قاعاته ، حمل فى يأس أسلحته ، التى لم يستعملها منذ زمن طويل ، على كتفيه المرتعشتين من الشيخوخة ، وامتشق سيفه العديم الفائدة ، ثم اندفع وسط جموع الأعداء ، مستعداً للموت . فى وسط القصر كان يوجد فى العراء ، وتحت قبة السماء ، مذبح ضخم ، وكان يوجد بجوار المذبح شجرة غار عتيقة ، تستند عليه ، وتحتضن بظلالها تماثيل البيناتيس . هناك تجمعت هيكوبا وبناتها فى يأس حول مبانى المذبح ، مثل جماعة من اليمام ، تعرضت لعاصفة مظلمة ، وجلسن متزاحمات تحتضن تماثيل الآلهة . لكن عندما شاهدت هيكوبا برياموس ، وقد تسلح باسلحته ،

التى كان يتسلح بها من قبل ، عندما كان شاباً ، صاحت به قائلة : «يا زوجى التعس ، أى روح خبيثة دفعتك لتتشق هذه الأسلحة ؟ وإلى أين تعدو ؟ إن هذه اللحظة لا تحتاج إلى مثل مساعدتك، ولا إلى مدافعين مثلك . فالموقف لا يحتاج إلى ذلك ، إن ولدى العزيز هيكتور واقف الآن بجوارنا (٨٨) . فلتأت إلى هنا الآن ؛ فسوف يحمينا جميعاً هذا المذبح المقدس، أو فلنهلك معاً . » وبينما تنطلق تلك الكلمات من بين شفتيها ، جذبت هيكوبا زوجها العجوز نحوها ، وأجلسته على المقام المقدس .

لكن وا أسفاه ، فلقد سبق أن تفادى بوليتيوس ، أحد أبناء برياموس ، ضربة مميتة وجّهت إليه من بيروس ، وفرّ وسط الأسلحة وجنود الأعداء هارباً فى الأبهاء الطويلة ، واندفع جريحاً يدور فى قاعات القصر الخالية . وكان بيروس ما زال يتبعه ، وكله رغبة فى أن يصيبه بجرح خطير . واقترب منه بيروس ، حتى كاد يقبض عليه بيده، ثم طعنه بحربته . عندئذ ظل بوليتيوس يتقدم حتى ظهر أمام عينى والديه ، وأصبح أمامهما وجهاً لوجه ، ثم هوى، وفاضت روحه ، وهو غارق فى بحر من الدماء . وبالرغم من أن برياموس كان محاطاً بالموت من كل جانب ، فإنه لم يقف مكتوف الأيدى إزاء ذلك المنظر ، كما أنه لم يتردد فى أن يطلق عقيرته فى غضب : « آه ، لو أن هناك عدالة فى السماء — وحقاً هناك عدالة ترعى مثل ذلك السلوك — آلا ليت الآلهة تكافئك على خطيئتك هذه ، وعلى أعمالك الجنونية هذه ، وتجزيك جزاء عادلاً ، يا مَنْ جعلتنى أشاهد ، وجهاً لوجه ، مصرع ولدى ، ويا مَنْ دنس وجوه والديه بجراحه (٨٩) . إن أخيليوس — الذى تُدعى زوراً أنك ابن له — لم يسلك مثل ذلك السلوك مع برياموس ، بالرغم من كونه عدواً له ؛ إذ أنه احترم المستجير وحقق رجاءه ، وأعاد جثة هيكتور، المضرجة بالدماء، لتنعم بقبرها، وسمح لى أن أعودبها إلى مملكتى (٩٠)

هكذا تحدث الشيخ ، ثم أطلق حربته ، التى لا تؤذى ولا تصيب ، والتى ارتطمت بالنحاس الرنان فارتدت من فورها ، وتعلقت فى تراخ

بأعلى السرّة البارزة الموجودة على واجهة الدرع (٩١) . عندئذ صرخ بيروس قائلا : « لذلك فإنك سوف تقول هذا ، سوف تذهب رسولاً إلى والدى أخيليوس بن بليوس. فَلْتتذكّر أن تروى عليه ما قمتُ أنا به من أعمال شريرة، وأن تشرح له مدى دناءة نيوبتوليموس . ولْتَلْقَ الآن مصرعك . » وبينما هو يقول ذلك جذب برياموس نحو المذبح ، كانت فرائصه ترتعد ، وكان يهوى على الأرض ، منزلقاً بفعل الدماء الغزيرة السائلة من جثة ولده ، وكان بيروس فى نفس الوقت يلوى شعر رأس برياموس بيده اليسرى ، ويشهر فى يده اليمنى سيفاً مسلولاً ، لامعاً ، ثم يغمده حتى مقبضه فى جنب الشيخ . هذه هى نهاية برياموس ، وهكذا لحق به قدره المحتوم ، فشاهد حريق

يستند برياموس على محراب الاله جوبيتر - الذى يظهر تمثاله اعلى المحراب - بينما يمسك نيوبتوليموس براس الملك فى يده اليسرى ويطعنه بيده اليمنى فى جنبيه . (صورة موجودة على آنية من ابوليا ، ويرجع تاريخها الى منتصف القرن الرابع ق.م. تقريبا . وموجودة الآن فى المتحف البريطانى)

طروادة ، وسقوط قلعتها ، التى كانت ذات مرة سيدة مسيطرة على شعوب وأراضى عديدة فى قارة آسيا . إنها ترقد الآن بجوار الشاطىء جثة ضخمة مبتورة الأطراف ، رأسها انتُزِعَتْ من على أكتافها ، فهى جسد لا اسم له .

فى تلك اللحظة ، كنت أول من أحاط به فزع رهيب من جميع الجهات (٩٢) . لقد أصبت بذهول . مرّت بخاطرى صورة والدى العزيز (٩٣) ، فعندما رأيت الملك برياموس – الذى يساويه فى العمر – يلفظ أنفاسه الأخيرة على أثر جرحه القاسى ، تراءت فى مخيلتى كريوسا المهجورة ، ومنزلى المسلوب ، وكارثة يولوس الصغير (٩٤) . لقد نظرت إلى الوراء ، أستعرض القوات الموجودة حولى . كان الجميع قد أنهكت قواهم ، فانفضّوا من حولى ، بعد أن ألقوا بأجسادهم المرهقة فى تعاسة على الأرض أو فى النيران . حقاً ، حقاً ، فأنا وحدى الذى بقيت حياً ، عندما لمحت ابنة تينداريوس (٩٥) قريبة جداً من محراب فيستا ، مختبئة فى مكان منعزل ، لائذة بالصمت . كانت ألسنة النيران المتوهجة تمنحنى الضوء ، عندما كنت أتجول فى كل مكان ، وعندما كنت ألقى نظراتى على كل شيء . ولما كانت هيلينا تخشى على نفسها من عداوة الطرواديين ، بعد تدمير مدينة طروادة وقلعتها ، وتخشى عقاب الإغريق لها ، وغضب زوجها الذى هجرته ، فإنها – السبب المباشر فى الغضب المتبادل بين الاغريق وطروادة – قد اختفت عن الأعين ، وجلست خلسة بين المذابح المقدسة . التهبت نيران الحقد فى أعماقى ، وتسرّب الغضب إلى نفسى ، ففكرت فى الانتقام لوطنى المهزوم ، ومعاقبتها جزاءاً لما ارتكبت من جرائم . فهل يحق لهيلينا أن ترى مرة أخرى اسبرطة وأرض وطنها موكيناى (٩٦) وهى فى أمان وسلام ؟ وهل لها أن تغادر طروادة ملكةً مزهوة بالنصر الذى أحرزته؟ هل لها أن تشاهد ثانية زوجها وقصرها ووالديها وأطفالها (٩٧) ؟ وهل لها أن يقوم بخدمتها جماعة من نساء طرواديات وفروجيات ؟ هل يحدث كل ذلك لهيلينا ، بعد أن يُقتَل برياموس بحد السلاح ؟ وتأتى ألسنة النيران على طروادة ؟ ويغرق الشاطيء الطروادى فى بركة من الدماء ؟ لا ، لن يحدث ذلك . وبالرغم من أن عقاب امرأة لا يمنح رجلاً شهرةً أو صيتاً ، وانتصاره عليها ليس مثاراً للمديح ، مع ذلك فإنى كنت أشعر أنى أستحق المديح عندما

أقضي على حياة مخلوق مجرم ، وأعاقب مَنْ يستحق العقاب ، وإنه ليدخل السرور على نفسي أن يمتلىء صدرى بلهب الانتقام ، وأن يشفى أقاربى القتلى غليلهم (٩٨) .

هكذا اندفعْتُ ، وتقدمْتُ وقد امتلأ صدرى غضباً ، عندما انبرتْ أمامى والدتى الرحيمة (٩٩) ، فى صورة تراها العين بوضوح — وهو ما لم يحدث أمام أعين الآخرين من قبل — فأحدثتْ بريقاً متلالئاً ، انبعث فى ظلام الليل يؤكد قُدسيتها .بدَت لى فى هيئة وقوام اعتادت أن تظهر فيهما لأهل السماء ، وأمسَكَتْ بيدى اليمنى ، واستوقفتنى ، وانطلقت من بين شفتيها الورديتين هذه الكلمات : « ولدى ، أى حزن شديد هذا الذى يثير غضبك المطلق ؟ لماذا أنت غاضب ؟ أم إلى أين ذهب احترامك لى ؟ أما كان الأحرى بك أن ترى أولاً فى أى مأزق تركت والدك أنخيسيس وقد أنهكته الشيخوخة ؟ وهل ما زالت زوجتك كريوسا وولدك أسكانيوس على قيد الحياة ؟ هؤلاء الذين تحيط بهم جميع القوات الإغريقية من كل ناحية ، ولولا اهتمامى بهم ودفاعى عنهم لكانت قد التهمتم الآن ألسنة النيران ، وقضت عليهم سيوف الأعداء . إنى أقولها لك ، لا لوْم على الوجه الكريه لابنة تينداريوس اللاكونية ، ولا على باريس (١٠٠) ، بل قسوة الآلهة — نعم — قسوة الآلهة هى التى قضت على تلك العظمة ، وقلبت طروادة رأساً على عقب . انظر ، لأنى سوف أزيل كل الغشاوة التى تحجب الآن ناظريك ، وتخيِّم على إدراكك الآدمى ، وتنشر الظلام من حولك . لا تخْشى توجيهات والدتك ، ولا تتردد فى أن تستمع إلى نصائحها. أنظر هنا ، حيث ترى أكواماً متفرقة من مواد البناء وأحجاراً انفصلتْ رغم أنفها عن أحجار ، ومموجات متصاعدة من الدخان الممّزج بالغبار (١٠١) ، ونبتونوس يزعزع بشوكته ذات الشعب الثلاث الأسوار ، ويحطم الأساسات ، ويدمر المدينة بأكملها رأساً على عقب. وانظر هناك ، حيث ترى فى المقدمة جونو فى عنفوان قسوتها ، مدججة بالسلاح ، تسيطر على البوابة الاسكائيه (١٠٢) ، تستدعى فى غضب جنونى

حلفاءها الجنود من سفنهم . وانظر إلى الخلف ، حيث تجد أيضاً بالاس التريتونية، تتلألأ وسط سحابة داكنة ، وتتزين بأفعوان مفزع ، وقد تربعت فوق قمة القلعة . ثم إنك ترى كبير الآلهة بنفسه ، يبث فى نفوس الإغريق الشجاعة والإقدام ، ويدفعهم إلى النصر . إن كبير الآلهة بعينه يحرض الآلهة ضد القوات الطروادية . ولدى ، حاولْ أن تهرب بسرعة ، وأن تضع حداً لشقائك . وسوف لا أتركك وحيداً فى مكان ما ؛ سوف أنقلك آمناً إلى قصر والدك . » هكذا تحدثت والدتى ، ثم اختفت فى ظلام الليل الدامس . حينئذ ظهرت فى الأفق وجوه مكفهرة ، إنها قوات الآلهة الضخمة ، تحارب ضد طروادة .

بدت المدينة لى عندئذ وقد هبطت جميعها وسط النيران ، مدينة نبتونوس (١٠٣) قد اقتُلعتْ من جذورها العميقة ، مثلها فى ذلك مثل شجرة عتيقة فوق قمة جبل مرتفع ، حاول مزارعون محاولات عنيفة لاقتلاعها، بعد أن أحدثوا كدمات حول ساقها بأسلحتهم وفؤوسهم المتينة . إنها دائماً تهدد بالسقوط ، تتأرجح فى قوة يميناً ويساراً ، وتهتز قمتها اهتزازات عنيفة ، حتى قُضى عليها شيئاً فشيئاً بفعل تلك الكدمات ، فأحدثت ضوضاء عالية ، وصارت حطاماً بعد أن انتُزعت من حافة الجبل . وبدأتُ أهبط إلى أسفل ، أخذت أشق طريقى ، تحت العناية الإلهية ، بين ألسنة النيران وقوات الأعداء . أفسحتْ لى الأسلحة مكاناً ، وتقهقرت النيران فى طريقى. لكن عندما وصلتُ إلى مداخل قصر والدى ، إلى المبانى العتيقة ، فإن والدى الذى كنت أتحرق شوقاً لأنقله بعيداً إلى الجبال العالية ، والذى كان أول من بحثتُ عنه — رفض أن يظل حياً ، يقاسى مرارة النفس ، بعد سقوط طروادة ، قال لى والدى :

« إن الدماء تجرى شابةً فى عروقك ، وقوتك ما زالت فى عنفوانها ، فلتَلُذْ أنت بالفرار . أما أنا، فلو شاءت آلهة السماء أن تمد فى عمرى لكانت قد أنقذت وطنى هذا . لقد شاهدنا سقوط المدينة مرة قبل ذلك ، وامتدت

حياتنا بعد احتلالها (١٠٤) . ارحَلْ أنت بعد أن تُوَدِّع جسدى المسجّى هكذا ، آه ، هكذا (١٠٥) . سوف أقابل الموت بيدى ، سيرحمنى الأعداء ، وسوف يسعون للحصول على الغنائم ؛ ولسوف يكون الأمر سهلاً : فقط سوف أفقد قبرى (١٠٦) . إننى اليوم أعطّل رغبة السنين دون فائدة ، لقد ظللت منذ أمد بعيد حتى اليوم موضع كراهية الآلهة ، منذ أرسل علىّ سلطان الآلهة وحاكم البشر ريحاً عاتية ، وقذفنى بعاصفة نارية(١٠٧) ».

هكذا واصل حديثه ، ثم ظل ساكناً لا يتحرك . وكنا نحن نبكى ، زوجتى كريوسا وولدى أسكانيوس وجميع أفراد الأسرة ، ونرجو والدنا أن لا يدفعنا جميعاً معه إلى الهلاك ، وأن لا يزيد حظّنا التعس تعاسة . لكنه رفض ، وتشبث برأيه ، وثبت فى مكانه . فاندفعت مرة أخرى نحو المعركة ، وبحثت عن الموت ، وأنا أحس بتعاسة منقطعة النظير . فأى خطة أو أى فرصة للنجاة كان يمكن الوصول إليها حينئذ ؟ «والدى ، هل تتوقع منى أن أجد القدرة لأتركك وأسرع الخطى ؟ أى عقوق هذا الذى ينطق به والد (١٠٨) ؟ فإن رَضِيَتْ آلهة السماء أن لا يبقى شىء من المدينة العظيمة — وهذا ما هو مؤكد فى حسبانك — فإنه يزيد سرورهم أن تضيف نفسك وعشيرتك إلى قائمة الهالكين مع المدينة الهالكة . فالباب مفتوح على مصراعيه أمام موتك هذا (الذى تبحث الآن عنه) ، وسوف يأتى بيروس وهو ملطخ بدماء برياموس الغزيرة ، بيروس الذى يقتل الابن أمام عينى أبيه ويقتل الأب وهو قريب من المذبح المقدس . أمّاه (١٠٩) ، يا أمى الرحيمة ، هل كان إنقاذك لى من بين النيران وأسلحة الأعداء ، كى أشاهد الأعداء فى عقر دارنا ، وأرى أسكانيوس ووالدى وزوجتى كريوسا قتلى ، وقد تخضّب كل منهم بدماء الآخر ؟ إلى السلاح ، أيها الرجال ، إلى السلاح ، إن لحظة الوداع تنادى المهزومين : أعيدونى إلى الاغريق ، واسمحوا لى أن أجدد القتال ، وأن أنزل إلى غمار المعركة من جديد . فسوف لا نموت اليوم جميعاً دون أن يثأر لنا أحد . »

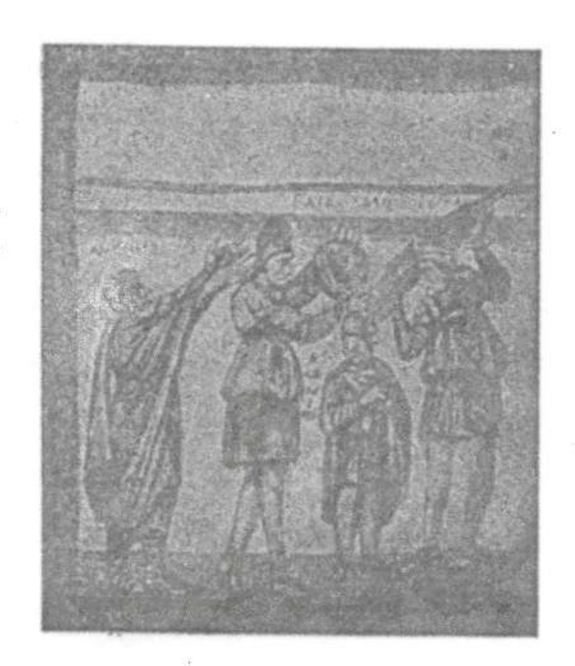
عندئذ امتشقتُ سيــفى مرة أخرى ، وأمررت يدى اليسرى فى حزام الدرع ، وأنا أصلح من وضعه ، واتجهت إلى خارج القصر . ولكن ! إيه ! لقد تعلّقت زوجتى بقدمىّ عند المدخل ، ورفعت بيديها يولوس الصغير فى وجه والده وقالت .

« إن كنت سوف تدهب إلى الموت ، فخذنا لنقاسى معك كل شىء قد تقاسيه ، وإن كنتَ تعلقُ أى أمل على استخدام السلاح ـ وأنت خبير فى هذا الميدان ـ فدافع أولاً عن هذا المنزل . فإلى مَنْ سوف تترك يولوس الصغير ووالدك ومَنْ كانت تُدعَى فى يوم من الأيام زوجتك ؟ »



تحاول كريوسا زوجة آينياس ان تمنعــه من الخروج لمقابلة القوات الاغريقية . (صورة ماخوذة عن مخطوط يحتوى على نص الاينيدة ويرجع تاريخه الى القرن الرابع الميــلادى وموجودة الآن فى مكتبة الفاتيكان) .

بينما كانت زوجتى تقول ذلك ، كانت تملأ جميع أرجاء القصر بالبكاء ، وفى ذلك الوقت ظهرت فجأة آية تندهش عند روايتها . فبين أيدى الوالديْن الحزينين وأمام وجهيْهما ظهرت بقعة ضوء متلألئة تمر فوق رأس يولوس ، ولسان من اللهب يلعق خصلات شعره الناعم ، ويدور حول رأسه دون أن



يقف اسكانيوس فى وسط الصورة ، بينما يحيط به خادمان يلقيان على راسه مياها مقدسة لاطفاء اللهب الذى انطلق نحو شعر راسه وجبهته ، بينما وقف على يسار الصورة جده انخسيس يرفع كفيه نحو السماء ويتضرع الى الآلهة . وجدت هذه الصورة فى احدى مخطوطات الاينيدة ، التى وجدت فى مكتبة الفاتيكان ويرجع تاريخها الى القرن الرابع الميلادى .

يؤذيه عندما يلامسه . واستولى علينا الفزع ، وأسرعنا مرتعدين ، نفرك خصلة الشعر المتوهجة ، ونطفىء اللهب بمياه من النبع المقدس . لكن والدى أنخسيس رفع عينيه فى سعادة نحو النجوم ، ومد يديه نحو السماء وهو يقول :

« أيا جوبيتر ، يامصدر القوة ، إن تكن تستجيب إلى أى من الدعوات ، فاستجب إلينا ، فهذا هو دعائى الوحيد . وإن نكن جديرين برحمتك لتقوانا ، فَمُدّ لنا يد العون ، يا والدنا المقدس ، وابعث بآية ثانية تؤكد الأولى » .

ما كاد الرجل المسن ينتهى من دعائه حتى دوّى فى الناحية اليسرى صوت انهيار مفاجىء ، وانطلقت من السماء نجمة تندفع عبر الظلام تتبعها شعلة من الضوء الخاطف . وشاهدناها تمر فوق سطح القصر حتى اختفى ضوؤها الخاطف بين غابات إيدا (١١٠) تاركة خلفها آثار مسيرتها فى السماء . ثم كان ينبعث ضوء ذلك الخط الطويل الذى ما زال باقياً حيث شقت النجمة طريقها ، وكانت تفوح منه رائحة الكبريت تملأ المكان على اتساعه . وهنا نهض والدى المهزوم ، كما لو كان يريد أن يصل إلى السماء ، يخاطب الآلهة ويصلى للنجمة المقدسة .

« الآن ، الآن ياآلهة الآباء ، ليس هناك سبب للتوانى ، سوف أتبعكم ، وسوف أذهب أينما تقودونني . انقذوا الوطن ، انقذوا الأبناء . هذه الآية آيتكم ، إن طروادة ماثلة تحت سلطانكم . سوف أرحل بالتأكيد ، يا والدى ، وسوف لا أرفض أن أرافقك فى رحلتك » . هكذا قال ، ثم ازدادت زمجرة النيران ، فأصبَحَتْ تُسْمَع بوضوح أكثر عبر الأسوار ، واقتربت ألسنة النيران المتدافعة أكثر فأكثر . بعدئذ قلت :

« هيّا ، هيّا إذن يا والدى العزيز ، فَلْتَضَع نفسك فوق رقبتى . سوف أحملك فوق كتفىّ ، وسوف لا يرهقنى ذلك العمل . ومهما يقع من أحداث ، فسوف يكون الخطر الذى يقابلنا واحداً ، وسوف يَعُمّ نفس الأمان كلينا . ولْيَكُنْ يولوس الصغير رفيقاً لى ، واتقتفِ زوجتى أثرنا عن بعْد . وأنتم أيها التابعون ، فَلْتَنْتَبِهوا إلى ما سوف أقول . يوجد هناك ،حيث تغادرون المدينة ،ربوة ومعبدقديم للإلهة كيريس الوحيدة (١٢١)، تجاوره شجرة السرو العتيقة ، التى قدسها آباؤنا فى عباداتهم عبر السنين العديدة . سوف نتجمع هناك فى ذلك المكان ، بعد أن نسلك طرقاً مختلفة .



(ا)

(ب)

(ا) اينياس وزوجته وابنه ووالده وجماعة اخرى من الطرواديين اثناء رحيلهم من طروادة . (صورة موجودة على وجه عملة فضية استخدمت فى مقدونيا فى اواخر القرن السادس قبل الميلاد ، ومعروضة الان فى متحف برلين) .

(ب) اينياس يحمل والده انخيسيس وآلهة البيناتيس اثناء الرحيل من طرواده . (صورة موجودة على وجه عملة فضية ضربت بين عامى ٤٨ — ٤٧ ق.م تقريبا اثناء عهد يوليوس قيصر ، ومعروضة الآن فى المتحف البريطانى) .

وأنت يا والدى ، خُذ فى يدك الأشياء المقدسة وصور البيناتيس الخاصة بمدينتنا ، إذ أنني عائد تواً من حرب لعينة ، ملطخ بالدماء ، فليس من المباح لى أن ألمس شيئاً منها حتى أغتسل بمياه جارية . »

هكذا تحدثت ، ثم فرَشْتُ على كتفى العريضتين ورقبتى الممدودة رداءً مصنوعاً من جلد أسد أعفر اللون ، ورفعت حملى . ووضع يولوس الصغير يده فى يدى ، وسار خلف والده فى خطوات غير منتظمة ، وخلفنا سارت زوجتى . وانطلقنا نسير فى البقاع المظلمة ، بينما أصبحت أنا — الذى لم تكن منذ لحظة تخيفنى السهام المنطلقة ولا تجمعات القوات الإغريقية المعادية — أصبحت الآن أفزع من النسيم ، وأخشى كل صوت ، بعد أن تعلقت أنفاسى ، وكنت أرتعد خوفاً على مَنْ يرافقنى ومَنْ أحمله على السواء . كنت أقترب حينئذ من البوابة ، وبدا لى أنى قد وصلت إلى نهاية الرحلة بسلام ، عندما تطرّق فجأة إلى سمعى وقع أقدام كثيرة تقترب منا ، وتطلّع والدى إلى الأمام فى الظلام وصرخ قائلاً :

« ولدى ، اهربْ يا ولدى ، إنهم يقتربون ، إنى ألمح دروعاً تلمع ونحاساً يبرق . »

فى تلك اللحظة أفزعتنى قوة إلهية معادية ، لا أعلم كنهها ، جعلتنى أرتبك ، ثم أفقدتنى صوابى . فبينما كنت أسلك ممرات غير مطروقة ، وأتفادى المرور فى الأجزاء المعروفة من الطرق ، فإن زوجتى كريوسا — وا أسفاه — هل انفصلتْ عن زوجها التعس بفعل القدر فتوقفتْ ؟ أم قد ضَلّتْ طريقها أو جلستْ فى مكان ما من فرط تعبها ؟ فأنا لا أدرى . ولم تعد عيناى ترى زوجتى بعد ذلك . لم ألتفت حينئذ ورائى للبحث عن زوجتى التى فقدتها ، ولم أفكر لحظة فيها قبل أن نصل إلى الربوة العتيقة حيث يوجد المقام المقدس للإلهة كيريس . وهناك ، هناك فقط ، بعدما التقى الجمع ، كان هناك واحدة مفقودة ، تخلّفت عن مرافقة ولدها وزوجها . مَنْ من البشر أو مَنْ من الآلهة لم ألُمْه أثناء جنونى حينئذ ؟ وأى مشاهد قاسية شاهدتها عند سقوط

المدينة؟ وأسندت إلى أصدقائى أمر مباشرة أسكانيوس ووالدى أنخسيس وتماثيل البيناتيس الخاصة بطروادة ، وجعلتهم يتوارون بعيداً فى الوادى المتعرج .

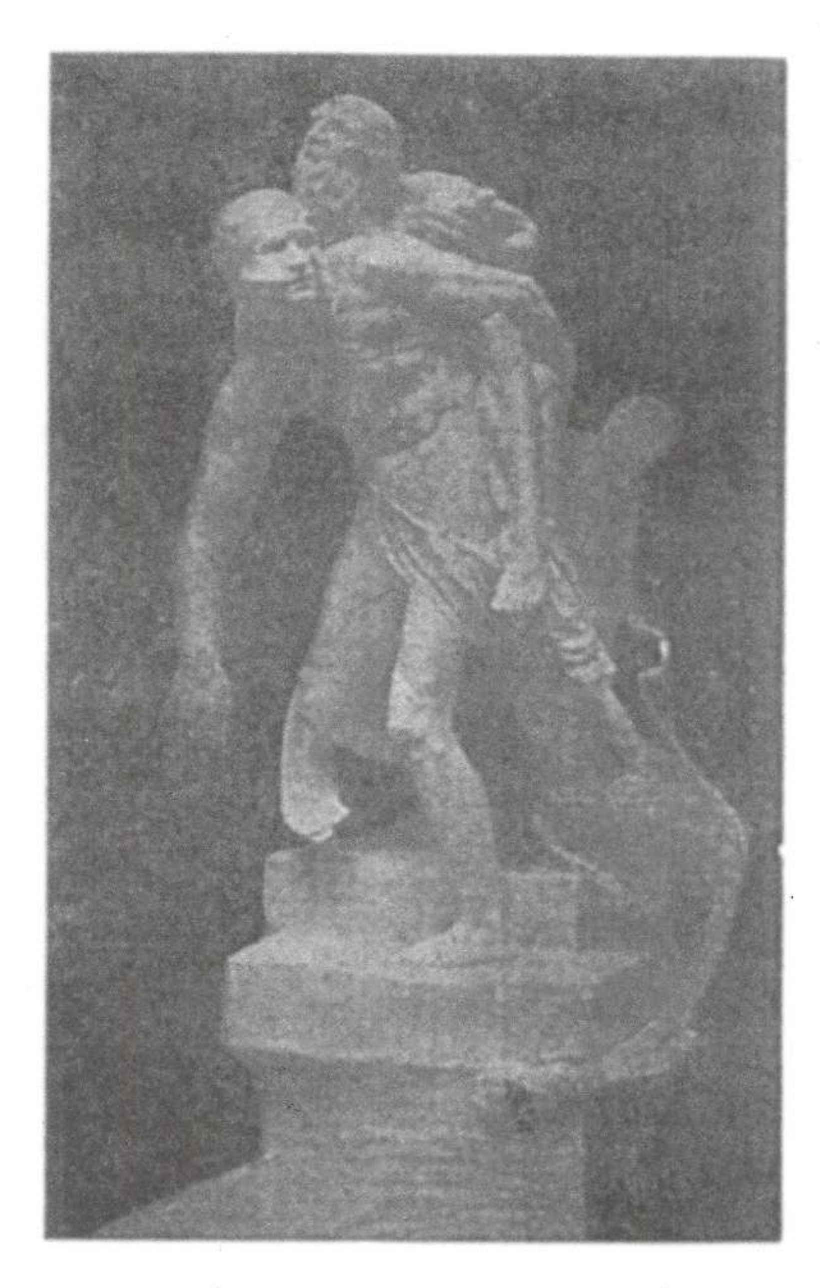
اتجهت مرة ثانية نحو المدينة ، وأنا أحمل أسلحتى اللامعة . لقد صممت على أن أرتاد جميع المخاطر من جديد ، وأن أعود مرة ثانية لأتجول فى جميع أنحاء طروادة ، وأن أعرض حياتى للأخطار . فَحَصْتُ الأسوار والمداخل المظلمة للبوابات التى سبق أن مررت بها أولاً ، واتجهت نحو الخلف ، أقتفى آثار الأقدام التى أمكن رؤيتها فى الظلام ، وأمعن النظر فيها . كان الفزع يملأ صدرى ، وحتى السكون نفسه كان يفزعنى . من هناك وصلت إلى القصر — لعل قدميها تكون قد ساقتها إلى هناك ، لعلها تكون كذلك . وكان الإغريق قد اندفعوا نحوه ، واستولوا على المبنى بأكمله . لقد امتدت النيران الشرهة أمام الرياح حتى وصلت إلى قمة سطح المبنى ، وفاقت ألسنة اللهب فى ارتفاعها ارتفاعه ، ووصلت حرارتها إلى عنان السماء . وتقدمت ، وزُرْتُ مرة ثانية مقر برياموس وقلعته . كان فوينيكس وأوديسيوس اللعين قد تم اختيارهما حراساً ، وكانا يحرسان الغنائم فى الأبهاء الخالية ، وفى محراب جونو . وهناك تجمعت من كل الأنحاء كنوز طروادة المُسْتَوْلَى عليها بعد حريق الأماكن المقدسة : مناضد الآلهة ، وأوانى مليئة بالذهب الخالص ، وملابس مسلوبة من أصحابها . كان يقف الصبية والأمهات اللائى استولى عليهن الفزع فى صف طويل حول المكان . ومع ذلك فقد تجرأت وبعثت بصيحاتى عبر الظلام وملأت الطرقات بالصياح ، وأنا أردد فى حزن مرة بعد أخرى ، منادياً كريوسا ، دون أن أسمع منها إجابة . وبينما أنا أبحث عنها ، واندفع فى جنون ليس له حدود خلال مبانى المدينة ، ظهر أمام عينى طيف بائس ، إنه شبح كريوسا نفسها ، لكنه طيف ظهر فى صورة أكبر بكثير من حجمها المألوف (١١٢) . ووقفتُ دون حراك ، ووقفَ شعر رأسى ، وتحشرجت الكلمات فى حلقى . عندئذ خاطبنى شبح كريوسا قائلاً — وقد أذهب عنى الهموم بكلماته :

« ما الفائدة فى اندفاعك نحو ذلك الحزن الجنونى ، يا زوجى العزيز ؟

إن ذلك لم يحدث رغم أنف الآلهة . إن القدر ان يسمح لك بأن تصطحب زوجتك معك، وحاكم السموات العليا نفسه يرضى بحكم القدر . سوف تطول سنوات منفاك ، سوف ترتاد البحار الواسعة ذهاباً وإياباً مثل راكب المحراث . وسوف تصل إلى الأراضى الهيسبرية ، حيث يجرى نهر التيبر الليدى بتيار هادىء بين الأراضى الزراعية الخصبة الآهلة بالسكان. سوف تجد فى انتظارك الجاه والسلطان وزوجة من سلالة الحكام ؛ ولْتَكُفَّ الآن عن الدموع من أجل كريوسا الغالية . أما أنا فسوف لا أرى قصور المرميدونيين أو الدلوبيين المليئة بالغرور ، وسوف لا أذهب كى أصبح جارية للأمهات الاغريقيات ، فأنا ابنة طروادة ، وزوجة ابن الإلهة فينوس ، لكن الأم الكبرى للآلهة (١١٣) تستبقينى لديها . والآن ، وداعاً ، واحْرِصْ دائماً على حب ولدنا » .

تَفَوَّه الطيف بتلك الكلمات ، ثم تركنى — وأنا أبكى وكلىّ رغبة فى أن أتحدث إليه حديثاً طويلاً ، واختفى فى الأفق الممتد . لقد حاولت عندئذ ثلاث مرات أن أحيط عنقها بذراعىّ ، وفرّ الطيف ثلاث مرات أيضاً من بين يدى ؛ فرّ كما يفرّ النسيم الرقيق ، ورفرف كما يرفرف النعاس بجناحيه . ومكثتُ هكذا حتى انقضى الليل فعدت إلى رفاقى .

هناك استولت علىّ الدهشة ، عندما وجدت عدداً ضخماً من الرفاق الجدد ، نساء ورجالا ، ومجموعة كبيرة من الشبان ، وجمهوراً بائساً ، لقد نزحوا جميعاً استعداداً للذهاب إلى المنفى. لقد أتوا من جميع الجهات ، مستعدين نفسياً ومادياً (١١٤) للذهاب إلى أى أرض عبر البحار ، أرغب أنا أن أقودهم إليها. والآن ، لقد أشرق نجم الصباح على أطراف قمة جبل إيدا، وجاء النهار مع شروقه. والإغريق يحاصرون مداخل الممرات والبوابات، ويسيطرون عليها. ولم يكن هناك أمل فى وصول أى مساعدة . فتَرَحَلْتُ ، وأنا أحمل والدى متجهاً صوب الجبال .



آينياس يحمل والده انخيسيس على كتفيه كما تخيله الرسام جلبرت بايز

حواشى الكتاب الثانى

(١) عرف الاغريق بألقاب كثيرة ، وذلك تبعاً لأسماء العشائر والأجناس المختلفة التى تكونت منها الشعوب الاغريقية فيما بعد . الدنائيون (أبناء دناءوس) Danai ينتسبون إلى دناءوس Danaus الذى كان ملكاً على أرجوس فى عصور ما قبل التاريخ . لكن الكلمة أصبحت فيما بعد تشير إلى لإغريق عامة .

(٢) المرميدونيون Myrmidones ، ينتمون فى الأصل إلى إقليم تساليا Thessalia ، كانوا تحت قيادة القائد الاغريق المعروف أخيليوس .

(٣) الداوپيون Dolopes ، عشيرة ذهبت من تساليا إلى طروادة تحت قيادة القائد فوينيكس Phoenix .

(٤) پالآس Pallas ، هى الإلهة مينيرڤا عند الرومان ، ويقابلها أثينة Athena عند الإغريق .

(٥) تنيدوس Tenedos ، جزيرة تقع على بعد أربعة أميال من شواطىء طروادة .

(٦) موكيناى Mycenae ، كبرى مدن منطقة أرجوليس ، التى كان يحكمها الملك أجامنون .

(٧) نسبة إلى الدوريين Dorici ، وهم جنس من أقدم الأجناس التى تكونت منها الشعوب الاغريقية .

(٨) ثيموبتيس Thymoetes ، مواطن طروادى .

(٩) لأوكوون Laocoon ، كاهن معبد أپوللون فى طروادة .

(١٠) يوليكسيس Ulixes ، أوديسيوس عند الاغريق ، وهو بطل ملحمة هوميروس الأوديسا . عرف أوديسيوس بين الاغريق بشدة المكر والدهاء . وهنا يحذر لأوكوون الطرواديين من مكره ودهائه ويذكرهم بهما .

(١١) الآخيون Achivi ، أفراد جنس من أقدم الأجناس التي تكونت منها الشعوب الاغريقية .

(١٢) يستخدم الشاعر هنا كلمة Teucri ، وهي اسم آخر للشعب الطروادي ، وتعني أبناء تيوكر Teucer ، أحد الملوك القدامى لطروادة ، وكان زوجاً لابنة دردانوس Dardanus .

(١٣) الفروجيون Phrygii ، شعب يسكن آسيا الصغرى في المنطقة المتاخمة لطروادة. تشير الكلمة هنا إلى الطرواديين جميعاً .

(١٤) سينون Sinon ، هو الشاب الاغريقي الذي دفعه الرعاة إلى الملك ، وهو نفسه الذي يتحدث في هذه الفقرة .

(١٥) بيلوس Belus ، والد دناوس Danaus ، أنجب عدداً كبيراً من البنات ، إحداهن تدعى أموموني Amumone ، أنجبت ناوبليوس Nauplius ، الذي أنجب بالاميديس Palamides

(١٦) البلاسجيون Pelasgi ، أقدم الأجناس التي كانت تسكن الأراضي الاغريقية ، وتشير هنا إلى الاغريق عامة .

(١٧) كالخاس Calchas ، عراف ذائع الصيت ، رافق الاغريق أثناء حروبهم الطرواديين ، ورد ذكره في كثير من النصوص الاغريقية واللاتينية على السواء .

(١٨) توقف سينون عن الكلام في لحظة حاسمة من روايته . إنه لم يذكر كيف استعان أوديسيوس الماكر بالعراف كالخاس ، وماذا كان مصير سينون نفسه . لقد أحدث سينون عند مستمعه من الطرواديين ما يعرف بالتشويق suspense فأصبحوا يتحرقون شوقاً لمعرفة باقي الرواية .

(١٩) كان أوديسيوس ملكاً على جزيرة في الجزء الغربي من بلاد الاغريق تعرف باسم إيثاكا Ithaca .

(٢٠) الأتريدا Atridae ، هما أجاممنون Agamemnon ومينيلاووس Menelaus ولدا أتريوس Atreus . كان أولهما القائد الأعلى للحملة الاغريقية ضد طروادة .

(٢١) يوريبيلوس Eurypylus ، عراف في المعسكر الاغريقي أمام طروادة .

(٢٢) فويبوس Phoebus ، أحد ألقاب الإله أبوللون .

(٢٣) يشير الشاعر هنا إلى تضحية أجاممنون بابنته ايفيجينيا ، إرضاء للآلهة ، كي تسمح لسفن الإغريق بالرحيل نحو طروادة .

(٢٤) أي أن سينون سوف يقدم قرباناً للآلهة .

(٢٥) كان من المتبع عند تقديم القرابين أن تعد مثل هذه الوجبة (وهي خليط من القمح والملح) ، ثم تسكب على رأس الضحية ، التي سبق تزيينها بأكاليل الزهور .

(٢٦) هكذا يختتم سينون روايته باستعطاف الملك الطروادى العجوز پرياموس .

(٢٧) پرياموس Priamus ، ملك طروادة العجوز ، والد القائد الطروادى الجسور هيكتور – الذى قتله أخيليوس – والشاب الفاتن پاريس – الذى اختطف هيلينا واصطحبها معه إلى طروادة .

(٢٨) تيديديس Tydides ، أو ديوميديس . هو ولد تيديوس Tydeus ، قائد قوات أرجوس ، قام أثناء الحرب بأعمال تتسم بالشجاعة والإقدام ؛ إلا أنه جرح فى بعض المعارك الإله مارس ، إله الحرب ، وأفروديتا التى غضبت من أجل ذلك وانتقمت منه . ذلك إلى أنه اشترك فى انتزاع تمثال الإلهة پالاس من معبدها .

(٢٩) پالاديوم Palladium ، تمثال پالاس (مينيرڤا) الشهير – يقال إنه هبط من السماء على طروادة التى كانت سلامتها تتوقف على وقايته .

(٣٠) تريتونيا Tritonia ، لقب من ألقاب الإلهة پالاس ، إذ يقال إنها ولدت فى بحيرة تريتونيس Tritonis فى ليبيا .

(٣١) العرق مالح بطبيعته . لكن الصفة مالح Saleus وردت هنا لا لتؤكد حقيقة معترفا بها بل لتضفى على الصورة ظلا من الواقع (راجع المقدمة ص ٤٥) .

(٣٢) القلاع البرجامية Pergama ، قلعة مدينة طروادة ، وتعنى پرجاما هنا طروادة نفسها .

(٣٣) الأسلحة الأرجولية Argolica arma ، نسبة إلى أرجوس ، عاصمة إقليم أرجوليس Argolis بجنوب شبه جزيرة الپلوپونيس . والصفة تشير هنا إلى الشعب الاغريقى عـامة .

(٣٤) من المعروف سلفا أن سلامة تمثال الإلهة پالاس – الپالاديوم Palladium – كانت مرتبطة بسلامة مدينة طروادة نفسها . فما دام التمثال آمنا لا تدنسه أيدى الأشرار ، فسوف تبقى طروادة قائمة فى سلام وأمان . ولما كان الحصان الخشبى الضخم قد أقيم – حسب أوامر الآلهة – ليحل محل الپلاديوم ، فإنه سوف يكون حاميا ومدافعا عن أمن طروادة وسلامتها ، إذا ما أحسن الطرواديون استقباله . وهذا هو المقصود بالتعبير « تحت ستار العبادة العتيقة » .

(٣٥) المقصود هنا الحصان الخشبى .

(٣٦) لما كانت طروادة تقع فى آسيا الصغرى ، فإن ڤرجيليوس يستخدم هنا كلمة آسيا للدلالة على طروادة .

(٣٧) الترجمة الحرفية هنا هى نحو أسوار أبناء پيلوپس ad Pelopea moenia . پيلوپس Pelops هو ملك أسطورى قديم كان يحكم منطقة إيليس Elis الواقعة فى الجزء الجنوبى من بلاد الاغريق ، ثم أصبحت الصفة Pelopeus (والجمع منها Pelopea) كناية عن الاغريق .

(٣٨) تيديديس Tydides ، كناية عن الاغريق ، نسبة إلى ابن تيديوس ، وهو ديوميديس Diomedes أحد القادة الاغريق الذين اشتركوا فى الحرب ضد طروادة .

(٣٩) اللاريسى Larissaeus ، نسبة إلى لاريسا Larissa ، وهى مدينة فى إقليم تساليا .

(٤٠) دامت الحرب الطراودية عشرة أعوام ، واشترك فى القتال أسطول إغريقى مكون من ألف سفينة .

(٤١) مثنى «فم» .

(٤٢) حرفيا ، «وليس فى أجسادنا نقطة دم واحدة» exsangues

(٤٣) حرفياً «فى مسيرة مستقيمة أو غير معوجة» agmine certo

(٤٤) حرفياً «أسوار الدردانيين المعروفة فى الحرب» . والدردانيون Dardanidae هم أبناء دردانوس ، وهو ملك أسطورى والجد الأكبر لملوك طروادة . تروى الأساطير الاغريقية أنه كان ابناً لكبير آلهة الاغريق زيوس من الكترا ابنة أطلس (وفى غير الكترا ابنة أجا ممنون) . كما تروى الأساطير أيضاً أن مولد دردانوس كان أحد الأسباب التى جعلت حيرا – زوجة زيوس – تغضب على شعب طروادة وتقف ضدهم وتعاون الجيوش الاغريقية .

(٤٥) كاساندرا Cassandra ، هى ابنة پرياموس ملك طروادة . كانت كاهنة للإله أپولون ، كما كانت على علم تام بالمستقبل . لكن تنبؤاتها – بالرغم من أنها كانت صادقة – لم تكن تلقى تصديقاً من أحد .

(٤٦) المقصود هنا أن الحصان الخشبى اختفى تحت ظلام الليل الذى امتد ليطوى فى ظلمته كلا من الأرض والسماء على السواء .

(٤٧) يقصد «بالسفينة الملكية» تلك التى يوجد عليها القائد الأعلى للأسطول الإغريقى ، إذ كان الملك عند الاغريق هو القائد الأعلى الذى يقود الجيوش أثناء الحرب .

(٤٨) ثساندروس Thessandrus وستيلوس Sthenelus ، هما إثنان من قادة الاغريق المختبئين داخل الهيكل الخشبى الضخم .

(٤٩) أسماء لقادة أغريق كانوا فى داخل الهيكل .

(٥٠) أى صاحب الفكرة فى بناء الهيكل .

(٥١) ربط القائد الاغريقى أخيليوس جثة هيكتور – بعد أن قتله – فى عجلته الحربية وأخذ يجرها خلفه وهو يدور حول أسوار طروادة ثلاث مرات حتى تمزقت الجثة وشوهت معالمها .

(٥٢) عندما قرر القائد الاغريقى أخيليوس الانسحاب من الحرب الطروادية – بسبب نزاع قام بينه وبين قادة الاغريق الآخرين – استعار صديقه الحميم پاتروكلوس حلة أخيليوس الحربية واشترك فى الحرب نيابة عنه . بعد ذلك خر پاتروكلوس صريعاً على يد هيكتور ، وعاد الأخير من ميدان القتال وهو يرتدى ملابس أخيليوس ، التى غنمها بعد قتل پاتروكلوس . وكان أخيليوس

يحب صديقه حباً جماً ، لذلك فقد تملكه الغضب ، وطلب منازلة هيكتور ، وكان له ما أراد . قتل أخيليوس هيكتور وربط جثته في مؤخرة عجلته الحربية وأخذ يجرها خلفه وهو يدور حول أسوار طروادة .

(٥٣) أثناء حصار الجيوش الاغريقية لمدينة طروادة ، كان هدف الطرواديين إشعال النار في السفن الاغريقية الراسية على الشاطيء ، وكان هيكتور صاحب الفكرة ، التي دأب على التفكير في كيفية تنفيذها .

(٥٤) دردانيا Dardania ، هي أرض دردانوس ، الجد الأكبر للطرواديين ، وهي مرادفة لكلمة طروادة .

(٥٥) كان آينياس ابناً لآدمي يدعى أنخيسيس Anchises ، أما والدته فلم تكن سوى إلهة الحب والعشق ، التي عرفت عند الاغريق بأفروديتا وعند الرومان بفينوس .

(٥٦) المقصود بكلمة أسوار moenia هنا هو المدينة نفسها . إن هيكتور يأمر آينياس بالفرار من طروادة والبحث عن منطقة أخرى يستطيع أن يقيم فيها مدينة آمنة يعيش فيها الطرواديون الفارون بعد تدمير وطنهم الأصلي .

(٥٧) فستا Vesta ، هي ربة الحياة المنزلية عند الرومان – كانت مهمتها الإشراف على الشئون العائلية داخل المنزل ، ومكانها المفضل هو المدفأة في المنزل الروماني . لذلك كانت عبادتها مرتبطة دائماً بعبادة «ربات المدفأة Penates » . و «النار الأبدية» هنا تعني تلك الشعلة التي كانت مشتعلة باستمرار داخل محراب الإلهة فستا . لقد انتزعها هيكتور ، وسلمها إلى آينياس الذي فر بها إلى ذلك المكان البعيد ، الذي أنشأ فيه مدينة جديدة .

(٥٨) يشير الشاعر إلى تخريب المناطق الزراعية التي بذل الثيران جهداً شاقاً في حرثها استعداداً لزراعتها .

(٥٩) الراعي هو آينياس نفسه ، الذي لم يكن في ذلك الوقت قد عرف أن الاغريق كانوا قد أخفوا أنفسهم داخل الحصان الخشبي .

(٦٠) ديفوبوس Deiphobus ، أحد أبناء ملك طروادة العجوز برياموس .

(٦١) يوكاليجون Ucalegon ، أحد أثرياء طروادة .

(٦٢) سيجيوم Sigeum ، منطقة مرتفعة داخلة في البحر ومتاخمة لمدينة طروادة .

(٦٣) بانثوس بن أوثيريس Panthus Othryades ، شقيق هيكوبا ، زوجة برياموس ملك طروادة ؛ وهو أيضاً والد يوفوربوس Euphorbus .

(٦٤) كان الاعتقاد السائد هو أن الآلهة تهجر المدن المهزومة لتعيش بين الشعوب المنتصرة . بالتالي فعندما ينقل كبير الآلهة جوبيتر كل شيء من طروادة إلى أرجوس ، فإن ذلك دليل على أن الآلهة قد هجرت طروادة المهزومة ، وبالتالي أيضاً فإن مراكز السلطة والقوة والجاه قد انتقلت إلى أراضي الشعب المنتصر .

(٦٥) مارس Mars ، إله الحرب عند الرومان ، وذكره هنا كناية عن الحرب نفسها .

(٦٦) «المتوهجة» ترجمة حرفية للصفة furens . لكن كلمة furens عند الرومان – وخاصة عند حديثهم عن كاساندرا – كانت تشير إلى الآدمي الذى انتزعت روحه من جسده وحلت مكانها روح أحد الآلهة . كانت كاساندرا كاهنة للإله أبوللون ، وكانت تستطيع – تماماً مثل الإله نفسه – أن تعرف المستقبل . بذلك يمكن ترجمة كلمة furens فى هذه الفقرة «المكشوف عنها الحجاب» أو «العالمة بالغيب» .

(٦٧) أندروجيوس Androgeos ، قائد غير مشهور من قادة الاغريق ، اشترك فى الهجوم على طروادة .

(٦٨) يدافع كوروبيوس Coroebus هنا عن خطته التى ابتكرها ليخدع الفرقة الاغريقية . ويبدو أن فرجيليوس – وجميع الرومان معه – كان من أتباع مذهب «كل عمل تقوم به من أجل أن تكسب الحرب أو الحب فهو عمل مشروع » .

(٦٩) نسبة إلى أرجوس Argos موطن أندروجيوس .

(٧٠) الترجمة الحرفية هى«أسلحة طازجة armis recentibus » . ولعل الشاعر يقصد هنا أن الأسلحة التى استولى عليها آينياس وأصدقاؤه لم يكن قد استطاع الإغريق استخدامها ؛ إذ أن الهجوم المفاجىء الذى تعرضوا له جعلهم يرتبكون ويستسلمون قبل أن تتاح لهم فرصة استخدام أسلحتهم .

(٧١) اعتقد الطرواديون – خطأ – أن آينياس وفرقته أغارقة ، فانهالوا عليهم بأسلحتهم من فوق سطح المعبد . وهكذا شاءت الآلهة أن يهزم الطرواديون على يد إخوانهم الطرواديين وعلى يد أعدائهم الإغريق على السواء .

(٧٢) الفرقة الحربية التى جاءت من تساليا تحت قيادة فوينيكس لمساعدة باقى الإغريق على طروادة .

(٧٣) اعتاد الشعراء ذلك التشبيه عند وصف معركة يسودها الهرج والمرج وتسيطر عليها الفوضى ويصعب أثناءها على المحاربين التعرف بعضهم على بعض .

(٧٤) نيريوس Nereus ، إله البحر ، الذى كان يضرب البحر بصولجانه (وهو على هيئة شوكة معدنية ذات ثلاث شعب tridens) فيرغى الموج وينتشر الرعب على سطح الماء .

(٧٥) هذه الكلمة تقابل فى النص الأصلى كلمة mentita ، ومعناها «المزيف» أو «ذات المظهر الخادع» . والمقصود هنا هو الأسلحة التى اغتصبها الطرواديون من الإغريق والتى خدعوا بواسطتها بعض الإغريق الآخرين .

(٧٦) حرفيا «القوية فى استخدام الأسلحة armipotens » ، وهى الإلهة مينيرفا .

(٧٧) المقصود هنا هو أن ذلك المدخل لم يكن يدافع عنه الطرواديون ، إذ أن الإغريق لم يتنبهوا لوجوده .

(٧٨) أندروماخي Andromache ، هي زوجة هيكتور ابن الملك الطروادي العجوز برياموس .

(٧٩) پيروس Pyrrhus ، كان يعرف أيضا باسم نيوپتوليموس Neoptolemus ، هو ابن القائد الإغريق أخيليوس . اشترك پيروس في حصار طروادة بعد قتل والده أخيليوس ، وشاهد سقوط طروادة ، وهو الذي قتل الملك الطروادي العجوز پرياموس ، ثم اصطحب معه إلى وطنه أندروماخي أرملة هيكتور بن پرياموس .

(٨٠) أتاحت حياة ڤرجيليوس في الريف فرصة لرؤية ما يصفه من صور وتشبيهات في أعماله الأدبية (راجع المقدمة ص ٢٥) . تتكرر مثل هذه التشبيهات والصور بصورة ملحوظة في أعماله . والمعروف أن لسان الثعبان متشعب إلى شعبتين عند نهايته ، لكن ڤرجيليوس هنا يشبهه بالشوكة المعدنية ذات الثلاث شعب . كما أن كلمة لسان تأتي في الجمع وليس في المفرد linguis trisulcis . ولعل ڤرجيليوس يقصد هنا أن سرعة حركة لسان الأفعى المتفرع إلى فرعين قد جعلته يبدو للناظر كما لو كان عدة ألسنة تتحرك في جميع الجهات في وقت واحد .

(٨١) سكيروس Scyros ، هي مسقط رأس پيروس ، وتقع بالقرب من منطقة يوبويا Euboea .

(٨٢) سبق أن أشرنا إلى أن پيروس هو ابن القائد الإغريق العظيم أخيليوس .

(٨٣) كانت الـ aries آلة خاصة تستخدم في تحطيم الأبواب أو فتحها بالعنف أثناء المعارك . ومن الواضح أن رجال پيروس كانوا يستخدمون هذه الآلات في تحطيم بوابات القصر .

(٨٤) نيوپتوليموس هو پيروس نفسه .

(٨٥) كان لپرياموس وهيكوبا خمسون بنتاً وخمسون ولداً . والمقصود هنا بالعدد مائة هو عدد البنات مضافاً إليه عدد زوجات الأبناء .

(٨٦) القاعات العرائسية الخمسون quinquaginta thalami هي عدد المخادع التي ينام فيها أبناء پرياموس مع زوجاتهم . هذه القاعات كانت مصدر قوة طروادة ، بمعنى أنه كلما كثر عدد أحفاد الملك ازدادت قوة الأسرة الملكية . ومن هنا جاءت العلاقة بين «القاعات العرائسيه الخمسين» و«الأمل العريض الأحفاد» .

(٨٧) أضيف هنا تعبير «أيتها الملكة» توضيحاً للنص . إذ أن آينياس ما زال يخاطب الملكة ديدو ويشرح لها تفاصيل ما حدث لطروادة من كوارث ومصائب فور سقوطها .

(٨٨) هيكتور هو الابن الأكبر لپرياموس وهيكوبا ، وقد سبق أن قتل هيكتور بواسطة

اخيليوس ، قبل سقوط مدينة طروادة واقتحامها وتسيرها بواسطة الإغريق (راجع حاشية رقم ٥١) .

(٨٩) اعتقد الإغريق – والرومان من بعدهم – أن لمس القتيل دنس ورجس لا ترضى عنه الآلهة . وكان لديهم أيضا نفس الاعتقاد عندما يشاهد أحد الوالدين أو كلاهما ولده مثخناً بالجراح .

(٩٠) يشير برياموس فى هذه الفقرة إلى اللقاء الذى تم بينه وبين أخيليوس عندما ذهب الأول – بعد قتل ولده هيكتور – إلى مقر قيادة الثانى يتوسل إليه أن يعيد جثة ولده لتحظى بمراسم الجنازة المعتادة ، فما كان من أخيليوس إلا أن أجاب برياموس إلى طلبه . وبخرج برياموس من هناك سالماً إلى وطنه ومعه جثة ولده هيكتور . إن برياموس فى هذه الفقرة يقارن بين سلوك أخيليوس وسلوك بيروس ، ويستنكر نسب بيروس القاسى إلى أخيليوس الذى اعتاد احترام حق الاستجارة .

(٩١) سرة الدرع umbo clipei هى قطعة بارزة – ربما كانت من المطاط- تلتصق على السطح الخارجى للدرع وتقع عادة فى وسطه . وفائدتها استقبال الحربة أو السهم فتساعد مادة المطاط اللينة على الحد من سرعة الحربة وتتيح لطرف المدبب فرصة لكى ينفذ فى المطاط فتتعلق الحربة بالدرع دون أن تنفذ فتصيب حامل الدرع .

(٩٢) لاحظ الفعل المستعمل هنا circumstare ومعناه «يقف حوله» . لم يشعر آينياس بالخوف ، بل شاهد الفزع يطارده ويحيط به . لقد أراد الشاعر أن يصور الخوف على أنه كائن واقعى وليس إحساس داخلى يعيش فى أعماق آينياس .

(٩٣) والد آينياس هو أنخيسيس Anchises .

(٩٤) ذكر مقتل بريامرس آينياس بوالده العجوز وبزوجته كريوسا وبولده إيولوس ، الذين تركهم فى منزله قبل أن يندفع نحو قصر بريامرس للدفاع عنه ، والذين سوف يتحدث عنهم بالتفصيل فيما بعد . اما عن منزل آينياس فإنه فى الحقيقة لم يسلب ولم ينهب ، ولكن آينياس تخيله كذلك .

(٩٥) ابنة تينداريوس ، هى هيلينا التى كانت سبباً فى قيام الحرب بين الإغريق والطرواديين .

(٩٦) اسبرطة Sparta ، هى المدينة الرئيسية فى منطقة لاكونيا Laconia ، ومقر حكم الملك منيلاووس زوج هيلينا . وموكيناى Mycenae ، هى المدينة الرئيسية فى منطقة أرجوليس ، ومقر حكم الملك أجامنون شقيق منيلاووس زوج كلوتمنسترا شقيقة هيلينا .

(٩٧) يبدو أن والد هيلينا فقط هو الذى كان على قيد الحياة فى ذلك الوقت ، كما أن هيلينا لم تكن قد أنجبت سوى طفلة واحدة هى هيرميونى Hermione ، لكن فرجيليوس فى هذه الفقرة يبالغ فى تصوير سعادة هيلينا – إذا ما عادت سالمة إلى وطنها – فيستخدم كلمة

patres التي تساوي كلمة parentes (ومعناها الوالدان) كما يستخدم كلمة natos (ومعناها ذرية أو أطفال) .

(٩٨) كان الميت يظل متعطشاً لإراقة الدماء حتى يتم الانتقام من قاتله .

(٩٩) والدة آينياس هي – طبقاً لروايات الإغريق – الإلهة أفروديتا التي عرفها الرومان باسم ڤينوس .

(١٠٠) باريس Paris ، شقيق هيكتور وابن الملك برياموس ، وهو الذي اختطف هيلينا من لاكونيا واصطحبها معه إلى طروادة . ولقد أعجب باريس بجمال هيلينا ؛ فقد امتازت بأن لها أجمل وجه نسائي في العالم . ومن هنا جاء التعبير « الوجه الكريه facies invisa » ، وهو لا يعني الوجه القبيح بل الوجه الذي أثار الكره بين الإغريق والطرواديين ، ثم أثار كره الطرفين على السواء نحو صاحبة ذلك الوجه الذي تسببت صاحبته في قيام تلك الحرب الشعواء .

(١٠١) الغبار الناتج من سقوط المباني .

(١٠٢) البوابة الإسكائية Scaea Porta ، هي إحدى البوابات الواقعة غرب طروادة .

(١٠٣) تروي الأساطير أن الإله نبتونوس ساعد الطرواديين في تأسيس مدينتهم ، لكنهم لم يجزلوا له العطاء ، فغضب عليهم وعلى مدينتهم .

(١٠٤) ليس المقصود هنا سقوط طروادة على يد الإغريق واحتلالهم لها ، بل تشير الفقرة إلى فترة سابقة حين هاجم الإله هيراكليس المدينة ودمرها .

(١٠٥) كان والد آينياس مسناً يتمدد أو يرقد في فراشه ولا يستطيع الحركة . وفي حديثه مع ابنه فإنه يريد منه أن يودع جسده لا كجسد رجل مسن عليل بل كجثة لا حياة فيها ترقد في انتظار القيام بدفنها .

(١٠٦) أي «سوف لا تدفن جثته». وكانت عملية الدفن بالنسبة للإغريق والرومان ضرورية ، وكانت روح الميت تظل حائرة طالما لم تدفن جثة صاحبها . وفي هذه الفقرة يتضح مدى استهانة الوالد العجوز أنخيسيس بسعادته ، ومدى شجاعته وبسالته ، ومقدار تضحيته من أجل الآخرين ، وتعلقه الشديد بتراب وطنه حتى لو أدى كل ذلك إلى أن تبقى روحه حائرة بعد موته .

(١٠٧) عوقب أنخيسيس هكذا أثناء شبابه بعدما أعلن على الملأ عشقه وهيامه بالإلهة ڤينوس .

(١٠٨) يستنكر آينياس الرحيل دون مصاحبة والده ، ويعتبر ما يقوله والده كلمات لا يصح أن ينطق بها والد أمام ولده ؛ إذ كيف يطلب أب ضعيف مريض من ولده أن يتركه وسط الأعداء ويهرب .

(١٠٩) يتحول آينياس من مخاطبة والده أنخيسيس إلى مناجاة والدته ڤينوس ، ثم بعد ذلك إلى مخاطبة رجاله .

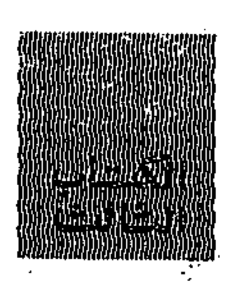
(١١٠) جبل إيدا Ida المغطى بالغابات والمجاور لطروادة .

(١١١) كيريس Ceres ، إلهة الزراعة عند الرومان ، كان يقام معبدها دائماً فى منطقة مهجورة .

(١١٢) يعنى هذا التعبير أن كيوسا قد لقيت مصرعها؛ إذ أن الآلهة والموتى هم فقط الذين كانوا قادرين على أن يظهروا أمام البشر فى حجم أضخم من حجمهم الطبيعى أو المألوف.

(١١٣) الأم الكبرى للآلهة Magna Genetrix deum ، هى ربة الأرض .

(١١٤) كان بعض الطرواديين قد فكر فى الذهاب مع آينياس، ثم اقتنعوا بالفكرة (وبذلك كانوا مستعدين نفسياً)، وجمع كل منهم من كنوز طروادة ما استطاع جمعه استعداداً للرحلة الطويلة (وبذلك كانوا مستعدين مادياً أيضاً) .



فاروق فريد سعيد

بعد أن تراءى لأرباب السماء الإطاحة بسلطان آسيا وشعب بريامومس البرىء ، وبعد أن سقطت إليوم الشامخة ، ولفظت طروادة النبتونية (١) كلها دخاناً من أسفلها ، أرغمتنا نذر ربانية على البحث عن منفى ناء في أرض مهجورة . بنينا أسطولا بالقرب من أنتاندروس(٢) وتحت سفح جبال إيدا الفروجية . جمعنا رجالنا ، ونحن لا ندرى إلى أين تقودنا الأقدار ، أو أين قُدِّر لنا أن نستقر . وما أن لاحت تباشير الصيف ، حتى أمرنا والدى أنخسيس بأن ننشر أشرعة سفننا حسبما تشاء الأقدار . غادرت شواطىء وطنى وموانيه باكياً ، وتركت السهول حيث قامت ذات مرة طروادة . وحملنى البحر طريداً ، منفياً ، ومعى إبنى ورفاقى والبيناتيس والأرباب العظام :

على مسافة بعيدة تقع أرض إله الحرب ، ذات السهول الواسعة ، التى يفلحها التراقيون . كان يحكمها ليكورجوس(٣) العاتى يوماً ما ، وكانت منذ القدم مكاناً مضيافاً لطروادة . وكان أربابها حلفاء لأرباب البيناتيس ، مادام الحظ موانياً لنا . أبحرت إليها ، وعلى الشاطىء المتعرج أسست أول مدينة فى ذلك المكان ، ولقد شرعت فى العمل فى وقت كانت فيه الأقدار قاسية ، ومن اسمى صنعت الاسم « آينياداى » :

كنت أقدم القرابين لوالدتى ، إبنة ديونى(٤) ، وللآلهة كى تبارك الأعمال التى بدأتها . وقمت على الشاطىء أذبح ثوراً أبيض لامعاً لملك أرباب السموات. وتصادف أن كان هناك على مقربة من ذلك المكان تل ، على قمته جذوع شجيرات كثيفة وأشجار ريحان قد انتفخت من جراء حشد من رؤوس الحراب . إقتربت من ذلك التل ، وبينما كنت أحاول اقتلاع النبات الأخضر من جذوره لأكسو المذابح بأغصان مورقة ، رأيت نذيراً مشئوماً، عجيباً

وصفه . فمن أول شجرة ، انتزعتُها من مرقدها بجذورها المتهالكة ، تساقطت قطرات دم قاتم اللون ، وتجلّطت فلطّخت التربة . وهزّت أطرافى رعشة باردة ، وتجمّدت دمائى من الخوف . ومع ذلك فقد حاولت مرة أخرى أن أنتزع غصناً صلباً من شجرة ثانية ، عاقداً العزم على اكتشاف ذلك السّر الدفين ، وانبثقت مرة أخرى دماء قاتمة اللون من لحاء الشجرة الثانية . ومن أعماق قلبى تَمْتَمْتُ بالصلوات لعرائس الغابات والمراعى وللإله جرافيدوس[٥] ، الذى يُهَيْمن على الحقول الجيتية[٦] ، عسى أن يحيلوا تلك المشاهد إلى بشير خير بحق ، وأن يخففوا من وطأة وقع النبوءة : لكن بعد أن انْقَضَضْتُ بعنف أكبر على شجرة ثالثة ، أحاول اجتثاثها ، وركبتاى تضغطان فوق الرمال — أأستمر فى حديثى أم ألتزم الصمت ؟ — ، سُمِعَ من أسفل التل أنين باكٍ ، وتردد فى أذنىّ صوت يقول : »

« يا لشقائى ! لِمَ تمزّقنى ، يا آينياس ؟ أعفُ عنى وأنا فى قبرى ، ولتُبْعدْ الدنس عن يديك الطاهرتين . فلستُ بغريب عنك ، بل إننى سليل طروادة ، كما أن هذه الدماء لا تنساب من جذع شجرة أصم . آه ! فلتغادرْ هذه الأراضى القاسية ، ولتبعد عن الشاطىء الشره . فأنا پولودوروس[٧] هاهنا قد غطى جسدى الممزّق محصول حديدى من الأسلحة ، ونما عليه فنبت فى صورة حراب حادة » .

عندئذ رزح عقلى تحت وطأة الشك والخوف ، ووقفت مشدوهاً ، وقد وقف شعر رأسى ، وانحبس الصوت فى حلقى .

كان برياموس التعس قد عهد سراً ببولودوروس هذا إلى الملك التراقى لبربيه[٨] ، ومعه حمل كبير من الذهب ، وذلك عندما تزعزعت ثقة برياموس فى أسلحة طروادة ، ورأى المدينة وقد ضُرب حولها الحصار : وانهار سلطان التيوكريين ، وتخلى الحظ عنهم ، فانضم الملك التراقى إلى دولة أجاممنون ، تحت لواء المنتصرين ، ونقض كل عهد مقدس . قتل بولودوروس

ووضع يده على الذهب بالقوة . يا للجشع اللعين للذهب ، فكم من جريمة دفع إليها نفوسَ البشر !!

بعدما ترك الخوف عظامى ، حملت نذير الآلهة هذا إلى زعماء الشعب المختارين ، وعلى رأسهم والدى ، وطلبت رأيهم فى ذلك . واتفق الجميع على رأى واحد : أن نرحل عن أرض الرذيلة ، ونهجر معقلاً دنّست فيه واجبات الضيافة ، ونسلم سفننا للرياح . ومن ثم قمنا بالشعائر الجنائزية الخاصة بدفن بولودوروس ، وارتفعت كومة ضخمة فوق مثواه ، وأقيمت تكريماً لروحه – مذابح المُبْكِى ، عليها أكاليل داكنة الزرقة ونبات سرو أسود ، وحولها وقف نساء إليوم وقد أرسلن شعورهن كعادتهن . وسكبنا أكواباً من اللبن الساخن ، وكؤوساً من دماء الذبائح ، ثم وضعنا الروح فى مثواها ، وصرخنا صرخة عالية منادين إياها للمرة الأخيرة .

وما أن استعدنا ثقتنا باليم ، وهيأت لنا الرياح بحراً هادئاً ، وأغرتنا ريح الجنوب الهامسة بالضرب فى عرض البحر ، حتى جمع الرفاق السفن فازدحمت بها الشواطىء . وأبحرنا من المرفأ ، وتوارت الأرض والمدن عن الأنظار .

فى وسط البحر تقبَع أرض مقدسة(٩) ، أكثر الأراضى قُرباً إلى قلب والدة النريديس(١٠) ونبتونوس الإيجى ، أرض ظلت تصول وتجول حول الشواطىء والسواحل إلى أن شدّ رامى السهام الممتثل وثاقها(١١) إلى مرتفعات موكونوس وجياروس ، وجعلها تقبع راسخة تتحدى الرياح . أبحرتُ إلى هناك ، واستقبلتْ هذه الأرض الوديعة رجالى المجهَدين فى مرفأ سالم أمين . وما أن نزلنا ، حتى عبرنا عن امتناننا لمدينة أبوللون . فجاء الملك آنيوس – وهو فى الوقت نفسه ملك على الناس وكاهن لأبوللون – مسرعاً لمقابلتنا ، وقد زيّن صدغيه بعصابة وإكليل من الغار المقدس ، وتعرّف على صديقه القديم أنخسيس . وتصافحت أيادينا اليمنى فى ترحيب ، ودلَفْنا إلى داخل القصر .

وَقَفْتُ فى خشوع أقدم الصلاة فى معبد الإله ، بأحجاره الموغلة فى القدم : « أى إله ثومبرا[12] ، فلتمنحنا مقراً دائماً ، فلتمنح رجالى المنهكين حدوداً آمنة وذرية ومدينة تبقى على الدوام . فلتحفظ برعايتك برجاما ، قلعة طروادة الثانية ، كل ما أفلتَ من أيدى الدنائيين وأخيليوس القاسى . مَنْ سنتبع ؟ أو إلى أين تأمرنا بالرحيل ؟ وأين نقيم مستقراً لنا ؟ لتُظْهر ، أيها الأب ، علامةً لنا ، ولتُلْهِم عقولنا » .

ما إن نطقت بهذه الكلمات ، حتى بدا كل شىء فجأة وكأنه يهتز ، هكذا بدت أفنية الإله وأكاليل الغار الخاصة به ، والتل بأكمله بدا وكأنه يتحرك من جميع الجهات ؛ وبدا المِرْجَل وكأنه يئن بينما انفتح المحراب المقدس. وسجدنا ملتمسين وجه الأرض ، وتناهى إلى آذاننا صوت يقول :

« أيها الدردانيون الصابرون ، إن الأرض الأولى التى منحتكم الحياة من أجدادكم الأوائل هى ذاتها التى سوف تستقبلكم ، عند عودتكم إليها ، بصدرٍ رَحْب . فلتبحثوا عن أمكم الأولى . فمنها سوف يبسط آل آينياس نفوذهم وسلطانهم على كل الأراضى ، هم وأحفاد أحفادهم ، ومن سيولد من صلبهم » .

هكذا تحدث فويبوس ، فانتشرت موجة عارمة من السعادة تصحبها همهمات مختلطة . وتساءل الجميع أى مدينة هذه التى يدعو إليها فويبوس هؤلاء الهائمين على وجوههم [13] ، ويأمرهم بالعودة إليها . عندئذ قال أبى ، وهو يقلّب فى سجلات السادة الأقدمين : « أصيخوا السمع ، أيها النبلاء ، ولتتعرّفوا على آمالكم . ففى وسط البحر تقع كريت ، جزيرة جوبيتر العظيم ، حيث يوجد جبل إيدا [14] ، ومهد أبناء جنسنا . هناك يقيمون فى مائة مدينة ضخمة فى مملكة بالغة الخصوبة . ومنها — إن كنت أستعيد بدقة ما سمعته من قبل — أبحر فى قديم الزمان والدنا الأكبر تيوكر إلى السواحل الرويتية [15] ، واختار مكاناً لمملكته . وحتى ذلك الوقت لم تكن اليوم

أو القلاع البرجامية قد أنشئتْ بعد ، بل كان السكان يقيمون فى بطون الوديان . ومنها أيضاً جاءت الأم ، التى كانت تسكن كوبيلوس[16] ، وصناج الكوريبانتيس ، وأجمة إيدا ؛ من هنا نشأت خفايا عبادتها السرية ، وظهرت الأسود مشدودة إلى عجلة الإلهة[17] : فلنُسرعُوا إذن ، ولنتبع ما تقودنا إليه أوامر الآلهة . فلنُهَدِّئ من ثورة الرياح ، ولنسع إلى الممالك الجنوسية [18] . إنها ليست على مسافة بعيدة ، فإنْ أكرمنا جوبيتر ، فسوف يستقبل الفجر الثالث أسطولنا على الشواطئ الكريتية » . وبعد أن فرغ من حديثه ، قدم الذبائح اللائقة على المذابح المقدسة : ثوراً للإله نبتونوس ، وثوراً لكَ ، أيها الوسيم أبوللون ، وحَمَلاً أسْود لشخص هيمس ، وآخر أبيض لأرواح زفيروس المواتية [19] .

انتشرت رواية مؤداها أن القائد إيدومنيوس[20] كان قد رحل مطروداً من مملكة آبائه ، وأن شواطئ كريت قد تُركت مهجورة ، ومنازلها قد خلَتْ من الأعداء ، ومواقعها قد تُركت مستعدة لاستقبالنا . تركنا ميناء أورتيجيا ، وأسرعنا فوق سطح البحر ، مارين بناكسوس ، حيث تعترضك على مرتفعاتها صرخات عابدات باكخوس ، ودونوساً الخضراء ، وأوليأروس ، وباروس الثلجية اللون ، ومجموعة الكوكلاديس المنثورة فوق سطح الماء ، وسلكنا مضايق بحرية تتقاذفها جزر متعددة . وتعالت صيحات البحارة فى تنافس غيور ، وأخذ الرفاق يحثّون بعضهم بعضاً . « فلنسع إلى كريت وإلى أجدادنا الأولين » . كانت الريح أثناء هبوبها على مؤخرات السفن تبعنا ونحن مبحرون ، حتى وصلنا أخيراً إلى شواطئ الكوريتيس العتيقة . وبدأت أعمل بشغف فى بناء أسوار المدينة المختارة ، وأسميتها برجاما ، وأحثّ شعبى الذى فرح بهذا الاسم العريق على عشق منازله وإقامة قلعة ذات أسقف . وما أن رست السفن على الشاطئ الجاف ، وانشغل الشباب فى الاحتفالات بالزواج وبالحقول الحديثة العهد ، وبينما كنت أسن القوانين وأقيم المبانى ، حلّ على غرّة طاعون مُدمّر أتى على عامة الرجال ، وهبط

وباء من السماء ليحطّ على الأشجار والمحاصيل النباتية ، فلقد كان عاماً يحمل معه الموت . فارقت البهجة نفوس الرجال ، أو أخذوا يجرّون وراءهم أجساداً عليلة . وبدأ سيريوس[٢١] يصب زمهريره على الحقول المجدبة ، ولم تكف المحاصيل الموبوءة أقواتنا الضرورية . أشار عندئذ والدى بأن نركب البحر عائدين إلى نبوءة أورتيجيا وإلى فويبوس نسأله الصفح علّنا نعرف أى مصير يدبره لأحوالنا السيئة الراهنة ، وممن يأمرنا أن نستمد العون فى محنتنا وإلى أى جهة نتجه فى سيرنا .

حلّ الليل، وجثم النوم على كل المخلوقات الحية على وجه الأرض، وإذا بالتماثيل المقدسة للآلهة وبآلهة البيناتيس الفروجية ، التى حملتها معى من طروادة — بعد انتزاعها من وسط حرائق المدينة — ، تتجلى أمامى واقفة — وأنا مستغرق فى النوم — واضحة كل الوضوح فى الضوء القوى ، الذى يبعث به القمر المكتمل من خلال النوافذ المقامة على الجدران . ثم تحدثت إلىّ ، فأزاحت بحديثها هذا همومى وأحزانى :

« إن ما كان سيقوله أبوللون لك ، عندما تصل إلى أورتيجيا ، يقوله الآن لك ، . لقد أرسلنا إلى أعتابك دون أن تطلب أنت ذلك . فلقد تبعناك أنت وأسلحتك بعد أن دمّرت النيران دردانيا . لقد اجتزنا البحر الهائج على متون السفن تحت إمرتك ، وكذلك فإننا سوف نُعْلى من شأن ذريتك المنتظَرة حتى يصل إلى مواقع النجوم ، وسوف نمنح السلطان لمدينتك . فَلْتُشَدّ مدينة عظيمة لرجال عظماء ، ولا تهرب من مشاق الترحال المستمرة . عليك أن تغيرّ مكان إقامتك . فليست هذه هى الشواطىء التى أشار بها عليك إله ديلوس ، وليست كريت هى التى أمرك أبوللون[٢٢] بالاستقرار فيها . بل هناك منطقة يسميها الاغريق هسبريا ، منطقة عتيقة ، قوية بأسلحتها ، خصبة تربتها ، كان يسكنها شعوب الأوينوترى[٢٣] . أما الآن فهناك رواية تقول إن شعباً حديث العهد قد أسماها إيطاليا ، نسبة إلى قائده [٢٤] . تلك هى مستقرنا الحقيقى ، فمنها انحدر دردانوس ، ووالدنا أياسوس ، الذى

انحدرت منه سلالتنا . هيّا فلننهض الآن ، ولنتحمل إلى أبيك المسن — وأنت تحس بالسعادة أثناء ذلك — هذا القول الذى لا يقبل الشك : أن تسعى إلى كوروثوس وأراضى أوسونيا — ؛ فإن چوبيتر لا يعترف بحقكم فى الحقول الديكتائية »(٢٥) .

أصابتنى هذه الرؤيا وذلك الصوت الإلهى برهبة — لم يكن ذلك مجرد أضغاث أحلام، بل بدا لى بوضوح أنى قد تعرّفت على المحيّا الإلهى وعلى الشعور المرسلة والوجوه الحيّة المجسمة ، بينما سَرَتْ رعشة باردة المدية فى جميع أعضاء جسدى ، فانتزعت جسدى من الفراش ، ومددت راحتى نحو السماء ، رافعاً صوتى بالدعاء ، ساكباً السائل الطاهر على الموقد المقدس . بعد أن انتهيت من القيام بهذا الطقس ، أخبرت أنخيس ، وأنا أحس بالسعادة ، وكشفت له عن الرؤيا بكل تفاصيلها . فأدرك أصل جنسنا المزدوج ، وفطن إلى ازدواج منبت أجدادنا .فلقد كان هو نفسه قد جانبه الصواب نتيجة تفسير خاطىء يتعلق بأرضنا القديمة . عندئذ عاودته الذكرى ، فقال :

« أىْ بنى ، يا مَنْ أجهدك مستقبل إليُوم وأضناك ، إن كساندرا وحدها هى التى أنبأتنى بذلك المستقبل . وإنى لأتذكر الآن كيف تنبأت بهذا المستقبل الذى ينتظر شعبنا ، وكيف كانت تنطق دائماً اسم هسبريا والممالك الإيطالية . لكن ، مَنْ كان يصدق أن التيوكريين سوف يصلون إلى شواطىء هسبريا ؟ أوْ فيمَنْ كانت تؤثر كاسانلرا (٢٦) بنبوءاتها فى ذلك الوقت ؟ فلنستسلم لفويبوس ، ولننتصح بأمره ، فنسلك أفضل الطرق » . هكذا قال ، فأطعنا جميعاً أوامره والبهجة تملأ نفوسنا . هجرنا ذلك المستقر الثانى أيضاً ، تاركين وراءنا بعضاً منا ، ونشرنا القلاع ، وأسرعنا فوق سطح البحر الرحب بسفننا المجوّفة .

اعتلت سفننا أعالى البحار ، ولم تعد اليابسة تظهر على الإطلاق أمام الأعين ، بل أصبحت السماء تحوطنا من كل جانب والبحر يشملنا من كل

ناحية . عندئذ اقتربت فوق رأسي سحابة داكنة ، تحمل بين طياتها ظلاماً دامساً وعاصفة هوجاء ، وثارت الأمواج تحت جنح الظلام . وطوت الرياح صفحة البحر ، وارتفعت الأمواج ارتفاعاً شاهقاً . وتفرقنا بينما كانت تتقاذفنا دوامات هائلة . وحجبت السحب ضوء النهار ، وأخفى الظلام الرطب وجه السماء . ومرق البرق مراراً وتكراراً من بين السحب الممزقة . ثم اندفعنا بعيداً عن سيرنا المعتاد ، وأخذنا نضرب على غير هدى بين الأمواج العاتية . وحتى باليبنوروس نفسه فقد اعترف بعدم قدرته على التمييز بين الليل والنهار في السماء ، وأنه ما عاد يتذكر معالم الطريق وسط البحار . أخذنا نهيم فوق سطح البحر ثلاثة أيام كاملة بلا شمس وثلاث ليالٍ حالكة بلا نجوم . وفي اليوم الرابع ظهرت الأرض أخيراً ولأول مرة ، شاخصة أمامنا ، كاشفة عن تلال بعيدة ، مرسلة إلى أعلى أعمدة من الدخان . عندئذ طوينا القلاع ، وأفرغنا في المجاديف كل طاقتنا . وبلا تلكؤ شق البحارة الزبد ، ومرقوا فوق مياه زرقاء .

بعدما نجوتُ من الأمواج ، كانت شواطىء ستروفاديس أول ما استقبلني : وستروفاديس هو الاسم الإغريقي الذي تعرف به مجموعة من الجزر تقع في البحر الأيوني العظيم ، بها تقيم كيلاينو ، النذيرة بالسوء ، والهاربيات الأخريات[٢٧] ، منذ أغلق قصر فينيوس عليهن فهجرن في فزع الموائد القديمة . ما من وحوش أكثر تعطشاً للدمار ، أو وباء أو غضب إلهي أنجبته الأمواج الإستيجية أكثر وحشية من تلك المخلوقات . فهن مجنحات ، لهن وجوه العذارى ، يقذفن من أحشائهن بأقذر القاذورات ، أيديهن ذات مخالب ، ووجوههن دائمة الاصفرار من الجوع ....[٢٨]

عندما وصلنا إلى هناك ، دخلنا المرفأ سوياً للعجب !! — رأينا قطعاناً مرحة من الثيران منتشرة في السهول ، ورأينا الماعز ترعى بلا راعٍ بين الحشائش . فاندفعنا صوبها بسيوفنا ، ودعونا الآلهة وجوبيتر ذاته ليقاسمونا غنيمتنا . ثم أعددنا الموائد على الشاطىء المتعرج ، وأقمنا وليمة سخية . وعلى

حين غرة ، فاجأتنا الهاربيات من فوق الجبال ، وقد اندفعن بطريقة مروعة ، يحركن أجنحتهن فيحدثن جلبة عالية ، لقد أتين على الطعام ، ودنّسن كل شيء بلمساتهن القذرة ، وكن يصدرن أصواتاً قبيحة ويبعثن برائحة كريهة . وبدأنا مرة أخرى فى إقامة ملجأ عميق تحت صخرة مجوّفة ، محاطة بالأشجار من جميع الجهات وبالظلال المرتعشة ، وأعدنا تجهيز الموائد وإشعال النيران فوق المذابح . ومرة أخرى أتت ، من الجهة المقابلة من السماء ، تلك الجمهرة الصاخبة ، جاءت من مأواها الدفين ، وحامت حول غنيمتها بأقدامها المخلبية ، ودنست الوليمة بأفواهها . عندئذ طلبتُ من رفاقى أن يحملوا السلاح ويشنّوا حرباً على تلك الفئة اللعينة . ولم يفعلوا سوى ماطُلِب منهم ، أخفوا سيوفهم بين الحشائش ، وواروا دروعهم عن الأنظار . وعندما هوت تلك المخلوقات من أعلى ، وهى تصدر أصواتها عبر الشاطىء المتعرج ، أعطى ميسينوس — من نقطة مراقبة مرتفعة — إشارة الهجوم بنفيره النحاسى المجوف . واندفع رفاقى واشتبكوا فى معارك من نوع غير عادى ، ليجندلوا بسيوفهم مخلوقات البحر الكريهة ذات الأجنحة . لكن ما مِنْ ضرّ أصاب ريشهن ، وما من جرح لحق بظهورهن . بل اندفعن فى حركة هرب سريعة تحت النجوم ، وتركن وراءهن بقايا الوليمة وآثاراً دنسة لأقدامهن . واستقرت كيلاينو ، النذيرة بالسوء ، بمفردها فوق صخرة شامخة ، وهى تبعث من أعماقها بهذه الكلمات :

« أحقاً ، يا أبناء لاءوميدون ، هذه حرب من أجل أن تذبحوا الثيران وتنحروا الأبقار ، أم هى حرب تستعدون لشنها كى تطردوا الهاربيات البريئات من مملكة أجدادهن ؟ فلْتَعُوا إذن كلماتى هذه ، ولتمعنوا التفكير فيها ، إن ما صرح به أبو الآلهة ، القادر على كل شىء ، إلى فويبوس قد صرح به فويبوس أبوللون إلىّ ، وأنا — كبرى إلاهات الغضب — بدورى أصرح به الآن إليكم . إنكم تراون وجوهكم شطر إيطاليا ، وبعد أن تتضرعوا للرياح ، فإنكم سوف تصلون إلى إيطاليا ، وسوف يُسمح لكم بدخول

مرفأها ، لكنكم لن تحيطوا مدينتكم الموعودة بالأسوار إلا بعد أن يدفعكم الجوع القارص ، لقاء ما انزلتموه بنا من مذبحة ظالمة ، إلى أن تنحتوا بأسنانكم الموائد الخاوية » . هكذا قالت ، ثم قفلت هاربة إلى الغابة ، وهى تتجه إلى أعلى بواسطة أجنحتها .

عندئذ تجمدت الدماء فى عروق رفاقى من الخوف المفاجىء ، وانهارت معنوياتهم : وليس بالأسلحة فى هذه المرة ، بل بالتوسلات والدعوات ، سألونى أن أطلب الصفح ، سواء أكانت هذه المخلوقات إلاهات أم مخلوقات مجنحة دنسة كريهة . فنطق والدى أنخيسيس ، وهو على الشاطىء ، بأسماء الأرباب العظمى ، وهو رافع يديه ، وأشار علينا بتقديم القرابين اللائقة ، وهو يقول :

« أيتها الآلهة ، فلتمنعى تنفيذ هذا الوعيد ، أيتها الآلهة ، فتحولى دون وقوع هذه الكارثة ، ولتنقذى الأتقياء برحمتك . » ثم سألنا أن نفك حبال السفن من الشاطىء ، وأن ننشر القلاع . وملأت ريح الجنوب الأشرعة ، وأسرعنا فوق الأمواج المزبدة ، إلى حيث تدفعنا الرياح ويوجهنا ماسكو الدفة. وظهرت بين الأمواج زاكينثوس (٢٩) ، المليئة بالغابات ، ودوليخيوم ، وسامى ، ونريتوس ، ذات الصخور الوعرة . ومررنا على عجل بمرتفعات إيثاكا ، مملكة لائرتيوس (٣٠) ، وصببنا اللعنة على تلك الأرض ، معقل أوديسيوس القاسى . وسرعان ما ظهرت أمام الأعين قمم جبل لويكاتا ، المليئة بالسحب ، ومعبد أبوللون الذى يهابه البحارة . سعينا إلى ذلك المكان . وقد بلغ بنا التعب مبلغه ، واقتربنا من تلك المدينة الصغيرة . ثم قذفنا بالمراسى من مؤخرات السفن فاستقرت السفن على الشاطىء .

لذلك ، فعندما لمست أقدامنا أرضاً لم نكن نحلم بها ، طهرنا أنفسنا استعداداً لتكريم چوبيتر ، وأخذنا نشعل المذابح بالنذور ، وملأنا شواطىء أكتيوم (٣١) بالألعاب الطروادية . إذ خلع الرفاق ملابسهم ، ودهنوا أجسادهم بالزيت ،

وطفقوا يزاولون الألعاب الوطنية ، وقد غمرت السعادة نفوسهم لمرورهم سالمين على ذلك العدد الهائل من المدن الأرجولية ، ومثابرتهم على متابعة السير وسط الأعداء . فى هذه الأثناء كانت الشمس قد أكملت دورتها الحولية الكبرى ، والشتاء القارص قد كدر أمواج البحر بفعل ريح الشمال العاصفة . وثبتُّ على أعمدة المدخل درعاً من برونز مطروق ، كان يحمله أباس (٣٢) العظيم ، ونقشت عليه هذه العبارة شعراً :

« هذه الأسلحة انتزعها آينياس من الدنائيين المنتصرين »

بعدئذ أصدرتُ أوامرى بترك المرفأ ، وشغل مقاعدالمجدفين . وبكل حماس وتنافس ضرب رفاقى الماء وانزلقوا فوق سطح البحر . وسرعان ما رأينا مرتفعات فاياكيا ، التى تناطح السحاب ، تتوارى عن الأنظار شيئاً فشيئاً ، ومررنا بشواطىء إبيروس ، ودخلنا مرفأ خاعونيا ، واقتربنا من مدينة بوثروتوم الشاهقة .

هنا تبلغ مسامعنا قصة تفوق التصور : أن هيلينوس ، ابن برياموس ، يحكم عدداً من المدن الأغريقية ، بعد أن استولى على زوجة بيروس الأياكيدى ومملكته . ، كما أن أندروماخى قد عادت مرة أخرى إلى أحضان زوج من بنى جلدتها . فانتابتنى الدهشة ، واشتعل صدرى برغبة ملحة للقاء هذا الرجل ، كى أعرف كيف وقعت هذه الأحداث المذهلة . وما أن توغلت فى اليابسة بعيداً عن الميناء ، تاركاً ورائى السفن والشاطىء ، فإذا بأندروماخى أمامى مصادفة ، فى أجمة قبل المدينة ، بجوار مياه سيمويس الزائف(٣٣) ، تقيم الولائم وتقدم هبات جنائزية لرماد شخص ميت ، وتصرخ ، منادية شبح هيكتور(٣٤) ، بجوار قبر خال تكسوه حشائش خضراء ، عليه مذبحان ، أقامتهما كمكان مقدس تزرف الدمع فوقه . وما أن لمحتنى قادماً ، ورأت ، وذهنها شارد ، الأسلحة الطروادية من حولى ، حتى أصابها الفزع لذلك المشهد المذهل ، وثبتت نظراتها وحملقت عيناها ، وهجر الدفء عظامها .

تراجعتْ إلى الخلف ، وأخيراً ، وبعد فترة طويلة ، نطقت بصعوبة بالغة بهذه الكلمات :

« هل وجهك حقيقى وليس خيالا ، ؟ أجئتنى رسولا ً حقاً، يا ابن الإلهة ؟ أحىّ ترزق أنت؟ وإن كان ضوء الحياة قد فارق جسدك ، فأين هيكتور ؟ » هكذا تحدثت ، ثم طفقت تذرف الدمع ، وتملأ المكان كله بصراخها . وبعد جهد بالغ ، توجهتُ ببضع كلمات إليها وهى ذاهلة ، وتحدثت بصوت متهدج ونفس مضطربة :

« حقاً ، إننى حى أرزق . أقضى حياتى عبر كل الصعاب . لا تدعى الشك يتسرب إلى نفسك ، فإن ماتراه عيناك حقيقة واقعة . وا أسفاه ! ! أى مصير تلقفك ، بعدما انتُزِعْتِ من ذلك الزوج العظيم ؟ أو أى حظ سعيد عاد إليك ، يا زوجة هيكتور ، يا أندروماخى ؟ أما زلْتِ تحرصين على زواجك من بيروس ؟ » . هنا توجهتْ بنظراتها إلى أسفل ، وتكلمتْ بصوت خافت :

« أيتها العذراء ، يا ابنة برياموس ، أيتها السعيدة وحدك دون بناته الأخريات(٣٥) . فلقد صدر الحكم بإعدامها تحت أسوار طروادة الشامخة بجوار مقبرة واحد من الأعداء . لم يصبها عار التوزيع بالاقتراع (٣٦) ، ولم تذهب أسيرة لتنام فى فراش سيدها المنتصر ! ! أما نحن ، فبعد أن احترق وطننا ، نُقلْنَا عبر بحار غريبة نائية ، وعانينا من غطرسة سليل أخيليوس اليافع ، لنُنْجب أطفالا ً فى ظل العبودية . وعندما طفق بعد ذلك يغرر بهرميونى(٣٧) ، سليلة ليدا ، وشرع فى الزيجة الاسبرطية ، سلّمنى إلى هيلينوس — لقد سلّم أمَة ً إلى عبْدٍ ليمتلكها . لكن أورستيس — وقد ألهبته نيران عشقه لعروسه المغتصبة ، وذهبت بعقله إلاهات الغضب بسبب جريمته التى ارتكبها — أوقع به على غرة ، وقتله فوق مذابح أجداده(٣٨) . و بعد موت نيوبتوليموس، آل جزء من مملكته إلى هيلينوس ، سمّاه بالسهول

الخاعونية ، ثم أطلق على المنطقة بأكملها اسم خاعونيا ، نسبة إلى خاعون الطروادى ، وأقام فوق مرتفعاتها برجاموم أخرى وهذه القلعة التى تشبه قلعة إليوم(٣٩) . لكن ماذا عنك أنت ؟ أى ريح ، وأية أقدار وجّهتك إلى هذا الطريق ؟ أو أى إله دفع بك ، دون أن تدرى ، إلى شواطئنا ؟ كيف حال الصبي أسكانيوس ؟ أما زال على قيد الحياة ؟ أما زال يتنفس الهواء؟ ذلك الصبي الذى ، عندما كانت طروادة ... ... (٤٠) ومع ذلك ، أما زال الصبى يتوق إلى أمه التى فقدها (٤١) ؟ هل أبُوة إينياس له وخؤولة هيكتور (٤٢) تنمّى فيه فضيلة الأجداد وإقدام الرجولة ؟ » .

هكذا كانت الكلمات تنساب من فمها ، وهى تذرف الدمع ؛ ثم بدأت نواحاً لم ينقطع ، حتى جاء من المدينة البطل هيلينوس ، ابن برياموس ، وحوله جمع غفير من الرفاق . تعرّف فينا على أقاربه ، وقادنا مسروراً إلى قصره ، وهو يذرف الدمع الغزير بين كلماته المتقطعة . تقدمت وراءه ، فتجلّت أمام عينى طروادة صغيرة وصورة طبق الأصل من برجاموم العظيمة ومجرى نهر جاف أطلق عليه اسم كسانثوس ، ودرْتُ حول بوابة تبلو وكأنها بوابة سكايا (٤٣) . أثناء ذلك استمتع التيوكريون أيّما استمتاع فى تلك المدينة الصديقة ، فقد احتفى بهم الملك فى أروقة القصر الرحبة : فراحوا يسكبون أوانى النبيذ وسط القاعة الرئيسية للقصر ، ويمسكون بأكواب الشراب وقد وضعت أمامهم الأطعمة فى أوانٍ من ذهب .

مرت الأيام ، يوماً بعد يوم ، وداعب النسيم قلاع السفن ، وانتفخت الأشرعة بريح الجنوب العاتية . فتوجهتُ بهذه الكلمات إلى العرّاف (٤٤) ، وهكذا سألته :

« ياسليل طروادة ، يا مفسر دلائل السموات ، يا من تعلم مشيئة فويبوس ومراكز عبادته وغار كلاريوم ، يا مَنْ تفهم أسرار النجوم ولغة الطيور وما تبشرّ به حركة أجنحتهم ، هيّا ، فلتخبرنى — فلقد حددت قوى السموات

الجليلة مسارى بأكمله، وحثتنى الآلهة برُمتها على الاتجاه نحو إيطاليا واكتشاف أرض نائية . وليس هناك سوى كيلاينو الهاربية التى نطقت بنذير شؤم . يحرم النطق به — ، وتوعّدنا بالتعرض لغضب وحشى ومجاعة مهلكة — . فلتخبرنى إذن ، ما الأخطار التى علىّ المبادرة بتحاشيها ؟ وكيف علىّ أن أسلُك حتى أصبح قادراً على التغلب على تلك الصعوبات البالغة ؟ » .

لذلك ، فقد ذبح هيلينوس من فوره عجولاً — حسب العادة المتبعة — ، وطلب السلام من الآلهة ؛ ثم رفع الأكاليل عن جبينه المقدس ، وقادنى بيده إلى أعتابك ، يافوبيوس ، وقد وقع تحت تأثير قوة إلهية عظيمة ، ثم نطق بهذه الكلمات القدسية من فمه المقدس :

« يا ابن الإلهة ، لما كان هناك دليل جلىّ على أنك سوف تضرب فى عرض البحر تنفيذاً لبشائر سماوية سامية — فهكذا يقرر ملك الأرباب المصائر ، ويكشف عن التحولات المستقبلة ، وهذا هو نظام الكون — ، فإنى سأفضى إليك فى حديثى بقليلٍ من كثير ، حتى تجوب بحاراً مضيافة وأنت أكثر اطمئناناً ، وحتى تستطيع أن تجد الاستقرار فى مرفأ أوسونيا ، لأن ربات القدر يُحرّمْن على هيلينوس أن يعرف أكثر من ذلك ، كما أن جونو ، إبنة ساتورنوس ، تمنعه من الكلام .

أولا وقبل كل شيء ، من الجهالة بمكان أن تعتقد أن إيطاليا تقع على مقربة منك ، وأن الموانىء التى تستعد الآن لغزوها فى متناول يدك . إذ يعزلها عنك طريق طويل لم تطأه قدم ، يمرّ فى أراضٍ ممتدة شاسعة . ينبغى أولا أن يضرب مجدافك بقوة فى مياه تريناكريا ، وأن تمخر بسفنك مياه أوسونيوم المالحة ، وتمر بالبحيرات الواطئة وجزيرة كيركى الآيية(٤٥) ، قبل أن تستطيع إقامة مدينتك فوق أرض آمنة . وسأفضى إليك الآن بعلامات عليك أن تحفظها فى ذاكرتك جيداً : فعندما تجد ، أثناء حيرتك ، بجوار مياه المجرى المنعزل(٤٦) ، خنزيرة ضخمة ، مستلقية تحت أشجار البلوط على الشاطىء —

بعد أن تكون قد وضعتْ ثلاثين مولوداً – لونها أبيض ، راقدة على الأرض ، وقد التف حول أثدائها صغارها بلونهم الأبيض ، سوف يكون ذلك المكان هو مكان المدينة ، وسوف يصبح ذلك المستقر راحة أكيدة لك من المشاق . لا تَخَفْ من تَحتْ الموائد الحالية بالأسنان فى المستقبل ، فسوف تشق لك الأقدار طريقاً ، ولسوف يساعدك أبوللون عندما تتوسل إليه . ولكن عليك أن تتحاشى تلك الأراضى الواقعة على الشريط الساحلى من إيطاليا القريب منا ، والذى تغسله أمواج بحـــرنا[٤٧] ، فكل مدنه يقطنها الإغريق الأشرار[٤٨] . فهنا قد أقام اللوكريون ، المنحدرون من مدينة ناريكس[٤٩] ، مدينتهم ، وأحاط أدومنيوس اللوكيّ[٥٠] السهول السالنتينية بالجند والسلاح. وهنا أيضاً مدينة القائد المليبوى فيلوكتتيس ، مدينة بتليا الصغيرة بأسوارها المحكمة[٥١] . بل أكثر من ذلك ، فعندما تكون سفنك قد عبرت البحار وألقت مراسيها ، وعندما تبنى المذابح بعدئذ وتفى بالنذور على الشاطئ ، فلترتد رداءً قرمزياً يغطى شعرك ، حتى لا يظهر – أثناء تكريمك للآلهة – وجه معاد وسط النيران المقدسة فيفســـد عليك كل شىء[٥٢] . عليك أن تحافظ ، أنت ورفاقك ، على هذا الأسلوب من التكريم ، وأن تجعل أحفادك يحافظون عليه أثناء عبادتهم وهم طاهرون . ولكن عندما تدفعك الرياح أثناء رحيلك إلى شواطئ صقلية ، وعندما تنفتح أمامك مضايق بيلوروس الضيقة ، فلتتجه إلى اليابسة الواقعة على يسارك ، ولتسلك الطريق الدائرى الطويل فى المياه الواقعة على يسارك أيضاً ، ولتتحاش اليابسة والماء الواقعين على يمينك . إذ يقال إن هذه الأراضى قد تمزّقت فى الأزمان الغابرة ، إنكسرت وانشقت بفعل قوة هائلة –فالزمن جبّار ولا يغير من جبروته سوى كل ما هو متناه فى القدم – . ولقد حدث ذلك عندما كان الشطران أرضاً واحدة ، لا فاصل بينهما ، ثم تدفق البحر من بينهما باندفاع جنونى ، فاصلاً ، بأمواجه العاتية ، ساحل هسبيريا عن ساحل صقلية ، غاسلاً ، بتدفقه المحصور ، الأراضى الخصبة والمدن المنثورة على طول الساحلين . إن الجانب الأيمن تحرسه

سكيلا ، والأيسر تحرسه خاريبديس [٥٣] ، الغاضبة على الدوام ، التي تبتلع بدوامة لجتها السحيقة الأمواج العاتية ثلاث مرات وتقذف بها إلى الأعماق ، ثم تعود وتلفظها مراراً إلى أعلى ، وتجلد النجوم بسياط من المياه . أما سكيلا فإنها حبيسة في أغوار كهفها المظلمة ، تمد أفواهها وتجذب السفن إلى داخل الصخور . مظهرها من الأمام مظهر آدمي ، فهي حتى الخصر فتاة ذات صدر رائع الجمال ، أما من الخلف فهي تنين بحرى ، ذو جسد مهول ، له أذيال درافيل متصلة ببطن ذئب. إنه لمن الأفضل أن تصل إلى المكان الذي تقصده في باخينوس الترينا كرية دون عجلة ، وأن تسلك طريقاً طويلا أثناء رحلتك، فهذا أفضل من أن تقع عيناك مرة واحدة على المسخ سكيلا في كهفها المهول ، وعلى الصخور التي تردد صدى أصوات كلاب البحر الداكنة اللون .

فضلا عن ذلك ، فإن كان هيلينوس يتمتع بشيء من الفراسة ، وإن كان للعراف أن يكتسب قدراً من الثقة ، وإن كان أبوللون قد ملأ روحه بالحقيقة ، فهذا الشيء وحده ، يا ابن الإلهة ، هذا الشيء وحده ، دون جميع الأشياء الأخرى ،أتنبأ به لك ، وأكرره عليك مرة بعد أخرى ، وأنصحك به مراراً وتكراراً : لتمجد جلال الإلهة جونو المجيدة ، قبل كل شيء ، بالصلاة والابتهال ، لتتغلب بنذورك إلى جونو وحدها ، بنفس راضية ، ولتكتسب السيدة القادرة إلى جانبك بالهبات والتوسلات[٥٤] . فهكذا سوف تترك أخيراً ترينا كريا ، وتندفع منتصراً نحو تخوم إيطاليا . وعندما تحط رحالك هناك ، وتقترب من بلدة كوماى ، والبحيرات المسكونة ، وأفرنوس ، المليئة بحفيف الغابات ، ستقع عيناك على عرافة ملهمة ، تتنبأ ، في كهفها العميق المنحوت في الصخر ، بالمصائر والأقدار ، وتسجل نبوآتها على أوراق الأشجار في صورة علامات ورموز[٥٥] . إن ما تكتبه هذه العذراء من أشعار على أوراق الأشجار تُرتبة ، وتتركه مُختزناً في الكهف . وتظل تلك الأوراق في أماكنها بلا حراك ، لا تتزحزح من مواقعها . ولكن عندما يتحرك المزلاج ، وتندفع نسمة من هواء من خلال الباب المفتوح فتحرك

الوريقات الرقيقة من مستقرها وتبعثرها ، فإن العذراء لا تلقى لها بالاً ، ولا تحاول الإمساك بها ، بينما هى تتطاير فى ساحة الكهف الصخرى ، ولا تعيدها إلى أماكنها ، أو تربط بين أبيات أشعارها المبعثرة . وهكذا ، يرحل الناس ، دون أن يتلقوا مشورة أو نبوءة ، وكلهم حنق وسخط على مقر الكاهنة ومسكنها . هناك ، لا تعتبر مرور الوقت مَضْيَعة — حتى وإن كان زملاؤك يحثّونك على الرحيل ، حتى وإن كان الرحيل ينادى شراعك إلى عرض البحر ، أو حتى إن كان كل ما عليك أن تفعله هو أن تملأ ثناياه بالرياح المواتية ، — هناك ، لا تعتبر مرور الوقت مضيعة ، فيمنعك ذلك الاعتبار من زيارة الكاهنة والتوسل إليها بالصلوات كى تترنم هى نفسها لك بالنبوءات وأن توافق على أن تخرج أقوالها من بين شفتيها . ولسوف تتحدث إليك عن شعوب إيطاليا ، وتكشف لك عما ستخوضه من حروب فى المستقبل ، وعن وسيلة تحاشى المتاعب أو التغلّب عليها . وبعد أن تُظْهر لها التبجيل والورع ، ستبتحك رحلة سعيدة موفقة . هذا كل ما هو مسموح لى أن أنطق به كنصيحة لك . فلتذهب الآن فى طريقك ، ولترفع بأعمالك الحميدة طروادة شامخة إلى عنان السماء » .

بعد أن نطق العراف بهذا الحديث من فمٍ ودود ، أصدر أوامره بأن تُحمل إلى السفن هدايا من ذهب ثقيل الوزن ، ومن عاجٍ مصقول . وكدس على ظهر السفن فضة هائلة وأوان دودونية(٥٦) ، ودرعاً منقوشاً عليها بالذهب نقشاً ثلاثياً ، وخوذة رائعة مدببة تتدلى منها خصلات من الريش ، كانت تلك أسلحة نيوبتوليموس . وأعطى أبى أيضاً نصيبه من الهدايا . كما أتى لنا بمزيد من الخيول ، وبمرشدين ليرشدوننا ... ... ، وملأ مقاعد سفننا بالمجدفين ، وزوّد فى نفس الوقت رفاقى بالسلاح .

فى تلك الأثناء أمر أنخيسيس بنشر الأشرعة حتى لا يفوّت علينا تباطؤنا الاستفادة بالرياح المواتية . فاتجه إليه كاهن أبوللون باحترام قائلاً : « أى أنخيسيس ، يا من استحققت زيجة سامية بالإلهة ڤينوس مُدللة الآلهة ،

يا من أنقذتَ مرتين من بين أنقاض برجاموم (٥٧) — انظر !! — أمامك تمتد أرض أوسونيا . فلتنشر الأشرعة وتستولى عليها . ومع هذا ، فعليك أولاً أن تركب البحر وتمرّ بهذا الشاطىء القريب ، فذلك الجزء البعيد من أوسونيا هو الذى يكشف عنه أبوللون » . ثم قال أيضاً : « اذهب ، مبارك أنت فى ظل حُبّ ابنك لك . لم استمر فى حديثى ، وأضيّع عليك بثرثرتى الرياح المواتية ؟ » .

أما أندروماخى ، التى لم تكن أقل حزناً لهذا الوداع الأخير ، فقد أحضرت ثياباً مزركشة ، استُخْدم فى نسيجها خيوط من الذهب ، وعباءة فروجية لأسكانيوس — إنها لا تفتقر إلى الدماثة والكياسة ، فقد أثقلته بهدايا من مغزلها — . ثم تحدثت إليه هكذا : « خُذ أنت أيضاً ، يا بنىّ ، هذه الهدايا لتصبح تذكاراً عندك من يدى ، وشاهداً على الحب الأبدى الكامن فى قلب أندروماخى زوجة هيكتور . لتأخذ هذه الهدايا الأخيرة من قريب لك فى الدم ، أيها الشبيه الحىّ الوحيد لعزيزى أستياناكس(٥٨) . لقد كان له عينان مثل هاتين العينين ، ويدان مثل هاتين اليدين ، ووجه مثل هذا الوجه . ولو أنه ظلّ حياً ، لكان قد اكتمل ونضج فى مثل سنك تماماً . »

أما أنا فقد بدأت أذرف الدموع عند وداعهم ، بينما كنت أقول لهم : « لتحيوا فى سعادة وهناء ، يا من أنجزتم ما كُتب عليكم وانتهى سعيكم . أما نحن فلا تزال الأقدار تنادينا من مصير لآخر . لقد نلتُم راحتكم لم يَعُد أمامكم بحار عليكم أن تضربوا فوق سطحها ذهاباً وإياباً ، ولا حقول أوسونيا دائمة التراجع عليكم بالسعى وراءها . إنكم ترون بأعينكم صورة من كسانثوس ونسخة من طروادة ، التى أقامتها أيديكم بناء على بشائر سارّة ، كما أتمنى ، والتى سوف تكون بمنأى عن الإغريق . وإن كان لى أن أدخل أرض التيبر وما يجاورها من حقول ، وإن كان لعينىّ أن تريا مدينة يملكها بنو جلدتى ، فإن هاتين المدينتين ، بشعبيهما المتجانسين ، — فى كل من إبيروس وهسبيريا — ، اللتين انحدرتا من جدّ واحد ، هو دردانوس ، وتعرّضتا

لنفس الأحداث المؤلمة – سوف نعمل بقلوبنا على أن يصبحا طروادة واحدة. ولتكن هذه على الدوام رغبة أحفادنا وشغلهم الشاغل. »

حملنا البحر بالقرب من مرتفعات كراونيا المجاورة، فمن هناك يمتد طريق إيطاليا، هو أقصر الطرق البحرية. أثناء ذلك كانت الشمس قد غربت، والتلال قد غرقت فى أعماق الظلام. وبعد أن وزّعنا نوبات الحراسة، ألقينا بأنفسنا على صدر أرض – كُنّا فى شوق إليها – بجوار الماء، وأنعشنا أجسادنا على الشاطىء الجاف. عندئذ تساقط النوم على أطرافنا المجهدة كما تتساقط قطرات الماء. وما كاد الليل، الذى تسوقه الساعات[٥٩]، يبلغ منتصفه حتّى انتفض بالينوروس من رقدته وهو ملىء بالنشاط، أخذ يختبر كل الرياح، ويسترق السمع للنسيم، ويرقب النجوم وهى تنزلق فى السماء الصامتة[٦٠]: نجم أركتوروس، وهوديس ذو الأمطار، والتريونيس التوائم، ثم حملق فى أوريون ذى الأسلحة الذهبية. وبعد أن رأى أن كل شىء يقف هادئاً فى السماء الصافية، أطلق صرخة – إشارة لنا – من فوق مؤخرة السفينة. عندئذ نقلنا معسكرنا، وأقدمنا على الرحيل، فنشرنا أجنحة الأشرعة. وحينما احمرّت وجنتا أورورا[٦١]، بعدما ولّت النجوم الأدبار، لمحنا عن بُعْد تلالاً غير واضحة المعالم وأرضاً واطئة، هى إيطاليا. « إيطاليا » لقد كان أخاتيس هو أول من صرخ منادياً بذلك الاسم. أخذ رفاقى يحيّون إيطاليا بصرخات صاخبة مرحة. عندئذ تَوّج أبى أنخيسيس آنية كبيرة بإكليل من الزهور، وملأها بالنبيذ، ثم صرخ منادياً الآلهة، وهو واقف فوق مؤخرة السفينة العالية: « أيتها الآلهة المهيمنة على الماء واليابس والأعاصير، لتدفعينا فى طريق سهل ممهد، لتنفخى فى أشرعة سفننا ريحاً مواتية ». وهبّت الريح التى كنا نهفو إليها، وبدا المرفأ على مقربة منا، وظهر معبد على قلعة منيرفا. عندئذ طوى رفاقى الأشرعة، ووجّهوا مقدمات السفن نحو الشاطىء.

كانت الميناء قد اتخذت شكلاً يشبه القوس بفعل الأمواج المندفعة أمام ريح الشرق. وكان يمتد من حولها سياج من الشُعب الصخرية . التى تزبْد برذاذ ملحى. أما مدخل الميناء ذاته فقد كان متوارياً عن الأنظار ، إذ ألقت الصخور الشامخة بلراعيها فى هيئة حائط على كل من جانبيْه ، وأخذ العبد يتراجع مبتعداً عن الشاطىء . وكأول بشير لنا ، رأيت أربعة جياد ، شاهقة البياض كالثلج ، فى الأرض الخضراء ، ترعى وتمرح فى السهل . فقال أبى أنخسيس : « أيتها الأرض المضيفة لنا ، إنك تحْملين الحرب فوق صدرك ، فالخيل تُسَلّح من أجل القتال ، وهذا القطيع ينبىء بالقتال . لكن مع ذلك ، فقد جرت العادة أيضاً أن تُرْبَط هذه الخيول فى العربات، وتستسلم للأعنة فى وفاق بعد وضعها عليها . إن هناك أيضاً أملا فى السلام » . هكذا قال . ثم صَلّينا مبتهلين لسلطان بالآس المقدس ، بالآس ، سيدة صليل السيوف ، التى كانت أول من استمع إلى ابتهالاتنا . وبرؤوس تغطيها العباءات الفروجية ، أدّينا ، ونحن وقوف أمام المذابح ، الطقوس اللائقة ، وأشعلنا النيران فى القرابين المطلوبة ، تكريماً لجونو الأرجوسية ، متّبعين ما أشار به علينا هيلينوس .

وبلا تباطؤ أو تأخير ، وبعدما وفّينا ما كان علينا من نذور ، أدرْنا ظهورنا لصوارى القلاع نحو البحر ، وغادرنا مواطن الشعوب الإغريقية الأصل والسهول التى تبعث الشك فى النفوس . شوهدت بعد ذلك تارنتوم(٦٢)، معقل هيراكليس – إن صدقت الروايات – . وأمامها على المرتفعات شمخت الإلهة اللاكينية على مرتفعات كاولون وسكيلاكيوم ، التى تتحطم عليها السفن . ثم بين الأمواج انبثقت أمام الأعين من بعيد قمة إيتنا التريناكرية ، وسمعنا من بعيد هدير البحر المروع ، وارتطام الأمواج بالصخور ، وضوضاء متقطعة على الشاطىء . كان القاع الرملى يندفع إلى أعلى ، ويمتزج الرمال بالأمواج المتفخة . وهنا قال أبى أنخسيس : « ما من شك فى أن هذه هى خاريبديس ، إن هذه القمم ، وهذه الصخور المرعبة هى التى تحدث عنها

هيلينوس . هيّا ، أيها الرفاق ، فلتنقذوا أنفسكم ، ولتفرغوا كامل قوّتكم فوق المجاديف » . ولم يفعلوا غير ما أمروا به : أدار بالينوروس على الفور الدفة ، وهى تموء ، فى مواجهة الأمواج المندفعة من ناحية اليسار ، كما بذل الآخرون جميعهم كل جهدهم مع الرياح والمجاديف لتتجه يساراً . كنا نرتفع نحو السماء فوق الأمواج المقوّسة ، ثم نهبط مرة أخرى إلى أعماق الجحيم مع انحسار الموج . وأطلقت الصخور صرخاتها ثلاث مرات من بين الكهوف الصخرية ، رأت عيوننا الرذاذ متناثراً ثلاث مرات والنجوم وقد أصابها البلل . ومع غروب الشمس ، تركتنا العواصف وقد أتى علينا التعب ، وألقت بنا الأمواج ونحن نجهل الطريق على شاطئ الكوكلوبيس [٦٣] .

كان هناك مرفأ آمن من الرياح ، رحب فى حد ذاته . بالقرب منه زمجر جبل أيتنا برعود مرعبة ، وطفق يرسل إلى السماء دون توقف سحابة قاتمة ، وينفث قاراً ساخناً ورماداً متوهجاً ؛ ثم أخذ يقذف إلى أعلى بكرات من اللهب ويلعق النجوم بألسنة من النيران . وأخرج من جوفه صخوراً هى أحشاء الجبل الممزقة مرات ومرات ، وأطلق — مزمجراً — أحجاراً منصهرة نحو السماء ، وأخرج من أعماقه لهيباً . وهناك رواية تقول إن جسد أنكلادوس[٦٤] ، الذى ضربته الصاعقة ، قد حطت عليه تلك الكتلة ، وإن جبل أيتنا الضخم ، الذى حط فوقه ، يخرج نيراناً من أعماقه المتأججة ، وكلما تململ أنكلادوس فى رقدته ماءت كل ترينا كريا وارتعدت ، وحجبت السماء بنقاب من الدخان . لقد قضينا تلك الليلة مختبئين فى الغابات ، نعانى من مخاوف موحشة ، ولا ندرى سبباً لذلك الصوت . إذ لم يكن هناك بريق للنجوم ، ولم تكن هناك سماء صافية يسبح فيها ضوء الكواكب ، بل أظلمت السماء كانتشار الضباب ، وحجب الليل الصامت ضوء القمر خلف السحاب .

بزغ اليوم التالى مع أول تباشير الصباح ، وزاح الفجر جحافل الظلام ومسح الندى عن جبين الأفق ، وإذ بشبح إنسان يتقدم — على حين غرة — خارجاً من الغابة ، غريب ، غير معروف ، يتضوّر من جوع ماحق ،

يتدثر بأسمال بالية تثير الشفقة ، ويمد يداً ضارعة نحو الشاطىء . فأمعنا فيه النظر : إنه قميء ، مسكين ، كث اللحية ، عليه دثار حيك بالأشواك — وكان فيما عدا ذلك إغريقياً في مظهره — قد أرسل منذ أمد إلى طروادة مجهزاً بأسلحة وطنية . وعندما رأى من بعيد الثياب الدردانية والأسلحة الطروادية ، أفزعه ذلك المشهد ، فتراجع إلى الخلف قليلاً ، وتململ في خطاه ، ثم راح يعدو مسرعاً نحو الشاطئ ، وقد اختلطت كلماته بالبكاء والدعوات : « باسم النجوم ، أتوسل إليكم ، بحق الآلهة العليّة وضوء السماء هذا واهب الحياة ، أحملوني معكم ، يا معشر التيوكريين ، خذوني إلى أي أرض مهما تكن ، وكفاني هذا . أعرف أني واحد من أفراد الأسطول الدناني ، وأعترف أني قد حاربت ضد البيناتيس الطروادية . لذلك فإن كانت جريمتنا على درجة كبيرة من البشاعة والظلم ، فانثروني إرباً فوق الأمواج ، أو أغرقوني في أغوار البحار . فإن لقيت حتفي فسلوتي أني قد مت بأيد بشرية » . قال ذلك ، ثم أقبل جاثياً على ركبتيه ممسكاً بركبتنا . فشجعناه ليقول من يكون ، ومن أي جنس ينحدر ، وليفضي إلينا كيف تعقبه القدر منذ ذلك الوقت . وأعطى أبي أنخيسيس يده لهذا الشاب بلا تردد كبير ، وطمأن روحه من الخوف بعهد قاطع . وأخيراً قال ، وقد طرح خوفه جانباً :

« إني من أرض إيثاكا ، إني رفيق أوديسيوس التعس ، واسمي أخامنيديس(٦٥) . ولما كان والدي أداماستوس فقيراً — وليت قدري توقف عند هذا الحد — فقد أرسلت إلى طروادة . لقد تركني رفاقي هنا سهواً في كهف الكوكلوبس الشاسع ، عندما أسرعوا لاهثين خارج أعتاب الكهف الرهيبة . إن هذا الكهف منزل يفوح بالدماء المتجلطة والمآدب الدامية ، معتم وضخم من الداخل . أما صاحبه فرهيب الجثة ، يقرع ذرا السماء — أيتها الآلهة ، ألا فلتطيحي بمثل ذلك الوباء من الأرض — فمنظره لا يدخل البهجة في نفس أحد ، وحديثه خال من كل مجاملة . يتأود على لحوم البشر التعساء ، وعلى دمائهم القانية : لقد رأيته بعيني : رأسي عندما أمسك بجسدي اثنين

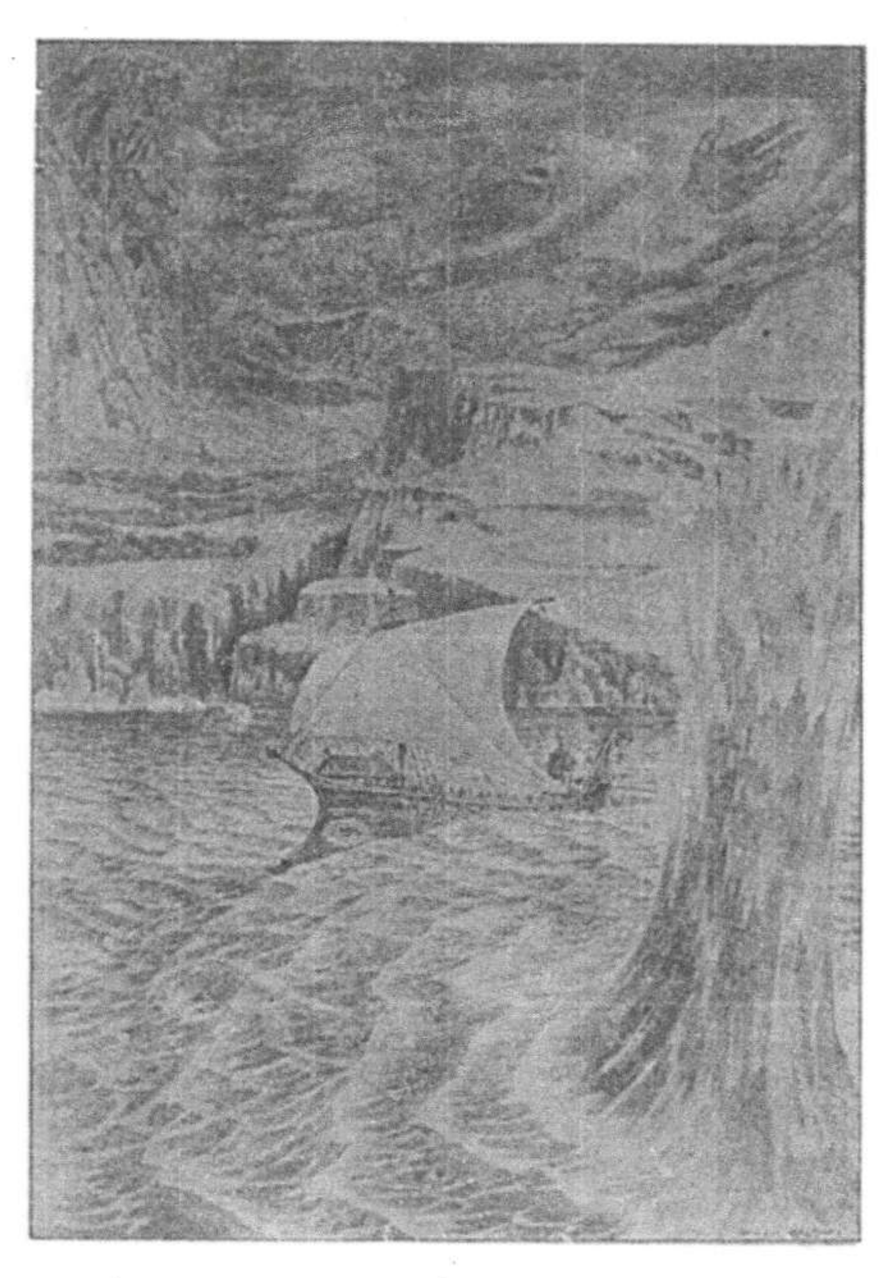
من جماعتنا بيده الضخمة ، وهو ممدد على ظهره فى وسط الكهف(٦٦) ، وحطمهما فوق صخرة ، ففاضت مداخل الكهف بالدم المهراق . لقد رأيته بعينىْ رأسى عندما التهم أطرافهما وهى تفيض بالدماء القانية المتجلّطة ، بينما كانت أشلاؤهما الدافئة ترتعش بين أسنانه . كل هذا ، ولم يعاقبه أحد . لكن أوديسيوس لم يصبر على ذلك(٦٧) . فلم يكن الإيثاكى لينسى نفسه وهو فى مثل ذلك المأزق ، إذ حالما ازْدرَد الكوكلوبس طعامهُ ، وأغرق نفسه فى النبيذ ، أحنى رقبته المرنحة ، وتمدد جسده الضخم على أرض الكهف . وفى أثناء نومه كان يتقيأ الدم المتجلّط ويلفظ فقاعات مخلوطة بالدم والنبيذ . أما نحن فقد دعونا الآلهة العظام ، ثم التففنا حوله ليشارك كل بنصيبه . وبحَرْبَة حادة فقأنا عينه الوحيدة الضخمة القابعة بمفردها تحت جبهته الوحشية ، مثل درع أرجولى أو شعلة فويبوس . وهكذا انتقمنا أخيراً — ونحن نشعر بالسرور — لشبحىْ رفيقَيْنا . لكن ، فلتهربوا ، أنتم أيها التعساء ، لتهربوا ، ولتفكّوا الحبال من الشاطىء ... ... إذ أنه حتى عندما يحبس أغنامه ذات الفراء الغزير ، ويستدر أثداءها وهو فى أغوار الكهف ، يتجول مائة كوكلوپس رهيب آخرون ، فى ضخامة بوليفيموس(٦٨) ، على هذه الشواطىء المتعرجة ، ويطوفون بقمم الجبال . والآن لقد اكتمل الهلال فى ضوئه فأصبح بدراً ثلاث مرات (٦٩) ، وأنا ما زلت أقضى حياة بائسة فى الغابات . بين العرائش المهجورة ومراتع الوحوش ، أتطلّع من فوق صخرة إلى الكوكلوبيس الضخام ، وأرتعد من أصواتهم و وقع أقدامهم . ولقد قدمَتْ لى الأغصان طعاماً شحيحاً ، ثمار التوت والخوخ المتحجّر ، وغذتنى الأعشاب بجذورها الممزقة . وبعد أن جُبْت بناظرى كل الأصقاع ، لَمَحْتُ هذا الأسطول فى البداية قادماً نحو الشاطىء ، فألقيت بنفسى عليه ، مهما يمكن أن يكون . فيكفينى أنى قد هربت من تلك السلالة اللعينة . لتنتزعوا روحى هذه بأية صورة تشاءونها من صور الموت » .

لم يكد ينتهى من حديثه حتى رأينا فوق قمة الجبل كتلة ضخمة تتحرك ، بوليفيموس ذاته ، يرعى أغنامه ، ويسعى إلى الشواطىء التى يعرفها . إنه وحش مخيف ، لا شكل له ، ضخم ، قد سُلبَ نور البصر ، فى يده عصا ، هى جذع شجرة صنوبر ، ترشده وتقوّم خطاه ، تصحبه أغنامه ذات الفراء الغزير ، بهجته الوحيدة وعزاؤه فى بلواه ... ... وما أن لمس الأمواج العالية ، وجاء إلى البحر ، حتى غسل فيه الدم الناضح من عينه المفقوءة ، وهو يضغط على أسنانه متوجعاً . ثم أخذ ينزل تدريجياً فى المياه العميقة حتى منتصفه ، ومع ذلك لم يُبَلّل الموج جوانبه العليا . فأسرعنا بالهرب بعيداً مذعورين ، وقد أخذنا معنا اللاجىء الذى يستحق ذلك فعلا [٧٠] ، وقطعنا حبال السفن فى هدوء ، وانحنينا نضرب مياه البحر بالمجاديف المناضلة . فأحسّ بنا ، وتوجه فى خطاه نحو صدى الأصوات . ولما لم يجد لديه القوة ليقبض علينا بيده ، كما لم يكن فى وسعه أن يغالب الأمواج الأيونية فى اندفاعها ، فقد أطلق صرخة مدوية اهتزّ لها البحر وأمواجه ، وارتعدتْ بفعلها أرض إيطاليا من أغوارها ، وزمجر لها ايتنا بكهوفه الملتوية . غير أن عشيرة الكوكلوبيس اندفعوا من الغابات وقمم الجبال إلى الميناء ، وتجمهروا على الشاطىء . فرأيناهم واقفين شامخين بأعين برّاقة ، هم أشقاء الجبل ايتنا ، يرفعون رؤوسهم عالية إلى عنان السماء . كان تجمهرهم يثير الرعب : كانوا كأشجار صنوبر عالية أو أشجار سرو مخروطية انتصبت متجمهرة فوق قمة جبلية ، كانوا كغابة جوبيتر الشامخة أو غيضة ديانا . ودفعنا خوف رهيب إلى أن نهز القلاع فى أى اتجاه مهما كان ، وأن نسلم الأشرعة للرياح المواتية . ومع ذلك ، فوصايا هيلينوس كانت قد حذّرت بحارتنا أن لا يشقّوا طريقهم بين سكيلا وخاريبديس — فكلاهما لا يفصله عن الهلاك سوى مسافة ضئيلة . لذلك قررنا أن نعود أدراجنا عندما — يا للعجب — انقضّت علينا ريح الشمال ، منطلقة من معقل بيلوروس الضيق . فحملتنا نمرّ على مصب بانتاجياس بصخوره الحية ، وخليج ميجارا ، وثابسوس الواطئة . وكانت

تلك هى الشواطىء التى أرشدنا إليها أخايمنيديس ، رفيق التعس أوديسيوس ، حينما كان يستعيد فى ذاكرته الشواطىء التى مرّ بها فى تجواله أثناء عودته .

هناك جزيرة تقبع ممددة أمام الخليج الصقلى ، فى مواجهة بليموريوم ، التى تلطمها الأمواج ، أسماها الأقدمون أورتيجيا . من ذلك المكان ، كما تقول الرواية ، شق ألفيوس — نهر إليس — لنفسه مجرى خفياً تحت البحر ، يمتزج الآن بأمواج صقلية بجوار نافورتك ، يا أريثوسا . وصلّينا — كما أوصينا لآلهة المكان العظمى . ومن هناك مررت بالتربة الغنية لهيلوروس المنتشر على هيئة مستنقع . ثم مررنا حول النتوءات العالية والصخور البارزة لباخينوس ، وتراءت لنا من بعيد كامارينا ، التى حالت الأقدار دون إقلاعها ، والسهول الجيلوائية ، وجيلا المسمّاة باسم نهرها الشديد الاندفاع . ثم ظهرت أمام أعيننا من بعيد بأسوارها المهولة أكراجاس المنحدرة ، التى كانت ذات مرة مهداً للخيول النبيلة . وبتأثير هبوب الرياح ، تركتك ورائى يا سلينوس ، المحاطة بالنخيل ، ثم سلكت طريقاً فى مياه ليبيا الضحلة ، التى تشع خطراً بصخورها المتوارية . بعد ذلك استقبلنى مرفأ دريبانوم بشاطئه الخالى من البهجة . وهنا ، وبعد أن طاردتنى زوابع بحار عديدة ، فقدتُ — وا أسفاه — سلوتنا فى كل هم وضيق ، فقدت والدى أنخيسيس(٧١) . هنا تركتنى ، يا أفضل والد ، متعباً ، وا أسفاه عليك ، يا من أنقذت مرّتين دون جدوى من أخطار جسيمة . فلا هيلينوس العرّاف — بالرغم من أنه قد حذرنى من أهوال عديدة — ولا كيلاينو — النذيرة بالسوء — أنبآنى بهذه الكارثة . كان ذلك آخر متاعبى ، كان ذلك نهاية تجوالى الطويل . فبعدما رحلت من هناك ، دفعتنى الآلهة إلى شواطئكم » .

هكذا كان الوالد آينياس يروى بمفرده على الحشد المتلهف قصة المصير الذى رسمته له الآلهة . ويشرح تفاصيل تجواله . ثم توقف أخيراً عن الكلام ، وركن إلى الراحة بعد أن أنهى قصته .



سـفينة أوديسـيوس وهى تمر بالمنطقة التى يسـكنها
بولوفيموس كما تخيلها الرسام باتن ويلسن

حواشي الكتاب الثالث

(١) نسبة إلى الإله نبتونوس أحد مؤسسي مدينة طروادة .

(٢) انتاندروس Antandros ، مدينة ساحلية باقليم ميسيا بآسيا الصغرى .

(٣) ليكورجوس Lycurgus ، إبن درياس Dryas ، كان ملكاً على الإيدونيين Edoni القاطنين فى المناطق الواقعة شمال بلاد الإغريق .

(٤) ديونى Dione ، التى أنجبت لجوبيتر فينوس والدة آينياس .

(٥) جراڤيدوس Gravidus ، لقب من ألقاب مارس إله الحرب عند الرومان .

(٦) وتسمى أيضا بالسهول التراقية . كان الشعب الجيتى يسكن فى منطقة الدانوب السفلى .

(٧) پولودوروس Polydorus ، هو أصغر أبناء الملك العجوز برياموس .

(٨) يبدأ آينياس هنا فى تعريف الملكة ديدو بشخصية پولودوروس وإلقاء مزيد من الضوء عليها . أما الملك التراقى الذى يشير اليه هنا آينياس فهو پولو ميستور Polymestor الذى كان زوجاً لإحدى بنات برياموس .

(٩) هى جزيرة ديلوس Delos ، مسقط رأس الإله أپوللون والإلهة ديانا .

(١٠) المقصود هنا هى دوريس ، إبنة أوكيانوس وزوجة نيريوس ووالدة خمسين من عرائس البحر .

(١١) رامى السهام الممتثل ، المقصود به هنا هو الإله أپوللون . تروى الأسطورة أن كبير الآلهة جوبيتر هو الذى شد وثاق الجزيرة حتى تضع عليها عشيقته ليتو مولودها أپوللون فى هدوء .

(١٢) إله ثومبرا Thymbraeus ، نسبة إلى ثومبرا وهى مدينة تقع فى منطقة تروآس Troas (= المنطقة المحيطة بطروادة). وبالتالى فالمقصود هنا هو الإله أبوللون الذى كان له معبد فى مدينة ثومبرا .

(١٣) المقصود هنا هو آينياس ورفاقه الهائمين على وجوههم بعد سقوط طروادة بحثاً عن إيطاليا حيث يقيمون مدينتهم الجديدة تنفيذاً لرغبة الآلهة .

(١٤) جبال إيدا Ida ، هى السلسلة الجبلية الواقعة فى كريت حيث نشأ چوبيتر .

(١٥) السواحل الروتية Rhoeteae orae ، أى الشواطىء الطروادية ، نسبة إلى نتوء جبلى يطل على بحر مرمرة .

(١٦) المقصود هنا هى الأم الكبرى Magna Mater أما الكوروبانتيس فهن تابعاتها .

(١٧) «الأسود مشدودة إلى عجلة الإلهة» يرمز ذلك التعبير إلى سلطة الأم الكبرى على جميع المخلوقات حتى الحيوانات المفترسة .

(١٨) أى إلى جزيرة كريت .

(١٩) هيمس Hiems ، هى روح العواصف والبرد القارص ، أما زفيروس Zaphyrus فهو ريح الغرب المواتية . ويرمز لون القربان إلى طبيعة الروح المقدمة إليها : فروح العواصف العاتية والبرد القارس يقدم إليها حمل لونه أسود ، وروح الرياح المواتية يقدم إليها حمل لونه أبيض .

(٢٠) إيدومنيوس Idomeneus ، كان قائداً للأسطول الكريتى الذى اشترك مع القوات الإغريقية ضد طروادة . وأثناء عودته من طروادة قطع على نفسه عهداً أن يقدم أول إنسان يقابله قرباناً للإلهة پوسيدون- كان أول من قابل إيدومنيوس هو إبنه فما كان منه إلا أن قدمه قربانا نملاللآلهة . لذلك غضب منه الكريتون وثاروا ضده ونفوه إلى إيطاليا . وبالتالى فقد أصبحت كريت غير خاضعة لإيدومينوس عدو آينياس .

(٢١) سيريوس Sirius ، هو نجم الكلب الذى يصاحب ظهوره إنتشار الحرارة الشديدة التى تؤدى إلى حرق المزروعات والقضاء على المحاصيل .

(٢٢) إله ديلوس هو أبوللون (راجع حاشية ر ٩) .

(٢٣) الأوينوترى Oenotri ، هم سكان إيطاليا الأصليون .

(٢٤) هذه الأبيات الأربعة (١٦٣-١٦٦) مكررة ، فقد وردت فى الكتاب الأول من الملحمة (سطور ٥٣٠ - ٥٣٣) ، (انظر ص ١٠١) .

(٢٥) أى الكريتية، نسبة إلى ديكتى Dictē ، وهو جبل يقع فى شرق جزيرة كريت .

(٢٦) لم يكن أحد يصدق نبوءات كساندرا بالرغم من صدقها .

(٢٧) الهاربيات Harpiae ، مخلوقات أسطورية يرمزن إلى الرياح العاتية ثم أصبحن بعد ذلك يرمزن إلى عالم الموتى . واسم كيلا ينو Celaeno معناه باليونانية «الظلام». أما فينيوس Phineus فكان ملكا على ساليديسوس Salmydessus الواقعة على البحر الأسود . أغضب فينيوس الآلهة لأنه فقأ عينى ولده ، فأرسل هيليوس (إله الشمس) الهاربيات ليخطفن كل طعام يتقدم له حتى مات من الجوع وهجر قصره وأغلقت أبوابه .

(٢٨) هذا البيت ناقص (٢١٨)، مثله فى ذلك مثل أبيات كثيرة لم تتح لفرجيليوس الفرصة ليكملها بسبب موته المفاجىء .

(٢٩) زاكينثوس Zacynthos ، دو ليخيوم Dulichium ، سامى Samé ، كلها أسماء لجزر إغريقية ورد ذكرها عند هوميروس . أما نريتوس Neritos فهو اسم جبل يقع فى جزيرة إيثاكا . لكن ڤرجيليوس يذكر الاسم هنا على أنه اسم جزيرة واقعة بالقرب من إيثاكا .

(٣٠) لأرتيوس Laertius ، هو والد أوديسيوس ملك إيثاكا .

(٣١) هناك تناقض ظاهر بين ما يرد فى هذا البيت (٢٨٠) وما ورد فى سطر ٢٧٦ . ففى سطر ٢٧٦ يقول ڤرجيليوس إن آينياس ورفاقه نزلوا بالقرب من قمم لويكاتا الواقعة على الشاطىء ، لكنه هنا بيت (٢٨٠) يتحدث عن شواطىء أكتيوم التى ليست جزءاً من لويكاتا بل تقع فى المنطقة الشمالية البعيدة عنها . ويمكن القول بأن ڤرجيليوس يتجاهل هنا الحقائق الجغرافية كى تتاح له فرصة ذكر منطقة أكتيوم لأن ذلك يتيح له فرصة الإشارة إلى انتصار جيوش أوغسطس على قوات أنطونيوس وكليوباترة فى تلك المنطقة عام ٣١ ق.م.

(٣٢) أباس Abas ، لا نعرف بطلا إغريقيا – من بين أبطال الإغريق الذين هاجموا طروادة . يحمل هذا الاسم . لكن الاسم أباس مع ذلك قد ورد ذكره فى مصادر أخرى على أنه إسم الجد دناءوس الذى كان ملكاً لأرجوس فى عصور ما قبل التاريخ . ويقال أيضا إن درع أباس السحرى كان محفوظاً فى معبد هيرا (جونو عند الرومان) القائم فى أرجوس. وربما يعتقد ڤرجيليوس هنا أن ذلك الدرع كان قد حمله معه أحد المحاربين المشتركين فى الحرب ضد طروادة وأن آينياس استولى عليه أثناء إحدى المعارك .

(٣٣) المقصود بسيمويس «الزائف» هو نهر مسمى «سيمويس» تخليداً لذكرى طروادة ، إذ أن سيمويس « الحقيقى» هو نهر من أنهار طروادة . ولقد اعتاد الطرواديون ذلك فى كل مكان استقروا فيه بعد سقوط طروادة .

(٣٤) أندروماخى Andromaché ، هى زوجة البطل الطروادى هيكتور الذى قتله أخيليوس . وهيلينوس هو شقيق هيكتور . بعد سقوط طروادة تزوج نيوبتوليموس من أرملة هيكتور ، لكنه بعد ذلك منحها لهيلينوس (إذ أن كلا من اندروماخى وهيلينوس كان عبداً لنيو بتوليموس) ليصبح هو زوجاً لامرأة أخرى (راجع حاشية رقم ٣٦ ، ٣٧) .

(٣٥) الإشارة هنا إلى إبنة بريماوس الصغرى ، بولوكسنا Polyxena ، التى ذبحها نيوبتوليموس وقدمها قرباناً على قبر والده أخيليوس . لقد تناول الشاعر التراجيدى يوريبيديس هذه الواقعة فى إحدى تراجيدياته التى وصلتنا بعنوان هيكوبا . لكن الشاعر الأغريقى يقول إن بولوكسنا قد ذبحت فى تراقيا وليس بالقرب من أسوار طروادة كما يقول فرجيليوس هنا .

(٣٦) كانت الأسلاب والغنائم توزع على قادة الجيوش المنتصرة ، وكان يتبع فى ذلك نظام الأقتراع . وكانت النسوة جزءاً من الغنائم توزع بنفس الطريقة . أما فيما يتعلق بأندروماخى فإنها لم تكن من نصيب نيو بتوليموس بطريقة الاقتراع ، بل منحها له القادة الإغريق لأنها كانت زوجة هيكتور الذى قتله اخيليوس والد نيو بتوليموس .

(٣٧) هرميونى Hermione ، هى الإبنة الوحيدة لمنيلاموس – ملك اسبرطه – من هيلينا إبنة ليدا . قبل بدء الحرب الطروادية كانت هرميونى خطيبة أورستيس إبن أخ مينيلاموس (أجا ممنون)، لكن بعد أن قتل أجا ممنون عند عودته منتصراً إلى وطنه أراد مينيلاوس أن يزوجها إلى نيو بتوليموس . لذلك غضب أورستيس الذى كان يعشق هرميونى بجنون وثار ضد مينيلاموس وقتل نيوبتوليموس (انظر أيضا الحاشية التالية) .

(٣٨) يقال إن أورستيس قتل نيوبتوليموس بينما كان الأخير يقدم القرابين على مذبح أقامه فى دلفى تكريما لوالده أخيلوس . وهنا يشير فرجيليوس إشارة غير مباشرة إلى مقتل برياموس وابنه بوزتيس بواسطة نيو بتوليموس بالقرب من المذبح المقام في قصر برياموس أثناء سقوط طروادة .

(٣٩) فى كل منطقة كان يصل إليها الطرواديون الهاربون بعد سقوط مدينتهم الأم أقاموا مدناً على نمط طروادة . وكانوا يطلقون على قلاع المدن الجديدة اسم برجاما وهو اسم القلعة الرئيسية فى طروادة ، بل كانوا يطلقون على الأنهار والمجارى المائية والبوابات أيضا نفس الأسماء التى عرفت بها أنهار وبوابات طروادة .

(٤٠) هذا البيت (٣٤٠) ناقص . وإننا نلاحظ أن عدد الأبيات الناقصة فى الكتاب الثالث من الملحمة يفوق كثيراً عددها فى كل من الكتب الأحد عشر الأخرى . فالكتاب الثالث تعرض لتغييرات وتعديلات ضخمة قبل موت فرجيليوس مباشرة .

(٤١) لعل القارىء يعجب هنا من سؤال أندروماخى : فكيف علمت أندروماخى بموت والدة أسكانيوس – كريوسا زوجة آينياس الأولى – ؟ لقد رحلت أندروماخى بمصاحبة نيوبتوليموس فور سقوط طروادة . لم يفكر فرجيليوس فى هذا على الإطلاق ، ولا توجد فقرة فى الملحمة تشير إلى أن أندروماخى قد علمت بموت كريوسا .

(٤٢) كانت والدة أسكانيوس – كريوسا – شقيقة أندروماخى التى كانت زوجة لهيكتور . ومن هنا كان يعتبر هيكتور خالا لأسكانيوس .

(٤٣) بوابة سكايا Scaea Porta ، هى إحدى البوابات الرئيسية للمدينة الأم طروادة . لكن هيلينوس يطلق نفس الإسم على إحدى بوابات المدينة الجديدة التى أقامها على نمط طروادة (راجع حاشية رقم ٣٩) .

(٤٤) العراف هو هيلينوس ، إذ أنه كان ملكا على المدينة التى أنشأها وكاهناً لمعبد الإله أپوللون الموجود فيها فى الوقت نفسه .

(٤٥) جزيرة كيركى الآيية Aeaeae insula Circae ، حيث كانت تقيم الساحرة كيركى ، التى لقبت أحياناً بالآيية نسبة إلى آيا Aea الواقعة فى كولخيس والتى اشتهر سكانها بممارسة السحر .

(٤٦) المجرى المنعزل هو التيبر Tibris ، النهر الرئيسى فى إيطاليا .

(٤٧) أى البحر الأيونى .

(٤٨) كان الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة الإيطالية مليئاً بالمستعمرات الإغريقية حتى أنه كان يسمى بلاد الإغريق الكبرى Magna Graecia . وبقيت اللغة اليونانية مستعملة فى هذا الجزء من إيطاليا حتى عهد قريب . والمقصود بكلمة أشرارهنا هم الإغريق الأعداء ، إذ أنهم كانوا يضمرون الشر والعداوة دائماً للطرواديين .

(٤٩) كان اللوكريون Locri يسكنون مدينة ناريكس Naryx الواقعة على بحر يوبويا Euboea والتى كان يحكمها أياس بن أويليوس ، وهو أحد القادة الإغريق فى الحملة ضد طروادة . وأثناء عودة أياس إلى وطنه جنحت بعض سفنه نحو شاطىء بروتيوم Bruttium فى جنوب إيطاليا حيث أسس جماعة اللوكريين مدينة جديدة .

(٥٠) إيدومنيوس Idomeneus ، (راجع حاشية رقم ٢٠) .

(٥١) فيلوكتيتيس Philoctetes المليبوى ، نسبة إلى مليبويا Meliboea التى كان ملكاً عليها . كان فيلوكتيتيس أحد القادة الإغريق المشتركين فى الحملة ضد طروادة . وأثناء عودته أطاحت عاصفة بسفنه فلجأ إلى الشاطىء الشرقى من بروتيوم حيث أسس مدينة صغيرة أحاطها بأسوار منيعة أسماها بتليا Petelia .

(٥٢) اعتاد الرومان إخفاء ملامح الوجه أثناء تقديم القرابين ، وذلك حتى لا يكون هناك بين الحاضرين وجه تكرهه الآلهة فيفسد الاحتفال ويتسبب في غضب الآلهة . وهنا يشير فرجيليوس إلى هذه العادة التي كانت معروفة لدى الرومان .

(٥٣) سكيلا Scylla وخاريبديس Charybdis ، (راجع حاشية رقم ٣٥ ص ١١٤) .

(٥٤) يؤكد هيلينوس ضرورة إرضاء جونو ، إذ أن غضبها كان في الأصل السبب الرئيسي في تدمير طروادة على يد الإغريق . (لمعرفة سبب ذلك الغضب راجع حاشية رقم ٣ ص١١١).

(٥٥) راجع ص ٢٧٨ وما بعده .

راجع أيضا حاشية (٨١) ص ٢٧٤ ، وحاشية (٣) ص ٣١٢

(٥٦) نسبة إلى دودونا Dodona ، التي اشتهرت بنوع خاص من الأواني كانت تعلق في أشجار الصنوبر وتبعث أصواتا عند طرقها بحزمة من سيقان النبات الخضراء .

(٥٧) أنقذت الآلهة أنخيسيس مرتين : الأولى عندما اقتحم الإله هيراكليس طروادة ودمرها ، والثانية عندما حاصرها الإغريق وأتوا عليها نهائياً .

(٥٨) أستياناكس Asthyanax ، هو ابن هيكتور من أندروماخي : ألقى به الإغريق من فوق أسوار طروادة بعد استيلائهم على المدينة .

(٥٩) أي : تمر ساعة بعد ساعة فيقترب الليل من الانتهاء .

(٦٠) أركتوروس Arcturus هو النجم اللامع ؛ هواديس Hyades هي مجموعة من النجوم (عددها سبع) عند رأس برج الثور Taurus يصاحب ظهورها سقوط الأمطار ؛ تريونيس Triones هما نجمان‌توأمان أحدهما يعرف بالدب الأكبر والثاني بالدب الأصغر ؛ جميعها أسماء لنجوم كان الملاحون يرصدون مواقعها قبل البدء في الرحيل بسفنهم في عرض البحر .

(٦١) أورورا Aurora هي ربة الفجر . وعندما يقول الشاعر إن وجنتي أورورا قد بدا لونها أحمر فإنه يعبر بذلك عن الشروق .

(٦٢) تارنتم Tarentum ، هي من أهم المدن الإغريقية الواقعة في جنوب إيطاليا ، على الشاطىء الغربي من منطقة كلابريا Calabria ، وتسمى الآن تارانتو Taranto . أقام هذه المدينة تاراس Taras ، إبن الإله نبتونوس ، لكن استعمرها بعد ذلك (عام ٧٠٨ ق.م.) أفراد جاءوا من اسبرطة تحت قيادة فالانثوس Phalanthus الذي انحدر من نسل الإله هيراكليس . هكذا – كما يقول فرجيليوس – تقول الروايات .

(٦٣) راجع حاشية رقم ٣٦ ص ١١٤

(٦٤) تقول أغلب الروايات إن تيفويوس Typhoeus هو الذى يرقد تحت جبل أيتنا Aetna وإننا لاندرى على وجه التحقيق من أين جاء ڤرجيليوس بروايته هنا .

(٦٥) أخايمنيديس Achaemenides ، هو أحد الإغريق الفقراء ، أرسله والده أداماستوس Adamastus ليلتحق بالجيش الإغريقى سعياً وراء الثروة .

(٦٦) المقصود هنا هو إبراز إلى أى مدى تصل قوة ذلك العملاق : إنه يفتك برجلين إثنين فى وقت واحد وهو يرقد على الأرض فى هدوء دون أن يبذل أى مجهود أو دون أن يكلف نفسه عناء النهوض .

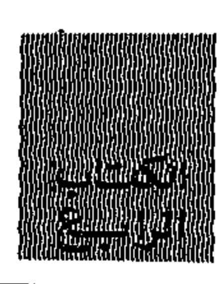
(٦٧) زيارة أوديسيوس لأرض الكيكلوپس هى إحدى المغامرات المعروفة التى رواها هوميروس فى ملحمته الخالدة — الأوديسا .

(٦٨) بوليفيموس Polyphemus ، هو اسم ذلك الكوكلوپس العملاق .

(٦٩) أى : مضى على وجود ذلك الجندى الإغريقى فى هذه المنطقة المخيفة ثلاثة شهور قمرية كاملة .

(٧٠) أى : الذى يستحق أن يصحبوه معهم بعيداً عن تلك المنطقة ، فى ذلك إنقاذ له .

(٧١) أثناء تلك الرحلة الطويلة الشاقة المليئة بالأخطار فقد آينياس والده أنخيس ، لكن ڤرجيليوس لم يذكر كيف فقده . تماماً كما لم يذكر من قبل فى نفس الكتاب من الملحمة كيف علمت أندروماخى بموت كريوسا زوجة آينياس .



محمد حمدي إبراهيم

أخذت الملكة – وقدا صبيت بجراح الحب الموجعة – تغذى جرحها بالدماء التى تجرى فى شرايينها ، وأضحَتْ طعمة للهيب الحب الأعمى . ظلت خصال بطلها العديدة وعراقة محتده تتردد فى مخيلتها ، ظلت نظراته ونبراته عالقة بشغاف قلبها ، ولم يدع الحب أطرافها تهدأ أو تركن للراحة : وفى اليوم التالى ، بينما كانت ربة الفجر – أوْرورا ، تضىء الأرض بشعلة فويبوس ، بعد أن أبعدت الظلام الندىّ من صفحة السماء ، خاطبت ديدو ، فى ذهول ، أختها الحبيبة قائلة :

«أنا(١) ، أختاه ، ترُى أى أحلام هذه ، التى تزعجنى وتشتت أفكارى ! أى ضَيْف غريب هذا ، الذى وفد على ديارنا ! ما أنبل محياه ! ياله من شجاع ثابت الجنان ، بارع فى استخدام السلاح فى الحرب ! إنى لمؤْمنة أيما إيمان – وإنه لإيمان صادق – بأنه من سلالة الآلهة . فالخوف يفضح النفوس الرعديدة . آه ! يالها من أقدار تقاذفته ، يالها من حروب خاضها فى شجاعة وصبر ، تلك التى رواها ! لو لم أكن قد وطدت العزم وآليت على نفسى أن لا أرتبط بزواج قط ، بعد أن خذلنى حبى الأول وأحبط أملى بالموت ، ولو لم أكن قد سئمت فراش الزوجية ومشاعل الزفاف ، لولا ذلك ، فلربما كنت قد استسلمت لإرادتى الضعيفة . أنا ، سوف أكاشفك الآن بسرى . فبعد أن قُتل زوجى التعس – سخايوس – ، وبعد أن دنس أخى المنزل بجريمة القتل هذه ، فإن هذا الرجل – آينياس – هو الذى سيطر على مشاعرى ، وغزا قلبى المرتجف ، وعَرَفْتُ ، فيه مرة أخرى لوعة حبى القديم ، لكن ، ليت الأرض تنشق ، عميقةً ، فتبتلعنى ، أو ليت الأب القدير جوبيتر يقذفنى بصاعقته إلى ظلام أريبوس الحالك(٢) ، وليله الدامس ، ألا ليت

كل ذلك يحدث قبل أن أنتهك حرمتك ، ياربة الحياء ، أو أخرج على سُنَتك . فإن ذلك الرجل ، أول من اتخذني زوجة له ، قد حمل معه عواطفي ، فليته يحتفظ بها ، ويصونها في قبره » . .

بعد أن قالت ذلك ، والدموع الغزيرة تغمر صدرها ؛ أجابتها أنّا قائلة :

« أختاه ، يا أعزّ عليّ من نور الحياة ؛ هل ستظلين هكذا ، حزينة ، وحيدة ، حتى تذبل زهرة شبابك دون أن تسعدى بحلاوة الذرية ونعيم الحب ؟ أتظنين أن رفات الأموات وأطيافهم تعبأ بذلك ؟ ومهما يكن الأمر ، فحين كنتِ جريحة الفؤاد ، لم يتهفَّ قلبك إلى أي من الرجال — لا من ليبيا ، ولا من صور[٣] — لقد نبذتِ يارباس[٤] ، وحقرتِ أمراء آخرين ، نشأوا في إفريقيا ، الغنية بانتصاراتها . هل ستصارعين الآن حباً كنتِ تستعذبينه من قبل ؟ أوَ لا تتذكرين في أرض مَن تعيشين ؟ فعلى هذا الجانب توجد مدن الجايتوليين[٥] ، أمة لاتُقهر في الحرب ، وحولك النوميديون[٦] ، ذوو البأس الشديد، وكذلك أيضا توجد منطقة سرتيس،[٧] ذات الرمال المتحركة التي لاترحب بالغرباء . وعلى الجانب الآخر صحراء قاحلة مجدبة ، وأهل برقة ، المغرمون بإثارة الشغب . وماذا عساى أن أقول عن الحروب التي دارت رحاها في صور ، وعن تهديدات أخيك لك ؟ إني لأعتقد أن السفن الطروادية قد لزمت مجراها هذا مع الريح بفضل إرشاد الآلهة وبفضل تعضيد جونو ، فيالها من مدينة ،يا أختاه ، تلك التي ستشهدينها ! ويالها من مملكة تلك التي ستنشأ من مثل هذه المصاهرة ! ويالها من انتصارات تلك التي سترتفع بها مجد فينيقيا عندما تتحالف معها القوات الطروادية ! عليك فقط أن تطلبي الصفح من الآلهة بإقامتك للطقوس التي تسترضيهم ، أطيلي مدة ضيافتك له ، واختلقي المعاذير لتأخيره ، حتى يُفرغ الشتاء وأوريون[٨] المحمل بالأمطار غضبهما في المحيط ، وحتى تتحطم سفائنه ، وتصبح السماء عديمة الرحمة » .

هكذا تحدثت ، فأشعلت بنار الحب قلب أختها المكلوم ، وبعثت الأمل فى نفسها المضطربة وأذابت خجلها . فى بادىء الأمر ، توجهت الشقيقتان إلى المعابد وسَعياً إلى إرضاء الآلهة بالقرابين ، وكانت تلك القرابين — وفقاً للطقوس المرعية — ماشية تبلغ من العمر سنتين . قامت الشقيقتان بتقديمها إلى كيريس ، واهبة القوانين ، وإلى فويبوس ، وإلى الأب باكخوس[٩] ، المخلّص من الهموم ، وقبل الجميع ، إلى چونو ، التى ترعى رباط الزوجية . كانت ديدو بنفسها ، وفى أبهى صورها ، ممسكة بكوب القربان فى يدها اليمنى ، تصبه بين قرنَى بقرة بيضاء ، أو تتهادى أمام تماثيل الأرباب ، بالقرب من المذابح المحملة بالأضاحى ، تبدأ يومها بالقرابين المعتادة ، فتشق صدور الأضاحى العارية ، وتفحص أحشاءها الخافقة .

لكن ، واحسرتاه ! ما أتفه عقول العرّافين ! أى معونة قد تقدمها القرابين والمعابد لمَنْ سيطر عليه جنون الحب ؟ لقد ظلت نار الحب الدفينة مستعرة طول الوقت فى أحشائها ، والجرح الصامت مقيماً فى صدرها ، إن ديدو التعسة تحترق ، وتهيم على وجهها مخبولة فى جميع أنحاء المدينة — كغزالة ، بعد أن رُميت بسهم ، يطاردها بقذائفه على البُعْد راع بين الغابات الكريتية ، فأرداها دون أن تدرى ، وترك فيها النصل المجنح وهو يجهل ذلك ؛ فتعثرت ، أثناء هروبها الغابات والأحراش الكريتية ، والفصْل المُهلك نافذ فى جنبها — فهى تارة تصطحب آينياس عبر الحصون ، وتستعرض معه الكنوز التى جاءت من صيدا وترقُّب مدينتها الجديدة ، تبادره الحديث ، ثم تتوقف فى منتصفه ؛ وتارة أخرى — عندما ينصرم النهار — تقيم المآدب ، وتتوسل إليه ليُسْمعها حديثه عن مآثر طروادة ، وتتعلق أنظارها من جديد بشفتيه وهو يتحدث ، ثم يغادر كل منهما زميله ، والقمر القاتم يُخفى ضياءه ، والنجوم الآفلة تبعث على النوم ، عندئذ تستسلم للأحزان وحدها ، فى قصرها الخاوى ، تهصر الوسادة التى تركها آينياس ، تسمعه ، وتراه ، وهى ذاهلة ، رغم غيابه عنها ، أو تَضم إلى صدرها ابنه أسكانيوس ، متأثرة

بطلعة أبيه ، عسى أن تستطيع أن تكبت هذا الحب المريع . لقد توقفت الأبراج المعدة للإنشاء عن الارتفاع ، ولم يعد الشباب يتدرب على حمل السلاح ، وتوقف تجهيز المرافىء أو مراكز الدفاع الآمنة درءاً لخطر الحرب ، وتأجل العمل فى المنشئات وقباب الأسوار الضخمة والآلات التى تطاول السماء .

عندما أدركت زوجة چوبيتّر العزيزة أن ديدو قد غدت أسيرة لمثل هذه العاطفة المهلكة ، وأن حرصها على سمعتها قد عجز عن الوقوف فى وجه انفعالها ــ خاطبت ابنة ساتورنوس (١٠) ڤينوس ، بهذه الكلمات :

«ليس هناك شك فى أنكِ وابنك ستحظيان بثناء عظيم ، وتفوزان بغنائم طائلة وصيت ذائع إذا ما هُزمَت امرأة واحدة بأحابيل اثنين من الأرباب(١١) . ولم يغب عن فطنتى أنك تتوجسين خيفة من حصوننا وأنك تُراقبين بعَينِ الحسد أبنية قرطاجة الشامخة . لكن ما الغاية من هذا ؟ أو إلى أين ينتهى بنا مثل هذا الصراع ؟ أليس من الأفضل أن نعقد معاً صلحاً مستديماً ، ونسعى فى إنجاح زواج مستقر ؟ فها أنت قد حققت كل رغباتك ؛ إكتوت ديدو بنار الحب ، واجتاح الانفعال ــ بناءً على رغبتك ــ جسدها ... دعينا إذن نحكم هذا الشعب سوياً ، ونضعه تحت قيادة مشتركة ، ولنَدعْ ديدو حرة فى أن تربط نفسها بزوج فروجى ، وأن تعهد إليك بالصوريين كمَهرٍ تقدمه عند زواجها .»

أدركت ڤينوس أن چونو قد ازمت فى حديثها جانب المخاتلة . رغبة منها فى أن تنقل مملكتها من إيطاليا إلى شواطىء ليبيا ، لذلك فقد أجابتها بدورها قائلة :

« مَنْ ذا الذى بلغ به الجنون حداً يجعله يرفض مثل هذه الشروط ، أو يفضل الاشتباك فى حرب معك ، فقط ، لو شاءت الأقدار تنفيذ ما تدبرين ؟ غير أنى مدفوعة بالأقدار ولست موقنة ما إذا كانت مشيئة چوبيتّر أن تكون هناك مدينة واحدة للصوريين وأولئك الذين رحلوا عن

طروادة (١٢) ، أم أنه أقر اختلاط الشعبين وربط الصهرين، فأنت زوجته، ولك أن تستميلي قلبه بتوسلاتك ، فتقدمي وعليّ أن أتبع خطاك».

حينئذ أجابت چونو الموقرة .

« إنني أحمل هذا العبء على عاتقي ؛ فاصغ الآن إليّ ، إذ أني سأوضّح لك باختصار الوسيلة التي تمكننا من تنفيذ خطتنا . إن آينياس وديدو ، البالغة التعاسة ، يستعدان للخروج معاً إلى الغابة للصيد عندما تُحضر شمسُ الغد خيوطَ الفجر الأولى وتنير العالم بأشعتها . وفي الوقت الذي سيهرع فيه الصيادون ويحيطون الوعل بشباكهم ، سأقذفهم من علٍ بعاصفة قاتمة مختلطة بالبَرَد ، وأجعل السماء كلها تهتز بفعل الرعد . لسوف يتفرق رهطهم ويلفهم الليل الداكن بستاره ، ومن ثم ستأوى ديدو والأمير الطروادى إلى كهف واحد . وسأكون هنالك حاضرة ، فإن حَظيتُ بموافقتك الصريحة ، فسأربطهما بزواج وطيد . وأمنحها له زوجة ؛ وسيكون هناك أيضا هيمنايوس (١٣) .

أذعنت الكيثرية لطلبها دون معارضة ، لأنها فطنت إلى خديعتها . وفي تلك الأثناء أشرقت أورورا وتركت المحيط . وعندما بزغ الفجر خرجت نخبة من الشباب من أبواب المدينة ، وانطلقت الشباك الدقيقة ، وشباك الصيد ، والرماح ذات النصل العريض ، وكذلك الفرسان الماسيليون (١٤) ، ورهط من كلاب الصيد ذات حاسة الشم القوية . وأمام أبواب القصر كان نبلاء فينيقيا ينتظرون الملكة ، التي كانت تتلكأ في جناحها ، وجوادها المطهّم ، الموشيّ بالأرجوان والذهب واقف بثبات وهو يلوك بعنف لجامه المليء بالزبَد . وأخيراً حضرتْ محفوفة بحاشية ضخمة ، ملتفة بإزار صيداوى ، ذى إطار مطرز ، تتمنطق بكنانة ذهبية ، وقد ربطت خصلات شعرها بشرائط من ذهب ، وضمّت إزارها الأرجواني بدبوس من الذهب . وسار في الموكب الشباب الفروجي ويولوس المَرِح ، وأمامهم جميعاً

آينياس نفسه ، الذى تقدم إلى صحبتها بوسامته الأخاذة ، وانضم بحاشيته إليها ، وكما يترك أبوللون ليكيا ، مقر إقامته الشتوية ، ونهر كسانثوس ، ويزور مرة أخرى جزيرة أمه فى ديلوس (١٥) ، ويبدأ رقصاته من جديد ، وتختلط صيحات الكريتيين والدروبيس (١٦) والأجاثرسى (١٧) ، المُزَيّنين بالوشم ، حول مذابحه، بينما يتحرك هو نفسه بجلال على قمة جبل كينثوس (١٨) . ويصلح من خصلات شعره المتهدل ، ويتوّجه بإكليل من الجدائل الناعمة التى يجْدلها من الذهب ، والسهام على كتفه تصدر صليلاً – كذلك تحرك آينياس فى رشاقة لا تقل عن رشاقة أبوللون . كان الجلال يشع من طلعته التى لا نظير لها (١٩) . وما أن بلغوا الجبال الشاهقة والكهوف المهجورة، حتى نظروا فإذا بالماعز تهبط قافزة من أعلى الصخور فوق الأخدود الجبلى ، وإذا بالظباء تمرح على الناحية الأخرى فى السهول الفسيحة ، وتتجمع عند هربها فى أسراب ، مغبرّة بالتراب ، وهى تغادر الجبال . وإذا بالصبى أسكانيوس ،سعيد بحصانه المتوثب فى وسط الوديان ، يتجول تارة فى هذا الاتجاه وتارة فى ذلك الاتجاه ، وهو يتمنى من أعماقه أن يصادف خنزيراً برياً يتناثر الزبد من شدقيه بين الماشية الضعيفة ، أو ليثاً أصفر اللون يهبط من أعلى التلال .

فى تلك الأثناء بدأت السماء تضطرب بضجيج مفزع ، أعقبته عاصفة ممطرة محملة بالبَرَد . وخوفاً من المطر ، بحثت القافلة الصورية والشباب الطروادى وحفيد ڤينوس الدردانى (٢٠) عن أماكن متفرقة فى الحقول يأوون إليها . واندفعت السيول منحدرة من الجبال . ولجأت ديدو والأمير الطروادى إلى الكهف المعهود،وكانت ربة الأرض هى أول من أعطى الإشارة ، وتبعتها جونو المُهَيْمنة على شئون الزواج . ولمع البرق ، وكانت السماء شاهداً على هذا الزواج ، وصاحت الحوريات على قمم الجبال (٢١) : كان ذلك اليوم المشهود سبباً فى هلاكها ، وبداية للشرور التى حاقت بها ، فلم تعد ديدو الآن تأبه بمظهرها ، ولا بسمعتها ، ولم تعد تفكر فى اختلاس

لحظات من الحب : لقد أسمته زواجاً ، وكانت تخفى خطيئتها خلف هذا الاسم.

انطلقت الربة فاما (٢٢) من فورها فى أرجاء المدينة الليبية العظيمة ، إنها الربة التى لا يوجد شر آخر أسرع منها حركة . فهى تزداد نشاطاً بمرونة حركتها ،وتكتسب مزيداً من القوة كلما مضت فى طريقها . إنها تبدو فى بادىء الأمر ضئيلة خائفة ، لكنها سرعان ما ترتفع إلى عنان السماء ، وتخطو على الأرض وهى تخفى رأسها بين السحاب . ويُروى أن ربة الأرض — فى لحظة من لحظات غضبها من الآلهة — أنجبتها كأخت صغرى لكل من كويوس وأنكلادوس (٢٣) . أقدامها خفيفة الحركة وأجنحتها سريعة ، إنها وحش مخيف هائل ، وبقدر مالها من ريش على جسدها فإن لها تحته عيوناً لا تغفل ولا تنام — إن الحديث عنها يثير الرعب — . لها ألسنة كثيرة وأفواه عديدة ، تردد الصوت ، وتصم الآذان . تطير ليلاً وسط السماء وفى ظلال الأرض ، وتطلق فحيحاً ؛ ولا تُسلم عيونها للراحة اللذيذة ، يقظة طول اليوم ، تستقر فوق قمة منزل مرتفع أو فوق الأبراج الشاهقة ، تملأ المدن العظيمة بالرعب . إنها عنيدة جُبلت على الخداع والاعوجاج فى روايتها للحقيقة . تشعر بالبهجة عندما تملأ آذان الناس بالشائعات المختلفة . تروى الحقائق والأباطيل بأسلوب واحد . « إن آينياس قد حضر ، إنه من أصل طروادى . طلبت منه ديدو الفاتنة أن يكون زوجاً لها . إنهما الآن يتبادلان الحب ويستمتعان بفصل الشتاء كله . كلاهما لاه عن مملكته ؛ تستعبدهما شهوة دنيئة ... » بهذه الأقاويل كانت الربة المخيفة تملأ أفواه الناس فى كل مكان . ثم ولت وجهها من فورها شطر الملك يارباس ، فأوغرت صدره ، وزادت من حدة غضبه بشائعاتها .

كان يارباس هذا هو ابن آمون (٢٤) من جارامانتيس (٢٥) ، الحورية التى اغتصبها (آمون) ، وكان قد شيد لجوبيتر مائة معبد شامخ ومائة مذبح فى مملكته المترامية الأطراف ، وخصص له ناراً دائمة الاشتعال ، ونذر للآلهة

حراساً دائمين ، وأرضاً ارتوت بدم الضحايا المتدفق ، وبوابات مزخرفة بأكاليل متنوعة . ورُوِيَ أنه عندما أُصيب عقله بالجنون ، واستشاطت نفسه بالغضب من جرّاء هذه الأقاويل المريرة ، ألحّ فى الدعاء أمام المذابح ووسط تماثيل الأرباب ، متضرعاً إلى چوبيتر بيدَيْن مرفوعتين إلى أعلى ، قائلاً :

« أىْ چوبيتر ، القادر على كل شىء ، يا مَن يحتفل بك الآن أفراد قبيلة ماوروسيا (٢٦) ، ويصبّون النبيذ تمجيداً لك ، وهم فوق الوسائد المطرزة ، أترى هذه الأمور ؟ أفنهمل تخشاك عبثاً ، أيها الأب ، عندما ترسل الصواعق ؟ وهل هذه البروق ، التى تلمع بين السحب ، والتى تنزع عقولنا ، ليس وراءها هدف ؟ أم هل هى مجرد ضجة جوفاء تضطرب ؟ إن امرأة — مُتَجوِّلة ، شيّدت فى مملكتنا مدينة صغيرة ، ابتاعتها بالمال ، حيث منحناها سهلاً صالحاً للزراعة ، وطبقنا قوانين منطقتنا عليها — لقد رفضت طلبنا للزواج ، واتخذت آينياس سيداً فى مملكتها . وها هو پاريس (٢٧) ، مع حاشيته الرخوة ، فقد ربط تحت ذقنه قلنسوة من مايونيا (٢٨) ، وقد ضمخ خصلات شعره بالعطور ، وأخذ يستمتع بغنيمته التى اغتصبها . مع ذلك فها نحن نقدم القرابين فى معابدك ونقدس اسما من غير دلالة . »

بينما هو يتعلّق بالمذبح ، متضرعاً بهذه الكلمات ، سمعه چوبيتر ، القادر على كل شىء ، فحوّل ناظريه تجاه المدينة الملكية ، وتجاه العاشقين الغافلين عمّا يليق بهما من سمعة ، وعندئذ خاطب ميركوريوس (٢٩) موجّهاً إليه هذه التعليمات :

« أىْ بُنَىّ ، هَلُمّ بسرعة ،واستدعِ زفيروس (٣٠) ، ولتهبط بجناحيْك ، وتخاطب بنفسك الأمير الدردانى ، الذى يتلكأ الآن فى قرطاجة الصورية ، غير عابىء بما مُنِحَ له من مدن على يد ربات القدر . ولتَحْمل له رسالتى هذه عبر الأثير : فليس هو بذلك الرجل الذى وَعَدَتْنى به أمه فائقة الجمال ، ولا من أجل هذا أنقذته أمه مرتين من سيوف الإغريق ؛

بل عليه أن يكون ذلك الشخص الذى سيحكم إيطاليا ، المتعَّمة بالسلطان ، والصاخبة بنذر الحرب ، والذى سيُنْجب سلالة من دم « تيوكُر » النبيل ، والذى سيُخْضع العالم بأسره تحت سيطرته . فإذا لم تبعث فيه كل هذه المآثر الجليلة الحمية ، وإذا لم يحاول هو نفسه الإقدام على عمل جاد يحفظ به سمعته ، فهل سيغبط ، كأب ، أسكانيوس على القلاع الرومانية ؟ ماذا ينوى أن يفعل ؟ ولأى هدف يتلكأ بين شعب معاد ؟ وكيف لا يهتم بذريته الأوسونية (٣١) وبالحقول اللاتينية (٣٢) ؟ فَمُرْهُ بالإبحار ، ولْتَكُنْ هذه ، فحسب ، رسالتنا إليه . »

بعد هذا الحديث ، إستعد ميركوريوس لتنفيذ مشيئة والده العظيم . بدأ أولاً بأن ربط فى قدميه خُفَّيه الذهبيين ، اللذين يحملانه بجناحيهما إلى الفضاء الأعلى ، كالرياح السريعة ، فوق البحر والبر على السواء . ثم بعد ذلك ، أخذ عصاه ، التى يستدعى بها الأشباح الباهتة من أوركتوس ، والتى يرسل بها أشباحاً أخرى إلى أعماق تارتاروس (٣٣) الحزينة ، والتى يبعث بها النوم أيضاً فى الأعين أو يطرده منها ، ويفتح الأبصار بعد الموت . بعدما تَزَوّد بكل ذلك ، دفع الرياح ، وسبح خلال السحب المتراكمة . كان فى طيرانه يرقب قمة أطلس الصلب وجوانبه الشامخة ، أطلس ، الذى يسند السماء بقمته ، تحيط به السحب السوداء ، تتوّج هامته أشجار الصنوبر ، والذى يصلى وابلا من المطر والرياح ، وتُغطى كتفيه عباءة من الثلج . كانت السيول تتدافع وتتنذ من ذقنه المُعَمّرة ، لحيته المريعة غدت يابسة بفعل الجليد . وهنا استراح الكيلليني (٣٤) على جناحيه المتوازنين ، ثم توقف . ومن هنالك ، قذف بنفسه رأساً على عقب ، بثقل جسده كله ، إلى الأمواج . وكالطائر الذى يطير بالقرب من سطح البحر حول الشواطىء وحول الصخور المليئة بالأسماك ، كان ربيب كيلليني المنحدر من جده لأمه يطير بين الأرض والسماء ، ويفصل بين شاطىء ليبيا الرملى وبين الرياح . وما أن وصل بقدميه المجنّحتين إلى ضواحى قرطاجة ، حتى أبصر آينياس يشيّد القلاع ويجدد

المبانى . كان آينياس يمتشق حساماً مُرَصّعاً باليشب الأصفر ، يرتدى معطفاً صوريّاً يتدلى من كتفيه إلى أسفل ويتوهّج بلون أرجوانى — إنها هدايا صنعتْها ديدو الثرية من أجله ، وانتقت نسيجها من ذهب رفيع . وتوجّه إليه على الفور بالحديث :

« أفقَدْتَ انتهى بك المطاف ، إذن ، إلى أن ترْسى قواعد قرطاجة الشامخة ، وأن تشيّد مدينة جميلة ، وأنت منقاد لهذه المرأة ، غافل — وا أسفاه — عن مملكتك وعن شئونك الخاصة ؟ إن كبير الآلهة الذى يسيطر بمشيئته على السموات والأرض قد أرسلنى بنفسه إليك من ذرى الأوليمبوس (٣٥) اللامعة ، وهو الذى أمرنى أن أحمل إليك تعليماته هذه عبر الفضاء السريع : ماذا تعتزم أن تفعل ؟ ولماذا تقضى وقتك فى الأراضى الليبية ؟ فإن لم يكن هناك أى مجد من مآثرك هذه يؤثر عليك ، ولم تحاول فوق ذلك القيام بعمل من أجل سمعتك ، فضعْ فى اعتبارك أسكانيوس ، الذى بدأ يشبّ عن الطوق ، والآمال المعقودة على وريثك يولوس الذى سيؤول إليه مُلْك إيطاليا والأرض الرومانية . »

وما أن نطق الكيلينى بهذه الكلمات ، حتى أودع خلال حديثه ظاهرة بشرية (٣٦) ، ثم اختفى بعيداً عن الأبصار فى الهواء الشفاف . أما آينياس فقد ذُهل من هذه الرؤية . وأصيب بالخرس ، ووقف شعره من الرعب ، والتصق لسانه بحلقه ، وتحرق شوقاً لأن يلوذ بالهرب وأن يترك تلك الأرض العزيزة . فلقد أخذته الرجفة من هذا الهاتف السماوى ومن أمر الإله . لكن ، وا أسفاه ، ماذا يستطيع أن يفعل ؟ وبأى حديث يمكنه أن يهدّىء من ثائرة الملكة ؟ وبأية كلمات منتقاة يبدأ هذا الحديث ؟ وأخذ يقلّب فكره بسرعة ، تارة فى اتجاه وأخرى فى اتجاه آخر ، ويتشبّث بمختلف الاتجاهات ، ثم يتيه فيها جميعاً . وبعد طول تردد ، استقر عزمه على رأى فضّله عن غيره : دعا إليه منيستيوس وسرجستوس وسريستوس الشجاع ، وأمرهم أن يجهّزوا الأسطول سراً ، وأن يجمعوا رفقاءهم عند الشاطىء ويعدوا أسلحتهم ،

وأن يخفوا السبب الذى دعاهم إلى تغيير خططهم ؛ وقال إنه فى نفس الوقت — بينما تكون ديدو البالغة الطيبة فى غفلتها وبينما هى لا تتوقع أن تنفصم عُرَى مثل هذا الحب العظيم يوماً ما — سيحاول الاقتراب منها وأن ينتهز اللحظة المناسبة للحديث إليها . ويبحث عن أفضل الطرق لتنفيذ خطته . وعلى الفور ، أطاع الجميع أوامره ، فى ابتهاج ، وشرعوا فى تنفيذ تعليماته .

لكن الملكة — ومَنْ يستطيع أن يخدع المحب !! — أحست سلفاً بهذه الخديعة ، وكانت أول مَنْ لاحظت التحركات التالية ، وأحست بالخوف ، بالرغم من أن كل الأمور كانت تبدو آمنة . وحين كان يسيطر عليها الغضب ، حملت إليها الربة فاما الشريرة ذاتها أنباء تفيد بأن الأسطول قد جُهِّز وأعِدّ للإبحار ؛ فانتابها الغضب ، وسيطر عليها الجنون ، وأخذت تهيم على وجهها فى أنحاء المدينة بأسرها — كمخبولة من تابعات باكخوس ، انتابتها رعشة أثناء الاهتزاز العنيف للرموز المقدسة (٣٧) ، واستهوتها احتفالات الأسرار التى كانت تقام كل ثلاث سنوات (٣٨) ، عند سماعها لاسم باكخوس ، وعندما يدعوها جبل كيثايرون بصياحه فى جوف الليل — وفى نهاية الأمر خاطبت آينياس بهذه الكلمات :

« هل داعبك الأمل ، إذن ، أيها الجحُود ، فى أن تتمكن من خداعى — وياله من جُرْم فاحش — وأن تتسلّل ، خلسة ، من أرضى ؟ ألمْ يدفعك إلى الإحجام عن ذلك حُبّنا ، أو العهد الذى قطعته على نفسك ذات مرة ، أو ديدو التى صممت على أن تموت ميتة قاسية ؟ كلا ! فها أنت تعدّ أسطولك حتى فى فصل الشتاء ، وتسرع إلى الإنطلاق فى عرض البحر وسط الرياح الشمالية . فيالك من قاسٍ ! ماذا ؟ هَبْ أنك لم تكن تقصد أرضاً غريبة ومقراً غير معلوم ، وأن طروادة القديمة كانت لا تزال قائمة . أفهَلْ كنت تسعى بأسطولك إلى طروادة فى مثل هذا البحر العاصف؟ أتفر منى إذن ؟ إننى أستحلفك بهذه الدموع ، وبيدك اليمنى تلك — حيث أننى لم أترك الآن شيئاً آخر لنفسى ، أنا التعسة — وبزواجنا وبأناشيد الزواج التى بدأناها ، إن كنتُ

أستحق منك أى خير ، أو إن كانت فىّ مُتْعَةٌ لك — أن تشفق على منزل ينهار ، وأن تتخلى عن قرارك هذا — إن كان هناك حتى الآن مكان للتوسلات عندك . فمن أجلك جلَبْتُ على نفسى كراهية الأمم الليبية ، وأمراء النوميديين ، وأهل صور المعادين ؛ من أجلك أيضاً ضحّيت بحياتى ، وبسمعتى السابقة التى بها وحدها ، حلّقتُ فى عالم النجوم . فلمَنْ تهجرنى ، يا ضيفى (٣٩) ، وأنا مقبلة على الموت ؟ إن ما بقى لى من الزواج هو اسمه فحسب . فماذا أنتظر ؟ أأنتظر حتى يدمّر أخى بيجماليون مدينتى هذه ؟ أو حتى يوقعنى يارباس الجايتولى فى الأسر ؟ او أننى فقط حَظيتُ منك بطفلٍ قبل هجرك لى ، أو كان آينياس صغيرٌ قد تواثب فى فناء قصرى ، ومنحنى ، رغم كل ذلك صورتك فى ملامحه ، إذن لما غدوتُ حقاً مخدوعة ومهجورة على الإطلاق . »

هكذا كان قولها . أماهو ، فأبقى عينيه ثابتتين حسب تحذيرات جوبيتر وبنضال شديد قاوم الحب فى قلبه ، ثم أجاب باقتضاب فى آخر الأمر :

« إننى لن أنكر إطلاقاً أنكِ أيتها الملكة — وقد أسديت إلىّ خدمات جليلة — بمكنك — مما تقولين — أن تلقى على عاتقى التزامات عديدة ؛ ولن أجد غضاضة فى أن أذكُر إليسّا (٤٠) مادمت أذكر نفسى ومادمت أملك روحاً تحكم أطرافى هذه . غير أنى سأتحدث بإيجاز حسب ما يقتضى المقام : لا تعتقدى أن الأمل قد راودنى فى إخفاء هربى هذا وإبقائه طىّ الكتمان ، ولم أستخدم أبداً مشاعل الزواج كستار لأغراضى . لا ، ولم أقحم نفسى فى مثل هذه الشئون المتعلقة بالزواج . إذا لو أن ربات القدر كنّ قد تركننى وشأنى حراً فى تصريف مجرى حياتى ، وفى أن أبُتّ ، بمحض إرادتى ، فى عواطفى ، لكان اهتمامى منصباً فى المقام الأول على مدينة طروادة وآثار وطنى العزيزة ، ولكان قصر برياموس الشامخ ما زال قائماً ، ولكنت قد شيدت بيدى هذه من جديد قلعة طروادة للمهزومين . أما وقد أمرنى الآن أپوللون الجرينى (٤١) بأن أسعى إلى إيطاليا المجيدة ، وبالسعى إلى إيطاليا

أيضاً أمرتنى النبوآت الليكية (٤٢) : فإن هذا هو موضع حبى ، وهذا هو وطنى . فإن كانت قلاع قرطاجة ومنظر المدينة الليبية يستهويانك ، لأنك فينيقية الأصل ، فهل تغبطين استقرارنا نحن ، التيوكريين ، فى الأرض الأوسونية ؟ لقد قُدر علينا أن نبحث عن ممالك أجنبية . وكُلّما لَفّ الليل الأرض بظلاله الرطبة ، وكُلّما ارتفعت النجوم المتلألئة ، يحذرنى فى أحلامى طيف والدى أنخيسس المضطرب ، ويلقى الذعر فى قلبى ؛ وكذلك يستصرخنى إبنى أسكانيوس ، لأن الظلم قد حاق بشخصه العزيز : إذ أضعت عليه مُلْك هيسبريا والأرض الموعودة . والآن ها هو رسول الآلهة أيضاً — مُرْسل من قِبَل چوبيتر نفسه ، وكلاهما شاهد على ما أقول — قد حمل إلىّ الأوامر السامية ، سابحاً عبر الفضاء . ولقد أبصرت بعينىّ رأسى الإله فى تألقه الفريد يدخل قصرك ، وبأذنىّ هاتين سمعت صوته . فكفاك تعذيباً لى ولنفسك بشكواك ، فإنى متوجه إلى إيطاليا رغم أنفى . »

فى الوقت الذى كان يتفوه فيه بمثل هذه العبارات ، كانت تتفحصه منذ البداية بنظرات متبلّدة . تدور عيناها هنا وهناك ، وتجوس خلال شخصه كله بنظرات صامتة ، وبعدما استشاطت غضباً ، انفجرت قائلة :

« أيها الخائن ! لا ، لم تنجبك ربة ، ولا كان دردانوس جَدّاً لبنى جنسك ، بل كاوكاسوس (٤٣) الرهيب هو الذى أنجبك فوق صخور وعرة ، ثم ألقمتك نمور هيركانية (٤٤) أثداءها . لماذا أخفى حقيقة مشاعرى؟ أو لماذا أحتجز نفسى لإساءات أشد وطأة ؟ أفهل تأوّه من أجل بكائى ؟ أفهل تحرّكتْ عيناه ؟ أفهل ذرف الدموع مقهوراً من أجلى ؟ أو أشفق علىّ لأنى أحبه ؟ تُرى بماذا أبدأ أولا ؟ فالآن لا چونو البالغة السمو ولا الأب ابن ساتورنوس . يُقرّان هذه الأفعال . إذ لا وجود على الإطلاق للثقة الوطيدة . لقد وجدته ملقى على الشاطىء وهو محتاج بائس ، وكم كنت مخبولة حين جعلت منه شريكاً لى فى الحكم . لقد أعدت بناء أسطوله المحطّم ، وأنقذت رفقاءه من الموت . آه ، إنى أكتوى بالنار ، ويكاد الجنون يذهب بى !

«فتارة أبوللون المُتنبّيء بالغيب، وتارة النبوءات الليكية، وتارة أخرى رسول الآلهة المرسل من قبل جوبتر نفسه، يحمل الأوامر المخيفة عبر الفضاء (٤٥) ...» حقاً ! فهذا هو شغل الآلهة الشاغل ، وذلك الحب يُقضّ مضاجعهم ! إننى لا أمنعك ، ولا أعترض على ما قلت ، فاذهب واقصد إيطاليا مع الرياح ، واسْعَ إلى مملكتك عبر الأمواج : غير أنىّ آمل – إن كان ذلك فى مقدور الآلهة العادلين – أن تلقى جزاءك بين الصخور ، وأن تنادى باسم ديدو مراراً . بالرغم من غيابى ، سوف أتعقّبك فى صورة نيران فاحمة السواد ؛ فعندما ينتزع الموت البارد روحى من أطرافى ، سينطلق شبحى إلى كل مكان . ولسوف تلقى ، أيها التعس ، جزاء ما جنت يداك ، ولسوف أسمع بذلك ، لأن مثل هذه الأنباء ستصل إلىّ فى العالم السفلى . »

بهذه الكلمات قطعت حديثها فى منتصفه ، وتحاشت نسمات الهواء ، لشعورها بالإعياء ، ثم اندفعت مختفية عن الأبصار ، تاركة إياه فى حيرة بالغة وقلق عظيم ، فى الوقت الذى كان يستعد فيه ليقول لها أشياء كثيرة . أما الخادمات فقد ساعدن الملكة على حفظ توازنها ؛ وعندما فقدت وعيها حملنها من أطرافها إلى حجرة نومها الرخامية ، ووضعنها برفق على فراشها . وبالرغم من أن آينياس الورع كان يرغب فى تخفيف ألمها ومواساتها ، وأن يزيل همومها بكلماته ، وبالرغم من أنه تأوه كثيراً ، واهتزت مشاعره من فرط الحب العنيف ، إلا أنه استجاب لأوامر الآلهة ، وتوجه لزيارة أسطوله من جديد . عند ذلك أقبل التيوكريون على العمل ، وأرسوا السفن المرتفعة على طول الشاطيء ، وطفت على سطح الماء السفن المطلية بالقار . كانوا متلهفين على الرحيل ، فأعدوا من الغابات مجاديف لم تُنزع عنها أوراق الشجر بعد، وأحضروا كتلاً من الأخشاب لم تتناولها يدٌ بالتشذيب . فتراهم وهم يتنقلون ويتزاحمون خارج المدينة كلها كمثل النمل – وهو يستعد لقدوم فصل الشتاء – عندما يسرق كمية كبيرة من الحبوب ثم يكومها فى مساكنه ، ويسير فى هيئة شريط أسود عبر السهول ، يحمل غنيمته خلال

المروج على ممر ضيق ؛ البعض يدفع حبوب القمح الكبيرة بأكتافه ، باذلاً أقصى جهده ، والبعض الآخر يرتب الصفوف ، ويوبخ المتكاسلين ، بينما يكون الممر كله يموج بالنشاط .

أيْ ديدو ! ترى ماذا كان إحساسك حينئذ ، وأنتِ تشاهدين مثل هذه الأحداث ؟ وأى أنين كنت تصورينه بينما ترقبين ، من برجك الشامخ ، الشاطىء الممتد وهو يموج بالحركة ، وبينما تنظرين إلى البحر بأسره وهو يضطرب أمام عينيك وهو يبعث ضوضاء صاخبة ؟ أيها الحب الذى لا يلين ، كم تسيطر على القلوب الغافية ، ؟ لقد اضطرت أن تلجأ من جديد إلى الدموع ، أن تستميله من جديد بتوسلاتها ، وأن تُخْضِع مشاعرها فى تضرع للحب ، وذلك حتى لا تترك وسيلة واحدة دون تجربة فتُزْهق روحها سدى :

« أيْ أنّا ، ها أنتِ تشاهدين كيف يسرعون على طول الشاطىء ، ويتجمعون حوله من كل ناحية ، وكيف يدعو الشراع الآن الريح ، والبحارة يتوّجُون سفنهم ، فى ابتهاج ، بأكاليل الزهور . لقد علمت بهذه الصدمة قبل وقوعها ، يا أختاه ، لذلك فسوف يكون فى وسعى أن أتحملها . لكن حقق من أجلى — أنا التعسة — ، بالرغم من ذلك ، رغبة واحدة يا أنّا . لأن ذلك الغادر قد جعلك وحدك محل تقديره ، وكذلك أفضى إليك بما خفى من مشاعره وأنت وحدك تعرفين أنسب الأوقات وأفضل الطرق إلى قلبه . اذهبى يا أختاه ، وخاطبى العدو المتعجرف فى ضراعة : فلست أنا مَنْ تآمرت مع الإغريق فى أوليس (٤٦) . لكى نستأصل شأفة الجنس الطروادى ، ولست أنا مَنْ أرسلت الأساطيل إلى قلعة طروادة ، كما أننى لم أنتهك رفات أبيه أنخيسيس ، فلماذا يمنع كلماتى من التسلل إلى أذنيه الجامدتين ؟ ولماذا يسارع بالهرب ؟ فَلْيَصْنَعْ هذا الجميل الأخير فى عاشقته التعسة ، وَلْيَتَرَيَّثْ فى هربه حتى يصفو الجو وحتى تهدأ الريح ، فلن أثير بعد الآن مسألة الزواج القديمة وعهده الذى نكثه . وليس عليه أن يحرم نفسه من لاتيوم الجميلة أو يتخلى عن مملكته ... إن غاية ما ألتمس منه فترة الفراغ ووقتا أهجع فيه

للراحة من تلك العاطفة المهلكة ، حتى يلقنني تدري كيف أستسلم للأحزان عندما أغلب على أمرى . فاشفقى على أختك ، إذ أنى ألتمس منك هذا الجميل الأخير الذى ، إن حققته لى ، سوف أرده إليك مضاعفاً بعد موتى . »

بمثل هذه الكلمات كانت ديدو تتوسل ؛ وفى تأثرّ بالغ حملت أختها هذه الرسالة الباكية إلى آينياس مرة بعد مرة . غير أنه لم يتأثر ببكاء أو نحيب . لا ، ولم يصغ فى استسلام لأى من هذه الكلمات ؛ فربات القدر كن يقفن فى طريقه ، وكان الإله قد أصمّ أذنيه عن التوسلات — فكما أن عواصف الألب الشمالية بأعاصيرها ، تارة على هذا الجانب وتارة على ذاك ، تتبارى فيما بينها كى تقتلع شجرة بلوط قوية ذات جذع مُعَمّر ، فتَسْمَع جلبة وتتناثر أوراق الشجرة من علٍ على الأرض ، ويهتز الجذع بعنف بالرغم من أن الشجرة ذاتها تظل مثبتة فى الصخور ، وبقدر ما تعلو هامتها إلى ذرى الفضاء تهبط بجذورها إلى أعماق تارتاروس — كذلك كان البطل ، يلقى هجوماً من جميع الجهات بواسطة كلمات منهمرة دون توقف ، ويشعر بالآلام فى قلبه العظيم ، إلا أن عقله ظل راسخاً بينما كانت دموعها تنهمر سدى .

عندئذ تاقت نفس ديدو التعسة إلى الموت أكثر من ذى قبل بعد أن روّعت من سطوة الأقدار ، وبعد أن سئمت النظر إلى قبة السماء ، ومما جعلها تسارع فى تنفيذ ما عقدت عليه عزمها ومفارقة الحياة أنها شاهدت — بينما كانت تقوم بوضع القرابين على المذابح التى يتصاعد منها البخور — منظراً مريعاً روايته : لقد رأت السوائل المقدسة قد تحول لونها إلى السواد ، وأن الخمر المسكوبة قد تحولت إلى دم كريه . لم تقص هذه الرؤيا على أحد ، حتى على أختها نفسها . وفضلاً عن ذلك فقد كان فى قصرها خُلْوة من الرخام ، خاصة بزوجها الراحل ، تُجلّها إجلالاً يفوق الوصف ، فكانت تتوّجها بجزة بيضاء كالثلج وبأكاليل من الورد الناضرة : من هذه الخلْوة كانت كلمات زوجها الراحل وصوته ، وهو يناديها ، تبدو مسموعة بجلاء حينما يطوى الليل القاتم الأرض ، وحينما تنوح البومة ، منفردة فوق الأماكن

المرتفعة ، بنشيدها الجنائزى ، وتطلق صيحاتها الطويلة الباكية . بل وأكثر من ذلك ، كانت نبوءات كثيرة للعرافين المتدينين تروعها بنذرها المفزعة . أما آينياس المتحجر القلب فكان يزعجها وهى تهذى فى أحلامها ، فهى دائماً تبدو لنفسها وكأنها تُركت للعزلة ، وكأنها دائماً ذاهبة إلى رحلة مضنية دون رفيق ، وكأنها تبحث عن الصوريين فى أرض قاحلة — مثلها فى ذلك مثل پنثيوس (٤٧) المخبول ، الذى رأى رهطاً من ربات الانتقام ، ورأى الشمس مزدوجة ، وظهرت أمامه مدينة وكأنها امدينتان ؛ أو مثل أورستيس (٤٨) بن أجاممنون . المُطارد على المسرح (٤٩) ، عندما فرّ من أمه المسلّحة بالمشاعل وبالحيّات السوداء وربات العذاب المنتقمة رابضات عند الباب .

لذلك ، عندما غلبها الحزن ، واستبد بها الغضب ، عزمت على الموت وأخذت تدبر بنفسها الوقت والطريقة الملائمة . وتوجهت بالحديث إلى أختها الحزينة ، وهى تخفى عزمها بنظراتها ، وتظهر الأمل الهادىء على جبينها :

« زفى التهانى إلى أختك ، يا أختاه ! فلقد اكتشفت الطريق الذى سوف يرده لى ، أو يحررنى كمحبة من ربقته . بالقرب من نهاية المحيط والشمس الغاربة توجد بلاد الأثيوبيين النائية ، حيث أطلس العظيم الذى يحمل على كتفه السماء المرصعة بالنجوم المتلألئة : هنالك ظهرت لى كاهنة من الجنس الماسيلى . كانت حارسة لمعبد الهسپريديات (٥٠) تمدّ التنين بطعامه ، وتقوم على حراسة أغصان الشجرة المقدسة ، تلك الشجرة التى تنضح بالعسل المندىّ والخشخاش الذى يبعث على النوم . لقد أخذت على عاتقها أن تخلّص بعض النفوس بتعاويذها من سطوة الحب ، وأن تسلّط على نفوس أخرى الهموم القاسية ، وأن توقف المياه فى الأنهار ، وأن تعكس حركة النجوم ، وأن تستدعى أشباح الموتى فى جوف الليل . اسوف تشهدين الأرض وهى تزأر تحت قدميها ، وأشجار الدردار وهى تهبط من الجبال . أىْ أختى العزيزة ، إننى أشهد الآلهة ، وأشهدك ، وأشهد شخصك العزيز ، أننى قد لجأت إلى فنون السحر بالرغم عن إرادتى . فهل لك أن تقيمى — سراً — فى الفناء الداخلى

نصباً جنائزياً عالياً ، وأن تضعي فوقه أسلحة ذلك الرجل ، التي تركها ، في بجحود معلّقة في حجرتي ،وكذلك كل مخلفاته وسرير الزوجية ، حيث حلّ بي الدمار . فلقد مدّت لي الكاهنة يد المعونة ، وأرشدتني إلى أن أمحو كل أثر لذلك الرجل المقيت . »

صَمَتَتْ ديدو بعد هذا القول . وفي الوقت نفسه غطى الشحوب كل وجهها . غير أن أختها لم تكن لتتصور أن أختها تخفي رغبتها في الموت بهذه الطقوس الغريبة ، ولم تدرك أنها تدفن مثل هذا الغضب الجامح في صدرها ، ولم تخْشَ شيئاً أسوأ مما حدث عندما مات سخايوس . لذلك استعدتْ لتنفيذ ما طُلب منها .

غير أن الملكة ، بعد أن أقيم النصب العالي في داخل القصر ، غطت المكان بمشاعل الزواج ، وبكتل البلوط الضخمة ، وبأكاليل الورود ، وتوّجته بالأغصان الجنائزية . وعلى السرير وضعت ملابس آينياس والسيف الذي تركه وصورته ، مدركة تماماً لما سيحدث في المستقبل . كانت الكاهنة والمذابح قائمة حولها وجدائل شعرها مهوشة — تستصرخ ثلاثمائة إله (٥١) ، وتستصرخ أيضاً إريبوس ، وخاؤوس (٥٢) ، وهيكاتي (٥٣) المثلثة ، والعذراء ديانا (٥٤) ذات الصور الثلاث — ثم نثرت أيضاً مياهاً زُعم أنها من بحيرة أفيرنوس ، وجرى البحث عن أعشاب مملوءة رحيقاً ، إجتُثت في ضوء القمر بمنجل نحاسي مع عصير سمّ أسود ، وكذلك عن تعويذة الحب المنزوعة قبل أوانها من جبهة مُهرٍ حديث الولادة ، مُبْعَدعن أمه (٥٥) . أما الملكة نفسها فكانت تستغيث بالآلهة وهي مقبلة على الموت — إحدى قدميها عارية من أربطة الصندل ، وفي إزار محلول بالقرب من المذبح ، وبالقربان المُملّح ، وبيدين ورعتين ، وكانت تبتهل أيضاً إلى النجوم وهو موقنة من نهايتها ، ثم إنها كانت تتوسل إلى الإله العادل الذي يرعى بعين العدالة المحبّين الذين هجرهم أحباؤهم ، إن كان لمثل ذلك الإله وجود .

كان الوقت ليلاً والأجساد المُنْهَكة تستمتع بقسط من الراحة الهادئة على الأرض ، وكانت الغابات والبحار الثائرة قد سكنت ، فى الوقت الذى كانت فيه النجوم تسبح فى أفلاكها والحقول كلها صامتة . كانت الحيوانات والطيور ذات الألوان الزاهية – سواء تلك التى تتردد دوماً على البحيرات الجارية ، أو تلك التى تتردد على الحقول ذات الأشواك الخشنة – تخفف متاعبها بالنوم ، مستلقية تحت ستار الليل الساكن ، وقد نسيت قلوبها المتاعب. غير أن الفينيقية (٥٦) التعسة الفؤاد لم تكن كذلك ، فهى لم تجنح إلى النوم أبداً ، ولم ترحّب بالليل لا بعيونها ولا بقلبها . لقد تضاعفت همومها ، وثار الحب الذى انبعث من جديد ، وماج بفيض غزير من الانفعالات . وعند هذا الحد بدأت تُحدِّث نفسها وتقلّب مثل هذه التأملات فى قلبها :

« أواه ، ماذا أفعل ؟ أأحاول الرجوع إلى من سبق أن طلبوا منى الزواج ، وأنا مُحْتَقَرة منهم ؟ هل أبحث ضارعة عن زواجٍ من أحد النوميديين ، الذين كثيراً ما ازدريْتُ أن يكونوا لى أزواجاً ؟ أم أتبع أسطول إليوم ، وأخضع لأوامر التيوكريين البالغة الدناءة ؟ ولماذا !!! لأننى حقاً قد نقيت جزاء معونتى ، التى منحتها للتخفيف عنهم ، وحفظوا لى جيداً فى ذاكرتهم هذا الجميل القديم (٥٧) ؟ ! لكن هبْ أننى أرغب فى هذا ، فمن ذا الذى سيفسح لى صدره ، أو يقبلنى فى سفنهم المتغطرسة ، وأنا مكروهة منهم ؟ آه أيتها الضائعة ! هل أنت غافلة ، فلم تعودى تحسين ، وا أسفاه لغدر الجنس اللاؤوميدونى (٥٨) ؟ ... ماذا إذن ؟ هل أرافق البحارة المنتصرين هاربة بمفردى ؟ أم أسير معهم مصحوبة بالصوريين وبكل شرذمة شعبى ، وآمر أولئك الذين انتزعتهم بمشقة من مدينة صيدا بأن ينشروا أشرعتهم مع الريح ثم أشق طريقى فى البحر من جديد ؟ ... كلاَّ ! بل ستقضين نحبك ، كما تستحقين ، وستَنْهين الأمك بالسيف . وأنت يا أختاه ! لقد كنتِ أول من أثقلنى فى ثورتى بهذه الهموم ، لأنكِ لم تتحملى أن أذرف الدموع ، وألقيت بى فى مواجهة عدوى . أفلَمْ يكن من الأفضل أن أقضى حياتى منفردة ،

دون متاعب الزواج ، مثل حيوان الغاب ، من أن أواجه كل هذه المتاعب ! وأن أنقُض العهد الذى قطعته على نفسى لرفات سيخايوس !!! »

كانت هذه هى الأنات الشاكية التى تنطلق من صدرها . أمام آينياس فكان يستمتع بالنوم فى سفينته العالية ، عاقداً العزم على الرحيل فى الحال . وكانت الأمور فى ذلك الوقت قد أعدت كما ينبغى . فقد طالعته صورة الإله فى نومه،وظهرت محذرة إياه بنفس الطريقة . وكان ذلك الإله يشبه ميركوريوس فى كل شىء : فى صوته ، فى ملامحه ، فى خصلاته الذهبية ، وفى أطرافه التى تليق بشاب يانع .

« يا ابن الإلهة ، أيمكنك أن تستسلم للنوم فى مثل هذه الظروف ؟ أفهل سُلب لُبّك فلم تَعُدْ ترى أى أخطار قد تُحدق بك فى التو واللحظة ، ولم تعد تصغى إلى هبوب نسمات زفيروس المواتية ؟ إذ أنها (٥٩) ، وقد عقدت العزم على الموت ، تدبر المكائد والخطط المخيفة فى صدرها ، وتثير سيلاً عارماً من سخطها . ألنْ تفرّ من هذا المكان بسرعة ، بينما الفرار الآن فى مقدورك ؟ إذ سرعان ما ترى البحر وهو يموج بسفنها ، والمشاعل المتأججة وهى تتوهج ، والشاطىء وقد أضاء بألسنة اللهب — لو أدركك الفجر وأنت مازلت فى تلكؤك على هذه الأرض . هَلُمّ إذن ، ودَعْكَ من هذا التلكّؤ ، فالمرأة قُلّب ومتغيرة على الدوام . »

قال هذا ، ثم امتزج بظلمة الليل البهيم .

عندئذ أحس آينياس بفزع شديد بسبب هذه الرؤيا المفاجئة وانتزع جسده من الفراش ، ثم أيقظ رفاقه من النوم بقوله :

« هُبّوا من نومكم ،أيها الرجال ، وأسرعوا بأخذ أماكنكم على صفوف المجاديف . انشروا القلاع فى الحال . فإن إلهاً مُرْسلاً من ذرى السماء يُحثّنى مرة أخرى على أن ألوذ بالفرار ، وأن أقطع الحبال المجدولة . إنّا تابعوك ، أى رسول الآلهة المقدس مهما كان من أمرك ، راضخون —

فى سرور – لمشيئتك التى أبديتها مرة ثانية . فكُنْ معنا وَلْتَمْنَحْنَا معونتك وتوفيقك ، ولتهيِّىء لنا نجوماً مرشدة فى السماء (٦٠) . »

هكذا تحدث ، ثم استَلّ حسامه اللامع من غمده ، وهو ينصله الحاد على حبال المرسى . وفى الوقت نفسه غمرهم جميعاً إحساسٌ واحد بالحماس ، فتدافعوا ، وَهَرَعُوا ، ثم غادروا الشاطىء . واختفت صفحة الماء تحت سفن أسطولهم ، إذ انطلقت تشق زبد البحر وتطوى صفحته الزرقاء . والآن وقد غادرت أوْرورا سرير تيثونوس (٦١) الزعفرانى ، أخذت فى بادىء الأمر تبذر الأرض بأشعة جديدة من ضيائها . وما أن شاهدت الملكة ، من برج الحراسة ، ضوء النهار يتحول إلى اللون الأبيض ، والأسطول يتقدم بأشرعة مصفوفة متوازية ، وما أن أدركت أن الشواطىء والمرافىء شاغرة دون مُجَدِّف ، حتى ضربت صدرها الجميل ثلاثاً وأربعاً ، ومزّقت خصلات شعرها الذهبية ، وقالت :

« آه يا چوبيتر ! ! هل هو راحل ؟ وهل يسخر مثل هذا الغريب من مملكتى ؟ أفلَنْ يجهّزوا السلاح ، ويتعقّبوه من كل صوب فى المدينة ؟ أو لن تسرع طائفة أخرى فى جذب سفائنى من المرفأ ؟ هَلمّوا إلىّ ... أحضروا المشاعل بسرعة ! أنشروا القلاع ! حرّكوا المجاديف ... ما هذا الذى أتفوّه به ؟ أو أين أكون ؟ وأى جنون قد حل بعقلى ؟ ... ديدو أيتها التعسة ، هل جرّحت مشاعرَكِ الآن تصرفاتُه الجاحدة ؟ كان يجدر بك أن تتوقعى ذلك ، حين مَنَحْتِه الصولجان . ياله من عهد ، ويالها من ثقة لرجل يروون عنه أنه يحمل آلهة وطنه ، وأنه حمل على كتفيه أباه الذى طحنته السنون (٦٢) ! ! ! أو لم يكن فى مقدورى أن أمزق جسده إرباً ، وأن أشوّهه ، وأنثره بين الأمواج ؟ أو لم أكن أستطيع أن أردى رفقاءه بالسيف – حتى أسكانيوس نفسه ، وأن أقدمه على مائدة لوالده فى مأدبة حافلة (٦٣) ؟ غير أنه كان من العسير التكهن بمصير الحرب ، فلو كان الأمر كذلك – ومن ذا الذى أرهبه وأنا مقبلة على الموت ؟ – لرميت معسكره بالمشاعل ، وملأت

سطلخ سفائنه باللهب ، ولأهلكت الابن والأب مع عشيرتهما ، ثم طرحت بنفسي فوق كل ذلك . أيتها الشمس ! يا من تُهَوِّنين بأشعتك الملتهبة كل عمل على الأرض ، وأنت يا چونو يا مُسببة هذه الهموم والشاهدة عليها ، أى هيكاتى يا من يهتف الناس باسمك ليلاً عند مفترق الطرق ، وأنتن ياربات العذاب المنتقمة ، ويا آلهة إليسا (٦٤) الصائرة إلى الموت : تقبّلوا منى هذه الدعوات ، ووجّهوا عنايتكم الإلهية الواجبة إلى ما اقترفته من آثام (٦٥) ، وأصغوا إلى توسلاتى . إذا كان من المحتم أن يصل ذلك الممقوت إلى المرفأ ، وأن يحمله الموج إلى الشاطىء ، وإذا كانت قرارات چوبيتر تنص على هذا ، وإذا كان هذا هو هدفه الراسخ ، فليُكْتَب عليه أن يستجدى المعونة ، مثقلاً بالحرب وبأسلحة شعب جسور ، منفياً من وطنه محروماً من عناق ابنه يولوس ، وأن يشهد بعينيه مصرع رجاله، غير مأسوف عليهم ، وأن لا يستمتع بمملكته أو برغبته فى الحياة — بعد أن يستسلم تحت ضغط شروط مجحفة للصلح — بل أن يسقط صريعاً قبل الأوان، ويظل غير مقبور وسط الصحارى.. هذا ما أدعو به عليه . هذه هى كلماتى الأخيرة ، أنزف معها دمى . وأنتم يا أهل صور ، تعقّبوا حينئذ بالعداوة نسله وكل ذريته المقبلة ، ثم قدّموا كل هذا قرباناً إلى رفاتى ... لتنعدم المحبة والوفاق بين شعبينا ، ولينهض من عظامى منتقم يطارد الدردانيين المستوطنين بالشعلة والسيف ، الآن أو فيما بعد ، فى الوقت الذى يتزود فيه بأسباب القوة . إننى أتوسل إلى الآلهة أن تظل شواطئهم معادية لشواطئنا ، ومياههم معادية لمياهنا ، وأسلحتهم معادية لأسلحتنا ، وأن يظلوا هم وأحفادهم فى شقاق (٦٦) مستمر معنا . »

قالت ديدو هذا ، ثم أخذت تقلّب فكرها على كل وجه ، راغبة فى أن تُنهى حياتها البغيضة بأسرع ما يمكن . بعد ذلك توجهت بحديث مقتضب إلى باركى مربية سيخانيوس — إذ أن القبر المظلم قد احتوى مربيتها فى وطنها القديم :

« أيتها المربية العزيزة ، استدع لى هنا أختى أنّا ، واخبريها أن تُسرع كى تضمخ جسدها بالمياه الجارية ، وأن تحضر معها الأضاحى وقرابين التكفير التى أشرت بها عليها . هكذا ، دعيها تأتى ، وعليك أنت نفسك أن تغطى صدغيك بشريط مقدس . فلقد صممت أن أنهى الشعائر المقدسة التى أعددتها لجوبيتر ستوجيوس (٦٧) ، والتى بدأتُ فى حينها ، وأن أضع حداً لهمومى بأن أعهد بنُصبِ الشخص الدردانى (٦٨) لألسنة النيران . »

بعد هذا الحديث ، حثّت المربية خطاها بحماس مَنْ أثقلته السنون . أما ديدو فبعد أن ارتجفت وأصاب الجنون عزمها المخيف ، اضطربت مقلتاها الداميتان ، تخضّبتْ ببُقَعٍ وجنتاها المختلجتان ، وانتابها شحوب الموت المقبل . بعد ذلك اندفعت إلى بوابة القصر الداخلية ، تسلّقت النصب العالى فى جنون ، جرّدت السيف الدردانى من غمْده ، وهو هدية لم تُنْشَد لمثل هذا الغرض . عندئذ ، ما أن شاهدت الملابس الطروادية والسرير المألوف لديها ، حتى انهمرت دموعها لوَهْلة قصيرة توقّف بعدها تفكيرها ، ثم ألقت بنفسها على السرير ونطقت بآخر كلماتها :

« أيتها التذكارات ، .. يا مَنْ كنت ذات مرة عزيزة علىّ ما دامت الأقدار والآلهة قد شاءت ، فلتستقبلوا روحى هذه ، وتخلّصونى من هذه الهموم . لقد عشْت واستنْفذت ذلك القَدر من عمرى الذى منحه لى القَدر ؛ ولسوف يهبط الآن شبحى عظيماً إلى العالم السفلى . فلقد شيّدت مدينة مجيدة ، لقد شاهدت أسوارها ترتفع ، لقد اقتصصت لزوجى ، ولقد عاقبت أخى المعادى بما يستحقه من جزاء : كنت سأظل سعيدة ... واحسرتاه ... بل فى أوج سعادتى ! فقط لو أن السفن الدردانية لم تقترب من شواطئنا على الإطلاق ! ؟ »

قالت هذا ثم أخفت وجهها فى الفراش :

هل سأقضى نحبي دون قصاص ؟ لكن فَلأَمُتْ ... هكذا ... ، هكذا (٦٩) يروق لى أن أهبط إلى عالم الظلال – ولْيَمْلأْ الدردانى المتحجر القلب عينيه من هذه النار ، ولْيَحْمِلْ معه نُذُرَ موتى . »

كان هذا ما قالته ؛ وفى أثناء حديثها شاهدتها الوصيفات ملقاة على نصْل السيف ، وشاهدن الحسام يُزبد بدماء متجلطة ، ويديها ملطختين بالدماء . وجَلْجَلَتْ صرخة فى فناء القصر الشامخ ، واندفعت الربة فاما بجنون خلال المدينة المضطربة . وأخذت جنبات المنازل تُرَدّد النحيب والأنين وولولة النسوة ، وأخذت الصيحات العالية تتردد فى جنبات الفضاء . كأن قرطاجة بأسرها أو صور القديمة قد سقطت فى أيدى عدو غاز . وأخذت ألسنة ثائرة من اللهب تتلظى فوق قمم المعابد والمنازل .

عندما سمعت أختها هذه الأنباء ، فقدت وعيها ، استولى عليها الفزع بسرعة رهيبة ، أخذت تمزّق وجهها بأظافرها ؛ وتضرب صدرها بقبضتها ... ثم اندفعت وسط الحشود المتراصة ، وهتفت باسم اختها المحتضرة :

« أىْ اختاه ، أفكَانَ الأمر على هذه الصورة ؟ أفَهَلْ كُنْتِ تسعين إلى خداعى ؟ أفكان هذا ما يُعدّه لى النُصب الجنائزى هذا أو كان هذا ما تعدّه النار والمذابح لى ؟ ... بماذا أبدأ شكواى ، بعد أن أصبحت وحيدة؟ أفهل أبَيْتِ أن تكون أختك رفيقةً لك فى موتك ؟ لو كنتِ دعوتنى إلى أن ألقى نفس المصير ، لخطَفَ الموت ذاتُه كلانا بنصل السيف ، ولَحَدَثَ ذلك فى لحظة واحدة ... هل أقَمْتُ بيدىَّ هاتين أيضاً هذا النُصب ، وتوسّلت بالدعاء إلى آلهة وطنى ، كى أكون ، أنا القاسية ، بعيدة عنك وأنت ممددة هكذا ؟ أواه ، يا أختاه ! لقد أهلكتِ نفسك وأهلكْتِنى ، وأهلكتِ شعبك ونبلاء صيدا وأهلكتِ مدينتك.. دعونى أغسل جرحها بالماء ، وألتقط بشفتىَّ ما عساه أن يكون قد ظل متردداً من أنفاسها الأخيرة . »

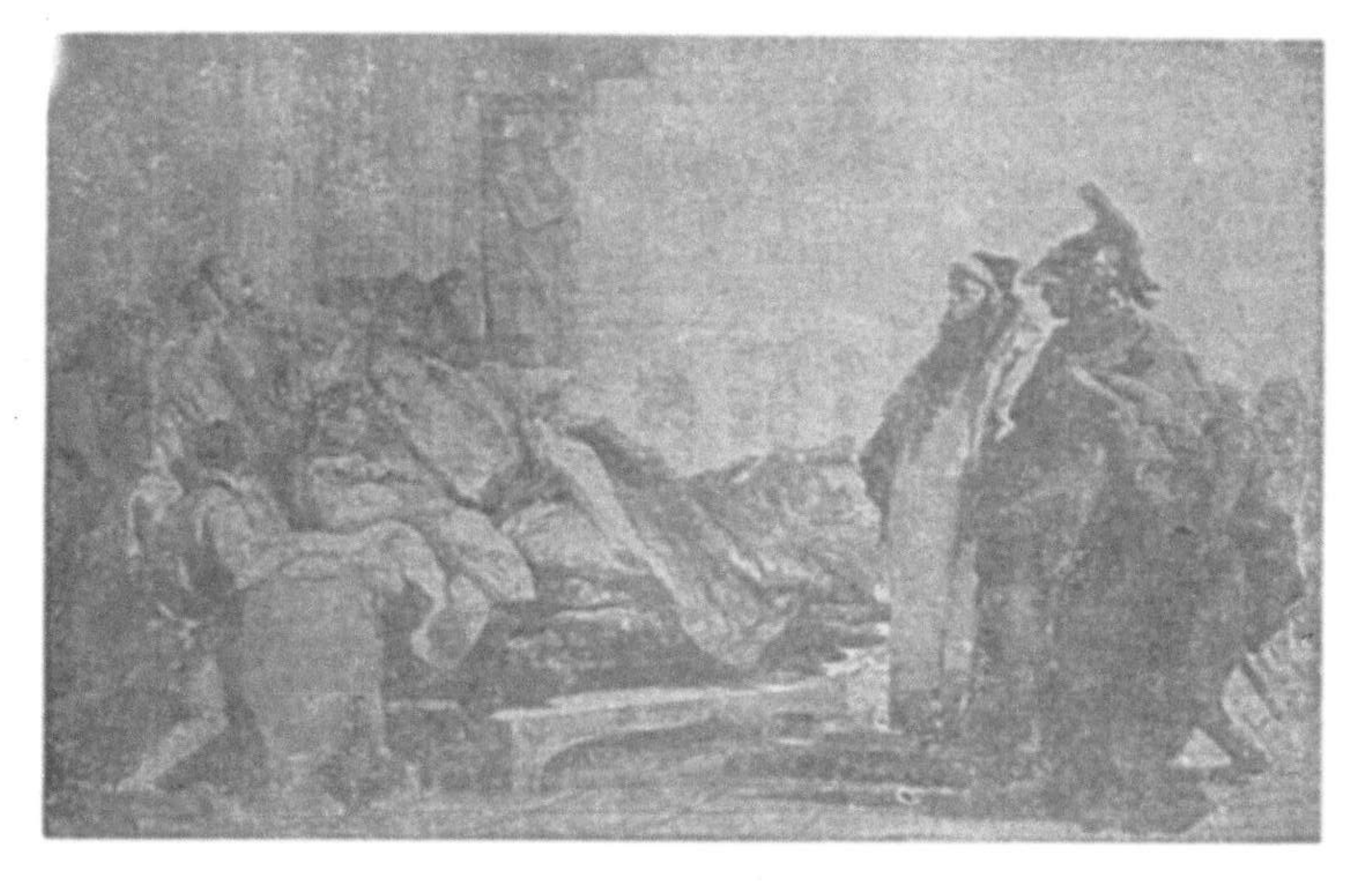
قالت هذا ، ثم اعتلت الدرجات المرتفعة ، وأسندت إلى صدرها أختها

الخنصرة ، وأخذت تشد مئزرها وهى تأوّه ، وتجفف دمها القاتم بطرف ردائها . أما ديدو ، فحاولت أن ترفع أهدابها الثقيلة ، لكنها عجزت من جديد. كان الجرح الغائر فى صدرها يصدر صوتاً ككركرة القاقيع . وبذلت جهداً شاقاً فى النهوض معتمدة ثلاثاً على مرفقها ، وثلاثاً تدحرجت على سريرها : وبعينينْ مترنحتين بتحثّتْ عن الضّياء فى السماء العالية ، وعندما عثرت عليه تأوّهت .

عندئذ أرسلت جونو القديرة — مشفقة عليها من سكرة الموت الطويلة ، وآلام الاحتضار الرهيبة — إريس (٧٠) ، من ذرى الأولمبوس ، لتخلّص روحها المعذبة من أطرافها المرتبطة بها : ذلك أنه لم يوافها الأجل المحتوم ، ولم تهلك بموت واجب حدوثه ؛ لكن التعسة قضتْ قبل الأوان ، واستولى عليها الجنون بغتةً ... ولم تكن پروسرپينا (٧١) قد قصّت بعدُ الجدائل الشقراء من رأسها ، كذلك لم تكن قد عهدت بشخصها إلى أوركوس ستوجيوس . وعلى ذلك حلّقت إريس ، المغطاة بالندى ، طائرةً إلى أسفل عبر السماء ، بأجنحة زعفرانية اللون ، وقد اكتسبت ألفاً من الألوان المتباينة من الشمس المواجهة لها ، وحطّت رحالها عند رأس ديدو :

« إنى أحمل هذه (الخصلة من الشعر) المقدسة لدى ديس (٧٢) ، تلبية لأوامر الآلهة ، وأخلّصك من جسدك ذاك . »

قالت هذه ثم قصّت خصلة الشعر بيدها اليمنى . وفى الحال انطفأت جذوة الحياة تماماً فيها ، وصعدت روحها ، وتلاشت فى الفضاء .



ديدو ، ملكة قرطاجة ، على فراش الموت كما تخيلها الرسام ج . ب . تيبولو

حواشي الكتاب الرابع

(١) أنـا Anna ، هي شقيقة الملكة ديدو .

(٢) إريبوس Erebus ، هو إله الظلام ، وشقيق ربة الليل نوكس nox .

(٣) صور Tyrus ، مدينة معروفة منذ القدم ، تقع على شاطىء فينيقيا ، وتبعد عن مدينة صيدا Sidon من الجنوب بحوالى عشرين ميلا .

(٤) يارباس Iarbas ، هو ملك جايتوليا (مراكش الحالية) وخطيب ديدو السابق .

(٥) راجع الحاشية السابقة .

(٦) شعب كان يسكن المنطقة المتاخمة لمملكة الجايتوليين . .

(٧) بالقرب من تونس .

(٨) أوريون Orion ، برج سماوى كان القدماء يعتقدون أن ظهوره يسبب سقوط الأمطار وهبوب العواصف .

(٩) باكخوس Bacchus ، إله الخمر عند الرومان ؛ سمى بالمخلص من الهموم نظراً لأن الخمر تنسى شاربها الهموم .

(١٠) إبنة ساتورنوس هي چونو .

(١١) لمعرفة الحيلة التى دبرتها ڤينوس وابنها كيوبيد لكى تقع ديدو فى حب آينياس راجع الكتاب الأول من الملحمة ص .

(١٢) الإشارة هنا إلى آينياس وصحبه الذين فروا من طروادة قاصدين الوطن الموعود فى إيطاليا .

(١٣) كلمة هيمنايوس Hymenaeus تعنى أنشودة الزفاف نسبة إلى الإله هيمن Hymen إله الزواج عند الرومان ؛ ويشير الشاعر هنا إليه ويشخصه بهذه الأنشودة .

(١٤) الماسيليون Massyli هم أفراد قبيلة كانت تسكن فى شرق نوميديا الواقعة فى شمال أفريقيا .

(١٥) كانت جزيرة ديلوس Delos موطناً للربة ليتو Leto والدة أبوللون .

(١٦) الدروبيس Dryopes ، شعب كان يسكن فى الأصل منطقة إبيروس Epirus ، وهو من عنصر إغريقى عريق .

(١٧) الأجاثيرسى Agathyrsi ، إحدى القبائل التى كانت تسكن فى منطقة سكيثيا Scythia الواقعة شمال شرق البحر الأسود .

(١٨) جبل كينثوس Cynthus ، هو أحد جبال جزيرة ديلوس مسقط رأس الإله أبوللون.

(١٩) بعد أن شبه فرجيليوس الملكة ديدو بالربة ديانا فى الكتاب الأول من الملحمة هاهو هنا يشبه آينياس بالإله أبوللون .

(٢٠) الإشارة هنا إلى أسكانيوس ، ابن البطل آينياس ، الذى ينحدر من نسل ڤينوس وفى الوقت نفسه ينتمى إلى دردانوس ، الجد الأول للطرواديين .

(٢١) يستخدم فرجيليوس هنا الرمز فى الإشارة إلى الزواج الذى تم بين آينياس وديدو : فالعاصفة والحوريات يرمزن إلى ما يصاحب حفل الزواج عادة من صياح وتهليل، فأما البرق فيرمز إلى مشاعل الزواج التى تصاحب العروس حتى منزلها الجديد ، أو أصوات الحوريات فتمثل أنشودة الزواج التى تزف بها العروس فى ليلة عرسها .

(٢٢) فاما Fama ، هى الربة التى ترمز إلى سريان الشائعة وترويج الأنباء والأخبار بطريقة غير مشروعة كما تخيلها الرومان .

(٢٣) كويوس Coeus وأنكيلادوس Enceladus ، هما من العمالقة ، أنجبتهما جايا Gaia لربة الأرض من أورانوس Ouranus إله السماء .

(٢٤) آمون Hammon أو Ammon ، هو لقب كان يطلقه أهل ليبيا على چوبيتر .

(٢٥) جارامانتيس Garamantis ، هى حورية ليبية اغتصبها جوبيتر فأنجبت منه يارباس ملك جايتوليا .

(٢٦) ماوروسيا Maurusia ، قبيلة من موريتانيا بشمال أفريقيا .

(٢٧) أطلق يارباس اسم باريس على آينياس ليدمغه بالرخاوة من جهة وبأنه مغتصب لديدو ، كما اغتصب باريس هيلينا ، من جهة أخرى .

(٢٨) ماونيا Maeonia ، هي ليديا في آسيا الصغرى ، كان النسوة فقط هن اللاتي يلبسن مثل هذه القلنسوة الماونية ، وكان ارتداؤها بواسطة الرجال شيئاً مستهجناً .

(٢٩) ميركوريوس Mercurius ، هو ابن جوبيتر والإلهة مايا ، وهو رسول الآلهة خاصة جوبيتر .

(٣٠) زفيروس Zephyros ، هو ريح الغرب ، وهو ممثل هنا في شكل إله .

(٣١) راجع حاشية رقم (١٥) ص ٢٧٠ ، وهو أحد الأسماء القديمة لسكان وسط جنوب ايطاليا أنظر ص ٣٠٧ وما بعده .

(٣٢) أنظر ك ٦ ، س ٧٥٧ ، ص ٣٠٧ وما بعده .

(٣٣) راجع حاشية رقم (٣٠) ص ٣١٥

(٣٤) الكيلليني Cyllenius ، صفة من صفات ميركوريوس . وكيلليني Cylleně ، هو اسم جبل في أركاديا حيث ولد ميركوريوس .

(٣٥) جبل الأوليمبوس Olympus ، هو مقر الآلهة الدائم – وذلك كما كان يعتقد الإغريق.

(٣٦) يبدو أن الإله قد تجسد لآينياس في صورته الكاملة .

(٣٧) كانت عابدات الإله باكخوس يرقصن رقصات هستيرية دون وعي خاصة أثناء اهتزاز الرموز المقدسة للإله وهي إحدى شعائر عبادته .

(٣٨) انتشرت هذه الاحتفالات في إيطاليا في القرن الثاني ق.م. تكريماً للإله باكخوس ، واضطر السناتو لإيقافها عام ١٨٦ ق.م. للمبالغة والإسراف أثناء ممارسة العبادة .

(٣٩) خاطبت ديدو آينياس بكلمة «ضيفي» . نظراً إلى أنه أنكر رباط الزواج ولا يستطيع أن ينكر كذلك أنه ضيفها .

(٤٠) إليسا Elissa ، اسم آخر للملكة ديدو .

(٤١) نسبة إلى جرينيوم Gryneum ، وهي مدينة على ساحل أيوليس ، بها معبد مشهور ونبوءة للإله أبوللون .

(٤٢) كانت ليكيا Lycia موطناً لعبادة الإله أبوللون ومركزاً هاماً من مراكز نبوءته .

(٤٣) كاوكاسوس Caucasus ، سلسلة من الجبال بين البحر الأسود وبحر قزوين ، لكن ڤرجيليوس يجسده في شكل آدمي .

(٤٤) هيركانية Hyrcana نسبة إلى الهيركانيين وهم قبيلة كانت تسكن المنطقة المطلة على بحر قزوين .

(٤٥) تكرر ديدو فى هذه الفقرة كلمات آينياس بقصد التهكم والسخرية .

(٤٦) أوليس Aulis ، ميناء إغريقى يقع فى إقليم بويوتيا . هناك تجمع أسطول الإغريق وقواتهم استعداداً للتحرك نحو طروادة .

(٤٧) پنثيوس Pentheus ، ملك أسطورى تصدى لعبادة باكخوس كى يمنع دخولها إلى مملكته طيبة ، فقتلته عابدات باكخوس بعد أن سلط عليه الإله الجنون

(٤٨) أورستيس Orestes ، ابن أجا ممنون . طاردت ربات الانتقام أوريستيس لأنه قتل والدته كلوتمنسترا انتقاماً منها بعد أن قتلت والده أجا ممنون عند عودته منتصراً من طروادة .

(٤٩) طبقا لما ورد عند سرفيوس استعار ڤرجيليوس هذا المشهد ، الذى يقول فيه أن أورستيس التجأ إلى معبد أپوللون بينما ربات الانتقـــام رابضة تراقبه عند المدخل ، من إحدى تراجيديات پاكوفيوس (= وهو شاعر تراجيدى رومانى لم تصلنا من أعماله سوى شذرات قليلة) .

(٥٠) الهسپريديات Hesperides ، من بنات هسپروس Hesperus ، وهن القائمات على حراسة حديقة – تقع عبر جبال الأطلس – مليئة بتفاحات ذهبية .

(٥١) ليس من المعروف على وجه التحديد الغرض الذى من أجله ذكر ڤرجيليوس هذا العدد الضخم من الآلهة . ربما لأن فنون السحر تستلزم ذلك .

(٥٢) خاؤوس Chaos ، إله الفوضى والهباء الذى نشأ عنه العالم وبقية الآلهة .

(٥٣) هيكاتى Hecaté ، هى ابنة پرسيس من الربة أستريا أخت ليتو . وهى مختصة بالعالم السفلى .

(٥٤) ديانا Diana ، هى ابنة جوپيتر من لاتونا ، كانت ذات صور ثلاث ، ربة القمر وربة الصيد وربة العالم السفلى .

(٥٥) اعتقد القدماء أن المهر الحديث الولادة له عقدة على جبينه تزيلها أمه بعد ولادته ، وأنه لو حدث أن أزيلت هذه العقدة من جبهته قبل أن تزيلها أمه فإنها ترفض أن ترضعه أو تتعهده وتتركه وحده يموت . لذلك كانت تستخدم هذه العقدة – بعد إزالتها – كتعويذة للحب

(٥٦) الإشارة هنا إلى ديدو .

(٥٧) تنطق ديدو هذه العبارة فى سخرية وتهكم مرير ، إذ أن آينياس ورفاقه لم يحفظوا العهد ولم يعترفوا بالجميل .

(٥٨) لاؤوميدون Laomedon، كان ملكاً أسطورياً لطروادة، إتفق مع الإله أبوللون والإله پوسيدون على أن يبنيا له أسوار طروادة، لكنه غرر بهما ولم يدفع لها المكافأة التى سبق الاتفاق عليها. والإشارة هنا إلى أن الطرواديين قد ورثوا الغدر من جدهم لاؤوميدون.

(٥٩) المقصود هنا هو الملكة ديدو.

(٦٠) يعنى أن يرى، لهم طقساً معتدلا مواتياً للرحيل فى عرض البحر.

(٦١) تيثونوس Tithonus، هو ابن لاؤوميدون وشقيق برياموس. أحبته إلهة الفجر أوروروا Aurora وأنجبت منه ممنون الذى قتل على يد أخيليوس.

(٦٢) بعد سقوط طروادة، رفض آينياس أن يترك والده أنخيسيس، وحمله على كتفيه أثناء رحيله عن المدينة.

(٦٣) الإشارة هنا إلى پيلوپس Pelops بن تانتالوس Tantalus، الذى ارتكب جريمة غادرة ضد أخيه أتريوس بأن أطعمه لحم أبنائه (أبناء أتريوس).

(٦٤) هذه الجملة غامضة، وإن كان من المحتمل أن الشاعر يشير إلى آلهة العالم السفلى الذين سوف يتولون أمرها بعد انتحارها.

(٦٥) أى: تنظر إليها الآلهة بعين الرأفة مع مراعاة أن ما فعلته ديدو إنما فعلته رغماً عنها وفى لحظة من لحظات اليأس.

(٦٦) اعتقد الإغريق ومن بعدهم الرومان (وما زال هذا الاعتقاد سائداً حتى اليوم بين شعوب متعددة). أن الآلهة تستجيب لدعاء المقبلين على الموت. ولقد تحققت كل دعوات ديدو.

١ – اشتبك آينياس فى حروب عديدة مع تورنوس فى إيطاليا.

٢ – اضطر إلى ترك ابنه يولوس ليذهب إلى اتروريا كى يستجدى المعونة.

٣ – شاهد جميع أصدقائه يسقطون صرعى فى الحرب خصوصاً صديقه الحميم باللاس.

٤ – مات قبل الأوان مذبوحا على يد ميزنتيوس وترك غير مقبور على شاطىء نهر نوميكوس حيث جرفته مياهه واختفت جثته فيها.

٥ – أنجبت قرطاجنة هانيبال الذى أثار الفزع والرعب فى قلب الرومان وجعل من قرطاجنة عدواً عنيفاً قاسياً لروما.

٦ – ظل الرومان والقرطاجيون فى حروب مستمرة وعداء متصل.

(٦٧) أى بلوتو ، إله العالم السفلى . وكلمة ستوجيوس مشتقة من ستايكس styx ، أشهر أنهار العالم السفلى .

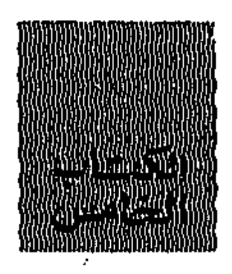
(٦٨) أى الكومة التى وضعت عليها صورة آينياس ، ولقد أسمتها ديدو باسمه حتى لايتسرب الشك إلى نفس أحد فى أنها مقدمة على الانتحار .

(٦٩) يقول المعلق سرفيوس إنها بينما تقول «هكذا ... هكذا» طعنت نفسها مرتين .

(٧٠) إريس ، هى ابنة ثاوماس Thaumas من الكترا ، كانت رسول الآلهة وخاصة الربة چونو . كانت مهمتها قطع الخيط الذى يربط بين الروح والجسد ويمنعها من مغادرة الجسد أثناء الاحتضار . وتبدو عادة على شكل قوس قزح ذى ألوان زاهية .

(٧١) پروسرپينا Proserpina ، هى ابنة چوپيتر من كيريس وزوجة الإله هاديس إله العالم السفلى . كان الرومان يعتبرون الموتى أضاحى تقدم لآلهة العالم السفلى ، لذلك كانت تقص خصلة من شعر رؤوسهم — تماماً كما يحدث مع الحيوانات قبل تقديمها على مذابح الآلهة العلوية . ولأن ديدو ماتت قبل الأوان ، فإنها لم تكن تخص پرسرپينا التى كانت مسئولة عن البشر الذين يموتون ميتة طبيعية فقط . لذلك عهدت چونو بهذه المهمة إلى باريس .

(٧٢) ديس Dis ، أو بلوتو ، هو إله العالم السفلى .



دكتور عبد الله المسلمى

فى تلك الأثناء كان آينياس يبحر بأسطوله – بعزم – فى عرض البحر ، ويشق عباب الأمواج التى أظلمتها ريح الشمال . كان ينظر خلفه إلى المدينة ، التى كانت تشتعل حينذاك بلهب محرقة ، إليسّا التعسة . أما سبب إضرام نارٍ ضخمة كهذه فقد كان غامضاً . لكنها الآلام القاسية الناجمة عن حب عنيف أصيب بالمهانة ، والجهل بما تستطيع المرأة أن تفعله فى ثورة غضبها – كل ذلك جعل قلوب التيوكريين نهب نُذرٍ مشئومة .

وعندما توغّلت السفن فى عرض البحر ، لم يَعد يظهر يابس على مرمى البصر – فالبحر فى كل جانب ، والسماء فى كل اتجاه – ، خيّمت فوق الرؤوس سحابة ممطرة قاتمة اللون ، تحمل بين طيّاتها الظلمة والعواصف الهوجاء ، واضطرب الموج فى الظلام الدامس . أما پالينوروس (١) نفسه ، المسك بالدفة ، فقد أخذ يصيح من أعلى مؤخرة سفينته « وا أسفاه ! لماذا طوّقت هذه السحب الضخمة السماء ؟ أيها الأب نبتونوس ، ماذا تدبر ؟ » بعد أن قال ذلك ، أمر الرجال أن يجمعوا حبال السفينة ، وأن يلقوا بكل ثقلهم على المجاديف القوية . ثم حوّل الشراع فى مواجهة الريح بينما كان يتفوّه بهذه الكلمات :

« أى آينياس الشهم ، لو لم يكن چوبيتر ، الذى يوفى بعهده ، قد وعد ، ما كنت آمل فى الوصول إلى إيطاليا فى مثل هذا الطقس . لقد غيّرت الرياح اتجاهها ، إنها تزأر فى وجهنا ، إنها تثور من جهة الغرب المظلم ، إن الهواء يتجمع فى هيئة سحاب . إننا لا نستطيع أن نقاوم ، أو أن نشقّ طريقنا بالقوة وما دامت للربة فورتونا (٢) الغلبة ، فعلينا أن نتبعها ، ونوجّه طريقنا إلى حيث تدعونا . إنى أظن أن شواطىء أخيك أريكس (٣) الآمنة

والموانىء الصقلية ليست على مسافة بعيدة — هذا فقط إذا كانت ذاكرتى فى حالة طيبة ، وإذا كنت أتذكر جيداً النجوم التى رصدتها من قبل ؟» .

عندئذ أجاب آينياس الورع : « حقاً إنى ألاحظ أن الرياح ترغب فى هذا منذ أمد بعيد ، وأنك تحاول عبثاً أن تشق طريقك فى مواجهتها . فلنُغيّر خط سيرنا ، فهل توجد بقعة من الأرض — أرغب فى الذهاب إليها بسفنى المنهكة — أفضل إلىّ من تلك البقعة التى تضم بين جنباتها صديقى أكستيس (٤) الدردانى والتى تطوى فى أحشائها عظام أبى أنخيسيس (٥) ؟ » . بعد أن قال هذا ، إتّجهوا صوب الميناء ، وقد نشروا الأشرعة تملأها الريح الغربية المواتية (٦) . أخذ الأسطول يمخر عباب المياه العميقة بسرعة . لقد ولّوا وجوههم فى آخر الأمر شطر الشاطىء المألوف لديهم ، وهم مسرورون .

هناك ، على بُعْدٍ ، ومن أعلى قمة الجبل ، كان أكستيس ينظر فى دهشة نحو السفن الصديقة ، وهى تتقدم ؛ ثم هرع نحوها ، وهو مدجج بالسلاح ، ومدثر بجلد أنثى دبٍّ ليبية . لقد وُلد أكستيس من أمٍ طروادية لإله النهر كريميسوس . لم يكن قد نسى نسبه القديم ؛ لذلك فقد رحّب بالقادمين واستقبلهم مسروراً ، ثم قدم لهم هدايا بسيطة ، وعمل على الترفيه عن المُتْعَبين منهم بموارده المُتدفّقة .

مع فجر اليوم التالى ، بعد أن غابت النجوم ، دعا آينياس رفاقه من كل مكان على الشاطىء ، ومن فوق ربوة عالية خاطبهم قائلاً :

« يا أبناء دردانوس العظام ، يا مَنْ تنحدرون من نسل الآلهة المقدس ، أما وأن الشهور تمضى بنا ، فإن الدورة الحولية تقترب من نهايتها منذ أن وارينا فى التراب ما تبقى من جسد أبى المقدس من رماد ، وباركنا المذابح بأحزاننا . والآن ، إذا لم أكن مخطئاً ، فقد حلّ هذا اليوم ، وسأجعل منه دائماً — هكذا كانت مشيئتكم ، أيتها الآلهة — ذكرى حزينة ، كما أنى سأجعل منه دائماً يوم تكريم . فلو أنى كنت الآن أقضى هذا اليوم منفياً فى منطقة

الرّمال المتحركة الجابتولية[٧] ، أو أتيه فى البحر الأرجولى أو فى مدينة موكينية[٨] ، لكنت مع ذلك قد وفيّت بالنذر السنوى وتمت بأداء الطقوس المقدسة حسب النظام المتبع ، ولأزْدحَمَتْ مذابح الآلهة بالهدايا التى تستحقها . بل إننا نقف اليوم فى حضرة رفات والدى وعظامه — ولا أعتقد أن هذا يحدث دون قصد أو على الرغم من إرادة الآلهة — بعد أن وصلنا، إلى موانىء صديقة ساقتنا إليها الرياح — هيّا بنا ، إذن، جميعاً لنحتفل مرحين بتقديم القرابين ، ولْنَسْأَلْ شكراً للرياح ولْتَكُنْ مشيئته أن أؤدى هذه الطقوس عاماً بعد عام فى المعابد التى ستشيد تكريماً له بعد إنشاء مدينتى . إن أكستيس ابن طروادة البار ، يمنح زوجاً من الثيران لكل سفينة من سفنكم، فلْتَدعُوا إلى الاحتفالات آلهة البيناتيس[٩] وكذلك تلك التى يقدسها مضيفكم أكستيس . وفضلا عن ذلك ، فإذا ما نشر فجر اليوم التاسع[١٠] ضوءه الحانى على البشر ، وأضاء العالم بأشعته ، فسوف أنظم مسابقات للطرواديين . أولاً ، للسفن السريعة ، وبعدئذ ، لمنْ يتفوق فى سباق الجرى، ثم لمن يثق فى قوته فيتقدم ليفوز فى رمى القرص والسهام، أو من يجرؤ على الاشتراك فى معركة بقفازات من جلد الحيوان الخام[١١] . فلْيَتَقَدّم الجميع ، وليستعد المستحقون من بينكم للفوز بسعف النخيل[١٢] ، جائزة النصر . لتصْمُتوا جميعاً ، ولتُطَوِّقوا أصداغكم بالأغصان . »

بعد أن تفوّه بهذه الكلمات ، تَوّج صدْغَيْه بأغصان الآس[١٣] التى تتحلى بها والدته . وحذا حذوه هيليموس[١٤] ، وكذلك أكستيس ، الذى حنكته السنون ، وكذلك الصبى أسكانيوس ، وتبعهم أيضاً بقية الشباب . بعد ذلك غادر الاجتماع متجهاً نحو القبر ، فى صحبة آلاف عديدة ، وسط جمهرة كبيرة من الفصائل . وهناك ، أثناء القيام بفروض التكريم ، سكب على الأرض قدحين من نبيذ غير مخلوط لباكخوس ، وقدحين من لبن طازج وإثنين آخرين من دماء الأضاحى . وبينما هو ينثر أزهاراً زاهية فإذا به يقول :

« سلاماً عليك ، يا أبي المبجّل ، ومرة ثانية ، سلاماً عليك ، يا رفات أبي ، الذي عبثاً حاولت إنقاذه ، وكذلك أنت ، يا روح أبي ، وأنت ، ياظلّه . لم أكن معك في وقت ما لأشاركك البحث عن الحدود والحقول الإيطالية الموعودة ، ولا نهر التيبر الأوسوني (١٥) » .

بينما كان يقول ذلك ، زحف من أسفل المحراب المقدس ثعبان متلّون . وتلوّى مكوّناً سبع حلقات ضخمة وسبع التفافات اولبية . أخذ يدور في هدوء حول القبر ، وينتقل بين المذابح ، ظهره ذو نقاط زرقاء داكنة بشكل ملحوظ ، حراشيفه تلمع بلون ذهبي — كان مثله في ذلك مثل قوس قزح يتألّق بين السحب بالأشعة المتعددة الألوان في مواجهة الشمس . ووقف آينياس مشدوهاً إزاء هذا المنظر . أخيراً ، وبعد أن تجوّل الثعبان بجسده الطويل بين الأطباق الضحلة والأكواب اللامعة ، أخذ يتذوّق الأطعمة . ومرة ثانية ، ودون أن يحدث أي أذى انسحب إلى أسفل القبر ، تاركاً المذابح حيث كان يأكل . وهنا استأنف آينياس الاحتفالات ، التي كانت قد بدأت من قبل تكريماً لوالده ، بحماس أكثر ، وهو غير متأكد ما إذا كان ذلك الثعبان هو جنّ المكان أو روح والده . قام — حسب التقاليد المتبعة — بذبح شاتين تبلغان من العمر عامين ، وكذلك خنزيرين ، ونفس العدد من عجول ظهورها ذات ألوان داكنة ، ثم إنه كان أيضاً يسكب كئوساً من النبيذ ، وينادي روح أنخيسيس العظيم والشبح الذي عاد طليقاً من أخيرون (١٦) . وقام رفاقه — كل حسب طاقته — بتقديم الهدايا مسرورين ، وأخذوا يكدسونها فوق المذابح ، وينحرون العجول ، وأخذ آخرون بدروهم يُعدون المراجل ، وقد مدّوها فوق الحشائش ، يوقدون الفحم تحت الأسياخ كي يتم شواء اللحم .

أخيراً أقبل اليوم المنتظر ، وأخذت خيول فايتون (١٧) تهرع مع فجر اليوم التاسع لتجلب معها ضوءاً صافياً . كان اسم أكستيس وشهرته مبعث إعجاب سكان المناطق المجاورة ، وكانت الشواطىء تعجّ بجماعات مرحة

من البشر ؛ بعضهم جاء ليرى رجال آينياس ، والبعض الآخر جاء مستعداً للنزال . وجيء أولاً وقبل كل شيء بالجوائز ، لتوضع أمام الأعين وسط حلبة السباق : كراسي مقدسة ذات ثلاث أرجل ، وأكاليل من الغار ، والسّعف الأخضر ، وأسلحة وملابس ذات لون أرجواني ، وقطع فضية وذهبية ، رصدت كجوائز للمنتصرين . ومن فوق منصة متوسطة أنطلق بوق يعلن افتتاح مهرجان الألعاب .

فى المباراة الأولى اشتركت أربع سفن متكافئة ، ذات مجاديف ضخمة ، تم اختيارها من بين سفن الأسطول كله . قاد منيسثيوس ، ومعه طاقم من المجدفين المتحمسين ، پريستيس السريعة (١٨) ، لقد أصبح فيما بعد منيسثيوس الإيطالى ، وسُمّيت من بعده عشيرة الميميانى (١٩) . قاد جياس (٢٠) خمايرا ، السفينة الضخمة ، ذات الحجم المهول ، التى تشبه مدينة عائمة ، والتى كان يدفعها إلى الأمام الشباب الدردانى (٢١) بمجاديف تنتظم فى ثلاثة صفوف . قاد سرجيستوس ، الذى سُمّيت من بعده عشيرة سرجى ، الكنتاوروس العظيم (٢٢) . وانطلق كلوانثوس ، الذى منه نشأ فيما بعد اسم العائلة كلونيتيوس الرومانية ، فى السفينة سكيلا ذات اللون الأزرق .

هناك بعيداً فى وسط البحر ترقد صخرة فى مواجهة الشواطىء المغطاة بالزبد ، تصطدم بها الأمواج أحياناً أو تغطيها أحياناً أخرى ، وذلك عندما تحجب الرياح الشمالية الغربية الثائرة النجوم ، وعندما تهدأ الرياح ، تخيّم عليها السكينة ، وتبرز وسط الأمواج الساكنة قمتها المستوية ، التى تجذب إليها غربان البحر المغرمة بأشعة الشمس . هناك وضع الأب آينياس غصناً من أغصان السنديان ، هدفاً للبحارة ، بواسطته يميزّون بداية طريق العودة ، ويعرفون كيف يدورون أثناء سباقهم الطويل المدى . عندئذ قبل كل منهم المهمة التى أسندت إليه عن طريق الاقتراع . هناك بعيداً ، عند مؤخرة السفينة ، كان القباطنة يزهون بأنفسهم فى أبهة الذهب والملابس الأرجوانية . أما بقية البحارة فقد توّجو رؤوسهم بأغصان شجر الحور ، وكانت أكتافهم

الغارية لا معة وقد دهنوها بالزيت . وبعد أن جلسوا على مقاعد التجديف ، وامتدت سواعدهم نحو المجاديف ، أخذ كل منهم يترقب فى شغف إشارة البدء ، وقد سيطر على القلوب خوف خانق ورغبة جامحة فى الوصول إلى المجد. وعندما انطلقت صيحة البوق العالية ، تدافع الجميع – على الفور – من مراكزهم ، وأخذت صرخات الملاحين تشق عنان السماء . وأزبد سطح الماء عندما كانوا يضربون بأذرع مجاديفهم إلى الخلف . أخذوا يمخرون عباب الماء فى خطوط متوازية ، وأخذت مجاديفهم ومقدمات سفنهم ذات الثلاثة بروز تشق موجات البحر فتحدث فيها ثغرات – وحتى فى سباق العربات ذات الحصانين لم تكن تنطلق العربات بمثل تلك السرعة المذهلة عندما كانت فى طريقها فى الميدان بعد أن تنطلق من معاقلها ! وحتى سائقو العربات الحربية لم يهزوا العنان بمثل ذلك العنف وهم فوق خيولهم المتدافعة ، أو يميلوا إلى الأمام ليضربوها بالسياط ! عندئذ كانت الغابة كلها تدوى بتصفيق الرجال وصيحاتهم وتهليل المشجعين لذويهم ، وكان الشاطىء المقفل يردد أصداء تلك الضوضاء ، وكانت التلال ، وقد صدمها الصوت ، تردد صداه .

انطلق – أمام الآخرين – جياس ، الذى كان كثيراً ما يتزلق فوق الأمواج ، وسط تهليل الجماهير . ثم تبعه عن كثب كلوانثوس ، الذى كان يبزه فى قوة التجديف ، لكن سفينته البطيئة كانت تعوقه بثقلها . ثم أتى فى أعقابهما ، وعلى مسافة متساوية ، پريستيس والكنتاوروس تناضل كل منهما الأخرى لتكسب المكانة الأولى . كانت پريستيس تسبق تارة ثم تلحق بها الكنتاوروس الضخمة وتسبق تارة أخرى ، وأحياناً كانت الاثنتان تسيران فى خطين متوازيين ومقدمتاهما على خط واحد ، تشقان سطح المياه الملحة بقاعدتيهما الطويلتين . والآن وقد اقترب الجميع من الصخرة ، وأوشكوا على الوصول إلى نقطة العودة ، صاح جياس ، الذى كان ولا يزال فى المقدمة ، وقد تفوق فى السباق حتى منتصفه ، منادياً مينويتيس ، ممسك الدفة ، بصوت عال :

« إلى أين تتجه بعيداً هكذا ناحية اليمين ، على عكس غايتى فلتتسالك ؟ ذلك الطريق ، مقترباً من الشاطىء ، ولتجعل حافة المجداف تلمس الصخور ولتدع الآخرين يسلكون طريقهم فى المياه العميقة . » .

هكذا قال ؛ لكن مينوتيس ، الذى كان يخشى الصخور الصماء ، انتحى بسفينته جانباً ناحية الجزء الخالى من البحر . « لماذا تنحو بعيداً عن خط سير السباق ؟ اتجه رأساً ناحية الصخور ، يامينويتيس » . هكذا صاح جياس وهو يناديه مرة ثانية . آه ! فعندما نظر حوله وجد أن كلوانثوس يكاد يلحق به ، وأنه يواصل الاقتراب من الهدف . لقد أخذ يتلمس طريقه على يسار جياس من جهة الداخل — بين سفينة جياس والصخور المزمجرة . وفجأة تفوق على قائده . وبعد أن مر بالهدف وصل إلى المنطقة الآمنة من البحر . عندئذ ثارت حمم الغضب الحاد فى قلب الشاب ، وقفزت الدموع على وجنتيه ، وبدون اهتمام بسمعته أو سلامة بحارته ، ألقى بمينويتيس المتردد من أعلى مؤخرة السفينة إلى البحر ، وتولى بنفسه القيادة — كممسك للدفة وربان للسفينة — وأخذ يستحث رجاله بينما كان يوجه السفينة شطر الشاطىء . لكن يظهر مينويتيس ، وقد صعد من قاع البحر بصعوبة ، عجوزاً كعادته ، يقطر الماء من ملابسه المبتلة ، يسعى إلى قمة الصخرة ، ليجلس فوق ربوة جافة . لقد كان مبعث ضحك للطرواديين عندما سقط ثم سبح ، كانوا يضحكون منه وهو ينفض المياه الملحة من فوق ثوبه .

هنا تفاءل الاثنان الموجودان فى الخلف ، سيرجستوس ومنيسيوس ، لقد أحسا بأمل بسام فى أن يتفوقا على جياس الذى تعطل . أخذ سيرجستوس بزمام القيادة واقترب من الصخرة ، لكنه لم يستطع أن يمر متفوقا بكامل حجم سفينته ، بل بمقدار جزء منها فقط ، وذلك بسبب احتكاك السفينة بريستيس المنافسة بمقدمتها . وعندئذ تقدم منيسيوس إلى قلب السفينة وسط بحارته ، ثم استحثهم قائلا : « والآن ، انكبوا على مجاديفكم على الفور ، يا أصدقاء هيكتور (٢٣) . يا من اخترتهم رفقاء لى فى ساعات طروادة الأخيرة ،

فلتظهروا الآن تلك القوة . تلك الشجاعة التى أبديتموها وسط الرمال الخايتولية المتحركة ، ووسط البحر الأيونى ، وفى مياه ماليا (٢٤) ، وبين أمواجها المتسابقة . لم أعُدْ — أنا منيسثيوس — أطمع الآن فى أن أحرز المكان الأول ، كما أننى لا أناضل حتى من أجل أن أنتصر : لكن ، آه !! دع النصر ، يا نبتونوس ، لهؤلاء الذين قد قررتَ أن تمنحهم إياه . لكن من العار أن نعود ونحن متخلفون فى المؤخرة . فلتَكْسَبُوا ، أيها الرفاق ، هذا الشوط على الأقل ، ولتَمْنَعُوا ذلك العار » . وبذل رجاله أقصى ما فى وسعهم ، فانحنوا إلى الأمام . كانت مؤخرة السفينة المزركشة بالنحاس تهتز بفعل ضرباتهم القوية ، كانت أرض القاع تمضى إلى الخلف من تحتهم . كانت أنفاسهم اللاهثة تهز أطرافهم وشفاههم اليابسة ؛ بينما كان العرق يتصبب متدفقا فوق جميع أطرافهم . كانت الصدفة المحضة هى التى جلبت لهم ذلك المجد الذى كانوا يشتهونه ؛ إذ بينما كان سرجستون — ممتلئا قلبه بالحماس — يقود سفينته متعمقاً فى منطقة ملاصقة للصخور ، وهو فى طريقه إلى تلك المنطقة الخطرة ، إصطدم التعس بصخور ناتئة . وتطايرت شذرات من الحجارة ، وهوت المجاديف فتهشمت على الصخور المدببة ، والتصقت مقدمة السفينة حيث اصطدمت ، وهبّ البحارة فى صيحة عالية ، وقد أثارهم جميعاً ما أصابهم من تأخير ، يسحبون رماحهم ذات الأسنة الحديدية والمزاريق ذات الأطراف المدببة ، ويلتقطون مجاديفهم التى تهشمت فى البركة المائية . لكن منيسثيوس ، الذى أسعده نجاحه الساحق وأدخل فى نفسه البهجة ، أخذ يتوغل ، بفضل حركة مجاديفه السريعة وبفضل توسلاته إلى الرياح ، إلى قلب البحر فوق الأمواج المنسابة — مثله فى ذلك مثل حمامة ، وكرها وصغارها الجميلة فى كهف صخرى ، وقد أفزعت من مرقدها . إنها تتوجه فى طيرانها نحو الحقول وهى ، بعد أن أفزعت من وكنها ، ترفرف بجناحيها فتحدث صوتاً عالياً ، وبعد فترة وجيزة تنساب فى هدوء ، تواصل طريقها السلس دون أن تحرك جناحيها السريعين — هكذا كان منيسثيوس ،

وهكذا كانت السفينة بريستيس نفسها تطوى، مسرعة ، مرحلة السباق الأخيرة ، تدفعها إلى الأمام سرعتها المتزايدة فى سباقها الطائر . كان منيسثيوس يتفوق تاركاً، فى البدء، خلفه سرجستوس ، وهو يناضل فوق الصخرة العالية وفى وسط ماء ضحل ، ينادى عبثاً من أجل المعونة ، ويتعلم كيف يواصل السباق بمجاديف محطمة [٢٥] ، بعدئذ أدرك جياس ، وحتى السفينة خمايرا ، فإنها أفسحت له الطريق، بكتلتها الضخمة ، بعد أن كانت قد فقدت قائددفتها .

والآن بقى أمامه كلوأنتوس فقط ليتفوق عليه، أخذ يطارده بكل قوته ، باذلاً فى ذلك أقصى ما فى وسعه . عندئذ ، حقاً ، كانت الأصوات تتضاعف، كان الجميع يشجعون بصياحهم ذلك الرجل الذى يلاحق منافسه ، وكانت السماء تردد هتافاتهم . لقد اعتقد هؤلاء البحارة أنه من العار ألا يحتفظوا بنصرهم وبالمجد الذى كان فى متناول يدهم ، وأن عليهم أن يقدموا حياتهم رخيصة فى سبيل المجد . كان النجاح يدفعهم ، وكانوا فعلاً قادرين على تحقيقه ، لأنهم كانوا واثقين فى قدرتهم . وحدث أن أصبحت السفن متوازية ، وكادوا يحصلون على الجائزة ، لولا أن كلوأنتوس مد كفيه - مفتوحتين - نحو صفحة البحر ، وأخذ يتلو الصلوات ، مناجياً الآلهة كى تستمع إلى دعواته . «أيتها الآلهة ، يا من لكم السلطان على البحر ، يا من تسير سفينتى على صفحة مياهكم ، سوف أقدم فى سعادة ، على مذابحكم الواقعة على هذا الشاطىء ، قرباناً - ثوراً أبيض ناصع البياض - وسوف أقذف بأحشائه فى المياه المالحة ، وأسكب نبيذاً سائلاً» . هكذا قال ، ومن تحت الأمواج العميقة كانت تنصت إليه كل مجموعة النيريديس [٢٦] ومجموعة الفوركى [٢٧] والعذراء پانوپيا [٢٨] ودفعه الأب پورتونوس [٢٩] بيده القوية ليسير فى طريقه المرسوم . وسارت السفينة نحو اليابسة بسرعة تفوق سرعة ريح الجنوب ، وانطلقت أسرع من سهم مجنح ، واستقرت فى الميناء العميق .

عندئذ أعلن ابن أنخيسيس - بعد أن دعى الجميع كما جرت العادة -

عن طريق صيحة المنادى الجَهُورية ، أن كلو أنثوس هو الفائز بالمكان الأول ، وتوّج رأسه بإكليل من الغار النضر . ثم بعد ذلك وزع الهدايا على السفن (الثلاث) : ثلاثة عجول — تُوزع بالاختيار — وأنبذة وقطعة ضخمة من الفضة يحملونها معهم (٣٠) . أما بالنسبة لقادة السفن أنفسهم فقد أسبغ عليهم تكريماً خاصاً . لقد منح الفائز الأول دثاراً موشى بالذهب ، حافته مطرزة بإطار تسالى (٣١) ، قرمزى اللون ، ذى خطين متعرجين ، دثارا رسمت عليه صورة الصبى الملكى (٣٢) فوق قمة جبل إيدا (٣٣) المورقة ، يطارد الأيائل السريعة بسهامه ، ويُنهك قواها أثناء مطاردته لها ، يسيطر عليه الحماس ، ويبدو وكأنه يلهث . ورسم عليه أيضا حامل صواعق چوبيتر السريع ، وقد رفع الصبى عالياً من جبل إيدا بمخالبه المعقوفة ، بينما مد حُراسه المسنون أيديهم عبثاً نحو النجوم ، وبينما يرتفع نباح الكلاب الوحشى إلى عنان السماء . أما مَنْ فاز بالمكانة الثانية ، فقد أهداه آينياس درعاً ، منسوجاً من خيوط معدنية ، ذا ثلاثة أربطة من الذهب كان قد انتزعه بنفسه من فوق جسد ديموليوس (٣٤) عندما انتصر عليه بجوار نهر سيمويس (٣٥) السريع بالقرب من طروادة الشامخة — لقد أهدى آينياس ذلك الدثار للبطل ليكون زينةً وحمايةً له أثناء النزال . وبصعوبة بالغة كان الخادمان فيجيوس وساجاريس يحملانه بثنياته الثقيلة على أكتافهما المرهقة . ومع ذلك فعندما ارتداه ديموليوس فى وقت من الأوقات فإنه طارد فى سرعة بالغة الطرواديين الذين كان قد تفرق شملهم . أما الجائزة الثالثة التى قدمها فكانت زوجاً من الأوانى النحاسية وأكواباً مزينة ومحلاة برسوم بارزة .

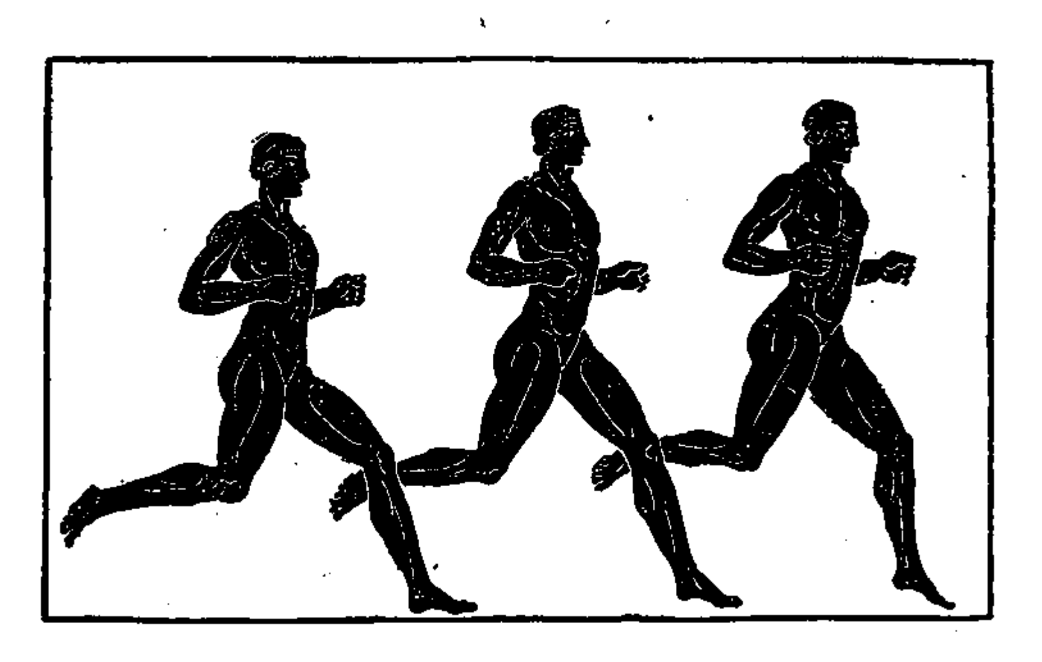
بعد أن تسلم الجميع هداياهم . وكانوا فخورين بما حصلوا عليه من ثروة . وبينما هم على وشك أن يتفرقوا وقد ربطوا فوق جباههم أشرطة حمراء اللون ، فإذا بسيرجيستوس — بعد أن تخلص بصعوبة بالغة ومهارة فائقة من الصخرة القاسية ، وبعد أن تحطمت المجاديف وتعطل صف واحد من صفوفها — يعود بسفينته التى كان يسخر منها الجميع ولا يحتفى بها أحد .

كانت سفينته مثل حيّة على الطريق تُفاجأ بتحطيم جزء من جسمها من جراء ضغط عجلات برونزية ، أو بضربة قوية من حجر ، حيّة حطمها عابر سبيل وتركها نصف ميتة ، تحاول عبثاً أن تهرب مكونة بجسمها ثنيات عريضة ، فى جزء من جسمها يتوهج الغضب فى عينيها ويرتفع عنقها بفحيح عال ، والجزء الآخر ، وقد أعجزه الجرح ، يعوق الحية ، وهى تناضل منثنية ، وتطوى نفسها بنفسها . هكذا أخذت السفينة تتحرك ببطء . ومع ذلك فقد نشر سرجيستوس الأشرعة ، ودخل الميناء وهو ينشرها جميعها . ويهدى آينياس سرجيستوس مكافأته التى وعد بها ، وقد سره أن السفينة قد أنقذت وعاد بحارتها سالمين . كما أهديت له جارية ذات مهارة فى فنون مينرفا . وهى فلوئى ، الكريتية الأصل ، ومعها توأمان ذكران على صدرها .

بعد أن انتهى ذلك السباق ، تحرك آينياس الطيب إلى سهل ذى زرع ، تحيط به من كل الجهات تلال متعرجة ، وتنتشر فيه الغابات . فى قلب ذلك الوادى كانت توجد مدرجات للجلوس . سار البطل إلى هناك فى صحبة الآلاف من الناس ، واتخذ مجلسه على مقعد عالٍ وسط الحشد . هناك ، حيث تجمهر الجمع . رأى أن يقيم مباراة فى العَدْو ، وأخذ يستميل الألباب بالمكافآت والجوائز التى وعد بمنحها . تجمع الطرواديون والصقليون من جميع الجهات ، وقد اختلط بعضهم ببعض — فى مقدمتها نيسوس ويوريالوس[٣٦] كان يوريالوس مشهوراً بوسامته ونضارة شبابه ، ونيسوس بحبه الرقيق للصبى . بعد ذلك تبعهما ديوريس ، الذائع الصيت ، من سلالة بريامُوس النبيل . ثم ساليوس وباترون معاً ، أولهما أكارنيانى والثانى من دم أركادى ، ولد فى تيجيا (٣٧) ؛ ثم شابان صقليان ، هيليموس وبانوبيس ، هما ربيبا الغابات ، وتابعان لأكستيس العجوز ، وكان معهم آخرون ، تختفى شهرتهم فى طرة الظلام . عندئذ تكلم آينياس وسط جمعهم قائلا : فلْتَصغُوا إلى كلماتى بقلوب واعية ، ولتنتبهوا إلى مرحين . لن يغادر أحد

هذا الجمع دون أن ينال مني هديته . سوف أمنح كل شخص ستهْمين جنوسيين (٣٨) ، يلمعان بصلب مصقول ، وبلطة ذات حدين ، مزخرفة بالفضة ، كي يحملها معه ، وسيحصل الجميع على مثل هذه المكافأة : وسيفوز الثلاثة الأوائل بجوائز ، وستتوج رؤوسهم بأكاليل من أغصان الزيتون الأخضر المائل إلى الصفرة . سيحصل الفائز الأول على فرس مزدان بالحلى ، والثاني على جُعْبَة أمازونية (٣٩) مليئة بسهام تراقية(٤٠) ، تتدلى من حزام ذهبي يوثق بمشبك ذي جوهرة لامعة . إلى جانب ذلك ، فَلْنَدَع الثالث يرحل قانعاً بهذه الخوذة الأرجولية(٤١) .

بعد أن تفوّه بهذه الكلمات ، اتخذ كل مكانه . وما أن سمعوا إشارة البدء حتّى اندفعوا فجأة في سباقهم ، يتخطون الحاجز مسرعين مثل سحابة عاصفة ، وهم في نفس الوقت يركزون انتباههم على الهدف النهائي ؛ يسرع



ثلاثة من العدائين اثناء السباق . صورة ماخوذة من انية فخارية موجودة في المتحف البريطاني .

نيسوس بعيداً نحو الأمام ، ويندفع متقدماً الجميع بسرعة تفوق الرياح أو الصواعق المجنحة ، ويتبعه ، لكن على مسافة طويلة ، ساليوس ، ويليه على مدى كبير يوريالوس فى المرتبة الثالثة . ثم يتبع يوريالوس هيليموس ، ويصبح قريباً منه ، ويا للعجب ! يطير ديوريس ، فيَلْمسه قدماً بقدم ويضغط على كتفه . ولو لم تكن المرحلة الكبرى من السباق قد انقضت بعد ، لكانت أمامه فرصة سانحة للفوز ، ولأن يتسلل إلى الأمام متقدماً ، وقد ترك خلفه منافسه ، أو تعادل معه . وما أن أوشك معظم السباق على نهايته ، وكانوا على وشك الوصول إلى الهدف ، وهم يلهثون ، حتى سقط نيسوس التعس وسط بركة من دم لزج تصادف أن سال حينما ذبحت العجول ، وكان يبلل الأرض والخضرة . ففى ذلك المكان لم يستطع الشاب المتفوق ، حين كانت تغمره نشوة النصر ، أن يخطو خطوات ثابتة على الأرض التى كان يطؤها ، بل سقط منبطحاً فى وسط الطين القذر ودماء الأضاحى . لكنه لم ينس حبيبه يوريالوس على الإطلاق . إذ أنه ما كاد ينهض من الأرض المبتلة حتى ألقى بنفسه فى طريق ساليوس ، الذى أخذ يتدحرج بدوره ثم هوى ممدداً فوق الرمال المتجمدة . واندفع يوريالوس إلى الأمام وفاز ، بفضل حيلة صديقه ، بالمكان الأول ، ثم طار مبتهجاً وسط هتاف وتهليل المعجبين . ثم أتى بعده هيليموس ، وأخيراً ديوريس ليفوز بالجائزة الثالثة .

عندئذ ملأ ساليوس حلبة المسرح الكبير كلها بصياح عالٍ ، وعلت الدهشة وجوه الشيوخ الجالسين فى الصف الأول ، وهو يطالب بأنْ تُرَدّ إليه الجائزة التى سُلبت منه عن طريق الخديعة . لكن صيحات الإعجاب والدموع الرقيقة ترجح كفة يوريالوس ، والإستحقاق يصبح أكثر وجوباً عندما يحل فى شخص وسيم . ويقف ديوريس — الذى يليه فى المكانة — بجانبه ، ويطلق صراخاً عالياً ، إذ أنه سوف لا يفوز حتى بالجائزة الثالثة لو أن ساليوس مُنح المركز الأول . عندئذ تكلم الأب آينياس : «إن الجوائز باقية ومضمونة لكم ، أيها الصبية ، ولن يُغير أحد نظام هذه المكافآت ، لكن ، ليكن من

حتى أن أشفق على سوء حظ صديق تعثر . »بعد أن قال هذا ، أعطى ساليوس قطعة كبيرة من جلد أسد جايتولى مثقلة بشعر غزير وأظافر من الذهب . عندئذ تحدث نيسوس قائلا : « إن تكن هذه جوائز المهزومين ، وإن كنتَ تشفق على من تعثروا ، فأى جوائز مناسبة سوف تعطيها ايسوس ؟ سوف تعطيها لى ، أنا الذى كنت سوف أحصل على الجائزة الأولى بجدارة لو لم يهبط علىّ الحظ التعس كما هبط على ساليوس . » وبينما كان يتحدث أشار إلى وجهه وأطرافه وقد تلطخت بالوحل القذر . وابتسم له الأب الكريم ، وأمر أن يُؤتى بدرع ، من صنع ديد مأوون ، كان قد انتزع من مدخل أحد معابد نبتونوس رغم أنف الإغريق (٤٢) ، ثم وهب هذه الهدية الرائعة للشاب النبيل .

بعد أن انتهت مراحل السباق ، ووزّعت الهدايا قال آينياس : « والآن ، كل من يشعر بأن لديه شجاعة فى صدره وقوة فى قلبه ، فليَرْفع ذراعيه ويديْه مربوطتيْن حتى خاف الرسغ (٤٣) » . بعد أن قال هذه الكلمات ، وضع زوجاً من الهدايا كمكافأة فى هذه المباراة : للمنتصر عجل صغير مُقنّع بأشرطة ذهبية ، أما للمهزوم فسيف رائع عزاء له . وفى الحال ، وبدون تأخير ، يتقدم داريس بقوته الهائلة ، وينهض وسط همهمة الرجال العالية ، إنه هو الذى كان قد تدرب على منازلة پاريس بمفرده ، وهو الذى صرع ، هناك عند الربوة ، حيث يرقد هيكتور العظيم ، البطل بوتيس(٤٤) ابن أميكوس الباربيكى (٤٥) الأصل ، وذلك عندما جاء إلى طروادة ، بهيئته الضخمة ، ليشارك فى الألعاب ، وطرحه صريعاً فوق الرمال الصفراء . هكذا كان داريس ؛ تقدم فى الحال ، يرفع رأسه عالياً مستعداً للنزال ، يستعرض كتفيه العريضين ، يمد ذراعيه نحو اليمين ونحو اليسار ، ويَلْكُم الهواء بضرباته . كان من المقرر أن يُوجَد منافس له ، لكن أحداً من بين كل ذلك الحشد لم يجد الشجاعة لمواجهته ، أو أن يلبس القفّاز فى يديْه . لذلك ابتهج ، ظناً منه أن الجميع قد تخلوا عن الجائزة ، ثم وقف عند قدمىْ

آينياس . عندئذ ، ودون أن يبطيء أكثر من ذلك ، قبض على قرن الثور بيده اليسرى قائلا : « يا ابن الإله ، إذا لم يكن يجرؤ أحد على أن يثق بنفسه كي ينازلني ، ما هو الغرض من وقفتي هذه ؟ إلى متى يكون من المناسب أن تبقيني منتظراً ؟ فلتُصْدر أمرك بأن أحصل على جائزتك » . عندئذ صاح كل الدردانيين معلنين موافقتهم ، وطالبوا بأن نُمْنَح له الجائزة الموعودة .

وهنا وبّخ أكستيس الوقور أنتللوس [٤٦] ، الذى كان يجلس إلى جواره على الأريكة العشبية الخضراء قائلاً : « أى أنتللوس ، عبثاً كنتَ فى وقت من الأوقات أشجع الأبطال . هل ستترك ، وأنت هادىء هكذا ، مثل هذه الهدايا العظيمة تضيع دون نزال ؟ أين الآن أريكس ، الذى نقدسه ، ذلك المعلم ذو الشهرة العقيمة ؟ أين شهرتك فى كل ربوع ترينا كريا [٤٧] ، وأين تلك الغنائم المعلّقة فى منزلك ؟ » عند ذلك أجاب أنتللوس : « ليس حُبِّى للمجد هو الذى فتر ، أو أن طموحى قد ذهب به الخوف ، لكن الحقيقة هى أن دمى قد أصبح بارداً بفعل الشيخوخة الكئيبة ، وقوتى الجسمانية قد أصابها الوهن وأتى عليها الضعف . لو أننى أمتلك الآن ما كنت أمتلكه من قبل ، ولو أن لى الآن مثل ذلك الشباب الذى يزهو به ذلك الشخص الأخرق ، لما كنت فى حاجة إلى جائزة أو عجل وسيم ليجعلنى أتقدم للنزال . ثم إننى لا أحفل بالهدايا » . بعدأن قال هذا قذف فى الحلبة بقفاز ثقيل الوزن للغاية ، كان إريكس المغوار قد اعتاد أن يستخدمه فى النزال [٤٨] ، وقد لَفّ رسغيا بجلد حيوان سميك .

أصيبت الأفئدة بالذهول ، فقد كانت ثيران ضخمة ، تلك التى استخدمت جلودها السبعة فى صنع القفاز ، الذى أصبح أكثر ضراوة لما كان يحمله من حديد ورصاص . كان داريس نفسه أكثر الجميع ذهولاً ، فقد تراجع وابتعد عن القفاز ، بينما كان الابن العظيم لأنخسيس يتأمل وزنه الثقيل ويقلّب

هنا وهناك فى لفات الأربطة . عندئذ قال أنتلوس العجوز من أعماقه : « ماذا لو أن شخصاً كان قد شاهد ذلك القفاز الذى كان يتسلح به هيراكليس نفسه وذلك الصراع المشئوم الذى دار على هذا الشاطىء بعينه ؟ إن هذه الأسلحة حملها أخوك إريكس ذات مرة ، وها هى كما تراها الآن ، ما زالت ملطخة (بالدماء وشظايا الرؤوس) ، واستخدمها فى مواجهة ألكيديس (٤٩) العظيم . بهذه الأسلحة أعتدت أن أقاتل ، طالما كانت الدماء الفتية تمدنى بالقوة ، وقبل أن تنشر الشيخوخة الرذيلة البياض فوق صدغىّ . لكن إذا سلّمنا بأن داريس الطروادى يرفض أن تكون هذه هى أسلحتنا ، وإذا ما أصرّ آكسيناس الطيب على هذا ووافق عليه أكستيس صاحب الفكرة ، فلنَجْعل النزال متكافئاً . ولكى أطمئنكم فإنى ألقى بقفازات إريكس ، فلتتخلّصوا من مخاوفكم ، ولتَخلَع أنت قفازك الطروادى . » بعد أن تفوّه بهذه الكلمات ، أزاح عن كتفيه ثوبه المزدوج ، فأصبحت مفاصله وأطرافه الضخمة عارية ، وظهرت عظامه وعضلاته القوية ووقف عملاقاً وسط الحلبة » .

عندئذ أحضر ابن أنخيس قفازات ذات وزن متساوٍ وأسلحة متكافئة وقام بعناية الوالد يلفّ يدىْ كل من الإثنين . وفى الحال أخذ كل منهما مكانه ، وقد شبّ على أطراف أصابع قدميْه ، وبدون خوف رفع ذراعيه عاليتين فى الهواء . كان الإثنان يرفعان رأسيهما عالياً ويسحبانها بعيداً إلى الخلف ، تفادياً للضربات ، إذ أنهما كانا يتضاربان يداً بيد ، ويثيران حمية النضال . كان أحدهما يفوق الآخر فى سرعة حركة أقدامه وفى ثقته فى حيوية الشباب ، أما الآخر فكان قوياً بضخامة أطرافه ، ولكن ركبتيه كانتا تهتزان ببطء وترتعشان ، وكانت أنفاسه اللاّهثة تهز أطرافه الضخمة (٥٠) . وعبثاً أخذ كل منهما يكيل للآخر لكمات كثيرة قاسية . ووجّه كل منهما ضربات متلاحقة نحو الجانب والصدر ، وكانت تحدث أصواتاً عالية . كانت أيديهما تنطلق بسرعة حول الأذن والأصداغ ، ووجناتهما تقرقع تحت وطأة اللكمات القاسية . كان أنتللوس يقف ساكناً فى ثبات ودون حركة ، إنما كان يتحاشى

بوثباته الضربات الموجهة نحوه ويرقب حركات منافسة بعين يقظة . أما الآخر فكان مثله مثل مَنْ يهاجم مدينة ذات أسوار شاهقة ، بمعدات حربية متطورة ، أو يحاصر قلعة جبلية تحت السلاح ، يجرّب مرة هذا المدخل وأخرى ذاك ، يدور حول المكان كله بمهارة ، ويشنّ هجوماً تلو هجوم دون جدوى . لقد نهض أنتللوس على أصابع قدميه وصوّب بيمناه لكمةً من عل . لكن منافسة لمح اللكمة وهى فى طريقها إلى أسفل فانحنى إنحناءة جانبية بجسمه الرشيق ليتجنّبها، وضاع مجهود أنتللوس سدى . ودون أن يلمسه عدوه بجسمه الضخم وقع ذلك الرجل القوى بكل كتلته على الأرض ، كما تسقط أحياناً على إيمانثوس (٥١) أو على جبل إيدا الضخم شجرة صنوبر مُجوّفة وقد اجتُثّت من جذورها . وهبّ الطرواديون ورجال صقلية فى اهتمام وارتفعت صيحاتهم حتى عنان السماء ، وكان أكستيس أول من جرى إلى الأمام يساعد فى شفقة صديقه ورفيق عمره على النهوض من فوق الأرض. لكن عزم الرجل لم يلن ولم يتحطّم أمله بسبب عثرته ، فعاد إلى القتال وقد جمحت رغبته،واشتدت ثورته وهياجه،وزاد الغضب من قوته قوة.وفى ثورته كان يطارد داريس طويلاً فوق الحلبة كلها ، وهو يضاعف من ضرباته ، مرة باليمين وأخرى باليسار ، فلا تلكّؤ ولا استرخاء ، فقد كانت اللكمات غزيرة جداً مثل حبّات البرد تقعقع فوق أسطح المنازل أثناء عاصفة ممطرة ، وهكذا استمر البطل يبعث بسَيْل غزير من الضربات بكلتى يديْه ، فيجعل داريس يدور حول نفسه .

عندئذلم يَعُدْ الأب آينياس يتحمل رؤية ذلك الغضب المتزايد،أو مشاهدة أنتللوس وهو يفقد صوابه بسبب ثورته ، بل وضع نهاية للنزال ، وأنقذ داريس المُنْهَك القوة . وهكذا تحدث ، وهو يهدّىء الموقف بكلماته : « أيها البائس ، أى غضب شديد هذا الذى سيطر عليك ؟ ألا تشعر أن هذه القوة ليست قوتك وأن الآلهة قد تبدّلت ؟ فَلْتَخْضَعْ إلى السماء . » قال هذه الكلمات ، ثم أنهى القتال بصيحة واحدة. أما داريس فقد قاده رفاقه المخلصون

إلى السفينة وهو يجر ركبتيه الواهنتين ، ويترنح برأسه من ناحية إلى أخرى ، بينما يبصق من فمه دماً متجمداً كثيفاً ، وأسنانه مغطاة بالدم . بعد أن دعاهما سلّمهما الخوذة والسيف ، أما السعف والثور فقد تركوها لأنتللوس . عندئذ قال المنتصر — مزهواً بشجاعته وفخوراً بالثور : « يا ابن الربة ، وأنتم أيها الطرواديون ، فلْتَعْلَمُوا كَم من القوة كنت أملك عندما كانت قوتى الجثمانية فى أوجها ، ومن أى هلاك أنقذتم داريس حين ناديتموه » . قال هذا ، ثم وقف أمام وجه العجل ، جائزة المعركة ، الذى كان يقف بجانبه ، ثم جذب يده اليمنى إلى الوراء ، وبأقصى قوته وجه قفازه بقسوة بين قرنَىْ الثور بلطمة هائلة ، وبعد ذلك دفع بها إلى عظامه لتحطم المخ . سقط العجل على الأرض مترنحاً ، وتمدد فاقد الحياة . واقترب منه أنتللوس قائلاً هذه الكلمات التى كانت تخرج من أعماقه : « إليك أقدم يا إريكس ، هذه الروح ، بديلاً أفضل من موت داريس ، والآن ، أما وأننى قد انتصرت فإننى أترك قفازى معتزلاً فنى » .

بعد ذلك دعا آينياس كل من تصبو نفسه إلى التصويب السريع بالسهام ، وأخذ يستعرض الجوائز ثم رفع بيده القوية صارى من سفينة سيرِِيستوس [52] وربط حمامة ترفرف موثوقة بخيط يمر حول إحدى رجليها ، وعلقها أعلى الصارى كهدف لسهامهم . وتجمع الرجال ، يسحبون من خوذة أوراقاً لتحديد القرعة [53] ويأتى فى المكان الأول وقبل الجميع هيبوكون ابن هيرتاكوس وسط التهليل الحار ، ويليه منيستيوس الذى انتصر فى سباق السفن ، منيستيوس الذى تُتَوِّجه أغصان الزيتون الخضراء . أما الثالث فهو يوريتيون ، إنه أخوك بانداروس الذائع الصيت [54] ، الذى — عندما عُهِد اليه منذ زمن بعيد بأن يخرق المعاهدة — كان أول من قذف بسهمه بين الآخيين . وأخيراً ، وفى أعماق الخوذة يأتى أكستيس ، الذى تجرّأ على أن يساهم بيديه فى أعمال الشباب .

عندئذ شد الجميع أقواسهم بقوة وعزم حتى أصبحت منحنية نحو أجسامهم ،

وسحبوا السهام من جعابهم . كان ابن هيرتاكوس الشاب أول من شد وتر قوسه ليطلقه عبر الفضاء ، يشق الهواء ، ويتّجه صوب الهدف . لكن القوس يثبت تماماً فى خشب الصارى . واهتز الصارىْ ، ورفرفت الحمامة بجناحيها مذعورة ، ودوّى المكان بتهليل مرتفع ، وأتى بعده منيشيوس البطل . أخذ مكانه وقد شد قوسه ثم صوب إلى أعلى وقد ركّز عينه وسهمه فى نفس المستوى . لكن ذلك التعس لم يُصِبْ الطائر نفسه بل أصاب العقدة وأضعف الرباط النباتى الذى كان يوثقها ، ومن أعلى الصارى — حيث كانت مقيدّة — فرّت الحمامة طائرة وسط الرياح الجنوبية والسحب الداكنة عندئذ ، وبسرعة خاطفة نادى يوريتيون ، الذى كان ممسكاً بسهمه منذ فترة طويلة فى وضع استعداد وكان قوسه مشدوداً — نادى أخاه ليسمع دعاءه ، وصوّب سهمه نحو الطائر ، وهى تُحلّق طليقة مسرورة فى الفضاء فأصابها بينما كانت ترفرف تحت السحب القاتمة . عندئذ سقطت ميتة وقد فاضت روحها وسط نجوم السماء ، ثم هوت وقد أعادت معها السهم الذى أصيبت به . وبقى بعد ذلك أكيستيس وحده ، بعد أن فقد الجائزة ، لكنه صوّب سهمه عالياً وسط الهواء ، يستعرض مهارته العظيمة ورنين قوسه . وهنا يظهر فجأة أمام عيونهم فأل عظيم ، قُدرّ له أن يكون فيما بعد ذا أهمية بالغة — إذ أن ما حدث فيما بعد من أحداث جسام قد أكّد ذلك — وفسّر العرّافون هذه النبوءة فى الأيام التالية وهُمْ فى قلق بالغ (٥٥) . إذ ما أن ارتفع السهم يشق طيات السحاب حتى اشتعل بالنيران وقد رسم خطاً من اللهب ، ثم اختفى بعيداً وسط الهواء الرقيق — كما تحدث غالباً حين تنطلق المذنّبات متوهجة وقد انسابت بعيداً عن السماء مخترقة السحب تاركة خلفها ذيلاً ملتهباً . وهبّ الترينا كريون والتيوكريون ، وقد سيطرت عليهم الدهشة ، يُصَلّون للآلهة السماوية . ولم يَنْبُذ آينياس العظيم النبوءة ، بل احتضن أكيستيس المبتهج وأغدق عليه هدايا قيمة ، ثم تفوّه بهذه الكلمات : « لتكُنْ من نصيبك هذه الهدايا ، يا سيدى ، إذ أن الملك العظيم للأوليمبوس إنما قد شاء بهذه الدلائل أن تحظى بتكريم

ليس له مثيل . إذ أن هذه الجوائز ستتسلمها منى كما لو كنت تتسلمها من يد والدى أنخيسيس نفسه ؛ إنها إناء مزخرف بالنقوش أهداه ذات مرة كيسيوس التراقى (٥٦) إلى والدى أنخيسيس كتذكار نبيل لشخصه ورمزاً لحبه » . بعد أن قال هذا ، أحاط جبهة أكيستيس بإكليل أخضر ، وناداه بالفائز الأول الذى فاق الجميع . ولم يحسده يوريتيون الطيب من أجل ذلك التكريم الفائق ، بالرغم من أنه هو وحده الذى أسقط الطائر من أعلى السماء . وأتى بعد ذلك فى ترتيب المستحقين بالجوائز دور مَنْ قطع الحبل ، ثم ، أخيراً ، مَنْ أصاب الصارى بسهمه المجنّح .

لكن الأب آينياس ، قبل انتهاء المباراة ، استدعى إليه إيبيتيديس الخاص ، حارس ومرافق يولوس الصغير ، وهمس فى أذنه قائلاً : « لتذهبنّ وتسألنّ أسكانيوس — إن كان قد أعد فريقه المكون من الصبية ، ونظّم حركات خيوله — أن يقود فصائله وأن يستعرض نفسه وسلاحه تكريماً لجده . » بعد ذلك أمر آينياس بنفسه كل الحشد المتدفق أن يغادر ساحة السباق الممتدة ، ويجعل السهل خالياً أمام المشاهدين . وظهر الصبية أمام ذويهم وهم يسيرون ، فى نظام فوق خيول مطهمة . وبينما كانوا يتحركون ، كان جميع شباب ترينا كريا وطروادة يهللون إعجاباً . كانت رؤوس الجميع متوّجة بأكاليل مُنمّقة بدقة ، وكان كل منهم يحمل زوجاً من رماح من خشب الزان ذات أسنة حديدية ، وكان البعض يحملون فوق أكتافهم كنانات لامعة ، وحول أعناقهم سلاسل رقيقة من الذهب المفتول تتدلى على صدورهم (٥٧) . كانت فصائل الفرسان تتكون من ثلاث مجموعات على رأسها ثلاثة من القادة ، وكانت مجموعتان — كل منهما مكونة من ست صبية — تتألقان فى صفين منفصلين تحت إمرة قادة متساوين فى السن . كان يقود أحد صفوف الشباب — بينما تبدو عليه ملامح السرور — برياموس الصغير (٥٨) ، الذى كان يحمل اسم جده ، إنه سليلك النبيل ، يابوليتيس ، الذى يرجع إليه الفضل فى زيادة عدد الإيطاليين .

كان يمتطى حصاناً تراقياً أرقط ، تظهر غرة بيضاء عند مُقدمة كل رجل من أرجله وعلى جبهته التى تعلو رأسه المرفوع . أما القائد الآخر فهو آتيس (٥٩) ، الذى تنحدر منه سلالة الآتيين ، كان ذلك الصبى — آتيس — محبوباً من رفيقه يولوس. وأخيراً كان يولوس، الذى يفوق الجميع وسامة، يركب حصانه الصيداوى (٦٠) ، الذى قدمته إليه ديدو المليحة دليلاً وتذكاراً لمحبتها . أما بقية الشباب فكانوا يمتطون خيولاً صقلية مهداة من أكستيس العجوز .

استقبل الدردانيون الصبية الخجولين بالترحاب ، وأحسوا بالبهجة وهم ينظرون إليهم ، ورأوا فيهم ملامح أسلافهم . وبعد أن ركبوا خيولهم فى خيلاء وسط الجمهور كله وأمام أعين ذويهم ، وبينما هم مستعدون، أعطى إبيتديس إشارة البدء من بعيد لهم بصيحة وبفرقعة من سوطه. عندئذ أخذوا يدورون فى صفين متوازيين ، وينقسمون إلى ثلاثة صفوف تسير فى خطوط متوازية ، وما أن صدرت إليهم الأوامر حتى استداروا وغيروا طريقهم وهم يحملون مزاريقهم استعداداً للنزال . بعد ذلك انتظموا فى صفوف تسير فى اتجاه واحد ، ثم فى صفوف تسير فى اتجاهات متضادة : على شكل ألوية متحاربة ، يحاصر بعضها البعض الآخر . لقد كانوا يمثلون معركة وهمية مسلحة ، فهم يكشفون ظهورهم فارين مرة ، ويستديرون برماحهم مهاجمين مرة أخرى ، وأخيراً ، وقد عُقد الصلح ، فإنهم يسيرون فوق خيولهم جنباً إلى جنب . ويقال إنه كان يوجد فى سالف الأزمان فى قصر اللابرنث (٦١) المقام فى أعلى كريت ممر ذو سور مكون من حوائط تبدو مغلقة ، وكانت طرقاته — التى تبلغ الألف عداً — تسبب حيرة ، لاهداية معها، حيث كانت إشارات الإرشاد يحيط بها غموض ليس بعده غموض ، بحيث كان من غير الممكن اكتشافها أو تعقب أثرها ، ولكن ذلك لم يعق أبناء الطرواديين عن السير فى هذا السباق وهم يخلطون بين الهرب والمناوشات

فى لعبهم ، مثلهم فى ذلك مثل الدرافيل ، التى – بينما تسبح فى البحار الرطبة – تقطع الكاربائى والليبى (وهى تلهو بين الأمواج (٦٢)) .

كان أسكانيوس أول من كرر هذا الأسلوب فى الفروسية والقتال ، وذلك عندما أحاط ألبالونجا بالأسوار ، ثم علّمه اللاتين الأوائل : ثم علّم أهل ألبا لونجا أطفالهم ذلك الأسلوب نفسه، مثلما كان يحدث عندما كان أسكانيوس صبياً يرافقه صبية طروادة . ومنهم أقتبسته روما القوية واحتفظت به كتراث من تراث الأسلاف . واليوم فإن اللعبة التى يؤديها الصبية تسمى لعبة طروادة، كما أن فصيلتهم تدعى بالفصيلة الطروادية. هكذا انتهت الاحتفالات التى أقيمت تكريماً للوالد المبجّل .

فى ذلك الوقت كانت ربة القدر قد نكثت بوعدها وأحست نحوهم بالنفور . فبينما كانوا يؤدون الطقوس فى صورة ألعاب متنوعة ، بعثت ابنة ساتورنوس (٦٣) إريس (٦٤) من السماء نحو الأسطول الطروادى ، وأخذت تنفث خلفها الرياح كى تنطلق فى طريقها ، كانت تدبر أموراً شتى ، إذ أن غضبها القديم لم يكن ثورته قد هدأت بعد (٦٥) . أسرعت إريس فى طريقها بجانب قوس قزح ذى الألوان الألف ، إنطلقت تطوى رحلتها السريعة ، كعذراء ، دون أن يرها أحد . إنها ترى الجمع المحتشد ، تتفرّس الشواطىء ، تُلقى بنظراتها على الموانىء المهجورة والسفن الخالية . لكن هناك ، على الشواطىء المنعزلة ، كانت النسوة الطرواديات يتبكين فى عزلة فقيدهن أنخسيس ، وأثناء بكائهن كُنّ يحدقن جميعاً فى اليم العميق : « وا أسفاه ! ما زالت هناك مستنقعات كثيرة وبحر واسع ينتظرنا ، نحن المتعبات » . هذه هى صيحتهن الوحيدة التى كن يطلقنها معاً . كُنّ يتُقْنَ إلى أن تكون لهن مدينة ، بعد أن أجهَدتهُنّ أهوال البحر . لذلك فقد ألقت إريس ، التى لم تكن تجهل ما تدبره من أذى ، بنفسها وسطهن ، وقد طرحت عن نفسها سحنتها الإلهية وهيأتها القدسية ، وتقمّصت شخصية



ايريس رسول الآلهة – هيرا على وجه الخصوص – تلبس الخيتـون القصـــيرة وخلفتا رجليها مجنحتان ، وتمسـك بعصا الرسول . تجمع شعرها فى عصبة تلتف حول الراس عدة لفات ثم تتجمع فى ضفيرة واحدة خلف الراس . صورة باللون الاحمر على فازة لايعرف مكانهـــا الآن .

بيروى (٦٦) ، زوجة دوريكلوس اتمارى المُسنّة ، التى كانت تتمتع فى وقت ما بأصل عريق وشهرة وذرية (٦٧) . هكذا ألقت بنفسها وسط أمهات الدردانيين ثم قالت : « واحسرتاه ! يا لنا من بائسات ، نحن اللاتى لم يَلْقَيْن الموت على يد الآخيين أثناء الحرب التى دارت تحت أسوار وطننا ! ويلك أيها الجنس التعس ، إلى أى هلاك تدّخرك ربة القدر ؟ هذا هو الصيف السابع يوشك أن ينقضى منذ دمّرت طروادة ، ونحن نجوب البحار وجميع البقاع ، نترقب عدداً لا حصر له من النجوم ونَمُرّ بصخور غير مضيافة ، بينما نحاول أن نلحق بما تُستَمّى إيطاليا ، التى تروغنا ، عبر البحر الواسع ،

ونواصل تجوالنا فوق الأمواج . هنا توجد مملكة أخينا إريكس ويقيم مضيفنا أكستيس ، فمن يمنعنا من أن نزيل الأسوار ونشيد مدينة لمواطنينا ؟ أيها الوطن ، أىْ آلهة البيناتيس ، يا مَنْ نَجَوْتُم من قبضة العدو دون جدوى ، ألَنْ تكُنْ هناك مدينة تسمى طروادة ؟ هل سأرى كسانثوس وسيمويس ، أنهار هيكتور[٦٨] ؟ هَلُمَّ معى ، واحْرِقْن هذه السفن اللعينة . إذ أن شبح كساندرا[٦٩] العرّافة بدا لى فى منامى ، وقدّم إلىّ مشاعل متوهجة وهو يقول : « فَلْتَبحَثْن هنا عن طروادة ، عن موطن لكُنّ فى هذا المكان . لقد حان الوقت كى ننجز مهمتنا ، ليس هناك داع للتسويف ، وذلك بسبب ظهور هذه النُذر الضخمة المشئومة . انْظُرْن ! هَاكُمْ أربعة مذابح لنبتونوس[٧٠] ، إنه الإله نفسه هو الذى يقدم المشاعل ويمنح العزم الأكيد » .

بعد أن تفوّهت بهذه الكلمات ، كانت هى أول من أمسك فى قوة بالنار المحرقة ورفعت يدها اليمنى إلى أقصى مدى ثم لوّحت بالنار وقذفت بها بأقصى قوتها . عندئذ إضطربت قلوب الطرواديات ، وأصاب الارتباك عقولهن . وهنا قالت واحدة من بين النساء الكثيرات ، بيرجو ، أكبرهن سناً والمربية الملكية لأبناء برياموس العديدين : « إن هذه المرأة التى أمامكن ليست بيروى ، أيتها الأمهات ، إنها ليست زوجة دوريكلوس الروتية[٧١] . لاحظْنَ سمات الجمال الإلهى والعينين اللامعتين ، لاحظْنَ نَخْوَتَها ، وإرادتها ، ورنين صوتها ، وخطواتها حين تسير . فمنذ فترة تركْتُ أنا نفسى بيروى خلفى مريضة متبرمة ، حتى أنها هى الوحيدة التى حُرِمَتْ من الاشتراك فى القيام بهذه الطقوس ، ولم تُقدِّم فروض التكريم نحو أنخيسيس » . هكذا تفوّهت[٧٢] ... لكن الأمهات كُنّ ينطلعن فى أول الأمر إلى السفن وقد سيطر عليهن الاضطراب وملأ الحقد عيونهن ، وكُنّ فى حيرة بين أحبّتهن التعس للأرض القريبة منهن والمملكة التى تناديهن بصوت القدر ، عندما صعدت الإلهة نحو قلب السماء على أجنحة متوازنة وكَوّنَتْ أثناء فرارها

قوس قزح ضخم امتد تحت السحب . عندئذ حقاً ، أذهلتهنّ النُذر المشئومة واستولى عليهن الجنون، فصحن في صوت واحد وانتزعْن اللهب من المواقد الداخلية ، بينما نهبت بعضهن المذابح المقدسة وألقيْن عليها أوراق الأشجار والأغصان والشعلات . وهاج ڤولكانوس [٧٣] - كفرس أطلق له العنان - وماج وسط المقاعد والمجاديف وأثاث السفن المصنوع من الخشب الصنوبرى .

وحمل يوميليس الرسول[٧٤] أخبار السفن المحترقة إلى مَنْ كانوا حول قبر أنخيسيس وفي ساحة المسرح ، وعندما التفتت هؤلاء خلفهم رأوا بأنفسهم سحب الدخان الداكنة تتصاعد مختلطة بذرات الرماد . وكان أسكانيوس أول من تقدم مندفعاً بحصانه - تماماً كما كان يقود استعراض الخيل في بهجة من قبل - ناحية المعسكر المضطرب . اندفع وهو في غمرة الحماس ، ولم يستطع مُدربوه ، الذين كان قد سيطر الاضطراب على قلوبهم ، أن يثنوا عزمه . « أى جنون غريب هذا ؟ إلى أين تتجهن الآن ؟ إلى أين ؟ أيتها المواطنات البائسات ؟ » ثم واصل أسكانيوس حديثه قائلا : « ويحكُن ! إنكن لا تحرقْن عدواً أو معسكراً أرجولياً معادياً ، بل تأتين على أمل لكُنّ . أنظُرْن ، إنني صديقكن أسكانيوس ! » ثم ألقى عند قدميه بخوذته الخالية ، التي كان يضعها فوق رأسه عندما كان يقوم بتمثيل المعركة الحربية . وفي نفس الوقت أسرع آينياس تتبعه فلول الطرواديين . لكن النسوة تفرقْن هنا وهناك في كل مكان على الشاطىء ، يتملكهن الفزع ، وتسللن نحو الغابات والكهوف الصخرية أينما وجدت . لقد كرهْنَ ما فعلْنه فكرهْنَ أيضاً ضوء النهار[٧٥] . وبعد أن ثُبْن إلى رشدهن ، تعرّفن على ذويهن ، وخرجتْ چونو من صدورهن[٧٦] .

إن كل ذلك لم يجعل النيران المُحرقة تُهدىء من قوتها التي لا تلين ، فتحت خشب البلوط الرطب ظلت النيران حيّة ، تبعث حلقات من الدخان تتصاعد ببطء ، وتلتهم حرارتها القاسية قواعد السفن ، وتأتى النيران على هياكلها

كلها ، ولم تعُدْ قوى الأبطال ولا كميات المياه التي يقذفون بها قادرةً على السيطرة عليها . عندئذ شقّ آينياس ثوبه عن أكتافه ، ثم رفع يديه وهو يصيح طالباً العون : « أي چوبيتر ، القادر على كل شيء . إذا لم تكن قد كرهتَ بعد جميع الطرواديين حتى آخر رجل ، وإذا كان عطفك الأزلي لا يزال يشمل متاعب البشر ، فلتَمْنَحْ الآن ، يا إلهي ، أسطولنا النجاة من الحريق ؛ ولتنقذ ممتلكات التيوكريين الضئيلة من الهلاك . أما إذا كان هذا هو قدري الذي أستحقه ، فلتُرْسِلَنّ صاعقة مهلكة تقتل البقية الباقية ، ولْتَقْضِين علينا هنا بيمينك . » عندما تفوّه بهذه الكلمات ، ثارت على الفور عاصفة هوجاء ، تصحبها أمطار غزيرة ورعد يهز مرتفعات الأرض وسهولها ، ومن السماء هطلت أمطار جارفة متدفقة ، وأصبحت السحب داكنة بفعل الأعاصير الجنوبية ، وامتلأت السفن بماء كالفيضان ، وابتلّت الأخشاب التي كادت تأتي عليها النيران . وظل الحال على هذا المنوال حتى خمدت النار تماماً ، وأنقذت السفن جميعاً من الدمار ، ماعدا أربعاً منها فُقدت وسط اللهب .

لكن الأب آينياس ، وقد هزّته المحنة القاسية ، أصبح صدره حينئذ مثقلاً بالهموم الكئيبة ، تارة يُفَضّل طريقاً وتارة يفضل أخرى ، وهو يفكّر فيما إذا كان عليه أن يستقر في الأراضي الصقلية متناسياً بذلك الأقدار ، أم يجاهد للوصول إلى السواحل الإيطالية . عندئذ نطق ناوتيس العجوز (٧٧)، الذي وهبته پالاس التريتونية ، وحده دون غيره ، علمَها وجعلته مشهوراً بمعرفته الغزيرة ، وهي التي وهبته المقدرة على تفسير ما ينذر به غضب الآلهة الشديد والإفصاح عمّا تتطلبه مجريات القدر – نطق ناوتيس بهذه الكلمات مواسياً آينياس : « يا ابن الإلهة ، علينا أن نسير وفقاً لرغبة الأقدار ، حيثما تأخذنا في روحاتها وغدواتها ، ومهما يحدث ، فإن كل قَدَرٍ يمكن قهره بالصبر . إن اكستيس الدرداني من أصل إلهي مثلك ، فلْتَتّخذه شريكاً لك في مخططاتك ، فهو رفيق طيب الاستعداد . ولْتَعْهَد إليه برعاية أولئك

الذين كُتبتْ لهم الحياة بعد أن فُقدت سفنهم وأولئك الذين سئموا ما قمت به من عمل عظيم وما كُتبَ عليك من أهوال . ولتَخترْ معك الشيوخ الذين حنّكتْهم السنون والسيدات اللائى أرهقتهن رحلة البحر وكل من يشعر بالضعف أو بالخوف ؛ أما المتعبون فلْتكُن لهم مدينة بدون أسوار فى هذه الأراضى ، وسوف يُسْمَح لهم أن يطلقوا على هذه المدينة اسم أكستا » .

أضرمت كلمات صديقه العجوز نار الحماس فى صدره ، لكن قلبه فى الحقيقة كانت تمزّقه الهموم . وعندما جاء الليل الدامس بعجلته وحجب قبة السماء ، بدا شبح والده أنخيسيس وهو ينزل من علٍ ، ثم بدأ فجأة ينطق بهذه الكلمات :

« ولدى ، يا أعز عندى من الحياة ، عندما كنتُ على قيد الحياة . يا بنىّ ايا مَنْ تطاردك أقدار طروادة . إنى أتيت إلى هنا تنفيذاً لأوامر جوبيتر ، الذى أزاح النار عن الأسطول ، وبعث فى آخر الأمر برحمته من السموات العلى . فلْتَعْمل بالنصائح الغالية التى قدمها لك الآن ناوتيس العجوز ، فلْتَصْطَحب معك إلى إيطاليا صفوة الشباب وأشجعهم قلباً ، إذ أن عليك أن تُخْضع قوماً خُشُناً غير متحضرين فى إقليم لاتيوم . والآن ، لنَقْتَرِب أولاً من مقر الإله ديس فى العالم السفلى ، ولْتَذهب إلى أعماق أڤرنوس[٧٨] وتطلب ، يا بنى ، هناك مقابلتى . إذ أن تارتاروس[٧٩] اللعين لا يظللنى بظلاله الكئيبة ، بل إننى أقطن إليسيوم[٨٠] وسط جمع طيب من الأتقياء . هناك سوف ترشدك سيبولا الطاهرة[٨١] بواسطة دماء غزيرة لأغنام سوداء . عندئذ سوف تعلم كل شىء عن ذرّيتك ، وتعرف أية مدينة سوف تكون من نصيبك . والآن وداعاً ؛ فإن الليل الرطب يوشك أن ينتصف ، وإنى أحس بأنفاس المشرق القاسى يقترب فوق خيوله اللاهثة . »

بعد أن قال ذلك مرّ كدخان يتصاعد فى الهواء الرقيق . « إلى أين تنطلق بعد ذلك؟ إلى أين تسرع ؟ » ، صاح آينياس « ممّنْ تهرب ؟ ومَنْ يمنعك أن تكون

بين أحضاننا ؟ » : قال هذه الكلمات ثم أخذ يقلب رماد النار الخافتة ، ولجأ إلى لارالبرجامى[٨٢] وإلى المذبح المقدس للربة فستا[٨٣] ذات الشعر الرمادى حيث قدم وجبة مقدسة ومبخرة زاخرة بالبخور [٨٤] .

وفى الحال جمع رفاقه وفى مقدمتهم أكستيس ، ونقل إليهم أمر جوبيتر ، وشرح لهم ما أشار به والده العزيز ، وما استقر هو نفسه عليه من رأى . وبدون أن يتلكأوا فى مشاوراتهم ، استجاب أكستيس لأوامره . أخذوا يحصرون أسماء النسوة المقترح توطينهن فى المدينة ، ويوطنون الأشخاص الذين لديهم رغبة فى الاستيطان : الذين لا تهفو نفوسهم إلى العظمة الفائقة . وبدأ الرجال يجددون مقاعد المجدفين فى السفن ، ويستبدلون الأخشاب التى أتت عليها النيران ، ويصلحون من شأن المجاديف والأشرعة ، كانوا قلة قليلة ، لكنهم شجعان مستعدون للحرب . وفى أثناء ذلك كان آينياس يخطط المدينة بالمحراث ويحدد أراضى البناء[٨٥] ، ويأمر بأن تسمى هذه المنطقة اليوم ، وتلك طروادة . وسر أكستيس الطروادى بمملكته ، وأنشأ بلاطاً ، واستن قوانين ، ودعا أعضاء مجلس الشيوخ وعرضها عليهم . وبعد ذلك أقام معبداً لفينيوس الإيدالية على قمة إريكس المجاورة للنجوم ، وأنشأ أجمة مقدسة ملحقة بقبر أنخيسيس وعين هناك كاهناً .

والآن وقد احتفل الناس بجميعهم لمدة تسعة أيام[٨٦] ، وقدمت القرابين على المذابح ، أخذت النسمات الهادئة تداعب صفحة الماء وريح الجنوب المتجمعة تهب فتدعوهم مرة ثانية إلى البحر . وارتفع على طول الشواطىء المتعرجة بكاء شديد ، وتلكأوا ليلاً ونهاراً يحتضن كل منهم الآخر . وفى ذلك الوقت فإن النساء والرجال أنفسهم ، الذين بدا لهم من قبل منظر البحر قاسياً واسمه غير محتمل ، قد أصبحوا راغبين فى الخروج وتحمل مشقة الرحلة حتى نهايتها . لقد واسى آينياس الطيب هؤلاء الناس بكلمات رقيقة وعهد بهم ، والدمع يترقرق فى عينيه ، إلى قريبه أكستيس . بعد ذلك أمر بذبح ثلاثة عجول لإريكس ونعجة صغيرة لتمپستاتيس[٨٧] ، كما أمر بفك حبال السفن

الواحدة بعد الأخرى . أما هو فقد وقف ، ورأسه محاطة بأوراق من أغصان الزيتون المشذبة ـ وقف بعيداً ، فوق مقدمة السفينة ، يمسك بالكأس ، يقذف بالأحشاء فى الماء المالح ويسكب النبيذ السائل . وتبعتهم فى رحلتهم ريح كانت ترفع مؤخرة السفينة إلى أعلى . وفى قوة ومضاء أخذ رفاقه يضربون الماء بمجاديفهم ويندفعون فوق سطح البحر .

لكن ڤينوس ، وقد هزتها الهموم فى تلك الأثناء ، تحدثت إلى نبتونوس وهى تشكو من صميم قلبها قائلة : « إن غضب چونو العنيف وقلبها الحقود يدفعانى ، يا نبتونوس ، إلى أن أهبط إلى أعمق درجات التوسل ، فلا الأيام الطوال ولا أى نوع من التقديس يخفف من حدتها ، ولا سلطان چوبيتر ولا الأقدار تستطيع أن تكسر شوكتها وتهدىء من ثورتها . ليس بكاف أنها بمقتها اللعين قد التهمت المدينة الفروجية من وسط الشعوب ، وأذاقت البقية الباقية من طروادة مرّ العقاب ، بل إنها مازالت تتعقب رفات وعظام من أهلكوا . لعلها هى وحدها التى تعرف أسباب غضبها العنيف هذا ـ لقد شهدتَ بنفسك ما أثارته من شغب مفاجىء فى الآونة الأخيرة وسط المياه الليبية ، لقد أثارت البحار والسماء حتى كادا أن يختلطا ، معتمدة فى ذلك ، دون جدوى ، على عواصف أيولوس . لقد تجرأت على القيام بهذا العمل الذى هو من صميم اختصاصك (٨٨) . أنظر ! إنها ، أيضاً ، بعد أن دفعتْ النساء الطرواديات نحو الشر ، أحرقت السفن فى خبث ، وأرغمتهن ، وقد فقدن الأسطول ، على أن يتركن رفاقهن فى أرض غير معروفة . أما مَنْ بقى منهم ، إننى أتوسل إليك ، فَلْتَسْمَحْ لهم مشكوراً أن يبحروا فى سلام عبر البحر ، وأن يصلوا إلى نهر التيبر اللاورنتى(٨٩) . هذا إذا كنتُ أطلب أمراً مستطاعاً ، وإذا كانت ربة الأقدار قد شاءت أن تمنحهم تلك المدينة (٩٠) .

عندئذ تحدث ابن ساتورنوس ، سيد البحر العميق ، قائلاً : « إنه عين الصواب ، أيتها الكيثيرية ، أن تضعى ثقتك فى مملكتى حيث كان مولدك (٩١) . وإنى لجدير بهذه الثقة أيضاً ، إذ أننى غالباً ما كبحت جماح ثورة البحر

والسماء وغضبهما العنيف . ولم أقم بأقل من ذلك على الأرض – وإننى لأستشهد بكل من كسانثوس وسيموِيس ، إذ أن عنايتى كانت موجّهة نحو صديقك آينياس(٩٢) . فعندما طارد أخيليوس الجيوش الطروادية ، وقطع أنفاسها عند أسوار المدينة ، وساق إلى الموت آلافاً عديدة ، وعندما زمجرت الأنهار وقد غُصّت بالجثث ولم يعد كسانثوس قادراً على أن يشق طريقه أو أن يندفع نحو البحر ، عندئذ فإنى أنقذت آينياس بواسطة سحابة مُجوّفة أثناء منازلته لابن بيليوس الصنديد الذى كان يفوقه فى القوة وفى مساندة الآلهة له ، بالرغم من أنى كنت أتوق إلى أن أقتلع أسوار طروادة ، من جذورها – تلك الأسوار التى شيدتها بيدىّ (٩٣) . وما زال يلازمنى هذا الشعور نفسه حتى الآن . فلْتَطْرُدى إذن مخاوفك . فى سلام ، كما ترغبين ، سيصل إلى ميناء أفيرنوس . شخص واحد فقط(٩٤) ، سوف تفقدونه وسوف تبحثون عنه فى أعماق البحر . شخص واحد سوف يُقَدّم فداءً لكثيرين » .

بعد أن هدّأ من روع الإلهة بهذه الكلمات ، شدّ الرب خيوله البرية إلى نير من ذهب ، وأحكم لجام الخيل المزبد ، وأرخى العنان الذى يمسكه بكلتا يديه ، ثم طار برشاقة فوق سطح الماء فى عربته الداكنة . فأخذت الأمواج تهبط فى هدوء ، ومياه البحر الممتدة تنكمش فى رقة تحت عربته الرعدية ، وبدأت السحب العاصفة تختفى من السماء الواسعة . عندئذ كانت ترافقه صُوَرٌ مختلفة من المرافقين : حيتان ضخمة ، مجموعة جلاوكوس المُسنّين (٩٥) ، بالايمون بن إينو(٩٦) ، مجموعة الترتيونيس السريعة (٩٧) ، وجميع جيش فوركوس . كما تعلّقت به من الناحية اليسرى كل من ثيتيس (٩٨) وميليتى والعذراء پانوبيا ونيسيا وسبيو وكذلك ثاليا وكيمودوكى (٩٩) .

عندئذ ملأت مشاعر رقيقة قلب الأب آينياس ، الذى كان مفعماً بالقلق ، وأمر برفع الصوارى كلها بسرعة ونشر القلاع على أشرعتها . وعلى الفور بدأ جميع البحارة يعملون : يُثَبّتون حبال الأشرعة ، ويَحلّون معاً الأجزاء

المتفخة من الأشرعة تارة ذات اليسار وأخرى ذات اليمين ، ويربطون معاً ويفككون قمم الصوارى الشاهقة ، ودفعت الرياح المواتية الأسطول فى رحلته ، بينما كان الربّان پالينوروس يتقدم الجميع وهو يقود الأسطول الضخم ، أما الآخرون فكانوا يأتمرون بأمره ويتبعون خط سيره .

كان الليل الرطب قد كاد أن يصل إلى منتصف قبة السماء ، عندما احتل البحارة مقاعدهم الخشنة تحت المجاديف ، وقد مدّوا أطرافهم فى استرخاء وهدوء : عندئذ هبط إله النوم (١٠٠) ، وقد انسل برشاقة هابطاً من بين نجوم السماء ، يشقّ الهواء المعتّم ، ويشتت الظلام ، قاصداً إياك يا پالينوروس ، حاملاً إليك — أيها البرىء — أحلاماً حزينة . وفى أعلى مؤخرة السفينة جلس الإله فى صورة فورباس (١٠١) ، وأخرج هذه الكلمات من بين شفتيه : « أى پالينوروس ، يا ابن إياسوس ، إن البحار بنفسها تحمل الأسطول ، إنها تنفث رياحاً متوازنة ، ولديك الآن وقت لتستريح . فلتُرِحْ رأسك ولتَنْتَشِلْ عينيك المتعبتين بعيداً عن مشقّة العمل ، ولسوف أتولّى بنفسى العمل بدلاً منك لفترة قصيرة » . عندئذ أجابه پالينوروس ، وهو يرفع عينيه بصعوبة : « أتأمُرنى أن أتجاهل ما تعنيه ملامح البحر الهادىء وأمواجه الساكنة ؟ أتأمرنى أن أثق فى ذلك المسْخ ؟ إذ كيف أعهد بأينياس إلى هذه الرياح المخادعة ، أنا الذى كثيراً ما خدعتنى السماء الصافية ؟ » .

بعد أن قال هذه الكلمات ، قبض على الدفة بقوة ، ولم يفك قبضته أبداً ، وقد صوّب ناظريه إلى أعلى نحو النجوم . أنظر ! إن الإله يهز على كل من صُدغيه غصناً يبلله ندى ليثى (١٠٢) ليغطّ فى النوم بفعل قوة ستيكس (١٠٣) ، ويجعل عينيه الزائغتين تتوقفان عن المقاومة . وما أن كادت غفوة مفاجئة تفكّ أطراف پالينوروس حتى انحنى إله النوم فوقه ، وقذف به وسط الأمواج المندفعة بعد أن تحطمّ وسقط معه جزء من مؤخرة السفينة والدفّة ، بينما كان هو فى ذلك الوقت يستغيث عبثاً برفاقه ، ثم ارتفع الإله نفسه طائراً بأجنحته عالياً فى الهواء الرقيق . وأسرع الأسطول آمناً ، دون تأخير وانساب

دون خوف فوق سطح البحر ، إعتماداً على وعود الرب نبتونوس. وأكثر من ذلك فإن الأسطول كان يقترب فى ذلك الوقت من صخور سيرينيس [١٠٤] — تلك الصخور التى كانت فى وقت من الأوقات مُهْلِكة [١٠٥] ، بيضاء بعظام الكثير من الضحايا ، والتى أصبحت فيما بعد صخوراً تبعث باستمرار صوتاً أجش فوق البحر الواسع . وعندما شعر الرّبان أن السفينة تسير بلا هدف ، بعد أن فقدت قائد الدفة ، وأنه يتولى قيادتها بنفسه وسط أمواج الليل ، فإنه تنهد كثيراً وأخذ ينوح بشدة ، وقد اهتز قلبه بعنف لمصير صديقه : « وا حسرتاه ! يا مَنْ وثقت أكثر مما يجب فى هدوء البحر والسماء . سوف ترقد عارياً — جثة غير مدفونة — يا پالينوروس ، على شاطىء مجهول ».

***

حواشي الكتاب الخامس

(١) بالينوروس Palinurus ، هو قائد سفينة آينياس .

(٢) فورتونا Fortuna ، هي إلهة الحظ والنجاح .

(٣) أريكس Eryx ، هو أخ غير شقيق لآينياس وهو ابن ڤينوس .

(٤) أكستيس Acestes ، ملك صقلية ، وهو ابن إله النهر بصقلية ، كريميسوس ، وفتاة طروادية من أسرة عريقة .

(٥) كان آينياس قد فقد والده في دريبانوم Drepanum ، بجزيرة صقلية .

(٦) تسمى هذه الرياح زيفوروس Zephyrus ، وهي رياح غربية .

(٧) مر آينياس في هذه الشواطىء الرملية المتحركة ، التي توجد على الساحل الشمالي من أفريقيا في شرق قرطاجة ، بذكريات غير سارة ؛ إذ أنها تسبب جنوح السفن .

(٨) المدينة المقصودة هنا هي پتاڤيوم Patavium ، وهي مدينة پادوا Padua في الوقت الحاضر .

(٩) الأسم الذي يطلق على الآلهة اللاتينية القديمة هو Penates وهي حارسة مدفأة البيت .

(١٠) كان الحزن على الموتى يستمر مدة تسعة أيام تبدأ من اليوم التالي للجنازة . وعند نهايتها تقدم ضحية تسمى Movendiale ، أي «الضحية التي تقدم في اليوم التاسع» .

(١١) كانت هذه القفازات الجلدية تستخدم في ألعاب رياضة الملاكمة .

(١٢) يقول ليڤيوس ، المؤرخ الروماني المعروف ، إن غصنا من سعف النخيل قد أعطى لأحد المنتصرين ، وذلك طبقا لتقليد إغريقي ، في عام ٢٩٣ ق.م. ومنذ ذلك التاريخ أصبح غصن النخيل رمزاً للنصر .

(١٣) الآس : نوع من أنواع النباتات العطرية ، ويعرف أحياناً «بالريحان الشامى» .

(١٤) هيليموس Helymus ، هو أحد أصدقاء آينياس .

(١٥) أوسونى Ausonius ، نسبة إلى قبائل بدائية فى إيطاليا . وتعنى هنا هذه الصفة : إيطالى ، كما أنها تشير إلى نهر التيبر الإيطالى .

(١٦) أخيرون Acheron ، أحد أنهار العالم السفلى ، هاديس ، والمقصود بالشبح هنا ربما يكون ذلك الثعبان الذى ظهر أثناء الاحتفال .

(١٧) فايثون Phaethon ، إله الشمس الذى يجلب الضوء .

(١٨) پريستيس Pristis ، اسم أحد أنواع السمك ، والمقصود به هنا احدى سفن السباق .

(١٩) يطلق اللقب ميميوس Memmius ، على قبيلة رومانية . وهناك جايوس ميميوس الذى أهدى إليه لوكريتيووس قصيدته «عن الطبيعة» .

(٢٠) جياس Gyas ، هو قبطان الخمايرا Chimaera ، وهو هنا اسم إحدى السفن المتسابقة ، نسبة إلى الوحش الذى قتله بيليروفون Bellerophone .

(٢١) دردانى Dardanius ، نسبة إلى دردانوس بن زيوس واليكترا وهو سلف الطرواديين الأسطورى ومؤسس مدينة دوردانيا ، Dardania .

(٢٢) سيرجستوس Sergestus ، هو قائد السفينة الكنتاوروس Centaurus إحدى سفن السباق ، ومن اسمه أطلق اللقب سيرجيين Sergi على قبيلة رومانية .

(٢٣) هيكتور Hector ، هو ابن پرياموس ملك طروادة .

(٢٤) ماليا Malea ، منطقة جبلية بارزة عند لوكونيا على ساحل سانت أنجلو St. Angelo .

(٢٥) فى هذا الموضع يظهر أسلوب مازح يقصد به فرجيليوس التهكم عن يحاول القيام بعمل دون أن تكون لديه الوسائل التى تساعد على القيام به .

(٢٦) النيريديس Nereides . هن عرائس البحر فى البحر المتوسط ، وهن مثل بنات أوكيانوس .

(٢٧) فوركوس Phorcus ، هو ابن نبتونوس ووالد ميدوسا Medusa ، وبقية الجورجونز Gorgones . وبعد موته أصبح أحد آلهة البحر .

(٢٨) پانوپيا Panopia إحدى عرائس البحر .

(٢٩) پورتونوس Portunus ، إله بحر يحمى البحارة فى عودتهم .

(٣٠) يطلق الاسم Magnum Talentum على التالنت الفضى وهو يعادل حوالى ثلاثة آلاف فرنك أى ما يوازى حوالى ٢٤٠ جنيها استرلينيا .

(٣١) الكلمة المستخدمة هى ميليبويا ، Meliboea ، وتمنى أيضا تساليا .

(٣٢) الصبى الملكي هو جانيميديس Ganymedes ، وهو ابن تراوس Traos . تروى الأسطورة أن نسر زيوس قد حمله إلى السماء كى يصبح ساقى الآلهة .

(٣٣) إيدا ، Ida ، جبل بالقرب من طروادة ، وهو المكان الذى شهد محاكمة باريس.

(٣٤) ديموليوس ، Demoleos ، هو أحد زعماء الإغريق وقد لقى مصرعه على يد آينياس .

(٣٥) سيمويس ، Simois ، نهر بالقرب من طروادة يصب فى نهر سكامندير Scamander

(٣٦) نيسوس Nisus ، ويوريالوس ، Euryalus ، متسابقان طرواديان وقد كسب يوريالوس الجائزة الأولى . كان نيسوس أكبر الإثنين سناً ، بينما كان يوريالوس فى نضرة الشباب .

(٣٧) تيجيا ، Tegea ، مدينة فى أركاديا .

(٣٨) نسبة إلى جنوسيا Gnosia ، وهى مدينة فى كريت شهيرة برماة الرماح .

(٣٩) نسبة إلى الأمازون وهن عملاقات جئن فى نهاية الحرب الطروادية تحت قيادة ملكتهن بينثيسيليا Penthesilea ، لمساعدة برياموس ملك طروادة .

(٤٠) كان التراقيون حلفاء للطرواديين .

(٤١) قتل الطرواديون أندروجيوس وزملاءه فى أوائل الحرب الطروادية ، وهم هنا يمتلكون أسلحتهم الأرجولية التى استولوا عليها بعد قتلهم .

(٤٢) من الواضح أن آينياس كان قد استولى على هذا الدرع من بطل إغريقى كان قد أخذه من مدخل معبد نبتونوس أثناء غزوة طروادة . وها هو آينياس يضمه كجائزة .

(٤٣) يقصد هنا أن تكون اليدان ملفوفتين بشىء ما يشبه القفاز ، إستعداداً للملاكمة .

(٤٤) بوتيس Butes ، هو ابن أميكوس Amycus ، وقد قتله داريس ، وهو غير بوتيس الذى ذكر من قبل .

(٤٥) باربيكيا Barbycia . وكان الباربيكيون ينتسبون إلى قبيلة تراقية فى بيثينيا Bythynia ، وقد قتل ملكهم على يد بوللكس Pollux ، فى مباراة للملاكمة .

(٤٦) أنتللوس Entellus ، هو شخص صقلى سميت باسمه مدينة إنتلا Entella

(٤٧) تسمى صقلية تريناكريا Trinacria ، أى الأرض ذات الثلاث قمم بحرية .

(٤٨) قتل هيراكليس — فى هذه المعركة — أريكس : فقد حدث أن فرت عجول جيريونيس Geryones ، من إريثيا ، Erythia ، فقفز فى البحر وسبح حتى صقلية حيث أخذه إريكس وضمه إلى قطيعه . وذهب هيراكليس لاستعادته وحدث القتال بينه وبين إريكس .

(٤٩) الكيديس Alcides المقصود هنا هو هيراكليس ، إنه لقب يطلق عليه نسبة إلى جده ألكيوس Alceus .

(٥٠) لم تكن المتاعب بسبب القتال أصلا بل بسبب ضخامة الجسم وثقل وزنه .

(٥١) إريمانثوس . Erymanthus ، جبل فى أركاديا الغربية وهو مكان صيد الخراتيت أو الخنازير الإريمانثية .

(٥٢) سيريستوس Serestus ، قائد سفينة من سفن آينياس .

(٥٣) كانت القرعة تجرى بين المتسابقين بأن تلقى مجموعة من الأوراق أو الشقافات ، مكتوب عليها أسماء المتسابقين ، فى خوذة . ثم تجرى عملية سحب هذه الأوراق أو الشقافات لتحديد ترتيب أدوار المتسابقين .

(٥٤) پانداروس هو ابن ليكاؤون Lycaon ، وهو رامى سهام ليكى مشهور فى الحرب الطروادية ، ويقال إن أبوللون أعطاه بنفسه السهم (هوميروس ، الإلياذة ، ٢٣ سطر ، ٨٦) ويشبه فى ذلك يوريتيون ، لأنه هو الذى فاز فى السباق وأصاب الحمامة . وپانداروس هو الذى عهدت إليه طروادة أن يقذف بسهمة ليخرق المعاهدة بين الطرواديين والأغريق .

(٥٥) عندما حدثت الحروب البونية Bella Punica فيما بعد وقامت صقلية بدور هام فيها ، أعلن العرافون أن ذلك ما هو إلا إتمام للنبوءة التى ذكرت هنا .

(٥٦) كيسيوس Cisseus ملك تراقيا ، ووالد هيكوبا .

(٥٧) كانت هذه الحلية تلبس كزينة عسكرية .

(٥٨) يقال إن پرياموس الصغير هو الذى أسس وسمى باسم والده بوليتيس مدينة بوليتوريوم Politorium ، ومن هنا سمى « أصل أو حامى الإيطاليين » . أما بوليتيس فهو ابن پرياموس الكبير .

(٥٩) أتيس Atys ، مؤسس قبيلة آتيا Atia اللاتينية وإليه تنتسب أتيا أم أغسطس .

(٦٠) نسبة إلى مدينة صيدا Sidon ، فى فينيقيا .

(٦١) قصر اللابيرينث ، Labyrinthus بناه ديدالوس فى كريت ، وإمتاز بفسخامته وأبهته وعدد حجراته الكبير .

(٦٢) كارباثيوس Carpathius ، تشير هذه الصفة إلى بحر يسمى البحر الكارباثى الذى يقع بين كريت ورودس وقد سمى هكذا نسبة إلى جزيرة كارباثوس ، Carpathus ، وهى سكاربنتو ، Scarpanto الحالية .

(٦٣) إبنة ساتورنوس هى الإلهة جونو .

(٦٤) إريس Iris ، ابنة ثاوماس Thaumas ، وهى رسول الآلهة ، لكنها كانت تستخدم غالباً بواسطة جونو ، كان طريقها من السماء إلى الأرض على شكل قوس قزح .

(٦٥) لمعرفة سبب غضب جونو راجع ص ٢ ، وحاشية (٣) ص١١١ .

(٦٦) بيروى Beroe ، هى زوجة دوريكلوس الذى كان ملكا لتراقيا. وقد أخذ هذا الملك لقب التارى Tamarius نسبة إلى الجبل Tamarus فى إبيروس .

(٦٧) بدت إريس فى هيئة بيروى لما كان لها من صفات جعلتها على تقدير جميع الطرواديات .

(٦٨) نهر كسانثوس ينسب إلى تروس Tros ، جد الطرواديين، الذى اشتقت من اسمه كلمة طروادة .

(٦٩) انظر ص ١٥٨ حاشية (٤٥) .

(٧٠) كانت لنبتونوس ، إله البحر ، مذابح أربعة تقام عليها أربعة مشاعل عند إقامة الطقوس .

(٧١) الروتية Rhoete ، نسبة إلى جبل رويتيوم ، Rhoeteum الطروادى على مضيق البوسفور . ويعنى استخدام هذه الصفة : طروادى .

(٧٢) النص هنا ناقص .

(٧٣) الإشارة هنا إلى النار التى اشتعلت فى السفن ، وذلك نسبة إلى ڤولكانوس Volcanus إله النار .

(٧٤) لم يكن يوميلوس Eumelus رسولا للآلهه ، وإنما كان مجرد رجل عجوز صاحب النساء إلى السفن ثم قام بابلاغ الطرواديين بما رأى .

(٧٥) هذه كناية عن أن ما فعلنه إنما تمن به وهن فى غيبة عن الوعى . فلما نيقظن شعرن بالخجل ، وكرهن أنفسهن وما فعلن ، وتمنين أن يخفيهن الظلام .

(٧٦) كان ما أرتكبته النسوة الطرواديات هو من تدبير جونو التى كانت تضمر الشر للطرواديين ، والمقصود هنا بلفظ « خرجت جونو من صدورهن » هو أنهن عدن إلى رشدهن وتخلصن من تأثير جونو .

(٧٧) ناوتيس Nautes ، هو كاهن بالاس ، حمل البلاديوم من طروادة إلى إيطاليا .

(٧٨) أفيرنوس Avernus وهو ما ينسب إلى بحيرة تحمل هذا الاسم ، موجودة فى عالم الموتى .

(٧٩) تارتاروس Tartarus ، وتسمى أيضا ترتارا Tartara وهى مأوى الملعونين فى العالم السفلى .

(٨٠) اليسوم Elysium ، وهو موطن الصالحين فى العالم السفلى .

(٨١) سيبولا Sibylla ، يقال إنها من كيمى وإنها كانت تبلغ من العمر ٧٠٠ عاما عندما استشارها آينياس (انظر ص ٢٧٨ وما بعده) .

(٨٢) البرجامى نسبة إلى برجاموم عاصمة طروادة ،وتستخدم الصفة لتعنى طروادة . لار Lar هو الروح التى تحمى المنزل الرومانى .

(٨٣) فيستا Vesta ، إلهة الموقد والدفء فى المنازل .

(٨٤) كان آينياس فى واقع الأمر فى منزله ، حيث كان يحتفظ بنار دائمة لمعبد منزله وكذلك الآلهة البناتيس Penates ومن بينها كانت فيستا إلهة الموقد .

(٨٥) يشير فرجيليوس هنا إلى عادة كانت سائدة عند اللاتين والأتروسكين فى إقامة المدن . كانوا يلقون ثورين فى محراث ويحفرون فى الأرض خطوطاً تصير بعد ذلك حدود مدينتهم من الخارج وتحدد معالم المدينة من الداخل .

(٨٦) كما كان الحداد والحزن يستمر لمدة تسعة أيام ، فإن السرور والأفراح كانت تستمر أيضا تسعة أيام (انظر ص ٢٦٩ حاشية ١٠) .

(٨٧) تمبستاتيس Tempestates ، هن إلهات الطقس .

(٨٨) توجه ڤينوس الحديث إلى نبتونوس ، إله البحر ، مبينة أن ما قامت به چونو كان فى مملكة نبتونوس وبناء على ذلك فأى تصرف هناك يكون من اختصاص إله البحر وحده .

(٨٩) يوصف نهر التيبر بأنه اللاورنتى Laureus نسبة إلى مدينة لاورنتوم Laurentum فى إقليم لاتيوم Latium .

(٩٠) الأقدار التى ذكرت هنا هى Parcae وهى تطابق إلى حد ما Fortuna إلهة الحظ .

(٩١) كان مولد ڤينوس – أفروديتى عند الإغريق – فى البحر ويقال إنها تكونت من زبد البحر .

(٩٢) عندما ثار أخيلوس بسبب موت باتروكلوس وقرر العودة للاشتراك فى حرب طروادة . كان غريمه اللدود هو آينياس. فلما حطم أخيليوس درعه كاد أن يفتك به لولا تدخل پوسيدون .

(٩٣) كان نبتونوس حاقداً على الطرواديين لأنهم خدعوه عندما حنثوا بالوعد الذى وعده به لاؤومدون Laomedon ، بأن يقدموا له جائزة على بنائه مدينة طروادة .

(٩٤) المقصود بالشخص الذى فقد هنا هو باليتوروس، قائد أسطول آينياس ، وهو أصلا من لأكونيا .

(٩٥) جلاوكوس Glaucus ، صياد وغطاس ، بنى السفينة آرجو Argo ، وقد أصبح خالداً بعد أن أكل العشب المقدس ، الذى بذره كرونوس ، وأصبح أحد مخلوقات البحر المقدسة . كان يزور السواحل والجزر مرة كل عام مصحوبا بوحوش بحرية .

(٩٦) بالايمون Palaemon ، إله بحرى كان يدعونه البحارة من أجل العودة إلى الموانىء سالمين .

(٩٧) تريتون Triton ، هو ابن نبتونوس عرف بأعماله الفنية بواسطة الصدف .

(٩٨) ثيتيس Thetis ، ابنة نيريوس Nereus وأم أخيليوس .

(٩٩) كل هذه أسماء عرائس بحر .

(١٠٠) المقصود هنا هو سومنوس Sumnos ، إله النوم .

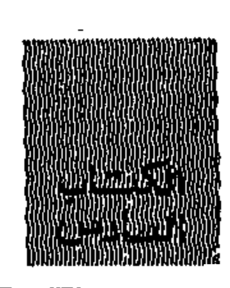
(١٠١) فورباس Phonbas ابن برياموس Periamus ، ووالد إليونيوس Ilioneus

(١٠٢) ليثى Lethe ، نهر النسيان ، ونقطة منه تسبب فقدان الذاكرة .

(١٠٣) نهر ستيكس Styx ، من يبتل بمائه يذهب فى نوم عميق أشبه بالموت .

(١٠٤) سيرينيس Sirenes حوريات بحريات يسكن بالقرب من رأس بيلوروس Pelorus فى صقلية . كن يجلبن الهلاك لكل من يرسو على شواطئهن . وكن يجذبن البحارة إليهن بأغانيهن .

(١٠٥) ظلت هذه الصخور تسبب الهلاك حتى أبطل أوديسيوس ما لها من قوة سحرية فعندما رفض أن ينجذب إليهن فما كان منهن إلا أن أهلكن أنفسهن ، ومن ثم لم يعد يسمع هناك سوى صوت خرير ماء بين الصخور .



أحمد عثمان

كان يقول ذلك وهو يبكي ، وقد أطلق العنان لسفنه ، واقترب أخيراً من شواطىء كوماى اليوبية (١) . إنهم يحوّلون مقدمات السفن تجاه البحر ، وتمسك المراسى السفن بأسنانها ، وتصطف القوارب فتزركش الشاطىء بمؤخراتها المستديرة . وتقفز جماعة الشبان إلى الشاطىء الهسبيرى (٢) فى حماس ولهفة ، يبحث بعضهم عن شرارة اللهب الكامنة فى أحجار الصوان ، وينقّب الآخرون فى الغابات الكثيفة ، مراتع الوحوش الكاسرة ، ويرشدون أصحابهم إلى الأنهار التى اكتشفوها . لكن آينياس التقىّ ينشد القمم حيث يستوى أبوللون على عرشه فى السموات العلى ، وحيث الكهف الضخم لسيبولا(٣) الرهيبة ، التى نفخ فيها إله ديلوس(٤) من عقله وروحه ، وكشف لها عن المستقبل . وها هم الآن يقتربون من أحراش التريفيه (٥) ومعبدها الذهبى .

فعندما هرب ديدالوس — كما تروى القصة — من مملكة مينوس ، وتجرّأ — مستعيناً بأجنحته السريعة — على تسليم نفسه للسماء ، وسبح فى الفضاء إلى المنطقة الشمالية الباردة ، فى رحلة غير مألوفة ، وهبط أخيراً برفق فوق قلعة خالكيس(٦) ، وحالما عاد إلى الأرض ، قدم إليك ، يافويبوس ، أجنحته ، التى تشبه المجاديف ، نذراً ، وأقام لك معبداً ضخماً ، ونقش على الباب منظر وفاة أندروجيوس(٧) وأيضاً أبناء كيكروبس(٨) ، وقد أجبروا على دفع الجزية — يا للهول ! سبعة من أبنائهم سنوياً . ونُقش أيضاً منظر وعاء القدر ، حيث قُرّرت فيه مصائر البشر ، وعلى الواجهة المقابلة منظر للأرض الجنوسية (٩) الصاعدة من جوف البحر . وهنا يوجد وصف للحب القاسى نحو الثور وباسيفاى (١٠) ، التى اقترنت به خلسة ، والنسل

المختلط : المينوتاوروس ، الثانى الهيئة ، رمز هواها الفاضح ؛ وهنا تظهر روعة ذلك القصر المشهور ومتاهاته المعقدة . غير أن ديد الوس ، وقد أشفق على حب الأميرة أريادنى(١١) العظيم ، كشف بنفسه متاهات القصر ومنعطفاته مرشداً بالخيط أقدام ثيسيوس الحائرة . أما أنت ، يا إيكاروس ، فقد كان لك قسط وافر فى هذا العمل العظيم — إن كان يسمح الحزن بذلك ؛ فقد حاول والدك مرتين أن يستخدم الذهب فى تصوير سقوطك ، وفشلت يداه مرتين أيضاً .

ما زالوا يتفرسون الصور كلها على التوالى حتى أتى أخاتيس ، الذى كان قد أرسل من قبل ، وفى صحبته كاهنة فويبوس وتريفيا ، ديفوبى ، بنت جلاوكوس ، التى خاطبت الملك قائلة :

« ليست هذه المشاهد ماتتطلبه اللحظة الراهنة ! ولعل من الأفضل الآن أن تقدموا قرباناً من سبعة عجول ، من قطيع لم يمسسه أحد ، ومثل هذا العدد من نعاج مختارة ، تبلغ من العمر عامين ، حسب العادة المتبعة » .

بمثل هذه الكلمات خاطبت الكاهنة آينياس ، فلم يتوان الأبطال فى تلبية أوامرها الإلهية ، ودعت الكاهنة التيوكريين إلى المعابد الشاهقة .

هناك كهف ضخم ، حفر فى جنب الصخرة اليوبية ، يؤدى إليه مائة ممر عريض ومائة بوابة ، منه تنطلق إجابات سيبولا ، ذات المائة صوت . وما أن وصلوا إلى أعتاب المعبد حتى صاحت العذراء : « لقد حان الوقت كى تسأل عن مستقبلك ، ويحك ! إنه الإله ، إنه الإله ! » . وبينما كانت تفوه بهذه الكلمات أمام المدخل ، تغيرت ملامحها فجأة ، وتبدل لون وجهها ، ولم تثبت جدائل شعرها على وضع بعينه . كان قلبها اللاهث يخفق ، وصدرها يعلو ويهبط ، وقدمسّها شىء من الخبل ، وبدت للناظرين فى صورة ضخمة ، ولم يعد صوتها بشرياً ، حيث داخلتها قوة إلهية قريبة :

« أتتاكأ فى تقديم النذور ، وإقامة الصلاة ، أتتاكأ يا آينياس ، يا ابن

طروادة !». ثم مضت تقول : « فالأبواب الضخمة لمعبدنا المسحور لن تظل مفتوحة أمامك إلا إلى حين » . هكذا قالت ، ثم عادت إلى الصمت من جديد ، وتسرّبت إلى عظام الطرواديين الصلبة رعشة ثلجية ، وصبّ مليكهم من أعماق قلبه هذه الدعوات :

« أى فويبوس ، يا مَنْ كنت دائماً تنظر إلى مصائب طروادة الثقال بعين العطف والشفقة ، وكنت المُوَجِّه للأسلحة الطروادية وليد پاريس ضد ابن أياكوس (١٢) . لقد جُبْتُ تحت قيادتك بحاراً عدة تلف أوطاناً عظيمة ، واخترقت مواطن الماسوليين المتوغلة فى داخل اليابسة ، وسورتيس(١٣) حقول الكثبان الرملية البارزة إلى خارجها . وها نحن أخيراً قد لحقنا بشواطىء إيطاليا ، التى طالما زاغت من قبضتنا . ألا ليْتَ « النحس الطروادى » (١٤) يكفّ عن مطاردتنا الآن . وأنتم أيضاً ، أيها الآلهة والإلاهات . يا مَنْ كانت إليوم والمجد الدردانى التليد يسيئان إليكم ، آه لو تسمح جلالتكم بالصفح عن الجنس البرجامى(١٥) ! وأنت يا أقدس العرّافين والعرّافات ، يا عالمة بما هو آت ، أنا لا أطالب بغير ما كُتب لنا فى قدرنا المسطور ، فلتَسْمَحى بأن يستقر فى لاتيوم التيوكريون وآلهتهم ، التى تجوّلت معهم طويلاً ، ومقدسات طروادة ، التى شرّدتها العواصف كثيراً ، عندئذ سوف أشيّد لفويبوس وتريڤيا معبداً من الرخام الصلد ، وأقيم الأعياد تمجيداً لفويبوس وأنت أيضاً ينتظرك فى مملكتنا معبد ضخم ، إذ أننى سوف أحفظ هنا نبوءاتك وأقدارك الخفيّة ، التى تعلنينها على بنى جلدتى ، وسوف أخصص لك ، يا سيدتى الرحيمة ، رجالاً من خيرة القوم . إننى فقط أضرع إليك أن لاتبوحى بنبوءاتك لأوراق الأشجار خشية أن تلعب بها الرياح الخارقة فتطير فى الهواء ، أضرع إليك أن ينطق بها لسانك » . ثم أطبق شفتيه وعاد للصمت .

لكن الكاهنة لم تعد قادرة على تحمل سلطان فويبوس فأخذت ترغى وتزبد فى الغار عساها تستطيع أن تزيح عن صدرها ذلك الإله الجبار . لكن هيهات ، فإن أپوللون قد شدد قبضته على فمها المزبد ، وأخضع قلبها الشرس .

وشكّل هيأتها بقوة سلطانه . عندئذ انفتحت المائة باب الضخمة للمعبد من تلقاء نفسها ، وحملت عبر الأثير إجابات الكاهنة :

« يا مَنْ اجتزتَ حتى الآن أخطار البحر الجسيمة ، ما زالت تنتظرك على البر أخطار أشد جسامة . سوف يصل الدردانيون إلى ظلمات لاڤينيوم ، دعك من هذه الهموم ، لكن لا تدعهم يطيرون فرحاً بوصولهم ، إننى أتبيّنُ حروباً ، حروباً طاحنة ، وأرى نهر التيبر وقد أزبد بفيض من الدماء . ولن ينقصك سيمويس ولاكسانثوس ولا معسكر دورى ، بل سوف يوجد فى لاتيوم أخيلوس آخر والدته إلهة ، ولن تتوقف چونو [١٦] عن ملاحقة التيوكريين ، فقد تأصّل الحقد فى قلبها . وأى أمم بل وأى مدن فى إيطاليا ، سوف لا تذهب أنت إليها فى محنتك ضارعاً متوسلا !! ومرة أخرى سوف يكون فراش عرس أجنبى [١٧] « مصدر شقاء أليم للطرواديين » [١٨] . لكن لا تستسلم للكوارث ، وشق طريقك فى جرأة متصدياً لها ، بقدر ما تسمح لك به ربة القدر ، ولسوف ينفتح أمامك طريق الخلاص — من حيث لا تحتسب — على يد مدينة إغريقية » .

بهذه الألفاظ كانت سيبولا الكومية تترنم من داخل المعبد بأسرارها الغامضة المخيفة : كانت ترانيمها تتردد وسط الكهف وهى تلف الحقائق فى ثوب من الغموض . هزّ أپوللون عنانها بشدة ، ونخسها بمهمازه من تحت صدرها ، وعندما هدأت ثورتها ، وتوقفت رعشة فمها المزبد ، سرعان ما عاد آينياس البطل يخاطبها قائلا :

« أيتها العذراء ، إن ما تتنبئين به من أهوال ليس جديداً علىّ ، ولا هو غير متوقّع . فلقد تنبأتُ به كاملاً من قبل . فهو ما زال يعيش معى ، وفى ذهنى حتى الآن . لكن لى رجاء واحد . فحيث أن هذه « بوابة الآخرة » ، كما يقولون ، وذلك هو « المستنقع المظلم » ونهر « أخيرون » [١٩] الفياض ، فكم أتمنىّ أن أذهب إلى والدى العزيز ، وأن أراه وجهاً لوجه . فأرشدينى

إلى الطريق ، ولتفتحي أمامي الأبواب المقدسة . إياه قد اختطفته من بين ألسنة النيران ، ومن بين آلاف الأسلحة ، التي كانت تلاحقنا ، وعلى أكتافي هذه حملته ، وخرجت به سالماً من بين صفوف الأعداء . إنه رفيقي في رحلتي عبر كل البحار ، تحمل معي أهوال البحر وتهديدات السماء ، على كبر سنه وضعفه ، فقد عانى فوق ما تتحمله شيخوخته . إنه هو نفسه الذي طلب مني اللجوء إليك ، والتضرع لجلالتك ، والتقرب من أعتابك . إنني لأناشدك ، ياسيدتي الرحيمة ، أن تشفقي على الأب وابنه ، وأنت القديرة على كل شيء ، فليس عبثاً أن تنصبك هيكاتي[٢٠] سيدةً على أحراش أفيرنوس[٢١] . وإذا كان أورفيوس[٢٢] قد استطاع أن يحضر شبح زوجته من العالم الآخر بفضل قيثارته التراقية ذات الأوتار الشجية ، والأنغام السحرية ، وإذا كان پوللوكس[٢٣] قادراً على أن يستعيد أخاه ، ويتبادل معه الموت والحياة ، ويعبر الطريق إلى الآخرة ، ذهاباً وإياباً ، ولم ذكر ثيسيوس[٢٤] العظيم وهر كليس[٢٥] ، وإذا كان كل هؤلاء من نسل الآلهة ، فأنا أيضاً من سلالة چوبيتر العظيم » .

بمثل هذه الكلمات توسل ، وهو يتعلق بالمذابح المقدسة ، فردت عليه العرافة قائلة :

« أيها الطروادي ، يا ابن أنخيسيس ، يا سليل الآلهة ، ما أسهل الهبوط إلى أفيرنوس ، فأبواب ديس[٢٦] ، حالكة الظلمات ، مفتوحة على مصراعيها ليل نهار . لكن أن تعود أدراجك إلى الوراء ، وأن تصعد إلى هواء العالم الأرضي من جديد ، هذه هي المشكلة ، وهنا يكمن الخطر . قليلون فقط هم الذين استطاعوا ذلك ، وهم من نسل الآلهة . إنهم هؤلاء الذين أحبهم چوبيتر العادل ، فرفعتهم فضيلتهم الخالدة إلى السماء . فكل ما بينهما[٢٧] تغطيه الغابات ، ويحيطه كوكيتوس[٢٨] الساري في مجراه المظلم . ومع ذلك فلو أن مثل هذا الجنون قد مسك ، ولو أن مثل هذه الرغبة قد ملكت عليك شغاف قلبك ، فلتعبر بحيرة ستيكس[٢٩] مرتين ، وترى تارتاروس[٣٠]

المظلم مرتين ، وتجد سروراً فى الإقدام على مثل هذه المخاطرة الخُنْوليّة ، فلتَتَعَلَّمْ ماذا ينبغى عليك عمله أولاً . فهناك ، وراء شجرة كثيفة الظلال ، يختفى الغصن الذهبى ، بجذعه اللدْن وأوراقه . إنه — كما يقولون — مُقدس لدى مليكة العالم الآخر (٣١) ، تغطيه كل الأحراش ، وتخفيه الظلمات فى وديان سحيقه . ولم يُمنح أحد قط حق الهبوط إلى العالم السفلى قبل أن يقطف من الشجرة تلك الثمرة ذات الجدائل الذهبية . لأن بروسربينا الجميلة رأت أن يُقدّم هذا الغصن لها كهدية خاصة . وعندما يُنْتَزَع هذا الغصن ، ينبت مكانه غصن آخر مثله تماماً — ذهبى وله ذؤابات ذهبية — ومن ثم اقْتَفِ أثر هذا الغصن بناظريْك ، فإن عثرت عليه ، فأقطفه بيديْك فى رفق ، لأنه سوف ينْخلع بسهولة ، ويتبعك من تلقاء نفسه ، إذا كانت الأقدار تناديك ، وإلا فإنك لن تستطيع أن تنزعه من مكانه ، لا بسيفك البتّار ، ولا بأىٍ من الجنود المسلّحين . ثم إنك — يا للهول ! — لا تعرف أن صديقاً لك يرقد الآن جثة هامدة ، وأنه ، بينما أنت تتلكأ على أعتابنا ، وتستطلع نبؤاتنا ، يلطخ هو بموته كل أسطولك . عليك أولاً أن تحمله إلى مقرّه الأخير ، وأن توارى سوءته ثم تحضر مواشى سوداء اللون ، ولتكن بشائر قربان التكفير الأولى . عندئذ سوف ترى بعينيك أجراش نهر ستيكس وممالك لم يرها كائن حى » . هكذا قالت ثم أطبقت شفتيها .

وبعينين رحيمتين ، ووجه ساهم ، تقدم آينياس إلى الأمام ، وغادر الكهف ، وهو يتدبّر نفسه العواقب الغامضة ، وبصحبته صديقه المخلص أخاتيس ، يحس بنفس الهموم ، ويتناولان فى حديثهما مختلف الأمور : مَنْ يكون ذلك الصديق الذى فقد الحياة ؟ ما هى الجثة التى يجب دفنها والتى تحدثت عنها العرّافة ؟ وما أن عادا حتى وجدا ميسينوس على الشاطىء القاحل وقد اختطفه الموت اللعين — ميسينوس بن أيولوس ، الذى لم يتفوّق عليه أحد قط فى إثارة حماس الرجال بنفيره النحاسى ، وإشعال نار الحرب بنغماته . كان رفيق هيكتور العظيم ، ومع هيكتور خاض المعارك : فكان

مرموقاً فى استخدامه للنفير وللحربة على حد سواء . وبعد أن قضى أخيلوس الظافر على هيكتور ، انضم ميسنوس إلى صفوف آينياس الدردانى كأشجع بطل وتحت قيادة بطل لا يقل فى بطولته عن القائد السابق . ولكن الآن — وقد جعل البحر يجلجل بقوقعته المجوفة ، ياله من أحمق (٣٢) ! ، وتحدى



صورة لنفير نحاسى طوله خمسة اقدام وثلاثة بوصات وجد فى مدينة كرفترى (= كايرى، فى العصر الحديث) ومعروض الآن فى الفاتيكان .

الآلهة بنغمات نفيره — فإن تريتون (٣٣) الغيور — إن كان ذلك معقولا — استدرجه بين الصخور ، وأغرقه تحت الأمواج المزبدة . من أجل ذلك كان الجميع من حوله يولولون ، ويجهشون بالبكاء ، وعلى رأسهم آينياس الوفىّ . بعد ذلك بدأوا فى تنفيذ أوامر سيبولاً دون تلكؤ ، ويتسابقون ، وهم يبكون، فى إقامة مقبرة من خشب الأشجار تشبه المذبح، ويرتفعون بها إلى عنان السماء . ثم اندسوا إلى داخل الغابة العتيقة ، مرتع الوحوش الضارية ، حيث تهادى أشجار الصنوبر ، وتصرخ جذوع البلوط من ضربات المعاول ، وتنشق أعمدة من أخشاب الدردار الضخمة والسنديان السهل القطع بواسطة الأسافين ، ويدحرجون أشجار الإجاص الجبلية الضخمة . كان آينياس فى المقدمة يقوم بهذه الأعمال ، ويحثّ رجاله ، ويتسلح معهم بمثل ما كانوا يتسلّحون به . لكنه انفرد بقلبه الحزين ، يفكر فى كل ذلك ، بينما كان يحملق فى الغابة المترامية الأطراف ، ويتوسل للسماء بهذه الكلمات :

« والآن ماذا لو ينكشف لنا ذلك الغصن الذهبى ، على شجرته ، فى هذه الغابة الشاسعة ! إذ أن العرّافة ما نطقت إلا بالحقيقة عنك يا ميسينوس ! » .

ما إن فاه بهذه الكلمات ، حتى جاءت حماماتان ، تحلقان فى السماء ، ثم تحطان على المروج الخضراء تحت ناظريه . عندئذ تعرف البطل العظيم فيهما الطيور المقدسة لدى أمه ، فتضرع إليهما فى فرح :

« كونا مرشدىّ ، آه ! إمضيا أمامى فى طريقكما الأثيرى — إن كانت هناك طريق — ، إلى الأحراش ، حيث يظلل الغصن الذهبى الملىء بالخيرات الأرض الخصبة . وأنتِ يا أمى ، أيتها الإلهة ، لا تتخلىّ عنىّ ، وحظّى ما زال متعثراً » .

ما كاد يقول ذلك ، حتى توقف عن السير ، وهو يلاحظ ما تبديان من إشارات وإلى أين تتجهان . فإذا بهما تلتقطان غذاءهما ، ثم تتقدمان إلى الأمام فى طيرانهما حتى يتمكن من يتابعهما بناظريه من أن يلاحقهما . وعندما وصلتا إلى مدخل أفرنوس ، ذى الرائحة الكريهة ، ارتفعتا فجأة ، ثم انسابتا إلى أسفل عبر الهواء السلس . واختارتا شجرة حطتا عليها جنباً إلى جنب ، ومن بين فروع هذه الشجرة لمع بريق الذهب . وكما يحدث فى الشتاء القارس فى الغابات ، إذ تترعرع أوراق شجر الدابوق الغريب ، وتتناثر على الأشجار الأخرى ، وتزركش جذوعها بالزعفران الشديد الاصفرار — هكذا كانت تبدو الأوراق الذهبية فوق شجرة البلوط الوارفة الظلال ، وهكذا كانت الفروع الذهبية تجلجل بفعل النسيم العليل . وعلى الفور يخطف آينياس الغصن الذهبى ، ينتزعه انتزاعاً فى شغف ، ويحمله هدية إلى معبد العرافة سيبولاّ .

فى ذلك الوقت كان التيوكريون على الشاطىء يبكون ميسينوس ، ويقومون بالشعائر الجنائزية الأخيرة لرفاته ، التى لم يوفَ حقها بعد . فى البداية أقاموا كومة عالية من أخشاب الصنوبر الراتينية وشرائح البلوط ، وربطوا بين جوانبها وسدّوا فجواتها بأوراق داكنة ، ووضعوا أخشاب السرو الجنائزية فى المقدمة ، وتوّجوا الكومة بأسلحة الميّت اللامعة . وأخذ بعضهم يعدون مراجل المياه

الساخنة ، التي تغلي فوق النيران ، يُطَهِّرون جسده البارد ، ويدهنونه بالزيت ، ونواحهم لا ينقطع . وبعد أن انتهوا من النواح ، وضعوا جثمانه فوق وسادة ، فوقها الدثار القرمزى المعتاد ، وحمل الآخرون النعش الضخم فوق أكتافهم – إنه عمل يثير الحزن – إذ أمسكوا به وهم يديرون وجوههم ، وحسب تقاليد آبائهم ، ألقوا به فى اللهب . واحترقت فى النيران هدايا مكدسة من اللبان والأطعمة وطاسات تفيض بزيت الزيتون . ولما خبت جذوة النيران وذابت ألسنتها ، أطفأوا ظمأها بوابل من النبيذ ، وجمع كورنيايوس العظام وأخفاها فى قارورة برونزية ، ونثر على رفاقه من حوله ماء زلالاً ثلاث مرات ، وطهرهم برذاذ يقطر من غصن زيتون مُثْمر ، وأنشد تراتيل الوداع . لكن آينياس الوفى أقام له مقبرة ضخمة عند سفح جبل شاهق ، وتوجها بأسلحة المتوفى الخاصة ومجدافه ونفيره ، ومنذ ذلك الوقت يقال لهذا الجبل « ميسنيوس » ، تخليداً لاسمه على مدى الأجيال .

بعد أن تمت هذه الأعمال . شرع آينياس على الفور يؤدى فرائض سيبولا . وكان هناك كهف عميق ذو فوهة واسعة كئيبة ، عسير المنال ، يكمن وراء البحيرة المظلمة ، والغابات الكثيفة . لا يستطيع طائر قط أن يقترب منه أو يرفوف فوقه بجناحيه وينجو سالماً . ولهذا سماه الإغريق أفرنوس (أو أورانوس) ، أى مكان لا طير فيه إذ أن زفيراً ساماً ينطلق من فوهته الكئيبة ويتصاعد إلى عنان السماء . (٢٤) عندئذ أعدت الكاهنة أربعة عجول داكنة اللون ، وصبت النبيذ على جباهها ، ونزعت ذؤابات شعرها فيما بين القرون ، وألقت بها فى النار المقدسة كبشائر . ونادت بصوت مسموع ، هيكاتى المهيمنة على السماء والعالم السفلى . وغرز آخرون السكاكين فى نحور الذبائح ، وأخذوا يتلقفون الدماء الدافئة فى أباريقهم . أما آينياس نفسه فقد ذبح بسيفه شاة ذات فروة سوداء تكريماً لأم الإلهات الرحمة (٢٥) وأختها العظيمة ، وذبح بقرة عاقراً صغيرة لك ، يا پروسرپينا . ثم أقام ولائم ليلية تكريماً لروح ستيكس الملكية ، وألقى فى النيران ذبائح من الثيران

كاملة ، بينما كان يسكب على الأحشاء المتوهجة سيلاً من الزيت . لكن ، أنظُرْ !! فقبل بزوغ أشعة الشمس جأرت الأرض من تحت الأقدام ، وماجت قمم الغابات واهتزّت ، وبدأ نباح الكلاب يدوّى فى الظلام[٦]، بينما كانت الإلهة قادمة . وهنا صاحت الكاهنة .



هيراكليس يقتل الحية: عملة ضربت فى جزيرة كريت ، معروضة الآن فى المتحف البريطانى .



ادوات كانت تستعمل فى تقديم القرابين : سكين ضخم حاد (على اليمين) او صحفة مسطحة (فى الوسط) وابريق (على اليسار) وهى جميعا موضوعة على مائدة . صورة منقولة من نقش بارز معروض فى متحف اللوفر .

« بعيداً ، آه فلتكونوا بعيدين ، أيها الآدميون المدنّسون ، أتركوا هذه الأجمه الإلهية تماماً . أما أنت ، فعليك بهذا الطريق ، واستل سيفك من غمده ، فما أحوَجَك الآن ، يا آينياس ، لذهنٍ متّقد وقلبٍ ثابت » . قالت هذا ، ثم اندفعت بجنون إلى داخل الكهف ، بينما كان هو يقتفى خطاها دون وجَل .

أيتها الآلهة (٣٦) ، يا مَنْ لكم السلطان على الأرواح ، أيتها الأشباح الصامتة ، وهاوية الجحيم ، وفليجيثون (٣٧) ، المملكة الصامتة تحت الليل العريض ، أتيحوا لى أن أفصح عما سمعت ، وأن أكشف النقاب — طبقاً لمشيئتكم الربانية — عن الأشياء المكنونة فى أعماق الأرض وحالك الظلمات !

هبطا غير مرئيين ، عبر الظلام ، فى ليل موحش ، بين دروب ديس الخاوية ومملكته الخالية ، كما لو كانا يسيران فى غابة تحت ضوء غير ملموس لقمر غير مرئى ، عندما يخفى جوبيتر السماء وراء الظلال ، ويجعل الليل الحالك الأشياء غير ذات لون . وأمام الممر مباشرة ، عند المدخل الضيق لأوركوس[٣٨] ، يرقد « الحزن المفرط » و « الندم المقلق » . هناك تستقر « الأمراض الشاحبة » و « الشيخوخة الحزينة » و « الخوف » و « الجوع القارس الدافع للجريمة والإثم » و « الحاجة القبيحة » – وكم هو رهيب أن ترى صور هذه الأهوال ! ! – و « الموت » و « الشقاء » ثم « النوم » ، شقيق الموت ، « الشهوات



الكنتاوروس ، كما تخيله المثالان اريستياس وبابياس اللذان عاشا فى القرن الثانى بعد ميلاد المسيح ، تمثال من الرخام الاسود وجد فى مدينة تريفولى ومعروض الآن فى متحف الكابيتولينو بروما .

الأثيمة ، وها هي « الحرب الفتاكة » تنام على الأعتاب ، في مواجهتهم و « ربات الغضب » بأوكارها الحديدية ، و « الفتنة القاتلة » (٣٩) ، وقد توجت خصلات شعرها الأفعوانية بمشابك دموية .

وفي الوسط توجد شجرة دردار عالية ضخمة ، تمتد فروعها العتيقة المتشابكة حيث تجثم عليها « الأحلام الجوفاء » زرافات متشبثة بأوراقها . وإلى جانب ذلك ، فهناك وحوش ضارية ، متعددة ومتنوعة ، تتخذ مكانها عند البوابة : الكنتوروس (٤٠) ، وجماعات سكيلا (٤١) ، الثنائية



سكيلا كما تظهر على آنية فخارية اغريقية وجدت في نابلي ، ويرجع تاريخها الى عام ٣٠٠ ق . م .

الصورة ، وبرياريوس (٤٢) ، ذو المائة ذراع ، وحية لرنا (٤٣) ذات الفحيح المخيف ، وخمايرا (٤٤) المسلحة بألسنة من اللهب ، وجورجونيس (٤٥) والهاربيات (٤٦) وهيكل الشبح الثلاثي البدن (٤٧) . هنا قفز آينياس مذعوراً ، واستل سيفه ، ورفعه إلى أعلى نحو الأشباح ، وهي في طريقها إليه ، ولولا أن ذكرته رفيقة دربه ، العليمة بحقيقة الأمور ، أن كل ما يرى ماهو إلا أرواح نحيلة تسبح ، وأشباح هزيلة ، لهوى بسيفه البتار يمزقها — عبثاً — إرباً إرباً .

من هنا الطريق الموصّل إلى تارتاروس وأمواج آخيرون . هنا تدور دوامة طينية فى هوة سحيقة ، وتقذف برمال كثيفة فى نهر كوكيتوس . هنا يحرس خارون ، المعدّاوى المخيف (٤٩) ، تلك المجارى المائية والأنهار ، وفى هيئة بشعة مخيفة : بلحيته التى وخطها الشيب ، ولم يقربها مشط قط ، وعينيه اللتين يتطاير منهما الشرر ، وملابسه الرثة ، التى تتدلى معقدة من فوق كتفيه . إنه يدفع القارب بنفسه بواسطة العصى ، يسبح بحمولته من الموتى



هرميس يسلم احـد الموتى الى خارون لينقله فى قاربه الى العالم الاخر : صورة على آنية فخارية اتيكية موجودة فى ميونخ ويرجع تاريخها الى اوائل القرن الرابع قبل الميلاد .

فوق قاربه الذى يعلُوه الصدأ . إنه الآن شيخ ، لكن شيخوخة الآلهة شباب نضر وضّاء . من هناك يتجمع جمهور كبير ، ويندفع نحو الشاطئ : نساء ورجال ، أشباح أبطال شجعان فارقوا الحياة ، صبية وعذارى ، شباب لفظوا أنفاسهم الأخيرة أمام أعين أهاليهم ، جمهور لا حصر له ، يتساقط كما تتساقط أوراق الأشجار فى الغابات مع بداية ظهور صقيع الخريف ، أو كما تهرول الطيور نحو الأرض مبتعدة عن اليمّ العميق عندما يطاردها برد الشتاء عبر البحار ويدفعها نحو الأراضى المشمسة . إنهم يتهافتون عليه ، ويتوسلون إليه كى يعبر كلٌّ منهم أولاً ، رافعين أيديهم فى شوق نحو الشاطئ المقابل . لكن « المعداوى » العبوس يُبحر بهؤلاء ويؤجّل أولئك ، ويدفع بآخرين إلى الخلف ، ويأتى بهم على الرمال . ويقترب آينياس وقد أثارته الدهشة من أمر ذلك الحشد قائلاً :

« فلتخبريني ، أيتها العذراء ، ماذا يعني هذا الحشد حول هذا النهر ؟ وماذا تريد هذه الأشباح ؟ وماذا يعني أن يُمنع البعض من الاقتراب من هذا الشاطىء ، وأن يبحر آخرون بمجاديفهم عبر هذه المياه القاتمة ؟ »

أجابته الكاهنة العجوز في إيجاز : « يا ابن أنخيس ، يا سليل الآلهة ولا ريب، إنك الآن ترى بحيرات كوكيتوس العميقة ، ومستنقع « ستيكس ». الذي يخشى الآلهة أن يُقْسموا بقدسيته ثم يحنثون في قسمهم . إن كل هذا الذي يروعك هو حشد من المحتاجين (٤٩) الذين لم يُدفنوا بعد موتهم . وهذا هو خارون ، المعدّاوى ، وهؤلاء الذين يحملهم قاربه هم أصحاب القبور من الموتى ، ولا يُسمح لسواهم ممن لم يحظوا بنعمة الدفن ، بالعبور إلى الشواطىء الرهيبة والبحيرات ذوات الصوت الأجشّ قبل أن تستريح عظامهم تحت الثرى . إن أرواحهم تحوم هنا حول الشاطىء مائة عام ، بعدئذ يُسمح لهم بالدخول وزيارة المستنقعات التي يتحرقون شوقاً لزيارتها ».



المائدة ذات الارجل الثلاث الخاصة بنبوءة الاله ابوللون كما تظهر منقوشة على وجه عملة فضية من كروتون ، ويرجع تاريخها الى القرن السادس ق . م ، ومعروضة الآن في المتحف البريطاني .



صورة للمسخ المعروف باسم « خمايرا » مرسوم على وجه عملة فضية سيكيونية يرجع تاريخها الى القرن الرابع ق . م ، ومعروضة الآن في المتحف البريطاني .

وقف ابن أنخيسيس ساكناً ، وتثاقلت خطاه وهو يقلّب أفكاره ، ويرثى لحال هؤلاء الموتى التعساء ، الذين حُرموا نعمة الدفن : ليوكاسيس وأورونتيس ، قائد أسطول ليكيا (٥٠) ، اللذين كانا يبحران من طروادة فوق أمواج البحر الثائر فجرفتهما الرياح الجنوبية وغاصت السفن بهما وبرجالهما إلى القاع .

انظر !! هناك يسير پالينوروس ، قائد الدفة ، الذى انزلق من فوق مؤخرة سفينته ، وهوى بين الأمواج المتلاطمة ، بينما كان منذ عهد قريب يراقب النجوم فى مجراها الليبى .

وعندما تعرف آينياس بصعوبة على ذلك التعس من خلال الظلال الكثيفة بادره قائلا :

« أىّ پالينوروس ، أىّ إله اختطفك من بيننا ، وأغرقك فى قاع البحر ، هلمّ أخبرنى ، فما خدعنى أپوللون من قبْل على الإطلاق . لكن ها هو قد خدعنى بهذه النبوءة وحدها فقط ، عندما وعد بأنك سوف تعبر معنا البحار سالماً إلى شواطىء أوسونيا (٥١) . فهل بهذا ينجز فينا أپوللون وعده ؟ »

عندئذ أجابه پالينوروس « أيها القائد ، يا ابن أنخيسيس، لم تخدعك نبوءة أپوللون . لا ، لم يغرقنى فى البحر أى إله قط . فبينما كنت جاثماً على الدفّة ، أقوم بمتابعة خط سيرنا ، تحطمت الدفّة مصادفة بقوة شديدة ، فجذبتُها معى عندما هويت فى الماء . وإنى لأقسم بالبحار الثائرة أن كل ما تملّكنى من خوف وهلع لم يكن حرصاً على حياتى بقدر ما كان حفاظاً على سلامة سفينتك ، خشية أن تعصف بها الأمواج المتلاطمة بعد أن تكون قد فقدت ربانها وحُرمت من دفّتها . ولقد عصفت بى رياح الجنوب العاتية ، وتقاذفتنى طيلة ليالٍ ثلاث وعند فجر اليوم الرابع تبيّنْتُ من خلف موجة عالية ساحل إيطاليا . وسبحت رويداً رويداً مقترباً من اليابسة ، وكدْتُ أن أصل إليها فى سلام ، لولا أن أناساً قساة اعتقدوا خطأً أننى غنيمة (٥٢) فانقضّوا

علىّ بسيوفهم ، وأنا مثقل بثيابى المبللة ، متشبث بيدين معقوفتينْ فى نتوء جبلى خشن . بعد ذلك صرتُ من جديد ألعوبة فى يد الأمواج ، ثم قذفت بى الرياح أخيراً جسداً هامداً إلى الشاطىء ، والآن إنى استحلفك بنور السموات الساطع ، بالأثير ، بأبيك ، بابنك – أمل المستقبل الصاعد – فانتشلنى من هذه الأهوال ، أيها المنتصر على الدوام . فلتُوارنى التراب ، فأنت قادر على ذلك ، وعلى أن تعود ثانية إلى ميناء ڤيليا [٥٣] . أما إن كان هناك وسيلة ، أو إن وجدت لك الربة التى أنجبتك سبيلاً – فما كنت قادراً فى اعتقادى على عبور هذه الأنهار الهائلة وأحراش نهر ستيكس دون عناية إلهية – فلتَمُدّ إلىّ يد العون ، ولتأخذنى معك عبر الأمواج ، عساى أجد الأمان فى مثواى الأبدى .

عندما انتهى من كلامه ، بدأت الكاهنة تقول :

« من أين لك ، يا پالينوروس ، مثل هذه الرغبة المروعة ؟ هل سترى مياه ستيكس ونهر ربات العذاب المخيف دون أن يضم عظامك قبر ، أو دون أن يأتيك من السماء أمر ؟ لا تأمل فى أن تردّ قضاء الآلهة بصلواتك . لكن أصِخْ السمع لكلماتى ، علّها تكون عزاء لك فى محنتك لقد قررت السماء أن يقيم أهالى كل المدن المحيطة قبراً فخماً لك ، يريحون فيه عظامك ، ويرفعون به من شأنك ، ويحجّون إليه كل عام . وسوف يخلد ذلك المكان اسم پالينوروس إلى أبد الآبدين » .

بهذه الكلمات ذابت هموم پالينوروس ، وانقشع الحزن عن قلبه الكسير ، وأحس بالسرور لخَلْع اسمه على المنطقة .

من ثمّ فقد انطلقا من جديد ، واقتربا من النهر . فلما رآهما المعدّاوى – عن بُعْد – يقتربان من مجرى النهر عبر الأحراش الصامتة ، ويتجهان نحو الشاطىء ، تقدّم نحوهما ، وانفجر يزْجُر آينياس ويَنْهَره قائلا :

« مَنْ تكون أنت ، يا مَنْ تسعى إلى نهرنا ، وأنت متقلّد سيفك ؟ هيا أجبْ ، لماذا جئت ؟ ومن أى مكان أتيت ؟ قفْ حيث أنت . فهنا

عالم الأشباح ، عالم النوم والليل الناعس ، عالم غير مباح فيه لأجساد الأحياء أن تطأ سفينتى الخاصة بنهر ستيكس . إننى لم أكن سعيداً على الإطلاق عندما استقبلتُ هيراكليس فى بُحَيرتى ، ولا عندما استقبلت ثيسيوس وبيريثوس (٥٤)



لسيوس وبيريثوس فى العالم السفلى :

فى اقصى الشمال هاديس يجلس على عرشه ، وامامه تقف برسيفونى ، بينما نرى على يمين الصورة الهة الغضب تقوم بشد وثاق بيريثوس بعد أن فعلت ذلك مع لسيوس والقته على الارض فى مقدمة الصورة .

صورة ماخوذة من احدى اوانى جنوب ايطاليا ويرجع تاريخها الى القرن الرابع ق.م .

أيضاً ، رغم أنهم من نسل الآلهة ولهم قوة لا تُقهر . فلقد وضع هيراكليس بقوته حارس تارتاروس (٥٥) فى الأغلال ، وجذبه – وهو يرتعد – بعيداً عن عرش الملك نفسه . وحاول ثيسيوس وبيريثوس اختطاف الملكة من مخدع ديس (٥٦) . » عندئذ أجابت كاهنة أمفريسوس (٥٧) فى إيجاز :

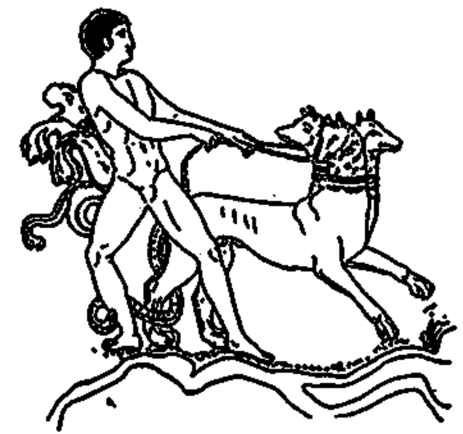
« ليست هناك خدعة من هذه الخدع ، فكُفَّ عن غضبك . لن تقدم أسلحتنا أية إساءة ، فلْيَنْبَح إلى الأبد فى كهفه حارس البوابة الضخمة ،

ولتُرْهب الأشباح فاقدة الحياة، ولتَبْق بروسربينا عفيفة فى قصر عمها (٥٨). فلقد هبط آينياس الطروادى ، المعروف بتقواه ، والمشهود له فى استخدام السلاح ، إلى أعماق إريبوس المظلمة لمقابلة والده . وإن لم تحرك مثل هذه التقوى فيك ساكناً ، فإن هذا الغصن جدير بأن تتعرف عليه جيداً».



الاله هيراكليس يقاتل المسخ الثلاثى البدن المعروف باسم « جيريون » . صورة منقولة من احدى الاوانى المرسومة باللون الاسود ، وجدت فى اتروريا ويرجع تاريخها الى القرن السادس قبل الميلاد ، ومعروضة الآن فى متحف اللوفر .

أبْرزتْ الغصن الذهبى ، الذى كانت تخفيه تحت ملابسها . عندئذ فقط تخلصت نفسه الثائرة من الغضب ، ولم يتحدث أكثر من ذلك . لكنه — وقد أدهشته تلك الهدية المروعة ، ذلك الصولجان الخطير ، الذى لم يره منذ أمد بعيد أدار قاربه الداكن واقترب من الشاطئْ . بعد ذلك فرّق الأرواح الأخرى التى كانت تجلس على المقاعد الطويلة، وفاتّ سقالة المركب، وفى نفس الوقت استقبل فى قاربه آينياس الضخم البنية، وتأوّه القارب ذو الألواح المرصوصة تحت ذلك الحمل الثقيل، وتلقت المياه الراكدة هيكله المشقق. وأخيراً وصلت



هيراكليس اثناء صراعه مع كيربيروس ـ حارس تارتاروس . صورة مأخوذة من احدى الاوانى المرسومة باللون الاحمر ، يرجع تاريخها الى القرن الرابع ق.م. ، ومعروضة الآن فى نابلى .

الكاهنة والبطل سالمين عبر النهر ، ونزلا على تربة هلامية مليئة بالحلفاء الداكنة .

هنالك عالم يضج بنباح كيربيروس المهول ، ذى الحنجرة الثلاثية ، العملاق الرابض فى كهفه المقابل . فلما رأت الكاهنة أفاعى عنقه نافرة : ألقت إليه بكعكة معجونة بعسل منوّم ومواد مخدّرة . فسرعان ما تلقفها بفمه الثلاثى لفرط جوعه ، وافترش الأرض متمدداً بجسده الضخم ، الذى غطى أرض الكهف بأكمله . وبعد أن راح فى سبات عميق ، أخذ آينياس طريقه إلى الداخل ، واقتحم بسرعة ضفة نهر لا عودة منه .

على الفور وصلت أسماعه أصوات بكاء ملو لأطفال عند المدخل مباشرة ، فقد اختطفتهم يد الموت فجأة ، فى يوم أسود (٥٩) ، من على صدور أمهاتهم ، فحرمتهم طعم الحياة اللذيذة ، وألقت بهم فى قبر مظلم . يليهم مباشرة أولئك الذين أعدموا بتهمة كاذبة . وفى الواقع لم تخصص لهم هذه المنازل دون ضرب القرعة أو إصدار الأحكام ، فإن مينوس ، قاضى القضاة يهز إبريق الأقدار ، ويستدعى المجلس الصامت (٦٠) ، ويقف على سلوك الموتى أثناء حياتهم ، وعلى ما ارتكبوا من آثام . وبجوارهم مباشرة يتخذ موتى آخرون أماكنهم ، هؤلاء البائسون الذين يئسوا من حياتهم ، فأزهقوا أرواحهم البريئة بأيديهم . كم يتمنون لو أنهم الآن يستنشقون هواء العالم العلوى ، ويحتملون الفاقة والأعباء الشاقة !! لكن الأقدار تمنعهم . فالمستنقع

الكئيب يحيطهم بمياهه الكريهة،ونهر ستيكس الفياض يعزلهم بطبقاته التسع.

وعلى مسافة غير بعيدة من هذا المكان تظهر « السهول الباكية » — فهكذا يسمونها — ممتدة فى كل اتجاه . هنا يختفى فى طرقات منعزلة هؤلاء الذين قضى عليهم حب قاس مدمر ، ويندسون وسط أدغال الآس الكثيفة ، إنهم لم يتخلصوا من آلامهم حتى عن طريق الموت نفسه. هنا يرى آينياس فايدرا (٦١) ، وپروكريس (٦٢) ، وإريفولى الحزينة (٦٣) ، التى ما لبثت تعرض جروحاً أصابها بها والدها القاسى ، وإفادنى(٦٤) ، وپاسيفاى (٦٥) ، وتصاحبهما لاوداميا (٦٦) ، وتلك التى كانت يوماً ما ذكراً يسمى كاينيوس (٦٧)، لكنها الآن أنثى ، لقد أعادها القدر مرة أخرى إلى صورتها الأولى . وبين هؤلاء النسوة كانت هناك ديدو الفينيقية ، تتجول فى الغابة الفسيحة ، وجرحها ما زال حياً (٦٨) . وحالما وقف البطل الطروادى بجوارها ، وتعرف عليها وسط الظلام فى صورتها الباهتة — كما يحدث فى بداية الشهر القمرى ، عندما يرى الإنسان ، أو يتصور أنه يرى القمر خلف السحاب — أرسل الدمع مدراراً وهو يتحدث إليها بكلمات تفيض بالحب الرقيق :

« ديدو ، أيتها الشقية، إذن ،فالأنباء صادقة ، أنك قد فارقت الحياة ، وأنك قد وضعت حداً لها بحد السيف ؟ آه ! أكنتُ أنا سبب موتك ؟ إننى أقسم لك بالنجوم ، وبآلهة السماء ، وبكل ما هو مقدس فى أعماق الأرض أننى ، أيتها الملكة ،ما رحلت عن شاطئكم إلا كُرْهاً . فالآلهة،الذين يدفعوننى الآن على المجىء إلى هذه الظلمات ، وإلى الأماكن المقفرة الوعرة ، وإلى الليل السحيق ، هم الذين أرغمونى على ذلك بأوامرهم الخاصة . وما خطر ببالى قط أننى برحيلى سوف أسبب لكِ مثل هذا الشقاء . تريثى فى خطاك ، لا تغيبى عن أنظارنا ، فممن تهربين ؟ لقد شاءت الأقدار أن يكون ما أقوله إليك الآن هو آخر كلمات أقولها لك » .

بهذه الكلمات حاول آينياس أن يهدئ من روحها الثائرة ونظراتها المخيفة ، وهو يذرف الدمع . أما هى فقد أشاحت بوجهها عنه ، ونكست

عينيْها على الأرض ، ولم تتغير ملامح وجهها ، عندما بدأ حديثه ، وكأنها قُدّت من صخرة صلبة أو من رخام ماربيسوس [٦٩] . وأخيراً انطلقت تجرى نافرة ،واندست فى الأحراش المظلمة من جديد ،حيث يوجد سيخايوس ، زوجها القديم ،الذى يجرع معها كئوس الهموم ،ويبادلها الغرام . لكن آينياس ،وقد هزّه مصيرها التعس ،لاحقهافترة طويلة ،وهو يذرف الدمع ، ويحس بالإشفاق .

من هناك انطلقا من جديد ، يشقّان طريقهما الذى كُتب عليهما أن يسلكاه.عندئذ وصلا إلى سهول نائية ،حيث يقطن فى عزلة ذوو الشهرة العسكرية هنا قابلهما تيديوس وبارثيفوبايوس ، ذائع الصيت فى الحرب ، وشبح شاحب لأدراستوس [٧٠] . هنا أيضاً كان أبناء طروادة ، الذين بكاهم ذووهم بكاءً مراً ، حين سقطوا فى الميدان ، والذين شاهدهم آينياس جميعاً فى وصف طويل وهو ينوح : جلاوكوس وميدون وثيرسيلوخوس [٧١] ، أبناء أنتينور الثلاثة ، وبوليفويتيس [٧٢] ، كاهن كريس ، وإيدايوس ، الذى كان ما زال ممسكاً بعجلته الحربية وأسلحته [٧٣] . أرواح محتشدة تحيط به يميناً ويساراً ، لا تكفيهم نظرة واحدة عليه ، يسرّهم أن يظلوا هكذا يتلكأون من حوله ، لا يفارقون خطاه ، يسألونه عن أسباب مجيئه . أما قادة الأغريق وأفراد فيالق أجاممنون ، فعندما شاهدوا البطل بأسلحته اللامعة وسط الظلام ،انتابتهم رعشة خوف شديدة، فولى بعضهم الأدبار ، كما كانوا يفرّون من قبل نحو سفنهم [٧٤] ، بينما أطلق الآخرون صرخات مكتومة ، إذ عندما بدأوا فى الصراخ فإن صوتاً لم يخرج من أفواههم الفاغرة .

هنا أيضاً رأى آينياس ديفوبوس بن برياموس ، وقد تمزق جسده كله تماماً ، وشُوّه وجهه بوحشية ، قُطعتْ كلتا يديْه ، انتزعت أذناه بعيداً عن وجنتيْه المهشّمتين ، وقد أصيب بجرح خطير فى أنفه . وبصعوبة تعرّف آينياس على ذلك الهيكل المرتعش ، بينما كان يحاول أن يخفى جروحه القاسية ، ثم بادره مخاطباً إياه بأسلوب الألفة المعتادة :

« أى ديفوبوس ، أيها المحارب القدير ، يا سليل أسرة تيوكر العريقة :

مَنْ ذا الذى دبّر ذلك الانتقام الوحشى منك ؟ مَنْ سُمِح له أن يفعل بك هكذا ؟ لقد جاءتنى الأنباء أن الإعياء قد أصابك فى تلك الليلة الأخيرة [٧٥] ، بعد المذبحة الهائلة ، التى أقمتَها للبلاسجيين [٧٦] ، فسقطْتَ فوق أكوام قتلاهم المجندلين . وأقمْتُ أنا بنفسى لك قبراً خاوياً على ساحل رويتيوم [٧٧] ، وناجيت روحك بصوت جهورى مرات ثلاث . وما زال اسمك وسلاحك يحميان تلك البقعة . أما أنت ، فإننى لم أستطع أن أراك ، يا صديقى ، ولا أن أواريك التراب فى وطن أبائنا الذى رحلتُ عنه » .

عندئذ أجابه ابن پرياموس قائلا « إنك ، يا صديقى ، ما قصّرت فى شىء ، لقد أديْت الواجب نحو ديفوبوس ، ونحو شبح المتوفى . لكن أقدارى والجريمة الشنعاء التى قامت بها الاسبرطية [٧٨] هى التى أوقعت بى فى هذه الأهوال ، وهى كل ما تركته لى خلفها من ذكريات . إذ أنك تعرف كيف قضينا الليلة الأخيرة فى أفراح زائفة ، لابد أنك تتذكر ذلك جيداً ، عندما أتى الحصان المشئوم يقفز فوق الأسوار البرجامية الشاهقة ، يحمل فى بطنه رجالا مدججين بالسلاح [٧٩] . لقد اصطنعتْ موكباً راقصاً ، وقادت النساء الفروجيات فى حفلات ماجنة تكريماً لباكخوس [٨٠] . حملت بنفسها شعلة ضخمة وسط النساء ، ودعَتْ الإغريق إليها من القلعة الشاهقة . كنتُ أنا حينئذ فى حجرة نومى المشئومة ، تثقلنى الهموم ، ويغالبنى النوم ، كنت أغط فى سبات عميق ، ويستولى علىّ نوم هادىء لذيذ أشبه بالموت . فى أثناء ذلك نقلتْ تلك الزوجة ، التى لا مثيل لها [٨١] ، كل أسلحتى من المنزل ، وسحبت سيفى المخلص من تحت رأسى ، ثم استدعت مينيلاووس إلى داخل القصر ، وفتحت البوابة على مصراعيها . إنها بلاشك أرادت أن تقدمنى بذلك هدية رائعة لمحبوبها ، لتمحو آثار جرائمها فى الماضى . ولماذا أطيل عليك ؟ لقد اندفعوا إلى داخل حجرتى ، وبرفقتهم ابن أيولوس [٨٢] المحرّض على الجرائم . أيتها الآلهة ، ليت ما وقع بطروادة يصيب الاغريق — إن كنت أدعوكم للانتقام بفم طاهر — . لكن هلُمّ أنت بدورك ،

وقص" علىّ ، أىّ أقدار أتت بك إلى هنا ، وأنت مازلت على قيد الحياة ؟ هل قذفت بك أمواج البحر ؟ أم بأمر الآلهة جئت ؟ وأى حظ هذا الذى يثقلك ويضنيك ، فتأتى منازل لا شمس فيها ، وتنزل بقاعاً تسكنها الفوضى ؟

فى أثناء حديثهما كانت أوْرورا (٨٣) قد تخطّت فى مجراها الأثيرى منتصف السماء ، وانقضى الوقت المصرّح لهما فيه بمثل هذا الحديث . لكن سيبولا ، رفيقته ، حذرته قائلة له فى إيجاز : « ها هو الليل يهبط ، يا آينياس وما زلنا نضيع الساعات فى البكاء . ها نحن قد وصلنا إلى مفترق الطرق ، فطريق اليمين ، الذى يمرّ بمدينة ديس العظيم ، هو طريقنا الذى يوصلنا إلى إلوسيوم (٨٤) ، أما طريق الشمال فإنه يُصْلى الأشرار بعذاب النار ، ويقذف بهم إلى تارتاروس (٨٥) » . ويجيب ديفوبوس قائلا :

« لا تغضبى ، أيتها الكاهنة العظيمة ، سأرحل عنكما ، وسأعود إلى مستقرى ، سأعود إلى الظلمات . أما أنت ، يا آينياس ، فتقدم ، تقدم ، يا مجد أمتنا ، واستنعم بحظ أسعد من حظّى » . وما أن انتهى من حديثه ، حتى عاد أدراجه إلى الوراء .

نظر آينياس فجأة إلى الخلف ، فرأى أسفل الصخرة إلى اليسار مدينة شاسعة ، تحوطها أسوار ثلاثة شاهقة ، ويطوقها فليجيثون التارتارى (٨٦) — ذلك النهر السريع الذى يدور بأمواجه الثائرة ، ويدحرج صخوره المزمجرة — ، عليها بوابة عالية ، ذات أعمدة صخرية شديدة الصلابة ، ليس فى مقدور أية قوة بشرية قط ، أو حتى أية قوة علوية ، أن تطيح بها . ثم هناك برج حديدى ، يقف ليناطح السحاب . وهنالك تجلس تيسيفونى (٨٧) ، تتدثر بثوب يقطر دماً ، لا تنام الليل ولا النهار ، حارسة للمدخل . هناك يُسمع أنين من بعيد ، وتُدوّى قرقعات مخيفة ، تختلط بصليل السيوف ورنين القيود المعدنية المشدودة . توقف آينياس مشدوهاً ، وقد استولى عليه الخوف ، وتساءل :

« أخبرينى أيتها العذراء ، أى نوع من الجرائم إقترفوه ؟ وأى جزاء يلقونه الآن ؟ أىّ أنين هذا الذى يصم أذنىّ ؟ » . عندئذ بدأت الكاهنة تقول :

« أيها القائد التيوكرى الأشهر ، حرام على الأقدام الطاهرة أن تدوس ، هذه البقعة الفاجرة ، لكن هيكاتى نفسها ، عندما عهدت إلىّ بأحراش أفرنوس ، علمتنى كيف ينزل الآلهة العقاب بالآثمين ، وطافت بى كل أرجاء مملكتها . هذا هو رادامانثوس الجنوسى [٨٨] ، يحكم فى مملكته بقسوة متناهية ، يقتّص من المذنبين ، الذين شغلتهم الدنيا ، فأهملوا خطاياهم ، ولم يتطهّروا منها ، حتّى وافتهم المنية . وعلى الفور تطارد المذنبين تيسيفونى المتقمة ، تعنّفهم ، وقد تسلّحت بالسوط ، وفى يسراها تتلوّى الثعابين الرهيبة وتمتد نحوهم . وها هى تنادى أخواتها الرهيبات ، ربات الانتقام . وأخيراً تُفتح الأبواب القلسية مدوّية بصرير عقبها . أترى بعينيك أى حارس يربض على الأبواب ؟ وأية صورة له ، ذلك الذى يحافظ على الأعتاب ؟ وفى الداخل تقبع هيدرا ، الحيّة الرقطاء ، ذات الرؤوس الخمسين ، فاغرة أفواهها ، ثم تارتاوس نفسه ، وهو يهبط إلى أسفل ضعف ما يرتفع جبل الأوليمبوس إلى أعلى. هنالك يهوى فى الأعماق السحيقة أبناء الأرض القدامى ، « التيتانيس» [٨٩] ، بعد أن صعقتهم الصاعقة . وهنالك أيضاً ، فى الهوّة العميقة ، أرى ولدَىْ ألويوس [٩٠] ، ببنيتيهما الضخمتين ، فقد حاولا الصعود إلى السماء ، وارتقاء عرش جوبيتر ، فرجمهما بصاعقته . وهناك أيضاً ما زال سالمونيوس [٩١] يدفع ثمن غروره ، بعدما استهزأ بصاعقة جوبيتر ورعد الأوليمبوس ، بل ركب الصلف رأسه ، فمشى بين الأغريق فى عربة يقودها أربعة خيول ، طاف بها مدينة إليس [٩٢] فى مواكب نصر ، ممسكاً بشعلة يلوّح بها فى الأفق ، ويدّعى الألوهية لنفسه . ياله من مجنون !! ذلك الذى يعتقد أن رنين البرونز تحت أقدام خيوله يضارع صوت الرعد ، أو أن شعلته الهزيلة تضاهى صاعقة زيوس ! . لكن سيد

الكون ، القادر على كل شيء ، يقذف بقذائفه من بين السحب الكثيفة — إنها ليست مجرد مشاعل ، صُنعَتْ من الأخشاب ، ينبعث منها الدخان — فهوت به إلى هاوية الجحيم غاضبة . وهنا أيضاً يرقد تيتيوس [٩٣] ، رضيع الأرض — أم كل شيء — ، الذى يغطى بجسمه تسعة أفدنة بأكملها ، والنسر الضخم بمنقاره المعقوف ينهش كبده وأحشاءه ، ويغوص فى أعماق صدره باحثاً هناك عن قوت ومأوى ، ولا راحة من هذا العذاب لأحشائه ، التى كلما نضجت بُدلت بغيرها . ثم إننى لم أتحدث بعد عن اللابيثيين [٩٤] ، وإكسيون [٩٥] ، وبيريثوس ، وعن الصخرة السوداء التى تنزلق من على نحوهم ، تهددهم ، وكأنها على وشك أن تسقط عليهم فى الحال ، وعن الأسرة العالية البهية ذات الأعمدة الذهبية ، وعن الموائد الممدودة أمام أعينهم ، تترفها الملكى ، بينما الإلاهات الغضب لهم بالمرصاد : للموائد حافظات ، ولأيديهم مانعات ، يقذفنهم بألسنة النيران ، التى تشوى وجوههم ، ويزجرنهم بصرخاتهن المرعدة . هنا يقيم فى عذاب الجحيم مَنْ هجر أخاه شقيق كبده ، أو مَنْ نَهَرَ أباه ، أو خذل محتاجاً أو خدع تابعاً . هنا فى عذاب الجحيم يقيم من كنزوا الذهب ، وضنُّوا به على الآخرين ، وهم هنا يمثلون الأغلبية . وهنا الزانون والزانيات ، ينصب عليهم العذاب ، والذين أشعلوا نار الفتنة ، وخاضوا حروباً غير مقدسة ، والذين حنثوا بأيمانهم ، سجناء ينتظرون العقاب . لا تسألنى أى عقاب ينتظرون ؟ على أية صورة ؟ .... وأى حظ تعس أودى بهؤلاء القوم ؟ بعضهم يرفع صخرة شماء إلى أعلى [٩٦] ، وأخرون معلقون بعجلات تدور [٩٧] ، وثيسيوس الشقى ، الجالس والذى سوف يظل جالساً إلى الأبد [٩٨] ، وفليجياس [٩٩] ، أشقاهم جميعاً ، الذى ينصح الجميع ، وصوته الجهورى يدوى فى الظلام : «انتصحوا ، تعلموا كيف تحققون العدالة ولا تستهزءوا بالآلهة » هاك رجل باع وطنه من أجل الذهب ، ووضعها فى قبضة طاغية ، وآخر شرَّع القوانين برشوة وألغاها بالرشوة أيضاً ، .. وثالث ، يا للهول ، تزوج ابنته ، فانتهك

حرمة الزواج . كلهم ارتكبوا الموبقات ، وحصلوا على المهلكات : وأنىّ لى أن أسرد ذنوبهم ، أو أصف لك هول عذابهم ! فلو كان لى مائة لسان ومائة فم وصوت من حديد ما استطعت إلى ذلك سبيلاً » .

وما أن انتهت كاهنة أبوللون العجوز من حديثها ، حتى بادرت آينياس قائلة : « هيا بنا الآن ، لنعاود المسير ، ولنتمّ المهمّة التى بدأناها . هيّا بنا نسرع الخطى ، إننى أتبين الاستحكامات التى صُبّت فى أتون الكوكلوبس [١٠٠] ، يتقدمها دهليز يعلوه قبو ، حيث سنقدم هدايانا ، التى أمرنا بتقديمها » .

هكذا قالت ، ثم تقدما سوياً جنباً إلى جنب فى خطوات سريعة عبر طرقات مظلمة ، حتى تعديا خطوط المنطقة الوسطى ، واقتربا من الأبواب ، فدخل آينياس ، بعد أن تطهّر بماء قراح مقدس ، وغرس الغصن عند مدخل الدهليز .

بعد أن أتمّا هذا العمل ، وأقاما هذه الشعائر تكريماً للإلهة ، وصلا أخيراً إلى « السهول السعيدة » ، إلى مروج الأحراش المباركة ، الخضراء ، بهيّة الطلعة ، مهد الفرحة ، إلى ساحات يلفّها هواء أرحب ، وشذى أطيب ، نورها ربانى ساطع ، فلها شمس خاصة ليست ككل الشموس ، ونجوم فريدة ليست كباقى النجوم . بعض النازلين يمارسون هواياتهم الرياضية ، فيمرنون أعضاء أجسادهم على بسط سندسيه ، وآخرون يتسابقون أو يتصارعون على الرمال الصفراء ، وآخرون يدقون بأقدامهم ، يرقصون ويغنون ، وبينهم الكاهن التراقى [١٠١] بثوبه الفضفاض يصاحبهم بأنغامه ، ويطربهم بأوتاره السبع ، حين يداعبها بأصابعه مرة ، وبريشته العاجية مرات . هنا تقيم سلالة تيوكر ، أجمل بنى الإنسان على مرّ الزمان ، ثلّة من الأولين الأبطال العظام ، الذين ولدوا فى أيام أرغد ، إيلوس ، وأسّراكوس ، ودردانوس ، مؤسس طروادة . وقف آينياس مندهشاً عندما رأى على البعد الأسلحة والعجلات

الحربية خالية من أصحابها ، والرماح تقف ومغروسة فى الأرض ، والخيول الطليقة ترعى فى جميع أنحاء السهل . مَنْ كان السلاح والعجلة الحربية تسُرّه فى الدنيا ، فله هنا منهما ما يشاء ، ومَنْ كان يهوى تسريح الخيل ، فله ما هوى . ورأى أيضاً آخرين – ياللعجب – صُفّت لهم الموائد وأقيمت الولائم على المروج الخضراء ، عليها ما لذ وطاب ، يتلذذون بالطعام ، ويتسلّون بالغناء – أغنيات بايانية (١٠٢) – تحت تكعيبات نبات الغار ، حيث ينبع نهر إريدانوس (١٠٣) ، فيّاضاً يخترق الغابة .

هنا مقر الشهداء ، الذين قضوا نحبهم فى الميدان دفاعاً عن الأوطان ، والكهنة ، الذين أمضوا حياتهم كلها طاهرين ، والشعراء المتقشفين ، الذين تغنّوا بأشعار لا تقلل من قدر أبوللون ، والذين اخترعوا فنوناً جعلت الحياة جميلة ، وقاموا بخدمات خالّدت ذكراهم بيْن الآخرين ، لقد زُيِّنَتْ جباه هؤلاء جميعاً بأكاليل ناصعة البياض .

تقدمت سيبولا نحو هذا الجمع وتحدثت إليهم ، وعلى رأسهم الشاعر موسايوس (١٠٤) – فهو يقف فى وسط هذه الجموع الغفيرة شامخاً ، يعلو برأسه وكتفيه بينهم – قائلة :

«خبرينى ، أيتها الأرواح المباركة ، ولا سيّما أنت ، يا أفضل الشعراء ، فى أى ركن يقيم أنخيسس؟ وبأى منزل نزل ؟ ... لقد جئنا هنا من أجله ، واخترقنا الصعاب عبر بحار ريبوس لكى نراه » .

ردّ عليها البطل فى إيجاز قائلا : « ليس لأحد منا مسكنه الخاص ، فنحن فى دنيا الظلال ، وعالم الأشباح . الشواطىء الناعمة وساداتنا ، والمروج الخضر والأرض الفيحاء والمراعى جداولها الرقراقة – كلّها مخادعنا . لكن ما دامت هذه رغبتكما ، فتسلّقا هذه الهضبة ، وسوف أدلكما الآن على طريق ميسور » . هكذا قال ، وعلى الفور بدأ يخطو أمامهما ، يُريهما الحقول المزهرة ، وبعد ذلك تركوا قمة الجبل .

كان أنخسيس الوالد يقف وسط السهول الخضراء ، يتأمل ما يدور أمامه : الأرواح السجينة ، التى كُتب عليها أن تصعد للحياة الدنيا ، أرواح أبنائه الأعزاء تمشى أمامه فى شريط يحكى قصة شعبهم من أولها حتى آخرها ، ويصف أقدارهم المسطورة وحظوظهم المقدورة ، طباعهم وسلوكهم ، أفعالهم وأمجادهم . وعندما رأى آينياس قادماً نحوه فوق الحشائش الخضراء ، مدّ كلتا يديه فى شغف ، وانهمرت الدموع على وجنتيه ، وانطلقت هذه الكلمات من بين شفتيه :

« أى بنىّ ، أخيراً أتيت . هل استطاع برّك — المتوقّع — بأبيك أن يقهر الطريق الصعب ؟ هل لى أن ألمح وجهك ، وتسمع أذنى صوتك ، أحدثك وتحدثنى ؟ هكذا فى الواقع كنت أقضى الوقت مع نفسى ، أحسب الساعات ، فلم تخدعنى أفكارى . أى أوطان أجتزت ، يا بنى ، وأى بحار عبرت ، وكيف وصلت إلىّ ، وعلى كَمْ من الأهوال تغلّبت؟ لقد كان قلبى مهموماً خشية أن تلحق بك مملكة ليبيا أى أذى » .

وردّ عليه آينياس: « يا أبتِ ، دفعنى إلى هنا طيفك الحزين ، الذى طالما عاودنى ، لكى أطأ هذه الأعتاب . إن أسطولنا يقف الآن فى البحر التيرانى . أعطنى يدك أعانقها، ياأبتِ ، اعطنيها ، ولا تهرب من أحضانى. » تكلم آينياس والدمع ينهمر من مآقية ، فيبال وجنتيه ، ومدّ ذراعيه محاولاً أن يطوّق بهما عنق والده ثلاث مرات ، لكن الشبح ، الذى كان يعتقد آينياس أنه قد أمسك به ، أفلت من بين يديه ثلاث مرات ، خفيفاً مثل الرياح ، سريعاً مثل النوم .

وبعيداً بعيداً ، هنالك فيما وراء الوادى ، يرى آينياس فى أحد الجوانب غابة تلفّها أدغال غنّاء ، ونهر ليثى يحفّ المنازل البهيجة ، وكما تهبط أسراب النحل فى أعداد غفيرة لا تحصى على الزهور المختلفة الألوان ، وعلى وريقات السوْسن الناصعة البياض ، وسط المراعى ، فى يوم من أيام

الصيف ، صافى السماء ، فها هنا ، حول النهر ، على شطآنه ، تحتشد شعوب ، وتتوافد أمم ، لا تُعَدّ ، تُسمع همساتهم ، فيردد الوادى صداها ، وكأنها طنين النحل . وتنتاب آينياس الدهشة لمّا قد رأى ، فيسأل عما لا يَعْلَم . ماذا يكون هذا النهر ؟ ولم تندفع هذه الحشود الغفيرة على شاطئيه ؟ فيجيبه والده أنخيسس :

« هذه أرواح قدّر لها أن تلبس أجساداً جديدة أُعدّت لها من قبل، فهى تغترف من مياه نهر ليثى(١٠٥) التى تغرق الإنسان فى نسيان كامل . وكم تُقْتُ لوصف هؤلاء لك ، وعَرْضهم عليك ، سلالى ، أحفادى ، لكى تكون بهجتك معى أرْحب ، باستكشاف إيطاليا » . وهنا تساءل آينياس :

« يا أبتِ ، هل تُبْعث الروح ، وتعود ثانية إلى الحياة الدنيا ، وتلبس قيودها من جديد ، بعد أن سكنت الآخرة ؟ ولم هذا الشوق الغامض نحو الحياة الدنيا ؟ فأجاب أنخيسس :

« سوف أحيطك بكل شىء علماً ، ولن أبقيك فى مثل هذا التشوّق . » ثم بدأ يشرح له فى كل شىء ، واحداً بعد آخر . « قبل كل شىء ، فإن حياة ذاتية تغذّى السماء والأرض والبحار والقمر والشمس ، وإن روحاً قد امتزجت بأوصالها جميعاً ، تحكم كل أجزائها ، ومنها نشأت سلالة الإنسان والحيوان والطير والمخلوقات الضخمة ، التى تنمو تحت سطح البحر المتألّق . ولهذه النطفة منبت إلهى ، ولهذه البذرة قوة نارية ، ما دامت لم تقيّدها أجساد آثمة أو تخمدها أوصال آدميين مآلهم الموت . من هنا تُدخل هذه البذور مشاعر الخوف والرغبة ، الألم واللذة ، ولكن لا تستطيع أبصارهم أن تنفذ عبر الأثير ، إذ أن قيودها تعوقها وتحجزها داخل سجونها المظلمة . وحتى عندما يختفى آخر شعاع للحياة ، لا يكون الجسد قد تخلّص من كل أدرانه بعد ، ولا تكون كل القيود قد تركته طليقاً . ويا للأسف ! فحيث أن الأجساد

قد تشرّبت بهذه الأدران لمدة طويلة جداً ، فعلى أصحابها الآن أن يدفعوا الثمن . وهاهم يُجزَوْن ما قدّموا من حياة طويلة آثمة . بعضهم تُعلّق أجسادهم فى وجه الرياح اللافحة ، وآخرون تُطهَّر أوزارهم فى بحرٍ لا قرار له ، أو يُصْهر خُبْث أجسادهم بالنار . إن الأشباح ، كل على حدة ، تكابد حظها من العقاب ، وبعد ذلك تُرسل إلى ساحات الإاوليسيوم الفسيحة ، فينزل بعضها السهول السعيدة ، حتى تستطيع الأيام الطويلة ، بعد دورة كاملة للزمن ، أن تنزع هذا الرجس العفن ، ولا تترك إلاّ الشعور الأثيرى الطاهر ، والشعلة الروحية الخالصة . كل هذه الأرواح ، عندما تدور عجلة الزمان بألف من الأعوام ، يناديها مناد من السماء إلى نهر ليثى ، فى صف طويل . وبعد أن ترشف من مياهه ، تنسى ماضيها ، وتتوق إلى العودة فى الأجساد من جديد » .

بعد هذا الحديث ، قاد أنخيسيس ابنه وسيبولاً معاً وسط الجموع المحتشدة ، ثم اعتلى هضبة عالية حيث يستطيعون رؤية جميع الأرواح ، والتعرّف على ملامحها أثناء قدومها نحوهم :

« هلم الآن ، فسوف أحدثك عن المجد الذى سوف يتابع السلالة الدردانية ، وعن الذرية التى سوف ينتظرها شعب إيطاليا ، إنها نفوس لامعة ، وسوف ترث اسمنا ، وسأخبرك بما كُتب عليك فى قدرك المسطور . ذلك الشاب ، هل تراه ؟ ذلك المحارب الذى يتكىء على رمح لا رأس له ، إنه يحتل أقرب الأماكن نحو الضوء ، سوف يكون أوّل الصاعدين إلى الحياة الدنيوية ، وسوف تجرى فى عروقه دماء إيطالية . سوف يكون آخر أبنائك ، سوف يحمل اسم سيلفيوس ، وهو اسم ألبانى (١٠٦) . سوف تنجبه زوجتك لافينيا ، عندما تكون قد بلغت من الكبر عتياً . وسوف تتولاه بالرعاية ، ملكاً وأباً لملوك . فمنه وبه سوف تظل لسلالتنا السيادة على « ألبالونجا » . وسوف يأتى من بعده بروكاس ، مفخرة بنى طروادة ، وكابيس ، ونوميتور وذلك الذى سيحمل اسمك من جديد ، ويذكّر الناس بك ، سيلفيوس

آينياس (١٠٧) بارز هو أيضاً مثلك فى التقوى وحمل السلاح – ذلك إن تربع على العرش فى ألبالونجا فعلاً . يظهرون قوة ، وأية قوة ! إنهم شباب ، وأى شباب ! كم من إكليل سوف ينسجه المواطنون من أوراق السنديان (١٠٨) ويضعونه فوق جباههم ! وكم من مدينة سوف يؤسسون ، فمدينة « نومينتوم » و « جابيى » و « فيديناى » و « قلاع كوللاتيا الجبلية » و « بوميتيا » و « كاستروم إينوؤس » و « بولا » و « كورا » سوف تكون كلها أسماء لمدن عظيمة تقام فى مناطق ليست لها أسماء الآن (١٠٩) . وإن رومولوس بن مارس أيضاً ، الذى وضعته أمه ، « إليا » ، من نسل أساراكوس (١١٠) سوف ينضم إلى صحبة جده . أترى كيف تزين الخوذة المزدوجة رأسه ؟ فبهذا الشرف الخاص ميزه والده مارس نفسه قبل أن يصبح (رومولوس) واحداً من أهل الدنيا . إسمع يا بنى ! لسوف تملأ روما – تلك المدينة المشهورة – الأرض بامبراطوريتها والسماء بقوتها . كم هى فخورة بأبنائها ، وكأنها أم الآلهة (١١١) ، فوق جبل بريكونتوس ، تركب عربتها ، التى تزينها الأبراج ، عبر مدن فروجيا ، تمشى مزهوة بالآلهة من الأبناء ، وتحضن مائة من أحفادها ، أرباب السماء . والآن وجّه ناظريْك هذه الناحية لترى هذه الأمة ، إنها الأمة الرومانية ، أمتك . ها هو قيصر (١١٢) ، وكل سلالة يولوس التى سترعرع تحت هذه السماء الواسعة . وها هو الرجل البطل ، الذى طالما سمعت عنه ، إنه أوغسطس ، قيصر ابن المؤلّه ، الذى سوف يعيد العصر الذهبى إلى سهول لاتيوم وحقولها ، ويجدد أيام ساتورنوس (١١٣) ، ولسوف تتخطى امبراطوريته حدود الجارامانتين (١١٤) والهنود ، ممتدة إلى ما وراء النجوم وما بعد الشمس ، حيث يوجد أطلس (١١٥) ، رافع السموات – بنجومها المتلألئة – على أكتافه . إنه البطل ، الذى ما أن جاء النذير من النبوات بمقدمه حتى ارتعدت ممالك بحر قزوين وزلزلت الأرض حول بحيرة مايوتيس (١١٦) واضطرب النيل بمجاريه (طياته) السبع . ولا أخال حفيد ألكيوس نفسه جاب هذه

البقاع ، بالرغم من أنه أردى الغزال ذا الحوافر البرونزية قتيلا ، وأسكت غابات إديمانثوس ، وجعل حيّة ليرنا الرقطاء ترتعد خوفاً لرؤية قوسه(١١٧). ولا أخال باكخوس كذلك جاب هذه البقاع ، باكخوس القاهر ، الذى قاد عربته ، التى تجرها النمور بخيوط من نبات الكروم، من قمة نوسا الشاهقة(١١٨). أمازلنا نحن نتردد فى نشر فضائلنا بعظيم أفعالنا ؟ أمازلنا نشعر برعشة الخوف من أن نطأ بأقدامنا أرض أوسونيا ؟ . يا إلهى ! مَنْ ذا الذى يقف بعيداً ، يقدم القرابين ، وقد توّجته أكاليل الزيتون ؟ إنى أعرفه ، بخصلات شعره ، ولحيته التى وخطها الشيب . إنه ملك روما ، الذى سوف يدعم المدينة بقوانينه ، أرسلته العناية الإلهية من مسقط رأسه ، كوريس ، الأرض القاحلة ، إلى هذه الامبراطورية العظيمة(١١٩) . وسيأتى من بعده تولوس (١٢٠) ، الذى سوف يشعل الحرب من جديد ، ويقلق السلام فى وطنه ، ويلهب الجيوش حماساً بعد أن يكون الجنود قد نسوا حلاوة الانتصار . من بعده يأتى على الفور أنكوس (١٢١) ، أكثر الملوك فخراً بحب العامة له . وهل تود رؤية الملوك التاركوينيين (١٢٢) والروح المتغطرسة لبروتوس المنتقم (١٢٣) ، بعد استعادته للسلطة (الفاسكيس)(١٢٤) ؟ حالما يتولى السلطة القنصلية ، ويقبض بيده على البلطة التى لا ترحم ، فإنه سوف يعدم ولديه بعد أن يشعلا حرباً جديدة — ويقدمهما قرباناً على مذبح الحرية العزيزة . يا له من أب شقى! لكن الأجيال سوف تخلّده ، فقد غلبته وطنيته ، وتغلّبت فيه العزة والكرامة على عاطفة الأبوة . وانظر ، هنالك بعيداً ، إلى القنصلين ، دكيوس(١٢٥) وولده ، وإلى أبناء دروسوس(١٢٦) ، وتوركواتوس ، ببلطته القاسية(١٢٧) وكاميللوس ، عائداً بالألوية (١٢٨) . أما هاتان الروحان اللتان تراهما متألقين بأسلحتهما المتشابهة ، فتعيشان سوياً فى وئام وانسجام ، مادامتا روحين . لكن واحسرتاه ! ... ما إن تنطلقا إلى عالم الحياة ، حتى تتلاقيا فى ميدان الوغى ، فى حروب أهلية(١٢٩) ، ويالها من معارك فتاكة ، يسيل فيها الدم أنهاراً . ها هو الأب يهبط من فوق جبل الألب ، وقلعة مونويكوس(١٣٠)

فى الغرب ، فيتصدى له زوج ابنته بجيوش جرارة من الشرق . أما أنتم ، يا أبنائى ، لا تعتادوا إشعال مثل هذه الحروب ، ولا تلقوا فى أتونها بقوة أمتكم الجبارة . وأنت يا ولدى ، كُنْ أول العافين ، فأنت سليل الآلهة ، ألق بالسلاح من يدك ، فأنت من سلالتى . وسوف يسوق هذا البطل الأشهر (١٣١) عربته الحربية إلى تل الكابيتوليوم الشاهق ، بعد أن يكون قد أحرز النصر على كورنثة ، وأطفأ ظمأ سيفه بدماء الآخيين . سوف يسحق أرجوس وموكيناى ــ مدينة أجاممنون ــ ، ويقهر وريث أخيليوس المغوار نفسه (١٣٢) ، منتقماً لأجداده الطراوديين ولمعبد مينرفا الذى دنّسه الآخيون (١٣٣) . ومَنْ ذا الذى يمكنه إغفال ذكرك ، يا كاتو (١٣٤) العظيم ، أو أنت يا كوسّوس (١٣٥) ؟ ومَنْ ذا الذى يستطيع أن يتناسى أسرة جراكوس (١٣٦) ، أو ولَدَىْ سكيپيو ــ صَاعقَتَىْ الحرب ــ اللذين على يديهما أفلَ نجم ليبيا (١٣٧) ؟ وفابريكيوس (١٣٨) العظيم ، رغم فقره ، وسرّانوس (١٣٩) ، الذى يبذر الحبوب وراء المحراث ؟ وإلى أين ستحملوننى يا أبناء أسرة فابيوس ؟ فإننى متعب (١٤٠) ، يكفى ذكر فابيوس ماكسيموس ، إنه أنت ، يا مَنْ استطعت بمفردك أن تنقذ وطننا بتمَهّلك .

قد ينحتْ الآخرون ــ بمهارة أكثر تفوقاً ــ تماثيل من البرونز ، يجرى فى عروقها الدم ، إنى أومن بذلك حقاً ، وقد يشكّلون من الرخام وجوهاً تنبض ملامحها بالحياة ، وفى ساحات القضاء قد يصوغون عبارات الدفاع ببراعة أكثر ، وقد تصف أقلامهم أفلاك السماء ومداراتها ، وقد يلمّون بمطالع النجوم ، أما أنت ، أيها الرومانى ، فرسالتك هى أن تحكم شعوب الدنيا بسلطانك ، وبراعتك ، هى أن تنشر أسس السلام ، وتعفو عن المغلوبين ، وتدحر المتغطرسين ؟ »

هكذا كان يتحدث أنخيسيس إلى مستمعيه المبهورين ، ثم واصل حديثه إلى ابنه قائلا :



عملة رومانية ضربت فى عهد بوبليوس كورنيليوس لنتولوس ماركللينوس فى عام ٤٢ ق.م. على اليسار الوجه الاول للعملة ويحمل صورة جد الملك ، وعلى اليمين الوجه الاخر للعملة ويحمل صورة الملك وهو يصعد درجات السلم فى طريقه الى معبد جوبيتر . هذه العملة معروضة الآن فى المتحف البريطانى .

« أنظر كيف يسير ماركيللوس (١٤١) مزهواً بأسلابه العظيمة وغنائمه ، يتطاول على كل الناس بانتصاراته ! ... لسوف يقوّم هذا الرجل البنيان الرومانى بعد أن تكون أركانه قد اهتزت من وطأة الدهر ، فسوف يدحر فرسان قرطاجة ، ويقضى على تمرّد الغاليين ، ويعلّق غنائمه من الأسلحة أمام أبيه كويرينوس(١٤٢) » .

فى هذه الأثناء رأى آينياس ، فى صحبة هذا البطل ، شاباً صغيراً قوى البنية ، لامع السلاح ، لكنه مقطب الجبين ، مطاطىء الرأس .

« ومن يكون ، يا أبتِ ، هذا الذى يصحب ذلك البطل ؟ هل هو ابنه ؟ أم هو حفيد من أحفاده ؟ ولم يهمس الناس من حوله ؟ وأى وقار فى شخصه ! لكن الليل الحزين يحوم فوق رأسه فينشر حوله غلالة من الكآبة » .

وبكلمات تذوب حزناً ، وتقطر دمعاً ، ردّ عليه أنخسيس :

« يا بنى ، لا تسَلْ عن مصاب قومك الفادح . سوف ترسل الأقدار هذا الفتى إلى وجه الأرض ، لكنه لن يظل هناك إلاّ قليلاً .

أيتها الآلهة ، لو أن هذا الفتى — هديتكم الثمينة لأمتنا — يُمْنَح طول العمر ، لأصبح بنو الرومان أقوى مما هم عليه . كَمْ من دمعة ستنهمر من المآقى ، وكَمْ من آهة ستدوىّ فى ساحة مارس ، عبر المدينة العظيمة ، تودع ذلك البطل . ولسوف تنعى أمواجك ، أيها التيبر ، هذا الميت ، وهى ترى قبره الجديد ! ولن يصعد أى فتى قط من فتيان بنى طروادة بآمال أجداده إلى مثل هذه الذروة ، ولن تفخر أرض رومولوس بفتى

من فتيانها مثل فخرها به . والهفتاه على تقواه ! واحسرتاه على أمانته المعهودة ! وأسفاه عليه ، فهو فى النزال لا تُقهر له يد ، يصول ويجول ، ولا يسلم من ضرباته فرد ، سواء كان راجلاً أم ممتطيا صهوة جواده ، يالك من فتى شقى ؟ هل لك أن ترد القضاء والقدر ! ستكون أنت ماركيللوس(١٤٣). أعطنى زهور السوسن بملء اليدين ، دعنى أنثر الزهور القرمزية عليه ، ولأقدم لروح حفيدى أكواماً من الهدايا والقرابين ، فهذا على الأقل كل ما أستطيعه (١٤٤) .

هكذا طافوا بكل أنحاء البقعة ، وجابوا سهولها الواسعة ، وتأمعنوا النظر فى كل شىء . لقد قاد أنخيسيس ابنه ، وطوّف به كل ربوع العالم الآخر . ثم رفع من روحه المعنوية ، مبشراً إياه بأمجاد المستقبل ، محذراً من حروب قادمة ، عليه أن يخوض غمارها ، وعلّمه ما ينبغى له أن يعلم عن شعوب لاورنتم (١٤٥) ومدينة لاتينوس(١٤٦) ، وكيف يتحمّل أو يتجنّب كل مشقة .

هناك بابان « للنوم » ، أحدهما يقال له أنه من القرون ، منه تخرج الظلال الحقيقية بسهولة . أما الآخر فتغطيه طبقة لامعة من العاج ، لكن الأحلام الزائفة ترسل منه إلى السماء أشباحها . بهذه الكلمات اصطحب أنخيسيس ابنه وسيبولا ، مرافقاً لهما ، حتى أخرجهما من ذلك الباب العاجى ، فتابع آينياس مسيرته إلى سفنه ، وعاد من جديد إلى رفاقه . ثم اتجه بحذاء الساحل إلى كايتا (١٤٧) ، وألقت مقدمات السفن مراسيها ، والتصقت مؤخراتها بالشاطىء .

حواشى الكتاب السادس

(١) كوماى Cumae ، أقدم مستعمرة إغريقية على ساحل كبانيا فى إيطاليا ، أسسها مهاجرون من جزيرة يوبويا Euboea ، ومن هنا جاء اسمها كوماى اليوبية .

(٢) الهسبيرى Hesperius ، أى الغربى ، ومن ثم الإيطالى ؛ لأن إيطاليا تقع فى الغرب بالنسبة لبلاد الإغريق .

(٣) سيبولا Sibylla ، اسم لكثير من العرافات فى العالم القديم . أشهرهن عرافة كوماى التى كانت تتلقى الوحى من أبوللون مباشرة .

(٤) إله ديلوس هو أبوللون ، لأنه ولد فى هذه الجزيرة وتركزت عبادته فيها .

(٥) التريفية Trivia ، لقب من ألقاب ديانا Dianaبوصفها إلهة العالم السفلى التى ينسب إليها الشاعر هنا نفس المهمة التى تقوم بها هيكاتى .

(٦) خالكيس Chalcis ، المدينة الرئيسية فى جزيرة يوبويا .

(٧) أندروجيوس Androgeos ، ابن مينوس من باسيفاى ، قتله الآثينيون بعد فوزه فى جميع مسابقات الألعاب . لذلك أعلن مينوس الحرب على أثينا .

(٨) أبناء كيكروبس Cecrops ، هم الآثينيون ، إذ أن كيكروبس كان ملكا أسطوريا من ملوك أثينا .

(٩) الجنوسية Gnosia ، أى الكريتية ، لأن جنوسوس Gnosos هو الأسم القديم لكريت .

(١٠) باسياى Pasiphae ، هى زوجة مينوس Minos ملك كريت ، عشقت الثور وأنجبت منه سلالة مختلطة «المينو توروس» ويعرف بالثنائى الهيئة ، لأنه يجمع بين هيئة الإنسان

والثور . غضب الملك على ديدالوس لأنه ساعد باسيفاى فى ممارستها لهذا العشق خلسة ، فطار ديدالوس من كريت هرباً منه إلى إيطاليا بأجنحة من الشمع . وذابت أجنحة إبنه إيكاروس بفعل حرارة الشمس فسقط فى البحر الذى أصبح يسمى منذ ذلك الحين بالبحر الإيكارى .

(١١) عشقت أريادنى Ariadne بنت مينوس البطل ثيسيوس الأثينى الذى جاء إلى كريت ليخلص بنى وطنه من الجزية السنوية الرهيبة التى فرضها عليهم مينوس ، واستطاع ثيسيوس بالفعل أن يحقق غرضه بمساعدة أريادنى .

(١٢) إبن أياكوس Aeacus ، المقصود به هنا هو أخيليوس . وأياكوس هو ملك أيجينا Aegina المشهور بعدالته ووالد بيليوس Peleus ، والأخير هو والد أخيليوس .

(١٣) الماسوليين Massyli ، هم أفراد قبيلة فى نوميديا ، وسورتيس Syrtis هى كثبان رملية فى شمال أفريقيا .

(١٤) «النحس الطروادى» Troiana Fortuna ، نسبة إلى أن طروادة حوصرت طيلة عشر سنوات ، وخسرت ملوكها وأبطالها وثراءها ، لأنها دمرت وأحرقت تماماً على يد الإغريق.

(١٥) إليوم Ilium ودردانيا هى أسماء أخرى لطروادة ، أما برجاما Pergama فهى قلعتها . من هنا جاءت الصفة برجامى Pergameus وتعنى الطروادى أيضاً .

(١٦) جونو عند الرومان هى هيرا عند الإغريق ، فهى الصورة الأنثوية لرب الأرباب جوبيتر وراعية النساء وحارسة الأنوثة . تقام لها الأعياد كربة الولادة Natalis والأمومة Matronalia (راجع حاشية (٣) ص ١١١) .

(١٧) هذا البيت (٩٤) من الأبيات الناقصة الموجودة فى الأينيدة والتى لم تتح الفرصة لفرجيليوس كى يكملها بسبب موتة المفاجىء .

(١٨) العروس الأجنبية التى دمرت طروادة هى هيلينا . أما العروس التى سوف تتسبب فى شقاء الطرواديين فى إيطاليا فهى لافينيا Lavinia بنت لاتينوس ، والمدينة الإغريقية التى سوف تساعد آينياس هى فالأنتيوم Phallantium ، عاصمة الملك إفاندر Evadner .

(١٩) الأخيرون Acheron اسم لأنهار عديدة كان يعتقد القدماء أن لها صلة بالعالم السفلى .

(٢٠) هيكاتى Hecate ، إسم لديانا Diana ، كآلهة للعالم السفلى .

(٢١) أفيرنوس Avernus ، هى بحيرة قرب كوماى تسمى الآن Lago d'Averno لاجودافرنو ، كان يعتقد أنها مدخل العالم السفلى. وهى بحيرة بركانية كان يتصاعد منها بخار

سام يقتل الطيور ، ومحاطة بغابة مقدسة لدى ميكانى — بجوار هذه الغابة كان يوجد كهف الكاهنة سيبولا .

(٢٢) أورفيوس Orpheus ، شاعر أسطورى عاش قبل هوميروس فى تراقيا . أهداه أبولون قيثارة ، وعلمته ربات الفنون Musai العزف عليها ، فأطرب بها الوحوش الضارية والأشجار والأحجار . لما ماتت زوجة أورفيوس ، هبط إلى العالم السفلى واستطاع أن يستعيدها بفضل أنغام قيثارته الشجية ، بشرط أن لا ينظر إليها مطلقا قبل خروجه من نطاق العالم السفلى . لكنه لم يستطع أن يصبر فنظر إلى الخلف ليراها ويطمئن على خروجها معه ، وبذلك يكون قد نقض العهد . عندئذ أعادت الآلهة زوجته مرة أخرى إلى العالم السفلى .

(٢٣) كان كاستور Castor آدمياً ، أما أخوه بولوكس Pollux فكان خالداً ، ولما مات الأول حصل الأخير على تصريح من جوبيتر بأن يتناوب الشقيقان الموت والحياة معاً .

(٢٤) نزل ثيسيوس مع بيريثوس إلى العالم السفلى لاختطاف بروسربينا فهلك الأخير وسجن الأول حتى أنقذه هيراكليس .

(٢٥) نزل هيراكليس إلى العالم السفلى لكى يحضر الكلب كيربيروس Cereberus حارس تارتاروس : كان ذلك العمل الثانى عشر والأخير من «الأعمال الإثنى عشر» المشهورة التى فرضها يوريسثيوس Eurystheus ملك أرجوس (أو موكيناى) على البطل هيراكليس .

(٢٦) ديس Dis ، هو اسم من أسماء بلوتو Pluto إله العالم السفلى .

(٢٧) أى ما بين عالم الدنيا وعالم الآخرة .

(٢٨) كوكيتوس Cocytus ، نهر فى الجحيم .

(٢٩) ستيكس Styx ، نهر آخر من أنهار الجحيم .

(٣٠) تارتاروس Tartarus ، العالم السفلى ، أو الجحيم .

(٣١) هى بروسربينا Proserpina ، أو بيرسيفونى Persephone ، إبنة زيوس — (عند الإغريق) — من ديميتر . يذكرها هوميروس على أنها زوجة هاديس وسيدة العالم الآخر ، وتحكم الأرواح مع زوجها .

(٣٢) تحدى ميسينوس ذات مرة تريتون فى العزف على الآلة الموسيقية التى كان يستخدمها تريتون نفسه وهى «القوقعة المجوفة» ، فانتقم منه تريتون بعد ذلك (راجع الحاشية التالية) .

(٣٣) تريتون Triton ، هو ابن بوسيدون إله البحر الإغريقى — ويقابله نبتونوس عند الرومان. يسكن تريتون قاع البحر ويركب الخيل (؟) . كان معروفاً بقوقعته المجوفة التى تصدر أصواتاً تهدئ أمواج البحر .

(٣٤) قارن حاشية رقم ٢١ .

(٣٥) «ربات الرحمة» Eumenides ، هو لقب يطلق مجازاً ، لأن القدماء كانوا يكرهون ذكر اسمهن الحقيقي وهو «ربات الانتقام» Furiae ، كن بنات الأرض Gaia أو الليل Nox ، ويقمن في هاوية الجحيم .

(٣٦) ابتداء من بيت ٢٦٤ إلى ٢٦٧ يترك الشاعر تسلسل الرواية ويتضرع لآلهة العالم السفلي والقبور كي تسمح له بالعبور إلى العالم السفلي وأن تيسر له وصف ما يرى .

(٣٧) فليجيثون Phlegethon ، نهر من أنهار الجحيم .

(٣٨) أوركوس Orcus ، إله العالم السفلي أو القبر .

(٣٩) الحزن المفرط Luctus ؛ الندم المقلق Ultrices Curae ؛ الأمراض الشاحبة Pallentes Morbi ؛ الشيخوخة الحزينة tristis senectus ؛ الخوف Metus ؛ الجوع القارس الدافع للجريمة والإثم Malesuada Fames ؛ الحاجة القبيحة turpis Egestas ؛ الموت Letum ؛ الشقاء Labos ، النوم شقيق الموت Consanguineus Leti Sopor ؛ الشهوات الأثيمة mala mentis Gaudia ؛ الحرب الفتاكة morti ferum Bellum ؛ ربات الغضب (أو الانتقام) Eumenides ؛ الفتنة القاتلة Discordia demens .

(٤٠) الكنتوروس Centaurus ، حيوان أسطوري ضخم ، نصفه الأعلى إنسان والأسفل حصان .

(٤١) سكيلا Scylla ، وحش أسطوري يعيش في الماء ، نصفه الأعلى امرأة والنصف الأسفل سمكة . تمسك سكيلا بالبحارة وتبتلعهم إن اقتربوا من كهفها ؛ تقطن عند مضايق ميسينا Messina وتواجهها على الشاطىء الآخر خاريبديس Charybdis .

(٤٢) برياريوس Briarius ، ابن أورانوس (السماء) وجايا (الأرض) ، وهو واحد من العمالقة .

(٤٣) ليرنا Lerna ، منطقة حول أرجوس في بلاد الإغريق . حولها مستنقع كبير له شهرة ذائعة ، حيث قتل البطل هيراكليس الحية هيدرا Hydra وغمس سيفه في سمها : هو عمل من الأعمال الإثني عشر ، (راجع حاشية رقم (١١٧) ص ٣٢٣) .

(٤٤) خايرا Chimaera ، وحش أسطوري ضخم ، له رأس أسد وجسم جدي وذيل ثعبان وينفث النيران .

(٤٥) جورجونيس Gorgones ، اسم لثلاث عذارى مخيفات ، خصلات شعرهن على شكل أفاعي ، لهن أجنحة ومخالب وأنياب حادة . أشهرهن هي ميدوسا Medusa ، التي كانت

أصلا فتاة ساحرة الجمال ، أنجب منها پوسيدون إبناً ، فحولتها الإلهة أثينا – غريمة پوسيدون – إلى مسخ : فتاة شعر رأسها أفاعي دائمة الحركة ، وكل من نظر إليها صار في الحال حجراً .

(٤٦) الهارپيات Harpiae ، طيور أسطورية جارحة ، لها وجوه نسائية و مخالب نسر .

(٤٧) المقصود هنا هو جيريون Geryon، الوحش الأسطوري ثلاثي الجسد ، الذي كان يعيش في إسبانيا ، والذي قتله هيراكليس وسلبه قطعانه بعد أن سبح إلى هناك في قارب الشمس الذهبي . كان ذلك عملا آخر من «الأعمال الإثني عشر» (راجع حاشية رقم ٤٢، ٢٥) .

(٤٨) خارون Charon ، في الأساطير الإغريقية ، هو المعداوي الذي ينقل الموتى عبر نهر ستيكس . ورغم أنه لم يرد عند هوميروس ، إلا أنه ذكر في ملهاة الضفادع لأريستوفانيس . ما زال خارون موجوداً في الفولكلور اليوناني تحت اسم خاروس Charos أو خارونتاس Charontas الذي هو أقرب إلى «ملاك الموت» منه إلى «المعداوي» .

(٤٩) يقال إن خارون كان يتقاضى أوبل Obol أجراً من كل ميت يريد أن يعبر نهر ستيكس . لذلك اعتاد الإغريق وضع قطعة من النقود في فم كل ميت . ولقد ظل اليونان في العصور الحديثة – وحتى عهد قريب جداً – يفعلون ذلك . أما المحتابون فهم الذين لا يملكون هذه القطعة من النقود .

(٥٠) ليوكاسپيس Leucaspis ، أحد رفاق آينياس ، وكذلك أورونتيس Orontes .

(٥١) أوسونيا Ausonia ، منطقة في جنوب إيطاليا .

(٥٢) يقصد ڤرجيليوس هنا أن هؤلاء القوم اعتقدوا خطأ أن پالينوروس هذا إنما هو ملاح فقد سفينته ، وربما يحمل نقوداً في حزامه – كما كانت عادة الملاحين بعد غرق سفنهم . وبذلك كان پالينوروس – في اعتقادهم – «كنز من البحر» ؛ إن صح هذا التعبير .

(٥٣) ڤيليا Velia ، مدينة على ساحل لوكانيا Lucania في إيطاليا .

(٥٤) عن نزول هيراكليس ونزول ثيسيوس وبيريثوس إلى العالم السفلي راجع حواشي رقم ٢٥ ، ٢٤ .

(٥٥) حارس تارتاروس هو الكلب كيربيروس (راجع حاشية رقم ٢٥) .

(٥٦) راجع حواشي ٢٦ ، ٣١ ، ٢٤ .

(٥٧) أمفريسوس Amphrysus ، كان أصلا نهراً في إقليم فثيوتيس Phthiotis . بالقرب منه عاش الإله أپوللون كراع للأغنام عندما نفي من السماء . وبالتالي فإن كاهنة أمفريسوس أو كاهنة الأمفريسي هي كاهنة الإله أپوللون .

(٥٨) أى ديس (أو بلوتو) . راجع حاشية رقم ٥٦ . أما إريبوس Erebus فهو اسم من الأسماء المتعددة التى كانت تطلق على العالم السفلى .

(٥٩) وضع الرومان أيام النحس فى تقويمهم تحت اسم «الأيام السوداء dies atri» .

(٦٠) أى مجلس الموتى . من الملاحظ أن الشاعر عندما يصف عالم الآخرة فإنه يسلب الأشياء حياتها وقوتها . فالناس أمامنا أشباح هزيلة ، لاحياة فيها ، تفلت من اليدين ؛ والسهام لا رءوس لها ؛ والنور موجود غير مرئى ؛ والأصوات تنبعث لكنها غير مسموعة ؛ والدروب خالية ، والممالك خاوية ، والظلام يسود البقاع .

(٦١) فايدرا Phaedra ، هى زوجة ثيسيوس . أحبت ابن زوجها – هيبولوتوس Hippolytus لكنه لم يبادلها حباً بحب ، فكانت نهايتها الانتحار تخلصاً من ذلك الحب الآثم .

(٦٢) بروكريس Procris ، زوجة كيفالوس Cephalus . كانت تغار على زوجها حتى الجنون ، فأخذت تراقبه خلسة . لكنه قتلها دون أن يدرى أثناء متابعتها له عندما كان يقوم برحلة للصيد .

(٦٣) إريفول Eriphyle ، الزوجة التى حرضت زوجها أمفياراوس Amphiaraus على الالتحاق بحملة «السبعة ضد طيبة» . فلما مات زوجها فى الحرب قتلها ابنها ألكمايون Alcmaeon .

(٦٤) إفادنى Evadne ، زوجة كابانيوس Capaneus ، الذى قتل فى طيبة ، فألقت إفادنى بنفسها فى الكومة المعدة لحرق جثته قبل دفنها .

(٦٥) عن باسيفاى وعشقها للثور راجع حاشية رقم ١٠ .

(٦٦) لاءوداميا Ladamia ، زوجة بروتيسيلاوس Protesilaus ، التى استطاعت أن تحصل على تصريح بخروج زوجها من عالم الموتى لمدة ثلاث ساعات فقط لكى تموت معه ميتة .

(٦٧) كان كاينيوس Caeneus أصلا فتاة مسخها بوسيدون شاباً .

(٦٨) عن كيفية انتحار ديدو راجع ص ص ٢٢٤، ٢٢٥ ، وحاشية (٦٩) ص ٢٣٤ .

(٦٩) ماربيسوس Marpesus ، هو جبل فى جزيرة پاروس Paros ، اشتهر بروعة رخامه .

(٧٠) كان تيديوس Tydeus وپار ثينوپايوس Parthenopaeus من بين القادة السبعة ، الذين اشتركوا فى حملة «السبعة ضد طيبة» تحت قيادة البطل أدراستوس ملك أرجوس .

(٧١) جلاوكوس Glaucus وميدون Medon وثيرسيلوخوس Thersilochus ، هم من بين أبطال طروادة . هذه القائمة مأخوذة عن الكتاب السابع من إلياذة هوميروس .

(٧٢) بولوفويتيس Polyphoetes ، كاهن كيريس Ceres (إلهة الزراعة والحبوب وخاصة القمح) ، وهو طروادى . ليس معروفاً بالضبط لماذا يعتبره ڤرجيليوس كاهناً لهذه الإلهة .

(٧٣) راجع الكتاب الأول من الملحمة .

(٧٤) كثيراً ما كان الإغريق أثناء حصارهم لطروادة يفرون نحو الشاطىء ويلجأون إلى سفنهم ليحتموا من هجمات الجيوش الطروادية .

(٧٥) ديفوبوس Deiphobus ، هو أحد أبناء پرياموس . أما الليلة الأخيرة – أى الليلة المشئومة – فالمقصود بها هنا هو ليلة سقوط طروادة فى يد الإغريق .

(٧٦) البلاسجيون Pelasgi ، قوم استقروا فيما قبل التاريخ بالمنطقة شمال بحر إيجة أطلق الاسم – فى كثير من التعمير على اليونانيين (فى كريت على وجه خاص) .

(٧٧) رويتيوم Rhoeteum ، هو نتوء جبلى يقع على شاطىء طروادة .

(٧٨) أى هيلينا ، وتلقب بالاسبرطية نسبة إلى زوجها الذى كان ملكاً لاسبرطة .

(٧٩) يتحدث ڤرجيليوس هنا عن حصان طروادة الخشبى وكأنه مخلوق حى يتلهف على تدمير طروادة . فيما يتعلق بخدعة حصان طروادة راجع الكتاب الثانى ص ١٢٠ .

(٨٠) باكخوس Bacchus ، أو ديونوسوس ، هو ابن زيوس ، وهو إله الخمر والكروم والإخصاب وراعى المسرح) .

(٨١) لاحظ السخرية الواضحة والتهكم المرير فى الصفة التى يخلعها ڤرجيليوس – على لسان ديفوبوس – على هيلينا : امرأة لا مثيل لها egregia .

(٨٢) إبن أيولوس Aeolides ؛ المقصود به هنا أوديسيوس ، مع أن أوديسيوس – كما هو معروف – هو ابن لا إرتيس Laertes . لكن ڤرجيليوس ينسب أوديسيوس هنا إلى سيسيفوس Sisyuhus ليؤكد أن هناك تشابه شديد بينهما . فكل منهما محرض على الجرائم ولا يقوم بارتكاب أى جريمة ، وكل منهما يمثل العبقرية التى أسىء استعمالها والدهاء الذى لم يستطع أحد قط أن يتغلب عليه .

(٨٣) أورورا Aurora ، هى إلهة الفجر ، ومن ثم فهى تعلن عن قدوم الصباح .

(٨٤) إلوسيوم Ilysium ، جنة الفردوس أو مقر المباركين والسعداء الخالدين فى عالم الآخرة .

(٨٥) تارتاروس هنا يعنى الجحيم أو هاوية الجحيم (راجع أيضا حاشية رقم ٣٠) .

(٨٦) نسبة إلى تارتاروس .

(٨٧) تيسيفونى Tisiphone وأليكتو Alecto وميجايرا Megaera ربات الرحمة أو ربات الغضب الثلاث (قارن حاشية رقم ٣٥) .

(٨٨) رادا منثوس Rhadamanthus الجنوسى (أى الكريتى) ، هو شقيق الملك مينوس ، الذى أصبح مثله بعد الموت حكما أو قاضياً فى العالم السفلى .

(٨٩) التيتانيس Titanes ، هم أبناء وبنات أورانوس (السماء) وجايا (الأرض) . هم ست بنات وستة أبناء خلعوا أباهم عن العرش ونصبوا مكانه كرونوس Cronos ، الذى طرده زيوس فيما بعد وحل محله .

(٩٠) ولدا ألويوس Aloeus هما أوتوس Otus وإفيالتيس Ephialtes ، من المالقة . حاولا الصعود إلى السماء ، والوصول إلى عرش زيوس والاستيلاء عليه ، وذلك بوضع مجموعة من الجبال الواحد فوق الآخر .

(٩١) سالمونيوس Salmoneus ، هو الذى أسس مدينة سالمونى Salmone ، إدعى الألوهية ، وزعم أنه قرين زيوس ، وطالب بأن يقدم الناس له القرابين ، فرجمه زيوس بصاعقة قضت عليه .

(٩٢) كبرى مدن منطقة إليس Elis ، فى غرب شبه جزيرة البلوبونيس .

(٩٣) تيتيوس Tityos ، حاول أن يغتصب ليتو ، والدة أبوللون ، فأرداه الإله قتيلا ، ثم قذف به إلى هاوية الجحيم حيث يغطى جسمه مساحة تسعة أفدنه ويتغذى نسر على كبده وأحشائه التى تتجدد باستمرار .

(٩٤) اللابيثيون Lapithae ، هم أهل تساليا . بينما كانوا يحتفلون بزواج مليكهم بيريثوس من هيبوداميا فإن الكنتوروى – وهم المدعوون فى الحفل – حاولوا اختطاف العروس وبعض النساء الأخريات . عندئذ نشبت معركة حامية هزم أثناءها الكنتوروى .

(٩٥) حاول إكسيون Ixion أن يطارح چونو – زوجة چوبيتر – الغرام . فما كان من جوبيتر إلا أن خلق من «السحب» صورة مماثلة . أنجب إكسيون من تلك الصورة سلالة الكنتورى ، لكنه عوقب فى النهاية بأن ربط فى عجلة ظلت تدور حول نفسها إلى الأبد .

(٩٦) تشير فكرة الصخرة ومن يرفعها إلى أعلى فتهبط مرة أخرى إلى أسطورة سيسيفوس Sisyphus ، الملك المخادع ، الذى عوقب فى الآخرة بأن ظل أبداً يرفع صخرة رخامية إلى أعلى الجبل فتهبط به ثانية إلى أسفل ثم يرفعها مرة أخرى ... وهكذا .

(٩٧) إشارة إلى العذاب الذى لحق بإكسيون (راجع حاشية رقم ٩٥) .

(٩٨) يتناقض هذا البيت مع ما جاء فى بيت رقم ١٢٢ (راجع ص٢٨٢) . فهنا يجعل فرجيليوس ثيسيوس يعانى من العذاب بأن يجلس إلى الأبد ولا يقوم أبداً . لكن ربما يكون ثيسيوس المذكور هنا هو شخص آخر خلاف ثيسيوس المعروف لنا .

(٩٩) فليجاس Phlegas ، هو والد إكسيون (راجع حاشية رقم ٩٥) ووالد كورونيس Coronis التى اغتصبها الإله أبوللون فأحرق فليجاس معبد الإله ، فأرداه الأخير بسهامه قتيلا .

(١٠٠) الكوكلوبيس Cyclopes ، هم جماعة من العمالقة ، لكل منهم عين واحدة كبيرة فى مقدمة رأسه ؛ يعيشون فى جزيرة صقلية (راجع الكتاب الثالث من الملحمة) وهم عمال إله الصناعة ولكانوس Vulcanus (= هيفايستوس عند الإغريق) يعملون فى «مسبكه» القائم على جبل أيتنا .

(١٠١) أى أورفيوس Orpheus (راجع حاشية رقم ٢٢) .

(١٠٢) الأغانى البايانية Paean ، هى أغانى كورالية صاحبتها أحيانا الرقصات ، اشتقت اسمها من بايون Paeon ، أحد ألقاب أبوللون . وربما كانت أغانى للتعبير عن الشكر للإله أبوللون ، لكنها فيما بعد صارت تنشد تكريما لآلهة آخرين . وانتشرت هذه الأغانى فى اسبرطة بالذات .

(١٠٣) نهر إريدانوس Eridanus هو نهر البو فى شمال إيطاليا .

(١٠٤) موسايوس Musaeus هو شخصية نصف أسطورية ، يقال إنه من أقدم الشعراء الإغريق .

(١٠٥) نهر ليثى Lethe ، نهر فى العالم السفلى ، تشرب منه الأرواح فتنسى ماضيها ، وذلك كى يتسنى لها الصعود ثانية إلى عالم الدنيا فى صورة جديدة .

(١٠٦) نسبة إلى ألبا لونجا Alba Longa .

(١٠٧) تزوج آينياس من لاڤينيا Lavinia بنت لاتينوس ملك لاتيوم فأنجب منها سيلڤيوس Silvius ، الذى يقال أيضا إنه أول ملك على ألبالونجا . لكن البعض يعتبره بن أسكانيوس ، وبالتالى حفيد آينياس . ولدينا قائمة بأسماء خمسة عشر ملكاً توالوا على عرش ألبالونجا ، وهم كما .

يلى : آينياس ، أسكانيوس ، سيلفيوس ، آينياس سيلفيوس ... وثامنهم كابيس Capys ... والرابع عشر هو بروكاس Procas ، الذى كان شقيقاً لنوميتور Numitor وهو الملك الخامس عشر وفى نفس الوقت والد ريا سيلفيا Rhea Silvia أم رمولوس وريموس .

(١٠٨) كان مثل هذا الإكليل أو التاج المدنى Corona Civica يمنح لمن أنقذ مواطناً رومانيا أثناء الحرب . وجدير بالذكر أن هذا الإكليل منح بصفة مستمرة للإمبراطور أوغسطس .

(١٠٩) كل هذه كانت مدناً لاتنية تقع حول روما : نومنتوم Nomentum تقع على بعد أربعة عشر ميلا إلى الشمال الشرقى ؛ جابيى Gabii تقع فى الشرق ؛ فيديناى Fidenae خمسة أميال إلى الشمال الشرقى ؛ كوللاتيا على الضفة اليمنى لنهر أنيو Anio (أحد فروع نهر التيبر) ، بوميتى Pometii وكورا Cora تقعان فى منطقة الفولسكى Volsci . أما كاستروم إينوس (ومعناه حصن اينوس) Castrum Inui فهى تقع إلى الجنوب على الساحل ، بينما لا نعرف شيئاً عن بولا Bola .

(١١٠) إليا Ilia ، اسم آخر لرياسيلفيا ، راجع حاشية رقم ١٠٧ .

(١١١) تقابل كوبيلى Cybele ريا Rhea زوجة كرونوس Cronos وأم جوبيتر ، لذلك لقبت باسم أم الآلهة Mater Deum أو الأم الكبرى Magna Mater . نشأت عبادتها فى آسيا الصغرى وخاصة على جبل بيريكونتوس Berecyntus ومن هناك انتشرت عبادتها فى كل أنحاء بلاد الإغريق .

(١١٢) ترجع أسرة يوليا Iulia بنسبها إلى يولوس Iulus ابن آينياس . وقيصر المذكور هنا هو الدكتاتور جايوس يوليوس قيصر الذى ولد عام ١٠٢ ق.م. وقتل عام ٤٤ق.م. ثم أله بعد موته وحمل اسمه من بعده أوغسطس إبنه بالتبنى ، لذلك يسمى أوغسطس إبن المؤله . بعد ذلك صار «قيصر» لقباً يحمله كل الأباطرة الرومان .

(١١٣) ساتورنوس ، راجع حاشية رقم (١٠) ص ١١٢ .

(١١٤) الجارامانتيون Garamantes ، هم أفراد قبيلة كانت تسكن فى أقصى منطقة معروفة آنذاك فى أفريقيا جنوباً ، وصلها الرومان عام ١٩ ق.م. فى عصر الإمبراطور أوغسطس .

(١١٥) أطلس Atlas ، أحد العمالقة الذين حاربوا كبير الآلهة فحكم عليه الأخير

بأن يرفع السموات على رأسه ويديه . يقال إن بيرسيوس البطل الذى امتلك ميدوسا (قارن حاشية رقم ٤٥) مسخه وجعله على هيئة جبل أصبح يعرف بجبل أطلس الواقع فى شمال غرب أفريقيا .

(١١٦) بحيرة مايوتيس Maeotis ، المقصود بها هو بحر أزوف الواقع على الحدود بين أوروبا وآسيا شمال البحر الأسود .

(١١٧) هنا يذكر فرجيليوس ثلاثة من «الاثنى عشر عملا» التى قام بها حفيد ألكيوس – هيراكليس – : القضاء على الغزال ذى الحوافر البرونزية ، قتل الخنزير البرى على إريمانثوس ، والقضاء على الحية هيدرا فى منطقة ليرنا . راجع حواشى رقم ٢٥ ، ٤٣ ، ٤٧) ،

(١١٨) مجىء باكخوس إلى بلاد الإغريق فوق عربة تجرها نمور يمثل قدوم الحضارة والنصر ، كما أن « الفضيلة البطولية» تتمثل فى شخصية كل من باكخوس وهيراكليس ، لذلك فإن الشاعر يشبه أوغسطس بهاتين الشخصيتين .

(١١٩) المقصود هنا هو نوما پومپيليوس Numa Pompilius ، أحد مواطنى قرية كوريس Cures فى الريف السابينى . اعتبره الرومان مؤسس نظمهم الدينية والدستورية .

(١٢٠) توللوس هوستيليوس Tullus Hostilius ، ثالث ملوك روما ، الذى دمر غريمتها ألبالونجا .

(١٢١) أنكوس مارتيوس Ancus Martius ، رابع ملوك روما الذى قهر اللاتين .

(١٢٢) تاركوينوس Tarquinius ، هو خامس ملوك روما ، وتلاه سيرڤيوس تولليوس Servius Tullius ، ثم الملك السابع تاركوينيوس سوپربوس Tarquinius Superbus أى المتغطرس ، وهو المقصود هنا بعبارة الروح المتغطرسة .

(١٢٣) بروتوس Brutus ، هو الذى طرد تاركوينيوس المتغطرس عام ٥١٠ ق.م. واستعاد للشعب حق انتخاب حكامه . كان هو نفسه أول قنصل بالانتخاب ، فلما اشترك ولداه فى مؤامرة لإعادة التاركوينيين مرة أخرى أمر بروتوس بإعدا مهما .

(١٢٤) الفاسكيس fasces ، عبارة عن حزمة من العصى يتوسطها بلطة ، يحملها إثنى عشر ضابطا يتقدمون الملك . تشير العصى إلى حق الملك فى الجلد ، والبلطة إلى حقه فى الإعدام – أصبحت الفاسكيس تتقدم القنصل فى ميدان الحرب إبان العصر الجمهورى .

(١٢٥) پوبليوس دكيوس موس Poblius Decius Mus ، كان قنصلا وكان ولده قنصلا أيضاً ، استشهد الإثنان فى الحرب دفاعاً عن الوطن : الأول عام ٤٣٠ والثانى ٢٩٥ ق.م.

(١٢٦) ماركوس ليفيوس دروسوس ساليناتور Marcus Livius Drusus Salinator هو القائد الرومانى الذى هزم هاسدروبال (أخا هانيبال) على ضفاف نهر ميتاوروس Metaurus عام ٢٠٧ ق.م. والغرض من ذكر دروسوس هنا هو الثناء على ليفيا دروسيلا Livia Drusilla زوجة أوغسطس .

(١٢٧) لقب تيتوس مانليوس إمبريوسوس Titus Manlius Imperiosus بلقب توركواتوس Torquatus ، إذ أنه – بعدما قتل أحد الغاليين ضخم الجثة (عام ٣٦١ ق.م.) – انتزع منه السلسلة torques التى كان يضعها حول عنقه ووضعها هو . وعندما كان قنصلا عام ٣٤٠ ق.م. أعدم ابنه الذى اشتبك فى حرب مع الأعداء مخالفاً أوامره .

(١٢٨) استولى الغاليون تحت قيادة برينوس Brennus عام ٣٩٠ ق.م. على مدينة روما وأشعلوا فيها النيران ، لكن ماركوس فوريوس كاميللوس Marcus Furius Camillus استطاع طرد الغاليين من روما والنهوض بها من جديد .

(١٢٩) المقصود بهاتين الروحين هو : قيصر وپومبيوس ، الأول هو زوج جوليا ابنة الآخر . قامت بينهما حروب أهلية انتهت عام ٤٨ ق.م. بقتل پومبيوس .

(١٣٠) مونويكوس Monoecus ، لقب من ألقاب هيراكليس ، وقلعة مونويكوس هى منطقة مرتفعة فى ليجوريا Liguria ، مقدسة لدى هيراكليس ، تعرف اليوم باسم موناكو Monaco .

(١٣١) هو لوكيوس موميوس الآخى Lucius Mummius Achaicus ، ولقب بالآخى لأنه دمر كورنثا – المدينة الآخية – عام ١٤٦ ق.م.

(١٣٢) هو بيرسيوس Perseus ، آخر ملوك مقدونيا ، الذى إدعى أنه من نسل أخيليوس بطل أبطال الإغريق .

(١٣٣) دنسه أياس ليلة سقوط طروادة عندما انتزع كاساندرا .

(١٣٤) هو ماركوس بوركيوس كاتو Marcus Porcius Cato ، الملقب بالرقيب Cens. هو عدو قرطاجة اللدود الذى كان دائماً ينادى بتدميرها .

(١٣٥) هو سرفيوس كورنيليوس كوسوس Servius Cornelius Cossus ، الذى قتل ملك مدينة فيى Veii وحصل على جائزة الـ spolia opima التى كانت تمنح دائماً لأى قائد يستطيع أن يقتل قائد الأعداء (راجع حاشية رقم ١٤١) .

(١٣٦) أشهر أسرة جراكوس هما الأخوان جراكوس : الأول تيبريوس سمپرونيوس جراكوس Tiberius Sempronius Gracchus الذى حاول القيام ببعض الإصلاحات فقتل عام ١٣٣ ق.م. والثانى هو جايوس Gaius الذى حاول نفس الشيء فلاقى نفس المصير عام ١٢١ ق.م. لكن ربما لا يحفل ڤرجيليوس بهذين المصلحين قدر اهتمامه بتيبريوس جراكـوس الأكبر Maior ، الذى كان قنصلا مرتين – عام ٢١٥ ، ٢١٢ ق.م. – إبان الحرب البونية الثانية .

(١٣٧) بوبليوس كورنيليوس سكيبيو أفريكانوس الأكبر Poblius Cornelius Scipio Africanus Maior هو الذى هزم هانيبال فى معركة زاما Zama عام ٢٠٢ ق.م. ؛ كما أن ابنه بالتبنى – سكيبيو أفريكانوس الأصغر هو الذى دمر قرطاجه عام ١٤٦ ق.م.

(١٣٨) جايوس فابريكيوس لوسكينيوس Gaius Fabricius Luscinius ، كان قنصلا عام ٢٨٢ و ٢٧٨ ق.م. إبان الحرب ضد بيرهوس Pyrrhus . اشتهر ببساطة حياته ، ورفضه للرشوة التى قدمها إليه بيرهوس .

(١٣٩) هو جايوس أتيليوس ريجولوس سيرانوس Gaius Atilius Regulus Serranus كان قنصلا عام ٢٥٧ ق.م. ، هزم القرطاجيين . يمثل هو وفابريكيوس (راجع الحاشية السابقة) طرازاً فريداً من القادة الرومانيين الذين كانوا يتركون المحراث ليقودوا الجيوش ثم يعودون بعد الانتصار لمحراثهم .

(١٤٠) يقصد ڤرجيليوس هنا – وقد هاله طول قائمة الأبطال فى أسرة فابيوس – أن يبين أنه سيكتفى بذكر واحد منهم فقط ، هو كوينتوس فابيوس ماكسيموس Quintus Fabius Maximus المعروف بلقب Cunctator (المتلكيء أو المتباطيء) إذ أنه فضل أن يشن ضد قرطاجنة حرب إنهاك واستنزاف على الاشتراك فى معركة واحدة فاصلة ، وكان له بعد ذلك النصر .

(١٤١) ماركوس كلوديوس ماركيللوس Marcus Claudius Marcellus ، عين قنصلا خمس مرات – أثناء المرة الأولى – عام ٢٢٢ ق.م. – قتل ماركيللوس بريتو مارتوس Britomartus ملك الغاليين ، وبذلك حصل على جائزة spolia optima (راجع حاشية رقم ١٣٥). تلك الجائزة التى لم ينلها طوال التاريخ الرومانى سوى ثلاث: رومولوس وكوسوس وماركيللوس.

(١٤٢) كويرينوس Quirinus ، اسم رومولوس بعد تأليهه .

(١٤٣) هو ماركيللوس إبن أوكتاڤيا Octavia أخت أوغسطس ، تبناه الأخير عام ٢٥ ق.م. وزوجه من ابنته الوحيدة جوليا Julia . ويبدو واضحاً أنه كان يعده ليكون

خليفته لولا أن اختطفه الموت عام ٢٣ ق.م. عن عشرين عاماً وحزن عليه أوغسطس حزناً شديداً.

(١٤٤) يقال إن ڤرجيليوس أضاف هذه المرثية بعد موت ماركيللوس.

(١٤٥) لاورنتوم Laurentum ، مدينة على ساحل لاتيوم.

(١٤٦) لاتينوس Latinus ، ملك لاتيوم الذى تزوجت ابنته لاڤينيا من آينياس.

(١٤٧) كايتا Caieta ، مدينة فى منطقة لاتيوم وتقع على الساحل وتسمى الآن جايتا Gaeta.

فهرس الصور

الصفحة

الإشـــــراف اللغـــــوى : حسام عبد العزيز

الإشـــــراف الفــــنى : حـســن كـامــل

التصميم الأساسى للغلاف : أســامـة العـبـد

تم طبع هذا الكتاب من نسخة قديمة مطبوعة